مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٣٦

جمادى الاولى ـ شوال ١٤٠٩هـ

السنة الثالثة عشرة

كانون الثاني ـ حزيران ١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير : الأستاذ عبد الكريم خليفة
رئيس المجمع

الأعضاء :

الأستاذ محمود السمرة - نائب رئيس المجمع
الأستاذ سعيد التل
الأستاذ محمود ابراهيم
الأستاذ عبد الرحمن بشناق
الأستاذ قنديل شاكر
الأستاذ عبد المجيد نصير
الأستاذ احسان عباس
الأستاذ عبد اللطيف عربيات
الأستاذ عبد العزيز الدوري
الأستاذ ابراهيم زيد الكيلاني

فهرست العدد (٣٦) لعام ١٩٨٩

أولاً: البحـوث

ثانياً: مع الكتب

ثالثاً: تعليقات ومناقشات

رابعاً: أخبار مجمعية

أولاً : البحوث

حول معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي

د. عبدالكريم خليفة
رئيس المجمع

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد دأب مجمعنا بالقاهرة على اختيار قضية أساسية من قضايا العربية في العصر الحديث، يجعلها في كل عام الموضوع الرئيسي للبحوث في مؤتمره السنوي. وبذلك استن سنة حميدة اذ يطرح للبحث والدراسة أمام المجمعيين وعلماء العربية، جوانب مهمة من قضايا العربية في العصر الحديث. وهي قضايا تمس جوهر وجود أمتنا ووحدتها وارتقاءها في سلم العلم والحضارة، والانتقال من حالة التبعية الفكرية الى حالة المشاركة الأصيلة المبدعة في العلوم والتقنيات الحديثة. وقد جاء موضوع البحث في «ألفاظ الحضارة في الوطن العربي» ليكمل الصورة الكلية لخدمة العربية والعناية بها في جوانبها المتعددة من حيث التعريب وجعل العربية لغة التدريس والبحث في الجامعات والمؤسسات العلمية، وكذلك من حيث الارتقاء بلغة وسائل الاتصالات الجماهيرية في الصحف والمجلات ودور الاذاعة المسموعة والمرئية، وكذلك الموضوعات التي تثار حول الصراع بين العاميات باتجاهاتها الاقليمية الضيقة وقدراتها الفكرية القاصرة، وبين اللغة الفصيحة، بقدراتها الفكرية المبدعة وباتجاهاتها الموحدة.

وان النظرة الشاملة للقضايا التي تواجهها العربية في العصر الحديث في مختلف اقطار العروبة لتؤكد وجود قضية أساسية تتمثل في ألفاظ الحضارة. وهذه القضية المهمة، وان بدت منفصلة الى حدّ ما عن اللغة الأدبية واللغة العلمية، فانها متصلة بها أشد الاتصال، لأنها لغة الحياة العملية والتعامل اليومي.

ومن البدهي أن ننبه الى أن الحديث عن ألفاظ الحضارة سواء أكانت

---

(١) القي هذا البحث في المؤتمر السنوي الخامس والخمسين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وذلك يوم ١٩٨٩/٣/٢.

الـدارجـة منهـا أم المقترحة، لا يعني بالضرورة الحديث عن اللغة العامية أو اللهجات العامية. فالحديث عن العامية حديث عن هذه اللهجة من حيث نحوها وصرفها وأساليب التعبير بها، في حين أن الحديث عن ألفاظ الحضارة الـدارجـة او المقـترحة، هو حديث عن مفردات من حيث جرسها وايحاءاتها ودلالاتها وأصولها. . وقد تجد هذه المفردات طريقها الى اللغة الأدبية، كما تجد طريقها الى اللغة العلمية. وتجد طريقها الى اللغة الفصيحة، كما تجد طريقها الى اللغة العامية. وبما أن الألفاظ الحضارية متصلة أشد الاتصال بالحياة اليومية للناس في ظروفهم الحياتية ومعاملاتهم المعاشية، فانها تخالط العامية وتمازجها تمازجاً كلياً بحيث يصعب التفريق بينهما. وربما كانت مبادرة الجمهور بإحساسه اللغـوي وعفـويته في اطلاق هذه اللفظة أو تلك على ذلك المدلول، تصلح أساساً لتفسير هذه الظاهرة في اغناء اللغة المحكية من حيث الألفاظ الحضارية.

ونحن عندما نتحدث عن «الفاظ الحضارة»، فانما نعني بها جميع الألفاظ التي يستعملها الانسان العربي في حياته المعاشية من مأكل ومشرب وثياب وما يتعلق بها، ومن منـزل وأدوات منـزلية وأسماء الأمـاكن وما يتعلق بها، ومن المكاتب وأدواتها، والمركبات وما يتعلق بها، وكذلك مما يتعلق بالحِرف وأنواع المهن والصناعات وأدواتها والمواد المستخدمة فيها، فضلاً عن التربية الرياضية وغيرها من الألفاظ والمصطلحات التي تدخل لغة وسائل الاتصال الجماهيرية واليومية. . ولا شك ان هذه الألفـاظ الحضـارية، من حيث اتصالها بالحياة والاستعـمال اليومي، قد تتسـع في دوائرها حتى تتصل بمصطلحات الفنون الجميلة على مختلف انواعها ومذاهبها.

وربـما كان من المفيد أن نحـدد أن الفـاظ الحضـارة التي تعنينا في هذا البحث، هي الألفاظ التي تعبر عن ظروف الحياة ومستلزماتها المعاشية لجماهير أمتنا العربية في اقاليمها المختلفة. ومن هنا تنشأ الخصوصية التي تميز معجم ألفاظ الحضارة بالعربية عن غيره من المعاجم المتخصصة.

لقد أدّى تعثر الحياة العلمية وجمودها في أقطار العروبة منذ القرن السادس عشر الميلادي، ولاسيما في حقول العلوم الحديثة من تطبيقية وبحتة، الى توقف العـربية عن استيعاب المصطلحات العلمية. وعندما بدأت النهضة العلمية

الحديثة، ولاسيما منذ أوائل القرن العشرين، واجهت مؤسساتنا اللغوية والعلمية فراغا يكاد يكون تاماً فيما يتعلق بمصطلحات العلوم والفنون الحديثة باللغة العربية. وما ان بدأت بذور هذه النهضة العلمية في الوطن العربي حتى نشب الصراع بين أنصار العامية من جهة وانصار العربية الفصيحة من جهة أخرى. وكان يساير هذا التيار، ويجسد أهدافه العدائية صراع آخر، ما زال محتدماً، مع الأسف حتى يومنا هذا، بين انصار جعل العربية لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي في جميع حقول المعرفة الانسانية، وبين القلة المتنفذة التي ما زالت تتشبث في ابعاد العربية عن أن تكون لغة الفكر العلمي العربي في مؤسساته العلمية وجامعاته الوطنية.

فإذا تجاوزنا هذه المرحلة من تاريخنا العلمي واللغوي، الى مرحلة سيادة العربية في أوطانها ومؤسساتها العلمية والجامعية، وهي بالغتها قريباً إن شاء الله ـ وجدنا أنفسنا أمام قضية جوهرية واحدة، وهي توحيد المصطلحات العلمية والحرص على ان تكون هنالك لغة علمية واحدة بالعربية.

فاذا كان هذا هو الحال، فيما يتعلق بالمعجمات العلمية العربية المتخصصة، فان الحال تختلف فيما يتعلق بمعجم «ألفاظ الحضارة». فألفاظ الحضارة مستمرة في حياة أمتنا في اقاليمها المختلفة عبر القرون باستمرار الحياة ذاتها والحاجة الى التعبير عن لوازمها. فنحن أمام سيل متصل من الفاظ الحضارة في مجتمعنا العربي في اقاليمه ومناطقه المختلفة، وفي مدنه واريافه وبواديه.. ولا شك ان الفاظ الحضارة هذه هي نتاج ظروف الأمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. فنحن في هذا المجال لا نواجه قضية الفراغ الذي واجهناه ونواجهه عند وضع المصطلحات العلمية، وانما نواجه قضية من نوع آخر. ولعل دراسة هذه القضية تؤدي بنا الى تحديد معالمها، من حيث أصول بعض هذه الالفاظ الحضارية ومنابعها الأولى سواء أكانت عربية صليبة أم معربة، وكذلك من حيث الشيوع وملاءمة رونق العربية وأساليبها، ومن حيث الذوق والخفة على السمع واللسان.. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فان معجم الفاظ الحضارة باللغة العربية يواجه ايضا فراغا في بعض جوانب الحياة الحضارية الحديثة. ومن هنا فهو معجم دائم النمو، ومن الواجب ان

يتابع المتطلبات الحياتية للافراد والجماعات .

وقد أشار مجمعنا الكبير بالقاهرة الى عظم هذه المشكلة وأهميتها، وطرحها للبحث منذ وقت مبكر في أواسط هذا القرن. فقال الاستاذ الرئيس الدكتور ابراهيم مدكور في تصديره لمحاضر الدورة الثانية عشرة لعام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦، وكان اذ ذاك أمينا عاما للمجمع: «الفاظ الحضارة ضرب آخر من المصطلحات اللغوية، وقد تكون معالجتها أعسر من معالجة المصطلح العلمي، والاجماع عليها ليس بالأمر الهين، ولا بد أن نستعين عليها بشتى الوسائل» .

أما ان معالجتها أعسر من معالجة المصطلح العلمي، وأن الاجماع عليها ليس بالأمر الهين، فهذا مما لا شك فيه، ولكننا نتساءل كيف أن أمة قد وحدت لغتها الأدبية وتحاول توحيد لغتها العلمية بتوحيد مصطلحاتها، ما زالت تغض النظر عن معالجة موضوع ألفاظ الحضارة وضعاً وتوحيداً على الرغم من الوسائل العلمية والتقنية التي تيسرها وسائل العلم والتقنيات الحديثة. . أليس من الواجب أن يكون هنالك معجم شامل باللغة العربية يستوعب جميع ألفاظ الحضارة ويصلح أن يكون أساساً للغة حضارية واحدة بين جماهير الأمة العربية في مختلف أقطارها؟

ولكي نستوعب عظم هذه المشكلة ومدى أهميتها، جمعت عدداً من الألفاظ الحضارية في مدينة ما من المدن الأردنية، دون استقصاء أو محاولة اقامة دراسة جادة. فقد اكتفيت بنماذج عشوائية تشمل أسماء الأدوات المنزلية وأثاث المنازل والمكاتب والملابس وأدوات بعض المهن وأسماء المأكولات وغير ذلك من التعابير الحضارية . .

حقاً، لقد هالني الأمر. فهنالك الاختلاف بين الألفاظ الحضارية بين مدينة وأخرى وبين منطقة وأخرى. وهذا الاختلاف قد يضيق ويتسع وفق ظروف معينة أو حسب تباعد المسافات. وهنالك الاختلاف الملحوظ بين كثير من الألفاظ الحضارية بين جيل وآخر. أما الألفاظ الحضارية الوافدة من البلاد الاجنبية، ولاسيما من الغرب، فقد وجدت طريقها بصورة عمياء الى الجماهير المستهلكة والى وسائل الاتصالات الجماهيرية من صحف ونشرات واعلام رسمي وشعبي. . وتعدى ذلك الى طغيان حضاري، يتمثل باشاعة الأسماء

الأجنبية واطلاقها على المحلات العامة من تجارية وصناعية . . ويبلغ هذا الطغيان مداه عندما نرى هذه الأسماء الأجنبية تكتب أيضاً بحروف عربية . فقد رأيت في احدى القرى الأردنية النائية ، متجراً متواضعاً جداً كان أشبه بمدخل ضيق . . وكانت محتوياته من البضاعة المعروضة للبيع ليست بأحسن حال من مبناه، ويخيل الي أن صاحبه يستطيع القراءة والكتابة بصعوبة . . ومع ذلك فان المحل يحمل اسم «سوبر ماركت»!!! أما في شوارع العاصمة والمدن المهمة . . فحدث عن ذلك ولا حرج!

ونحن اذا تجاوزنا حدود قطرنا الى الأقطار العربية المجاورة والبعيدة، فان الأمر يصبح مذهلاً وخطيراً. فالاختلاف في الفاظ الحضارة، يجعلنا، مع الأسف، نقف أمام حاجز خطير يمنع تفاهم جماهير أمتنا بعمالها وفلاحيها، بعضهم مع بعض . . واذا كان المثقفون يجدون في اللغة الفصيحة المكتوبة او في اللغة المحكية القريبة منها، وسيلة للتفاهم، فانهم يصطدمون بعسر التفاهم، اذا تناولوا ألفاظ الحضارة بالاستعمال . . والأمثلة على ذلك كثيرة، سواء ما كان منها تراثياً شائع الاستعمال في أقطارنا العربية منذ ازمان قديمة، أم كان منها دخيلاً حديثاً حملته الحضارة المعاصرة الى شعوبنا صانعة او مستهلكة.

فهنالك مثلاً القمح والحنطة والبُرّ والغلّةُ وجميعها الفاظ تراثية، وغالباً ما تستعمل مترادفاتٍ في كل قطر.

ولنأخذ مثلاً كلمة «البطيخ» وكم تتعدد الاختلافات في مدلولاتها في مختلف الأقطار . . وقد يضطر الباحث مع الأسف الى ان يضع مقابلها اللفظة الأجنبية كي يحدد مدلولها. فهنالك «بطيخ أصفر في الشام، وشمام في الاردن وفلسطين، وشمام وبطيخ وقاوون في مصر هذا مع العلم ان كلمة «قاوون» تركية .وهكذا تتعدد الألفاظ لمسمى واحد. فهو: بطيخ أخضر وبطيخ أحمر وبطيخ شامي وبطيخ هندي، ودلاع وخِرْبز وحَبْحب، وجَبَس ورَقّي . حيث تسود كل لفظة في قطر من الأقطار أو في منطقة دون أخرى.

وقل مثل ذلك في كثير من أسماء الفواكه والاطعمة والمأكولات والأدوات المنزلية وغيرها من ألفاظ الحضارة. فالوعاء مثلاً الذي ينفض فيه رماد السجائر وتلقى فيه أعقابها يسمّى : متَكّة ومكّتّه ومِنْفضة وطَقّطوقه وسَنْدِريّه . .

الخ.

وفي أدوات الكتابة ذاتها ومستلزمات المكتب، اختلاف كبير في الألفاظ الدّالة عليها. . أما الأدوات الحديثة التي دخلت في الحرف والمهن والصناعات، فقد دخل معظمها بألفاظها الأعجمية، بعد أن اصابها التحريف العفوي، أو المبادرة المحلية بعيداً عن كل قاعدة أو قانون ينتظمها.

ومنذ مطلع هذا القرن، جرت محاولات ودراسات، كانت غايتها اغناء اللغة العربية بما يَجِدُّ من الفاظ الحضارة الحديثة. وكثيراً ما كان الأمر يغيم فتتداخل مصطلحات العلوم الحديثة بألفاظ الحضارة الحديثة، دون أن يفرد أيضاً موضع خاص بمصطلحات الفنون الحديثة مثل: التصوير والنحت والمرسومات والخزف والسينما والموسيقى. . الخ.

وكان لمجمعنا بدمشق ومجمعنا بالقاهرة فضل الريادة في إثارة هذا الموضوع الخطير. وقام مجمعنا بالقاهرة، منذ اوائل الأربعينيات بالبحث في الوسائل التي يمكن استخدامها من اجل تزويد اللغة العربية بمصطلحات الجديد في ميادين الحضارة الحديثة. . وان المناقشات والآراء المختلفة التي طرحت في ذلك الوقت، وحفظتها محاضر جلسات المجمع، تكوّن مصدراً مهماً من أجل وضع الأسس العلمية التي يمكن ان تصلح منطلقاً منهجياً لمجامعنا اللغوية من خلال اتحاد المجامع، لوضع معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي.

وما زالت مقولة المرحوم العالم المجمعي الاستاذ محمود تيمور، تكوّن أساسا صالحاً تقوم عليه فلسفة هذا المعجم الحضاري، وتعطيه هويته العربية الجامعة، حيث يقول، رحمه الله، «إن السعي الى وضع مقابل صحيح لألفاظ الحضارة أو الحياة العامة ليس مقصوداً به فرض ذلك على أفواه العامة في البيوت والأسواق، ولكن المقصود به اسعاف الاقلام الكاتبة بما يسد حاجة التعبير من ألفاظ فِصاح لمسميات حضارية شاملة، وإشاعتها في الصحف السيارة والكتب المتداولة، واذاعتها في مجالات الاذاعة الفصيحة على اختلاف منابرها ومنصاتها في حياتنا التعليمية والاجتماعية في أرحب نطاق»[1].

(١) معجم الفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، تصدير الاستاذ بدر الدين ابو غازي، ص ز، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠.

ونحن الآن لا يدور في خلدنا أننا نهدف الى التغيير القسري لما يستعمله عامة الناس في كل قطر من الأقطار العربية، ولكن من الواجب، كما أشرنا سابقاً، ان يكـون هنـاك معجم شامل باللغة العربية يستوعب جميع الفاظ الحضـارة ومستلزمات الحياة الحديثة، يمكن ان يكون مرجعاً لِكُتَّاب العربية وأدبـائهـا في العصر الحـديث في مختلف الفنون الأدبية من قصـة ورواية ومسرحية . . وغيرها، وفي جميع وسـائـل الاتصـال المـوجهة الى جماهير الأمة العربية . . ولا شك ان هذا الوضع سيؤدي الى اشاعة هذه الألفاظ، واحيائها بالاستعمال . . وبالتالي ستحل الألفاظ الحضارية الموحَّدة، محل تلك الألفاظ المحلية، بصورة طبيعية ودون عنت أو قسر، وان لغة الثقافة كفيلة بنشرها . . وهنالك أمثلة كثيرة يمكن الاستشهاد بها من حياتنا العملية. فنحن نعلم مثلاً ان هنالك كثيراً من الالفاظ المغرقة بعاميتها، محلياً أو قطرياً، قد اختفت من الاستعمال العام، وحلت محلّها الفاظ فصيحة أو أقرب الى الفصيحة، مما يخفّ وقعه على الأسماع ويسهل دورانه على الألسنة . . فلو أخذنا مثلاً لفظة «سيارة»، هذه اللفظة التراثية الجميلة، فانها قد باتت تسير على جميع الألسنة، دالة على هذه الآلة الحضارية الحديثة، في حين أننا لو رجعنا الى نصف قرن أو يزيد، لوجدنا الفاظاً كثيرة مختلفة للتعبير عنها في كل قطر من الأقطار العربية فهنالك «الأوتـوبيس» و«الأوطمبيل» و«الـطنمبيل» و«الكاره» و«الحنتور» . . الخ، من الألفاظ الأعجمية والعامية الجلفة . . وقد حلّ محلها جميعا في الاستعمال الثقافي وبين عامة الناس أيضاً لفظة «السيارة». وقد نقلت من معنى تراثي معروف في اللغة الفصيحة الى معنى اصطلاحي يدل على هذه الآلة المحدّدة . . ولا أظن أن الـذهن يتجه الى أي معنى آخر لهذه اللفظة في الوقت الحاضر بين عامة الناس والمثقفين.

وقـد قام مجمعنا القاهري، بتأصيل هذا الاتجاه، بنشره ما وضعته لجنة ألفـاظ الحضـارة وخبراؤها، وأطْلقَ عليه تفاؤلاً اسم «معجم الفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون».

وجاء تصدير الزميل الأستاذ بدر الدين ابو غازي ـ رحمه الله ـ على ايجازه شاملاً وعميقاً في عرضه لموضوع «الألفاظ الحضارية».

وهنالك محاولات أخرى في هذا المجال، كان لمجمعنا بدمشق مشاركة مهمة فيها . . ومنذ حوالي عقدين من الزمن نشر الأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله في مجلة اللسان العربي، التي تصدر عن مكتب تنسيق التعريب في الرباط، سلسلة من معاجم المهن مثل «الخبازة والنجارة، والحدادة. . الخ.

وقد قامت مؤسسة «دار لسان العرب، ببيروت» بنشر مجلّد خاص الحقته بمجلدات معجم لسان العرب، تحت عنوان «معجم المصطلحات العلمية والفنية» (عربي - فرنسي - انجليزي - لاتيني)، قام باعداده وتصنيفه الأستاذ يوسف خياط. وقد سار على نهج ابن منظور في محاولته جمع المصطلحات العلمية والفنية الواردة في عدد من المصادر المجمعية والجامعية وعند بعض المؤلفين، ثم تصنيف هذه المصطلحات. وقد تداخلت فيه بعض الألفاظ الحضارية مع المصطلحات العلمية، وليس من شأننا في هذه الكلمة أن نعرض لموضوع المصطلحات العلمية، التي كان فيها لمجامعنا اللغوية ومؤتمرات التعريب جهود مشكورة خيرة.

أيها السادة العلماء، فهذه كلمة عامة وعرض سريع، لقضية مهمة من قضايا العربية التي تواجهها في أواخر القرن العشرين. وان مجامعنا اللغوية ومؤسساتنا العلمية، لمدعوة، بحكم واجبها أن تتصدى لجميع هذه المشكلات والقضايا التي ما زالت تقف عائقاً بين لغتنا العريقة في تاريخها العلمي والحضاري والفكري، وبين استيعابها جميع معارف الحضارة الانسانية الحديثة. وان موضوع «معجم موحّد لألفاظ الحضارة» ليندرج في هذا السياق، من أجل وحدة الأمة، وفسح المجال الرحب أمامها من أجل بناء نهضتها العلمية والأدبية والفكرية، والمشاركة الأصيلة في بناء الحضارة الحديثة.

ونحن نعتقد أنه قد آن الأوان، كي تقوم مجامعنا اللغوية العربية، ومن خلال اتحاد المجامع، بالعمل على انشاء مؤسسة خاصة بالمعاجم العربية، حيث تستغل امكانات الأمة العلمية والمادية من اجل وضع المعاجم المتخصصة في مختلف العلوم والفنون. والمعجم الحضاري والمعجم التاريخي للغة العربية يمثلان الأمل الكبير الذي طالما تطلعت اليه أمتنا في مختلف مؤسساتها العلمية. أما ما يخص المعجم الموحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي «فنحن نعتقد أنه

من الضروري أن توضع خطة علمية شاملة على مستوى الوطن العربي. فنجمع جمع استقصاء كل الفاظ الحضارة التي تستخدم في جميع الأقطار العربية، سواء منها ما كان من ألفاظ المؤسسات العلمية، أو ما كان من الفاظ السوق، أو الأسماء التي يطلقها أصحاب الصنعة على آلاتهم وأدواتهم.. الخ، وان تضبط هذه الألفاظ ضبطاً كاملاً وتشرح شرحاً واضحاً، وقد يستعان بالرسم عند الحاجة.

ولا بد من استخدام الحاسوب والتقنيات الحديثة في مثل هذه الأعمال اللغوية الجليلة. فتُخزن جميع هذه الألفاظ، مع الضبط والشرح والجهة التي تشيع فيها. وان يكون هذا كله أحد المصادر التي يستعان بها الى جانب المعاجم القديمة والحديثة، العربية منها والأجنبية، ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن الاجتهاد في الوضع والنقل والاشتقاق والنحت وغير ذلك من أساليب العربية، يجب أن تكون الفلسفة التي تنزع عنها هذه المؤسسة في اصدار المعجم الموحَّد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

أشتات مما نُشر وحُقق، مع وقفة على كتاب "التذكرة" لأبي حيان الأندلسي/بتحقيق د. عفيف عبدالرحمن

د. ابراهيم السامرائي
جامعة صنعاء

قد أكون أقرب الى الحق اذا ما قلت: ان معرفة أدب العرب في جاهليتهم واسلامهم وسائر عصورهم شيء لا ندركه إلّا بمعرفة هذه اللغة الاسلامية الشريفة.

واذا قيل: إن الشعر ديوان العرب، فحقيق بنا أن نقول أيضاً: ان التنزيل العزيز هو الحكمة العالية والأدب الرفيع الذي اهتدى به العرب وسائر الأمم التي استظلت براية الاسلام. ولا أدري كيف ساغ للغويين الأوائل أن يتصيّدوا الشوارد مما قالته العرب في أشعارهم وأراجيزهم يستدلّون بها على قاعدة أقروها، ومعنىً يأخذون منه المثال الذي جرى عليه المعربون في ترسّلهم وأدبهم.

واذا كان لهذه العربية ان تقطع في تاريخها الأحقاب الطوال، فلا بد أن نقف على ما عرض لها حين كثر النشر في عصرنا، وشمل المعارف عامة، فمن ترجمةٍ الى تصنيف الى تحقيق نصّ قديم، وذلك أنهم قصروا في فهم عربيّة التنزيل العزيز.

ومن غير شك أن أولى أدوات الناشر الجديد ينبغي ان تكون معرفة المادة التي يضطلع بنشرها، سواء أكانت ترجمة لمادة غريبة أو تصنيفاً أو تحقيقاً لنص

قديم. فإن لم يملك الناشر هذه «المعرفة» عرض له وهم كثير لا سبيل الى رأب الصدع فيه.

ولنبدأ بالترجمة فنقول: على المترجم ان يعرف المادة، ويكون لـه فيها اختصاص أو ما يشبه ذلك، ثم لا بدّ من معرفةٍ تامّة وافية باللغتين الأولى التي ترجم منها، والثانية التي ترجم اليها.

أقول: فإن لم يتيسر للمترجم معرفة مادته على النحو الذي أشرنا إليه، كان الغلط، وكان بُعد عن الحقيقة، وكان تزيّد مرفوض.

ومن ذلك مثلاً:

أن أحد المترجمين قد ترجم «تقريراً» في عشائر العراق عن الانكليزية، وهو كتاب كبير، فجاء فيه عشيرة «الجرّاه» كذا!

ولا نعرف في عشائر العراق عشيرة بهذا الاسم، ولم يكن الكاتب الانكليزي، صاحب التقرير، قد أخطأ في ضبط العلم، ولكن المترجم العراقي هو المخطىء، و «الجرّاه» هذا هو «الجرّاح»، ولو أدرك المترجم هذا الأمر، وكان على علم اجتماعي تاريخي بعشائر العراق لاهتدى الى ان المؤلف أراد «الجرّاح»، وبسبب من عدم وجود الحاء في الانكليزية يُصار في رسم الكلمات العربية التي فيها هذا الحرف الى نظيره الصوتي، وهو الهاء، فيضلّ بذلك المترجم غير الفطن، والذي لم يتقن مادة ما يترجمه، كما حَدَث لصاحبنا هذا، مع أنه عراقي يفترض فيه هذه المعرفة الاجتماعية.

أقول: لقد أدرك هذه المشكلة المستعربون الاعاجم غربيون وسواهم فوضعوا نقاطاً وعلامات أخرى فوق الحرف أو تحته ليتوفّروا على الأصوات العربية التي لا توجد في لغاتهم.

وهكذا وصلوا إلى صوت الحاء برسم الحرف (H) وتحته نقطة، فاذا كان خاءً رسم هذا نفسه مع خط صغير تحته (H̲). وهكذا كانت صنعتهم في الأصوات العربية الأخرى التي ليس لها نظائر في لغاتهم، وهذا معروف منذ زمان طويل في كتابات المستعربين والمستشرقين عامة.

ومثل هذا ما عرض لأحدهم في ترجمة كتاب في «ثـورة العشرين» في العراق، فقد جاء فيه: . . . . وكان الشيخ «زاري» كذا! . . . .

أقول: لو كان المترجم غير عراقي لالتمست له وجهاً للعـذر، ولكنه عراقيّ فلا عذر له في ذلك، وكيف يكون الشيخ «ضاري» وهو من المشاهير في الثورة العراقية، وكان له مع القائد الانكليزي «لجمَن» موقعة، قتل فيها الشيخ «ضاري» خصمه الانكليزي. ثم كيف جهل المترجم هذا الاحـداث فصيّر الضاد زاياً، ألم يكن له معرفة يسيرة بالأعلام السائرة في العراق؟

أقول: كان عليه أن يعرف أن «ضاري» من الأعلام العربية في العراق، ولا سيما لدى العشائر، وليس «زاري» من الأعلام العربية في عصرنا في عامة البلدان العربية، لقد نقل هذا المترجم ما وجده مرسوماً في كتاب عن «ثورة العشرين» ألّفه روسي أعجمي، وقد رسم هذا ما حقه ضاداً بالزاي، فجاء في كتابه بالروسية «زاري»، وهو أمر غريب عرض للمترجم الذي جهل هـذه القضية.

أقول: لقد سمع الأوائل الأعلام الأعجمية إبـان الحروب الصليبيـة وقبلها، فأعطوها صورة اخرى، وغيّروا من أصواتها لتجيء مناسبة للعربية، فقالوا في «رودريك»: «لذريق»، وقـالوا في «الكسنـدر»: «اسكندر» ونحـو ذلك، وهو كثير.

كان ذلك دأبهم في تعريب الكلم الأعجمي، وليس ذلك جهلاً منهم كما جرى للتراجمة في عصرنا.

وقد يحزّ في نفسك أن تجد أحداً من أهل العربية في عصرنا يترجم رسالة في «تاريخ اللغات السامية» عن اللغة الألمانية فتقرأ فيها:

«شنفرة» و «سوقوطري»، والناظر الى الكلمتـين لا يشك فيهـا، ولا يختلج في ذهنه أنها مصحّفتان عن أصل عربي معروف. ولا أدري كيف يجهل مختص بالعربية الشاعر الجاهلي «الشَنْفَرَى» صاحب «اللامية» المشهورة!

ثم كيف لي أن التمس له عذراً وهو يجهل جزيرة «سُقَطرة» من الجزر

العربية في البحر العربي جنوبي بلاد العرب! والجزيرة مما وردت في «معجم البلدان» وما زالت معروفة بهذا الاسم.

ولنعرض لشيء آخر يصار إليه من عدم معرفة الأصوات الأعجمية. فلا يهتدي الناقل أو المترجم الى الصوت الصحيح.

ومن هذا أن احداً قد صنّف في «جغرافية شبه جزيرة العرب»، ولم يكن من أهل شبه الجزيرة العربية، فاستعان بكتاب ألماني، كما يبدوا ممّا وقع فيه من الغلط، فكان من ذلك أنه أثبت اسم موضع معروف فكان «جَبرين» بالجيم، فأحدث اسماً لا وجود له في أسماء مواضع بلاد العرب. ولو كان هذا من أهل الاختصاص، أو كان له صلة ما ببلاد العرب لعرف أن الاسم الصحيح هو «يبرين» التي وردت في الشعر القديم كثيراً، والتي ذكرها أهل البلدان عامة.

لقد فَرَط من هذا المترجم هذا الغلط الكبير بسبب أنه نظر في أصل ألمانيّ، والألمان يرسمون الحرف «J» ينطقونه ياءً، فهم يكتبون «Jabrin» وينطقونها «يَبْرين».

لقد ظن هذا الناقل المترجم الذي لم يصرح أنه ترجم عن الألمانية أنه أثبت الصواب وان الحرف «J» في الألمانية ينطق به كما ينطق في الفرنسية أو الانكليزية، فأثبت الجيم، وحقها الياء.

أقول: اذا كان الأوائل قد عبثوا بسبب الإعجام والإهمال فكان «المصحّف» و «المشتبه»، فربما وجدنا لهم سعة من عذر بسبب نقص الرسم، أما اليوم فلا عذر لهؤلاء المعاصرين بعد أن عرفت الأصوات وتميّزت.

ولما كناً بصدد الكلام على ما آلت اليه الترجمة، وما فرّط فيه المترجمون، يحسن بنا أن نمضي قليلاً في هذا السبيل فنقول:

إن أحداً من أهل العلم قد ترجم كتاباً ألمانياً في «تاريخ الأدب العربي» فوقع في شرّ من هذه الترجمة، فقد تحول «أنطون صالحاني» اليسوعي الى «أحمد الصالحاني» وكأنه مسلم بهذه التسمية التي أعيرت الى العلم النصراني، بسبب جهل المترجم.

إن ناشر ديوان الأخطل هو «أنطون صالحاني اليسوعي»، وليس «أحمد الصالحاني» كما أثبت المترجم.

وتفصيل هذا الخطأ الكبير أن المصنف الألماني وهو «كارل بروكلمان» يرمز للاسم الذي يرد في كتابه بحرفه الأول، ولما كان «أحمد» من الأسماء العربية الإسلامية يتردد في أسماء المصنفين المسلمين، رمز له بالحرف «A» ومثل «أحمد» سائر الأسماء التي تبدأ بالهمزة قد رمز لها بالحرف نفسه.

وقد فهم المترجم للكتاب خطأً ان الحرف «A» هو دائماً رمز لـ «أحمد»، ثم لما جاء الاسم «Ṣaliḥānī» وقبله الحرف «A»، أثبت في الترجمة: «أحمد» ثم زاد الألف واللام ليجعل هذه النسبة جارية على الفصاحة فكان «أحمد الصالحاني».

وهذا عجب من العجب أن يتحول الرجل إلى غيره!!

ومثل هذا ما عرض لمؤلف آخر كتب كتاباً في «تاريخ العرب قبل الاسلام» فجاء إلى كلمة «الأحابيش»، وهم في الأصل جماعة من العرب اجتمعوا وتحالفوا عند جبل «حُبْشَي» من مواضع بلاد العرب المعروفة.

لقد حمل الاستاذ المؤرخ كلمة «الاحابيش» على «الاحباش» أهل بلاد الحبشة في مصطلح العرب في جاهليتهم وإسلامهم، وفاته أن «الاحابيش» لا تتصل بالاحباش في قليل أو كثير.

وقد كان الخطأ متأتّياً من الأصل الألماني الذي يأخذ عنه المؤرخ العربي، وذلك أن الاستاذ الألماني قد أخطأ في فهمه «للأحابيش» فجرى على غلطه المترجم الذي أفاد منه.

أقول: اذا كنا لا نؤاخذ الألماني الأعجمي مؤاخذة شديدة، فإننا لشديدو المؤاخذة للمترجم الذي لم يشر الى أنه مترجم فزلّ بزلة صاحبه.

ان الكثير من المصنفين في عصرنا يخفون أمر الترجمة فيظهرون أنهم ألفوا وصنفوا، ولم يأخذوا عن مؤلف أعجمي. ومن هنا يتحملون تبعة الخطأ الذي أوقعهم فيه المؤلف الأعجمي.

أعود فأقول: ان الدارس للتاريخ الإسلامي ينبغي له الإلمام بكل ما يتصل بهذه المواد التأريخية من حواش في الأدب واللغة، وإلا فقد عرض له وهم كثير.

وقد وقع المستعربون والمترجمون في خطأ بسبب من فهم قاصر، ألا ترى أن المستشرق «درنبورغ» قد أشار الى كتاب «الأنباري» أبي البركات، وهو «جَدَل الإعراب» فقرأه «الأعراب» بفتح الهمزة، وترجم موضوع الكتاب «بمناقشات وجدل الأعراب» أي البدو.

وبسبب من إساءة القراءة، ظن المستشرق الفرنسي (ر. بلاشير) أن قوله تعالى «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» جملة استفهامية، وهو استفهام مع الانكار، فكانت ترجمته الفرنسية للآية مشيرة الى هذا الاستفهام مع النفي، وحقيقة الأمر في الآية إثبات وتقرير، والمعنى: إن بذكر الله تطمئن القلوب.

ومما ورد في نشر النصوص القديمة أن الناشر أو المحقق قد يجتهد اجتهاداً خاصاً فيغيّر تبعاً لاجتهاده في قراءة النص.

ومن ذلك ما جاء في احدى حواشي «تاريخ ابن الكازروني» للدكتور مصطفى جواد ـ رحمه الله ـ على بيت أبي نواس:

واذا المطيُّ بنا بَلَغْنَ محمّداً ... فظهورهن على الرجال حرامُ

أقول: هذا هو نص البيت في «تاريخ ابن الكازروني»، وكذلك في «ديوان أبي نواس» وسائر الكتب التي ورد فيها البيت المذكور.

غير أن الدكتور مصطفى جواد قال: والصواب:

فظهورهُنّ على «الرحال» حرامُ

و «الرحال» جمع «رَحْل» وليس «الرجال» جمع «رجل»، والمعنى: يجب ان تعرَى المطيّ من «الرحال».

ومثل هذا الاجتهاد والنظر الذي يفضي الى التزام قراءة خاصة ما ذهب إليه أحد المتأدبين الى أن كتاب «العيون والحدائق» للمؤلف المجهول قد يكون أوجه لو كان «العيون الحداثق»، بمعنى «العيون المحدّقة» أو «المحدِقة». وكأن

صاحب هذه القراءة قد استظهر بتكملة اسم الكتاب التي هي «في أخبار الحقائق» فالعيون محدِّقة في «أخبار الحقائق».

ولا تخلو هذه القراءة من تعسّف. والذي أراه ان «العيون» هي عيون الماء، وهي لصيقة بـ «الحدائق» كما هي الحال في لغة التنزيل، فالجنّات في كثير من الآيات مع العيون «في جنّات وعيون».

ومثل هذا قراءة احد المتأدبين للبيت:

السشمس إيّاكِ إلاّ أنها امرأة والبدر ايّاك إلاّ أنّه قمرُ

وجعل «إيّاك» في البيت مثل «إيّاك» في «المسألة الزنبورية» التي ذكروا أنها وقعت بين سيبويه والكسائي، وهي على رأي سيبويه:

قالت العرب: العقرب أشدُّ لسعةً من الزنهور، فاذا هو هي. وهي على رأي الكسائي:

. . . . فاذا هو إيّاها.

وكان ما كان من هذه الحكاية المشهورة في كتب اللغة والأدب.

أقول: ذهب هذا المتأدب الى هذا مفيداً ان «إيّاك» في البيت مثلها في حكاية سيبويه والكسائي.

وقد اعترض على هذه القراءة وعلى توجيهها، فقال أحدهم: ان «إيّاك» مصحّفة، والصواب:

الشمس «أدّتْكِ» إلاّ انها امرأة والبدر «أدّاك» إلاّ أنّه ذَكَرُ

والوجه بيّن ظاهر.

وهذا الاجتهاد في اثبات التصحيف يدل على مبلغ من إدراك المعاني الصحيحة، وفقدان هذا الاجتهاد أضاع الكثير من الصواب.

قلت: ومن تمام آلة المحقق أن يُلمَّ بالتاريخ لتسلم له العبارة معنىً وروحاً، وإلاّ ضاع علم وجُهلت حقائق، ولنضرب لذلك مثلاً فنقول:

جاء في نص من «العثمانية» للجاحظ ما معناه:
ان من شرائط «الإمامة» الفروسية (كذا)!.

قلت: وهذا يعني ان خليفة المسلمين لا بد له أن يكون صاحب فروسية. ولم يرد في أقوال الفقهاء وأهل العلم شيء من ذلك.

وعلق أحدهم على سبيل المزاح فقال: اذا كان هذا قد جرى للخليفة، في العصور الإسلامية القديمة فقد يكون من تمام رئاسة الجمهوريات في عصرنا أو الملوك في بلادنا الاسلامية حيازة «سيارة» جميلةً، فكما لا يجوز أن يُنصَّ على شيء من هذا، كذلك لا يمكن ان من شرائط «الإمامة» الفروسية».

أقول: لقد عرض لهذا النص التصحيف. بسبب سوء رسم الكلمة، والصواب «القُرَشية» أي أن الامام ينبغي أن يكون من «قريش» عملاً بما قيل في الحديث الشريف «الأئمة من قريش».

وعلى هذا كان ينبغي ان يكون المحقق ذا علم بالمسائل التاريخية.

ومن هذا ما وجدته في «المثل السائر» لضياء الدين ابن الأثير أنه قال ما معناه: وقال شاعر متأخر هو المعرّي (كذا)، وكان ذلك في جميع طبعات «المثل السائر».

قلت: كيف يكون «المعري» وهو من شعراء القرن الخامس الهجري متأخراً لدى ابن الأثير، وهو من رجال القرن السابع الهجري؟ لم يفطن المحققون لكتاب «المثل السائر» لهذه الحقيقة التاريخية.

وقد كان لي أن حققت كتاب «المثل السائر» على تسع نسخ مخطوطة وذلك بعض متطلبات درجة «دكتوراه الدولة» في جامعة باريس، «السوربون»، ولما وقفت على العبارة المشار إليها في المطبوع من «المثل السائر» أنكرت ذلك، فرجعت الى المخطوطات، واذا أنا واجد في شيء منها العبارة الصحيحة، وهي ان «الشاعر المتأخر هو الغزّي» وليس «المعرّي» كما ورد في «المطبوع» وبذلك ظهرت الحقيقة.

أقول: كان على المحققين للكتاب أن يفطنوا لهذه المسألة التي بدا خطؤها

واضحاً.

ومن هذا ما جاء في «نسب قريش» للزبير بن بكار في الكلام على «مصنفاته» في مقدمة المحقق:

كتاب اللغة (كذا) للموفَّق وهو «الموفقيات»

أقول: في هذه العبارة ما يوحي أنها غير مستقيمة، فكيف يكون «كتاب اللغة» للموفّق؟ الخليفة العباسيّ، ثم ورد: وهو «الموفقيات» أي اسم الكتاب.

وصواب العبارة:

كتاب ألّفه (اي الزبير بن بكار) للموفّق (اي الخليفة) وهو «الموفقيات».

وأضيف ان «الموفقيات» قد نشره وحققه الدكتور سامي مكي العاني، وكان من جملة منشورات وزارة الأوقاف في العراق.

وقد نقف في التحقيقات العلمية على ان نفراً من المحققين لم يضطلعوا بصنعتهم، فلم يعرفوا طرائق النساخ القدماء، فأثبتوا ما وجدوه في المخطوطات، فكان من ذلك ان «الحارث» و «القاسم» من الاعلام العربية قد تحوّلا الى «الحَرْث» و «القسم» وكأنهما من الاعلام العربية، ولم يُسمِّ العرب بهما، ولم يفطن بعض المحققين الى أن بعض النساخ قد جروا في نساختهم على طريقة «المصحف» فأدت صنعتهم الى ما أدت اليه لدى المحققين الذين خفي عليهم هذا الأمر.

ولا بد لي أن أقف وقفة خاصة على تصحيف يكشف ان المحقق لم يُلمَّ بالمادة التاريخية إلماماً يعصمه من الوقوع في الخطأ، وذلك ما وقع في تحقيق «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، لقد أورد فيه المحقق كنية لأبي بكر الصديق وهي «ابو الفضيل».

أقول هذا ما وقع فيه المحقق الذي اخترع هذه الكنية، وهو ينظر باحترام الى ابي بكر الصديق، والذي في الأصول المخطوطة التي اعتمدها في التحقيق «ابو الفصيل»، و«الفصيل» هو البكر أي ابن الناقة، وهي الكنية التي ذهب اليها أهل الردّة الذين قاتلهم ابو بكر، وقد عدلوا عن الكنية

الأصليةوهي «ابو بكر» الى ما يرادفها في المعنى فذهبوا الى «أبي الفصيل» إرادة التحقير والنبز».

والى هذا أشار حسان بن ثابت لقول أهل الردة «لا نطيع أبا «الفصيل»» وارادو «ابا بكر» فقال حسان مشيراً الى هذا ومدافعاً عن «الصدّيق»:

ما البكر إلاّ كالفصيل وقد ترى ... ان الفصيل عليه ليس بعار
إنّا وما حجَّ الحجيج لبيته ... رُكبان مكّةَ معشر الأنصار
نَفري جماجمكم بكل مهنّدٍ ... ضَرْبَ القُدار مباديء الأيسار
حتى تكنوه بفحل هُنَيْدةٍ ... يحمي الطُّروفه بازلٍ هدّارِ

أقول: وقد بقيت الكنية «أبو الفصيل» في كتب المناوئين لأبي بكر من الشيعة ومن والاهم من الفرق، وقد وردت في «شرح نهج البلاغة» في الكلام على الظروف التي وقعت فيها حروب الردة، وما كان من أثر ذلك في انقسام المجتمع الاسلامي بين مؤيد ومنابذ لأبي بكر.

لقد وقف محقق «شرح نهج البلاغة» فلم يفطن الى الحقيقة التاريخية التي سببت هذه الكنية، وحقيقة دلالتها على النبز، فظنها من غلط الناسخ فأعجم الصاد المهملة فصارت ضاداً فأثبت «ابا الفضيل» وهو مطمئن الى صنعته التي غيّرت الكلمة التي تومىء الى الحقيقة التاريخية وهو في صنعته هذه مدفوع الى احترام الخليفة ابي بكر - رضي الله عنه - ولو انه عرف الحقيقة التاريخية لعدل عن فعلته هذه.

ومن هذه الشذرات ما قرأته لأحدهم، وهو في حديثه عن «الفكاهة» عند العرب الذي زعم فيه: ان النحاة الأوائل كيونس بن حبيب، وأبي زيد الأنصاري، والكسائي وغيرهم ممن بلغت عدّتهم عشرين نحوياً كما ورد في «فهرست» ابن النديم كانوا قد صنفوا في «النوادر».

لقد ظن صاحب «الفكاهة» هذا أن «نوادر» النحويين شيئاً من بضاعته المزجاة في «الفكاهة» و «الطرائف والنكات والأضاحيك» ولم يهتد الى «النوادر» في اصطلاح أهل العربية التي تشمل الغريب والأخبار اللغوية ذات الدلالة الخاصة المفيدة، مما أخبر عنه الأعراب من أوابدهم وأخبارهم وشواردهم.

أقول: كان على هذا الدارس المعنيّ بالرجال أن يكون له حظ من العربية يعصمه من الوقوع في وهم كالذي عرض له.

ومن هذه الأوهام التي تعرض للدارسين ما وقع لأحدهم وهو يقدّم لكتاب «المقابسات» الذي اضطلع بتحقيقه وإخراجه في نشرة جديدة، وهو من كتب أبي حيّان التوحيدي المشهورة، لقد جاء في «مقدمة» هذا المحقق كتاب «ديوان الأدب» للفارابي، وظن ان الفارابي هذا هو الفيلسوف ابو نصر صاحب كتاب الألفاظ وكتاب الحروف.

والحقيقة ان صاحب «ديوان الأدب» هو ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم، وهو خال الجوهري صاحب «الصحاح».

أقول: وكان على المحقق أن لا يؤخذ بالشهرة فيطمس الحقيقة فيخلط بين علم وآخر اشتركا في الاسم أو الكنية أو اللقب.

وقد عرض هذا الوهم كثيراً للمعنيين بالرجال فكان خلط كثير في «كشف الظنون» بحيث يستطيع الدارس أن يؤلف من هذا رسالة لطيفة، وقد عرض شيء من هذا للزركلي في «الأعلام» فالذين اشتهروا بـ «الحليّ» خلق كثير، ومن شأن هذا أن يحدث اضطراباً لدى غير المعنيين بالأعلام التاريخية العراقية، وقد وقع شيء من هذا في«الأعلام».

وأكثر منه ما وقع في «معجم المؤلفين» لعمر كحالة، وقد حدثني أحد أدباء اليمن أن طائفة كثيرة قد ترجم لهم كحالة مرتين أو ثلاث مرات لاشتهارهم بلقب معروف قد يتغير فيذكر المترجم بشهرة له كالنسبة الى المدينة أو القبيلة، وهكذا يأتي العلم ثلاث مرات، ولم يفطن صاحب «معجم المؤلفين».

وقد عرض هذا لأحد الثقات في «الفهرسة» فجعل الكتب التاريخية التي ألفها الدكتور شاكر مصطفى لمؤلف آخر هو الدكتور شاكر مصطفى سليم العراقي المتخصص في علم الاجتماع، وأما الأول فهو سوري من أساتذة التاريخ الاسلامي.

أقول: كان على «المفهرس» توخّي التدقيق والضبط ليبتعد عن الخلط،

لم يفطن مفهرسنا الفاضل ان شاكر مصطفى العراقي قد اشتهر باسمه الثلاثي وهو «شاكر مصطفى سليم» في حين اشتهر الأول، وهو سوري الجنسية باسمه واسم ابيه «شاكر مصطفى».

ومما جاء من أسماء الكتب كتاب «العِبَر في خَبَر من غبر» للذهبي، وهو من مطبوعات الكويت في سلسلة كتب التراث التي نشرتها وزارة الاعلام، وكنت قد رأيت من أصول هذا الكتاب «مخطوطة باريس» وفيها جاء العنوان «العِبَر في خبر من عَبَر» بالعين المهملة، وليس «غَبَر» كما أثبته محقق المطبوع.

أقول: والذي دفع محقق الكتاب المطبوع في الكويت أن يثبت «غبر» ويستبعد الفعل «عَبَر» ما هو شائع ومعروف في عصرنا من معنى «غَبَر»، فالغابر في العربية المعاصرة هو القديم.

وليس «الغابر» في العربية هو القديم، والغابر هو الباقي والدائم، ومن هنا ساغ لأهل اللغة حملة على الضدّ، ومن هذا المعنى، وهو الباقي والدائم، جاء في قوله تعالى: « إلّا امرأته كانت من الغابرين» ٨٣ سورة الأعراف.

وعلى هذا كان الذي أثبت في عنوان مخطوطة باريس صحيحاً، وله وجه مقبول في العربية، فالعابر بالعين المهملة هو الذاهب، وكأن الذهبي حين أثبت الفعل «عَبَر» أراد التجنيس، والتجنيس من المحسنات المستملحة في عصر الذهبي.

وذهب صديق فاضل من أهل العلم الى أن الشائع من كتب ابن الأثير عز الدين صاحب «الكامل» كتاب عرف بـ «أُسْد الغابة في معرفة الصحابة» و «الأسْدُ» جمع أسد..

قال صاحبي: الصواب «أَسَدُ الغابة» على الإفراد، وهذا يعني أن «الكتاب» بالقياس الى معاجيم الصحابة متفرّد وجيد يفوق سائرها في خصائصه ومحاسنه، وهو في هذا كالأسد في الغابة الذي وصف بـ «ملك الوحوش».

وإلا، فكيف يوصف الصحابة ـ رضوان الله عليهم «بأُسد في الغابة» ثم كيف يوصف جماعة الصحابة وهم خلق كثير بـ «أسد» وهو جمع أدنى العدد،

وكان ينبغي في هذا السياق أن يوصفوا بالجمع الكثير وهو أسود»؟ ثم كيف لنا أن ننعت الصحابة، وهم أهل فضل وعقل وكمال، بأسود الغاب؟ واذا كان أهل العلم بالعربية قد ادركوا أن المعربين قد صحفوا حين قالوا: «ان الأمر كالشمس في رابعة النهار» وأن الصواب هـو «رائعة النهـار»، فذاك يعني ان الرسم للحروف العربية قد حمل الضيم على هذه اللغة، وان جمهرة كبيرة من الكلم المصحّف قد اندس في متن اللغة، فلم يفطن له المعربون، ولعلك تلمح شيئاً من هذا في شيء من القراءات الشاذة التي استنكرها أهل العلم، وإني لأعتبر وأفيد من قولة أبي عمرو بن العلاء في قوله تعالى: «إن هذان لساحران» فقد أثر عنه أنه قال: ابرأ الى الله أن اقرأ «ان هذان. «ومما يحسن ان أختتم به هذه «الأشتات» ما قرأته في ترجمة أحد النحويين من كتاب «طبقات ابن قاضي شهبة» جاء فيه:

أنه «اي المترجم» كان كوفياً بصرياً.

أقول: لقد نقل المحقق ما وجده في الأصل المخطوط، ولم يشكّ فيما نقله ولا تدبَّره، ولو كان له ذلك لسأل نفسه: كيف يكون المترجم كوفياً بصريّاً؟

لقد صنف الاوائلُ النحاةَ فقالوا: هو بصريّ المذهب، كما قالـوا في آخر: هو يأخذ بمسائل الكوفيين، أو أنه كوفيّ المذهب، كما قالوا فيمن أخذ عن المذهبين: إنه يخلط بين المذهبين.

وعلى هذا لم يرد في كلامهم ان أحد النحاة كان كوفيّاً بصريّاً.

وحقيقة عبارة هـذا المحقق الذي نقـل الكلام الـذي صحّفه نـاسخ المخطوطة وهي: انه (اي المترجم) كان كفيفاً بصيراً فانظر كيف عبث الناسخ فسرى عبثه الى «المحقق»!!

وبعد فهذه جملة مسائل اجتزىء بها عن كثير مما وقع لي اثناء الدرس مما وجدته في الكتب المحققة.

وقفة على كتاب «تذكرة النحاة» لأبي حيّان الأندلسي

عرفت كتاب «التذكرة» لأبي‌حيّان مما نقل عنه السيوطي في «همع الهوامع» و «الأشباه والنظائر»، ومما تجمع لديّ من شذرات أخرى قليلة وجدتها عابرة في كتب النحو واللغة المطبوع منها والمخطوط.

وكان الكتاب يُعَدّ من كتب أبي‌حيّان المفقودة، غير أني قرأت منذ أكثر من سنة في «نشرة التراث» التي يصدرها معهد المخطوطات في الكويت ان كتاب «تذكرة النحاة» لأبي‌حيّان قد صدر من «مؤسسة الرسالة» ببيروت بتحقيق الدكتور عفيف عبدالرحمن، وهو ممن أعرف وأجلّ.

قلت في نفسي كيف لي أن أحصل على الكتاب في صنعاء فلم أرَ إلا أن اكتب الى دار الفكر في عمان والى دار عمّار، فلم احظ منهما بشيء، وقلت ألك ان تكتب الى الاستاذ عفيف تلتمس اليه ان يرسل نسخة. وتقابله على صنيعه بما بين يديك من كتب تقدمها اليه هدية. ولم أفلح فيما عزمت عليه، ولم تجد رسائلي، حتى اذا افتتح معرض الكتب في صنعاء في السادس عشر من شهر تشرين الأول، وجاء الناشرون من كل بلد وجدت لدى أحدهم كتاب «التذكرة» في غلاف جميل وورق صقيل فما أدري كيف جاءني الشاهد اللغوي القديم الذي حفظته منذ أيام الطلب وهو قول الراجز:

جِيكَتْ على نَيْرَينِ إذ تُحاكُ تختبط الشوكَ ولا تُشاكُ

كنت أود «للتذكرة» هذه في ثوبها الجميل أن «تختبط الشوك ولا تشاك»، وكان يتمّ لها هذا لو أن وراء الغلاف الجميل والورق الأصيل شيئاً من عمل جليل. لا والله، لقد خاب ظني، فلم أجد ما كنت أريد أن يكون، ورثيت لصاحبي الأستاذ عفيف شقاءه بنسخة فريدة من «الكتاب».

وإني لأسعى الى أن التمس لصاحبي الدكتور عفيف وجهاً للعذر فأقول: إن الإقدام على نشر مخطوط أول مرة عمل عسير لا يقوى عليه إلا أهل الجد، فاذا كان هذا المخطوط نسخة فريدة، فذلك أعظم العسر. واذا أضفنا الى ذلك كله ما يكون من عبث النساخ أدركنا الجهد المضني الذي يلقاه المحقق.

إن كثيراً من النشر الحسن للكتب هو ما كان نشراً ثانياً أو ثالثاً، ومعنى هذا ان النشر القديم، وهو الطبعات الحجرية، وما نشر في المطابع القديمة كبعض ما نشر في بولاق والهند وايران وغيرها، قد كان من المواد المفيدة للناشر الجديد الذي يضطلع بأدواته النافعة في تحقيق الكتاب واخراجه اخراجاً سرياً مع فوائد تستفاد من تعليقاته، وما يضيفه في المقدمة.

لم يكن شيء من هذا لدى صاحبنا، ثم إنه بعد كل ذلك قد أفاد من شجاعته وحبه للعلم فقويت فيه جرأة محببة فباشر العمل. إنه لم يكن من أصحاب الصنعة اللغوية والنحوية، ومن لم يكن له من هذه الا بضاعة يسيرة فانه يشقى.

وكان في طوق السيد المحقق ان يكون مجتهداً وان لم يكن من أهل الصنعة وذلك بالرجوع الى المواد اللغوية والنحوية التي أثبتها ابوحيان مأخوذة من كتب النحويين كثعلب وابن السراج وسيبويه وغيرهم، ولكنه لم يفعل ذلك، وما رضي لنفسه أن تشقى بهذا العناء.

وبسبب هذا كله كان عمله مفتقراً الى ان يعود اليه عوداً حميداً فيصلح من عُواره، وتكون نشرته هذه مسودة جديدة يخرج منها بعد الكد والجد عمل نافع، فهل ترى صاحبي قد فطن الى هذا؟

ورأيت من المفيد أن أسجل في هذا الموجز ما كان لي من وقفات على جزء يسير من «الكتاب». وقد تركت عملي في تسجيل ما اعتزمت أن أفعله لأني وجدت ان الوقفات ستطول، وأن مادة الكتاب محتاجة الى عمل جديد. ولعل فيما سأعرضه ما يطمئن به الدارس الى ان العود الى نشرة جديدة أمر عسير، فالنسخة الوحيدة سيئة، وقد عبث فيها الناسخ. وأنت في هذا الكتاب ربما

وقفت في أمر فخطر في ذهنك ان ما عرض لهذه النسخة من الضيم قد سدّ الطريق على رجل يهوى الصعاب كالاستاذ عفيف.

لقد قدم المحقق الفاضل للكتاب بـ «تقديم» أشار فيه الى رغبته في التحقيق حين وجد تعليق رئيس قسم المخطوطات الذي أشار فيه الى ان الكتاب قد اشتمل على نقول كثيرة من كتب لم تصل الينا.

وقد جاء في هذا «التقديم» قوله:

ولئن كان هذا الجزء الذي أحققه، وهو ما سلم من الضياع، لا يمثل الا المجلّد الثاني من الكتاب الذي يقع في اربعة أجزاء، إلا أن قيمة الكتاب جعلتني أقدم على تحقيقه.

أقول: إني وان كنت أتسمّح في أن يُقدَّم لكتاب من تراثنا بلغة جديدة، فلن أوافق على أن يعرض لهذه اللغة ما تخرج به عن الاستعمال الفصيح. ان كلمة «لئن» محتاجة الى جواب للقسم كقوله تعالى: «لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد».

وعلى هذا لا يصح ان يكون جواب «لئن» في عبارة المحقق قوله «إلا أن قيمة...».

أقول: وكان ينبغي للمحقق ان يلم في «تقديمه» بكل ما يتصل بأبي‌حيان، لقد فاته ان كتاب ابي‌حيان وهو «الشذا في احكام كذا» مطبوع، وقد حققه في بغداد الدكتور احمد مطلوب، ونشره في مجلة كلية الآداب، ثم اعاد نشره مستقلاً. والكتاب رسالة لطيفة.

وقال المحقق في الكتب المنشورة التي نقل عنها:

«الألفاظ والحروف لأبي نصر الفارابي». اقول: «الألفاظ» هو كتاب برأسه، و «الحروف» كتاب آخر برأسه وكلاهما لأبي‌نصر الفارابي، نشرهما الدكتور محسن مهدي (المطبعة الكاثوليكية ببيروت). وجاء في الكتب التي نقل عنها ولم تصل الينا:

«الزهكال في حصر الحروف المصادر والأفعال» لأبي أسامة جنادة

بن محمد اللغوي.

أقول: لم يرد كتاب «الزهكال» في مصادرنا التي أشارت الى كتب اللغويين والنحاة. ثم إني لم أقف على مادة «زهكل» في معجماتنا، وأخشى ان تكون الكلمة مصحفه عن كلمة أخرى.

وجاء في هذه الكتب التي أفاد منها ابوحيّان: «ونقل ابوحيان من خط أستاذه وشيخه أبي جعفر احمد بن ابراهيم...». أقول: ان «الاستاذ» لقب خاص لم يطلق على كل شيخ، فقد عرف ابن سينا بالاستاذ الرئيس، وعرف كافور الاخشيدي بالملك الاستاذ، ولم نجد الكلمة الا في رجال معدودين.

وقلت في أول الكلام اني لا أطلب من محقق كتاب من كتب التراث ان تكون اللغة التي يقدّم بها المحقق لكتابه لغة قديمة، ولم أقل ان العربية المعاصرة غير جائزة في هذا السياق، ولكني أقف في قبول قول المحقق في الصفحة (م ٣٥):

«حاولت جاهداً ضغط حجم الكتاب بسبب كبر حجم المخطوط».
أقول: ان مادة «تذكرة النحاة» تنفر من «ضغط» السيد المحقق لحجم الكتاب.
ان كلمة «ضغط» هذه وإن كانت عربية فاننا جئنا اليها عن طريق الترجمة من اللغات الغربية الحديثة، واحتجنا اليها لضرورة علمية. ومن هنا ليس لنا أن نجعلها في مقدمة لكتاب في النحو واللغة.

وجاء في هذه الصفحة أيضاً: «اعتمد المؤلف على الرموز للدلالة على علماء اللغة والنحو الذين يعرض لهم في الكتاب، وقد وضعت جدولاً... يبيّن الرمز وصاحبه. وقد أعيتني بعض الرموز فلم أجد الى حلها سبيلا، فتركتها كما هي».

وهذا يعني ان المحقق كدّ ذهنه فوصل الى دلالة الرمز، وترك ما لم يصل اليه. أقول: فكيف اهتدى الى ما يدل عليه الرمز، هل رجع الى أقوال اصحاب الرموز ووقف عليها في كتب أخرى، وفي هذه الحال سيكون الرمز صحيحاً. كيف مثلاً فرّق بين «ع» وهو رمز الشلوبين، و «ش» وهو رمز الشلوبين.

نعم: إن المعروف بالشلوبين اثنان أولهما وهو الأشهر ابوعلي عمر بن محمد الاشبيلي المتوفى سنة ٦٤٥، وهو الذي يتردد في كتب المشارقة. وقد ترجم له في «البغية» ص ٣٦٤، والثاني ابوعبدالله محمد بن علي بن محمد المالقي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ، وكلاهما أندلسي. وقد ترجم له السيوطي في «البغية» ص ٧٩.
أقول: كيف ميّز الأول عن الثاني اذا وجد الرمز، ولم يثبت الاسم في نص الكتاب؟ ثم ان قول المحقق: «أعيتني (والأحسن أعياني) بعض الرموز» تشير الى أنه شقي بهذا فكيف اذن حل هذه المشكلات؟

ولِمَ خصّ «ع» بالشلوبين، و «ص» بابن‌عصفور، وكان الطبيعي ان يكون «ع» هو ابن‌عصفور!!

وكيف اهتدي الى ان «غا» يعني من تلاميذ الشلوبين. أذلك من أسرار التحقيق؟! وقال المحقق في الصفحة م ٣٦: «بعض الشواهد لم تسعفني المصادر... في التعرف الى قائلها...» اقول: ولو قال: «بعض الشواهد لم يُسعفني» لكان أحسن ذلك أن «بعض» مفرد مذكر في لفظها، وان دلت في بعض دلالاتها على الجمع. ثم ان الفعل «تعرَّف» يتعدّى بنفسه، فالصواب: في تعرّف قائلها قال الشاعر الجاهلي:

وقـالـوا تعـرَّفْهـا المنـازلَ مِن مِنىً وما كـلّ من وافى منىً أنـا عـارفُ

ثم ان «الكتاب» هو الجزء الثاني من «التذكرة»، اذا كان هذا فلم عدل عن رمز الكسائي ورمز ابن‌الطراوة، ولكل منهما رمز في جدول الرموز؟

لم يستعمل ابوحيان الرمز لهما في الصفحة (٥) من هذا الجزء الثاني، وصرح باسم كل منهما، قال: «ربّ: حرف جر قاله الكسائي وابن الطراوة...».

ويبدأ المؤلف الكلام على «رُبّ» في هذه الصفحة ونقرأ فيه مسائل تتصل بـ «رُبّ» وما جاء فيها من اللغات، ثم يأتي بعد هذا الكلام المفهوم شيء آخر لا نعرفه متصلاً ـ بـ «رب» واليك هذا الذي تحيّرت فيه:

قال المؤلف: «وربما وقعت خبراً لإنّ وأنّ المحذوف ضمير الشأن منها.

ومعمولها اسم ظاهر نكرة، ويكون معرباً ومبنيّاً ومضافاً الى ضمير معمولها، ويقاس على ما سُمع من ذلك وفاقاً للأخفش. وشرط عملها فيه ان لا تباشره «ربّ» بل بالعطف بالواو وكذا كلّ وأيّ وكم وشذّ ربّ امّه ورُبَّ... وربَّ واحد أمّه ولا يفصل بينها وبينه خلافاً للأحمر، إذ أجاز أن يفصل بينها بالقسم...!!

أقول! هل فهم أخي الدكتور عفيف المحقق هذا الخلط، وهل يفهم غير المحقق من أهل النحو والعربية هذا الكلام المستغلق، وكيف لا تباشر «رُبّ» مدخولها ويُفصل بينها وبينه بواو العطف... وما معنى قوله: وكذا كلّ وأي وكم؟!. وما معنى قوله: «ومعمولها اسم ظاهر نكرة، ويكون معرباً ومبنيّاً ومضافاً الى ضمير معمولها؟

أقول: لم يقل هذا ابوحيان، واذا كان قد قال شيئاً منه فربما قاله في موضع آخر غير «رب»، وكان من سهو الناسخ إدراج هذا الحشد في موضع ليس منه، وهو الكلام على «رب».

ومن إضافات المحقق في تعليقاته أنه ترجم في الحاشية للكسائي وللأخفش، ولابن الطراوة. قد يكون ابن الطراوة ممن لا يعرفه غير المختص، فهو يقتضي الترجمة، لكن الكسائي والأخفش من المشاهير للمختص وغير المختص فلا حاجة ان يترجم لهما ترجمة غير مفيدة بايجازها المخل ولا أدري لِمَ لم يذكر صاحبي المحقق مصدراً واحداً في الأقل لكل ترجمة.

ومن الكلام الذي لا يعني شيئاً ولا يتصل بـ«ربّ» من قريب أو بعيد ما جاء في الصفحة (٦):

وأما الفصل بينها بالجار والمجرور فجاء في الشعر ولا يقاس عليه، وكذا جاء في غيرها! وبالظرف ضرورة وضمير مبهم وليس جرها إياه بقليل خلافاً لزاعمه. ويكون مفرداً مذكراً، وإن ميِّز بمؤنث أو مثنى او مجموع، خلافاً لمن اجاز مطابقته للتمييز، وهم الكوفيون... أقول: لا أريد أن أطيل عليك هذا الغثاء، أخي الدارس، ذلك أن الكتاب قد حشر بحشد من هذا المستغلق الذي لاتخرج منه بيسير من فائدة. أعانك الله أخي المحقق على ما شقيت به فأشقيت غيرك من الدارسين. وفي هذه الصفحة تجد سيبويه والفارسي

والوفشي وابن طاهر وابن خروف، وليس من رمز لأي من هؤلاء مع أن المحقق ذكر لهم رموزاً في جدوله.

لقد ترجم المحقق للأحمر في حاشيته وجعله علي بن المبارك الأخفش وأنا أحمل ورود الأحفنش على الخطأ المطبعي. ويأتي في الصفحة (٧) المبرد وابن السراج والفارسي والعبدي والزجاج والخليل والرماني والجزولي ولغدة الاصبهاني وليس من «رمز» لأيٍّ من هؤلاء.

وما زال الكلام على «رُبّ» المرزوءة بالكلام المستغلق الذي لا يخصها. ولعلّ فيّ بقية من صبر فأشقى في الصفحة (٨) الى نهاية الكلام في اول الصفحة (٩).. ثم نأتي في الصفحة الى الكلام على «مذ» و «منذ» فنقرأ فيها: قال اللحياني: «والرفع بعد مذ أكثر من الخفض». أقول: هذا يفهم ولكنه قال بعده: «ومن الرفع بعد «منذ». فما معنى هذه العبارة؟

أقول: سقط منها شيء أفسدها، وتمام العبارة: والرفع بعد مذ أكثر من الخفض، [والخفض أكثر] من الرفع.

وأريد أن أقفك، أخي الدارس، على شيء آخر، ولا أريد أن تشقى به كشقائي بل أبسطه أمامك لتعرف أن هذا المخطوط، وان كان مجلداً وسم عليه انه الجزء الثاني من «التذكرة»، فهو في عرف أهل صناعة المخطوطات «دشت» أي أوراق غير مرتبة لا يقام عليها حكم.

لقد جاء في هذه الصفحة: وقال الأخفش: منذ لغة أهل الحجاز يجرّون بها كل شيء، ومذ لغة بني تميم وغيرهم، ما بعدها رفع...

أقول: كأن الصواب: ومذ لغة تميم وغيرهم، وبعدها رفع!

ثم يقول الأخفش: وأما عامّة العرب فيجرّون بهما الحاضر، ويرفعون بعدهما الماضي.

كان على المحقق ان يبذل من عمله وجهده بين يدي هذا النص الذي يفتقر الى إيضاح، ولو أنه فعل هذا لأفاد أكثر من فائدته في ترجمة أعلام ذكرت في كتب الطبقات وكتب الرجال، وفي طوق أي دارس مهما كانت طبقته أن يرجع الى هذه الكتب.

ولا أدري كيف يسقط شيء ضروري من النص ولا يفطن له المحقق!
ومن هذا ما ورد في الصفحة (١٠) وهو:
«والمعرفة تكونان معه لابتداء الغاية في الزمان بمنزلة (من). . . ».
والوجه هو: «والنكرة والمعرفة تكونان. . . ».

وتتمة هذا قوله: «والنكرة تدخلان على الزمان الذي وقع فيه ابتداء الفعل وانتهاؤه. . . ».
والوجه هو: والمعرفة والنكرة تدخلان على الزمان. . . ».
وما زال الكلام على «مذ ومنذ».

ونأتي الى الصفحة (١٢) وما زال الكلام على «مذ ومنذ» فنجد فيها قول المؤلف المرزوء بهذه النسخة الفاسدة:
«. . . فاذا قلت: ما رأيتُه مذ يوم الجمعة، فقد رأيتَه في بعضه، ثم فقدتَه بعد الى الزمان الذي أنت فيه، وهذا أحد قولي أبي‌العباس أقول: ومن أين اهتدى المحقق ان أباالعباس هذا هو ثعلب وقد ترجم له في حاشيته.
ثم جاء: «وحكى ابوبكر عن أبي‌العباس أنه يجوز. . . »
وذهب المحقق ان «أبابكر» هذا هو ابوبكر محمد بن‌القاسم الأنباري.

أقول: من أين له ان يقطع ان ابابكر هذا هو الانباري.
والذي وقفت عليه في كتب اللغة ان الانباري حين يذكر يقال فيه ابوبكر الانباري، أو يقال: ذكر محمد بن القاسم (كذا) أو الأنباري. ثم ان ابابكر هذا لم يؤثر عنه نحو كثير، بل هو صاحب لغة فهو صاحب المذكر والمؤنث، وصاحب السبع الطوال.

والذي أرجحه ان أباالعباس هو المبرد، وأن أبابكر الذي حكى عنه هو ابوبكر ابن‌السراج، وهو تلميذه.
والذي يقوي هذا الترجيح ان المؤلف أباحيان يأخذ بآراء البصريين الذين دعاهم «أصحابه»، وهو لا يأخذ بما يقوله الكوفيون، وثعلب والأنباري من الكوفيين.

وينتهي الكلام على «مذ ومنذ» في الصفحة (١٣) ونجد في لِصْق هذا

الكلام قوله: «قال الشاعر» وقول الشاعر بداية لذكر شواهد جاء فيها ما ورد على «فعال» اسم فعل للأمر كحَذار، أو علم لأنثى كقطامِ ولكن هذه الشواهد الشعرية وردت في لِصْق الكلام على «مذ ومنذ». ولم يفطن المحقق، وكان عليه ان يثبت ما يشير الى أن باباً جديداً قد بدأ.

ورابع هذه الشواهد ما رواه الأصمعي:

ونشدتِ حُجْراً وابن أم قطامِ

فقال: و «حُجر» هو ابن ام قطام.

وقوله هذا إيذان بكلام جديد ذكر فيه ما جاء على شاكلة «حجر وابن أمّ قطام» فيقول:

كما تقول: أتيتك برجلٍ شريف وابن قتيبة، وأنت تريده بعينه، والرجل الشريف هو ابن قتيبة.

ثم يتحول المؤلف فيقول: أغَرْتُ على العدوّ إغارةً وغارة... أقول وكأنه يريد المصدر واسم المصدر مثل إنبات ونبات، وتسليم وسلام.

ثم يتحول المؤلف الى باب الأنواء فيقول:

قال ابن كناسة: الوسميّ من أنجم الربيع خمسة: العرقوة السفلى ونوؤها اربع ليال، والحوت نوؤها ثلاث ليال...

أقول: كان ينبغي ان يكون في نص الكتاب: [وهي] خمسة. ولعلها سقطت من الناسخ ولم يفطن المحقق.

وقد تستغرب ان يأتي كلام على «الأنواء» و «الأنجم» في كتاب جلّه النحو. وقد تستغرب أكثر من ذلك حين تجد المؤلف يتحول الى هذه المواد وليس من رابط أو صلة ولا أستطيع أن أعزو هذا الى الاستطراد بل أقول انه سوء في التأليف. غير أن أباحيان لم يصنع شيئاً من هذا في كتبه الأخرى، ومن هنا كان وصفي لهذه النسخة المخطوطة بما يدعى «دشت» عند أهل هذه الصنعة.

وجاء في لِصْق خبر «الأنواء» قول المؤلف: قال الشاعر:

ان بـني عـوفِ ابتـنـوا حـسـبـاً ضـيَّعـه الـدُخْـلَلون اذ عـذروا

وكان ينبغي ان يفصل هذا البيت عن مادة «الأنواء».

وصحة ضبط البيت ان ينون «عوفٍ» لا يكسر حفاظاً على الوزن، والبيت من «مخلّع البسيط».

وشرح «الدُّخلَل».

ثم اتبع الشرح من غير إشارة الى مادة جديدة فقال: وقال:

حتى تـركنـاهـم لـدى مَعَـركٍ أرجلُهم كـالخشب الشـائـلِ

ثم قال: قال الأصمعي: شغل شاغل، وشيب شائب، وموت مائت، وويل وائل، وذيل ذائل...

أقول: وليس في البيت المتقدم شيء من هذه الموصوفات والصفات، والذي أرجحه ان بيتاً قد سقط جاء فيه «شغل شاغل»، وكان ذلك سبباً لايراد المؤلف لقول الأصمعي.

ثم أتى بالرجز ص ١٥ وهو:

يخضبن بـالحنّـاء شيئـاً شـائبـاً ....

والصواب: شيباً شائباً

ثم تكلم على «النُعَر»، وهو مادة جديدة لم يفصلهـا المحقق عن المادة السابقة.

وكل هذا مسائل لغوية.

ثم قال في مادة أخرى لم تفصل عن سابقتها:

قال ابوعبيدة: يقال: ناسيّما (كذا) الدمَقْس، والمدقس كل ثوب أبيض من كتّان أو إبريم أو قزّ.

أقول: لم أعرف ما المراد من «ناسيها» أمصحّفة هي عن «لا سيها»، واذا كانت هذه فما مؤدّاها؟، و «المَدَقس» الثانية صوابها: الدمَقس.

وجاء في ص ١٦:

نوّليني: أي ليُصبني منك نوال، العثاكيل: الشماريخ...
أقول: ولا بد ان يكون هذا قد ورد في بيت وسقط من النص، ولم يشر المحقق.

ثم جاءت أبيات، ولا تعرف سبب إيرادها ومنها في الصفحة نفسها بيت لدريد بن الصمة.

ثم يقول: ألقى بيده الى التهلكة، وألقى يده، وطوّح به وطوّحه. والاقيال والأقوال: الملوك.

ولست تدري لم أتي بهذا كله. ثم يأتي في لصقه قول حارثة بن بدر:

كأني لم أكن شيئاً اذا ما هلكت وقيلَ كان كذا وكانا

ثم يمضي في هذه الصفحة والتي تليها فيذكر أبياتاً يتيمة لا صلة للواحد بالذي يليه.

وجاء في الصفحة (١٨) بيت امرىء القيس:

عارِضٍ زوراء من نَشَمٍ غيرَ بانات على وَتَرِهْ

و «بانات» هذه هي «بانية» مثل «باداة» في «بادية» وهي لغة طيّ
أقول: وصوابها «باناة» لأنها مفرد لا جمع كما توهم المحقق، ومثلها: امرأة كاساة، أي كاسية.

ويستمر المؤلف يورد أبياتاً يشتمل كل بيت على فائدة خاصة، وليس من رابط بينها.

وهذا كله يومىء الى أن أصل الكتاب مما لا يمكن ان يكون الأصل الذي كتبه ابوحيان، بل ان هذه النسخة شيء مما بقي من الأصل بعدما دخله الغلط والحذف وما عرض له من السقط والآفات الأخرى.

ويستمر بنا هذا النهج القائم على أبيات مفردات لا صلة بينها فيتحول بعدها الى كتاب «الزهكال» الذي أشرنا اليه، وينقل صاحب «الزهكال» مادة صوتية عن الخليل بن أحمد، والكثير منها ورد في باب الادغام من «كتاب» سيبويه، ومما ورد في مقدمة «كتاب العين».

وجاء في ص (٣٢) حكى البلخي في «سعد» لغتين: ضم السين لغة هذيل وفتحها لغة سائر العرب.

وعرَّف المحقق بالبلخي هذا فقال هو أبوزيد احمد بن سهل عالم فذ ذكر له ابن‌النديم مؤلفات كثيرة...

أقول: البلخي الذي أشار اليه ابن‌النديم ليس لغوياً، بل من أهل العلوم.

وجاء في ص (٣٦):

قال ابو الحسن: مَعُن يمعُن مَعانةً، وقال احمد بن يحيى: أمعَنَ بحقّه واذعن وطابق، وحُكي عنهم: سألت مُعْنانةً فواحد هذا في القياس «معين» كقضيب وقضبان، وهو مسائل الماء.

أقول: ووجه الكلام: ... وقال احمد بن‌يحيى: أمعَنَ بحقه: أذعن وطابق. وحُكي عنهم: سألت «مُعْنانه»، فواحد هذا في القياس معين... وهو مسايل الماء.

فالُمعنانُ جمع معين، والمسايل جمع مسيل، والياء تثبت في الجمع في مسايل لأنها أصلية.

ومن فساد هذا «الكتاب» ما كان من محققه الذي جعل الشيء متصلاً بما سبقه في السطر الواحد، وكان حق الثاني ان يُبدأ به كلاماً جديداً من أول السطر.

ومن سوء الرسم ما ورد في ص (٣٧): المَعْدا والمَشْتا والمَغْنا وحقها الرسم بالياء: المعدَى والمشتىَ والمَغْنىَ..

ومن غرائب هذا الكتاب إيراده قدراً كبيراً من كتاب المفاحشات الذي جمع اشعاره عاصم بن الحدثان.

وأنت تقرأ هذه الأشعار الماجنة فتسأل نفسك ما علاقة هذا بالنحو واللغة وهما مادة «الكتاب»، أليس هذا عبثاً؟ واذا كان هذا فهل يكون أبوحيان صاحب هذا العبث؟!

ثم يعود بعد هذه الأشعار الى النحو ثم الى اللغة، ثم الى طائفة من أشعار لا تعرف ما وجه إيرادها يكثر فيها شعر الفرزدق وجرير وجماعة أخرى.

وفي «الكتاب» جملة مجالس أهل النحو واللغة منها مجلس الأصمعي مع المازني، ومجلس الزجاج مع جماعة، ومجلس ثعلب مع جماعة، ومجلس الأخفش الأوسط مع المازني، ومجلس المازني مع الجرمي، ومجلس ابي‌عمرو بن‌العلاء مع أبي‌عبيدة، ومجلس أبي‌عمرو مع الأصمعي، ومجلس ابي‌يوسف صاحب ابي‌حنيفة مع الكسائي، وطائفة أخرى من المجالس، وفي أغلب صفحات الكتاب استغلاق وخطأ وسهو، ولولا خشية الإطالة، ولا داعي لها، لأتيت عليها.

كلمة أخيرة:

أقول: هذه نبذة يسيرة من هذا «الكتاب» الذي فشا فيه السهو والسقط والنصوص المعدولة عن وجهها، والتزيد والعبث. وانك لتجد في كل صفحة شيئاً من هذا.

"لَدُنْ ولَدَى" بينَ الثنائيَّة والثُلاثيَّة وأحكامهمَا النحويَّة

د. رياض حسن الخدّام
جامعة ام القرى

تناول اللغويون والنحويون والصرفيون دراسةَ هذين الظرفين، فجاءت دراستهم وثيقةَ الاتصال فيما بينها، حيث قدَّمَ اللغويون لغاتٍ لهما كانت العرب ناطقةً بها، وعَرَضَ النحويون لأوضاعهما التركيبيَّةِ النحويةِ، في حين علَّل الصرفيون لهذه اللغات المتعددة. وقد تناثرت ثمراتُ هذه الدراساتِ في بطون الكتبِ القديمة، وقد حاولت في هذه الدراسة أنْ أَلُمَّ شتاتَها وأجمَعَ شملَها، عارضاً آراءهم واختلافاتهم حولها، والهدف من ذلك كلّه هو تقديمُ دراسةٍ متكاملةٍ لهذين الظرفين.

أولاً: لغات لَدُن

اهتمَّ القدماء بتسجيل لغات (لَدُنْ) وازداد هذا الاهتمامُ لَدَى الخالفين، على مَرِّ العصور، فبلغ مجموعُ لغاتها ـ بعد الاستقراء ـ سَبْعَ عشرةَ لغةً، سأورِدُها فيما يأتي مبيِّناً تعليلَهم لكلِّ لغةٍ، وذاكراً كلَّ مصدرٍ ذكرَها، لنتبيَّنَ من ذلك كيف تَمَّ التوسُّعُ في رَصْدِ هذه اللغات عبرَ المراحل التاريخية:

١ ـ لَدُنْ: بزنةِ عَضُدٍ، وهي أُمُّ الجميع، وأشْهرُ اللغات(١).

---

١ ـ انظر: العين، للفراهيدي، مادة لدن، والكتاب، لسيبويه ٢٨٦/٣ والمقتضب للمبرد ٥١/١ ـ ٣٤٠/٤، والبغداديات، للفارسي، ٣٥٠، ومقاييس اللغة لابن فارس، مادة لدن والصحاح للجوهري، مادة لدن، والمفصل للزمخشري ـ ١٣٢ ـ وامالي ابن الشجري ٢٢٢/١ وشرح المفصل لابن يعيش، ١٠٠/٤ والكافية لابن الحاجب ٤٠٨ وتسهيل الفوائد لابن مالك، ٩٧ وشرح التسهيل لابن مالك، السفر ٢/ ٠٥ أ وشرح الكافية، للرضي ١٢٣/٢ ولسان العرب، لابن منظور، مادة لدن والتذييل والتكميل، لابي حيان، ٤١٨/٣، والمساعد لابن عقيل، ٥٣٢/١، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة لدن، وشرح التصريح للازهري، ٤٥/٢، وهمع الهوامع للسيوطي، ٢١٥/١ وتاج العروس للزبيدي، مادة لدن، وحاشية الصبان، ٢٦٢/٢.

٢ ـ لَدَنْ: بفتح الدال وسكون النون، ذكرها سيبويه بقوله: (وقال بعضهم لدأ غُدْوَةً)(٢) وقوله هذا يبين لنا أمرين ويثير ثالثا. أما الأمران فهما:

أ ـ أنه لم يبيِّن لنا القبائلَ ـ أو القبيلة ـ التي كانت تتكلم بهذه اللغة، وهذا يتضح من قوله: وقال بعضهم.

ب ـ أنَّ إتباعه لها بكلمة «غدوةً»، يدلُّ على أنَّ هذه اللغة مشروطة بكونها لا تستعمَلُ الاَّ مع «غدوةً» خاصة، وهذا ما أكده ابن الشجري بعد ذكره لها بقوله: (ولا يكونُ هذا العملِ إلاَّ مع غدوة)(٣) وقوَّى ذلك برواية أبي زيد (قالوا جئت فلاناً لَدَنْ غُدْوةً ففتحوا الدال)(٤) وقد علَّل سيبويه فتحَهم لدالِها بقوله: (وكأنَّه أسكنَ الدَّالَ ثم فتحَها كما قال اضربَنْ زيداً ففتح الباء لَمَّا جاء بالنون الخفيفة)(٥). في حين ذهب ابن الشجري إلى أنهم (حذفوا النونَ بعد إسكان الدال ثم ردوها ففتحوا الدَّالَ لالتقاءِ الساكنين تشبيهاً للدَّال بآخرِ الفعل مع النون الخفيفة في نحو: لنسفعا)(٦)(٧) وأيَّدَ أبو علي تعليلَ سيبويه فيما حكاه عنه ابنُ جني، وفصَّل ما أجمله بقوله إنَّ (الفتحة في لَدَنْ إنما جاءت من قِبَلِ أنهم أسكنوا الدال في لَدُنْ استثقالا للضمة فيها كما يُسكَّنُ نحو: عَضُدٍ وسَبُعٍ فيقال: عَضْدٌ وسَبْعٌ، فلما سُكِّنتِ الدَّالُ وكانت النونُ بعدَها ساكنةً التقى ساكنان، ففتحتِ الدال لالتقائهما، وشُبِّهت من طريق اللفظ بنحو قولك في الأمر والنهي اضربَنْ زيداً ولا تضربَنْ عمرا)(٨) وأضاف ابنُ جني (هكذا حصَّلْتُ عن أبي علي

---

٢ ـ انظر: الكتاب، ١/٢١٠، وانظر هذه اللغة في: سر صناعة الاعراب لابن جني، ٢/٥٤٥ وامالي ابن الشجري، ١/٢٢٣، وتسهيل الفوائد، لابن مالك، وشرح التسهيل لابن مالك، السفر ٢/١٠٥أ والتذييل والتكميل لابي حيان ٣/٤١٨، ولسان العرب مادة لدن، والقاموس المحيط مادة لدن، وهمع الهوامع، للسيوطي، ٢/٢١٥ وحاشية الشيخ ياسين على شرح التصريح ٢/٤٧ وحاشية الصبان ٢/٢٦٢.

٣ ـ انظر الامالي ١/٢٢٣

٤ ـ انظر امالي ابن الشجري، ١/٢٢٣

٥ ـ انظر الكتاب، لسيبويه، ١/٢١٠

٦ ـ من الاية ١٥ من سورة العلق

٧ ـ انظر الامالي، ١/٢٢٣

٨ ـ انظر سر صناعة الاعراب، لابن جني، ٢/٥٤٥ ـ ٥٤٦

وقتَ قراءةِ الكتاب عليه)(٩) وواضح أنَّ تعليلَ سيبويه ومن تبعه أقلُّ تكلفاً من تعليل ابن الشجري لذهابه إلى حذفِ النون ثم إرجاعِها وفي هذا من التكلُّف ما لا يخفى، في حين أنَّ تعليلَهم خالٍ من الحذفِ والإرجاع.

أمَّا الأمرُ الثالثُ الذي يثيره قولُ سيبويه، فهو أنَّ هذه اللغةَ قد رُسِمَتْ في إحدى طبعات الكتابِ (لَدَاً) بألفٍ ممدودةٍ منونةٍ(١٠)، وذكرهَا ابن مالك في تسهيله ورُسِمَتْ بألفٍ ممدودة منونةٍ(١١) أيضاً كما ذكرها الفيروز ابادي ومثَّل لها بقفاً(١٢)، فاذا اعتقدنا أنَّ رسمَها كذلك صوابٌ، فما حقيقةُ هذا التنوين وما نوعُه؟ لم أظفرْ بجوابٍ على الرغم من وقوفي على كثيرٍ من الكتب النحوية واللغوية، لذلك أحسَبُ أنَّها لَدَنْ بالنون، وليست كما رُسِمت في الكتب السالفة وذلك للأمور الآتية:

١ ـ أنَّها رُسِمَتْ في طبعة بولاق بالنون(١٣)، كما رسمت في طبعة دير نبورغ بالنون أيضاً وقد أشار الأستاذ عبد السلام هارون إلى ذلك في الحاشية(١٤) ومِنْ قبلُ وصَفَ طبعةَ دير نبورغ بأنَّها قد (حَظِيَتْ بأصح نسخةٍ من كتاب سيبويه)(١٥).

ب ـ أنها رُسِمَتْ في كتب الخالفين لسيبويه ـ كابن جني(١٦) وابن الشجري (١٧) وابن يعيش(١٨) اولئك الذين ذكروا هذه اللغةَ وعلَّلوا فتح دالها ـ بالنون، وليس بألفٍ ممدودةٍ منونّةٍ، ولو كانت كذلك، لنصَّ هؤلاء على ذلك، وهم

---

٩ ـ المرجع السابق ٢/٥٤٦

١٠ ـ انظر الكتاب، ١/٢١٠ (طبعة هارون)

١١ ـ انظر تسهيل الفوائد، ٩٧

١٢ ـ انظر القاموس المحيط، مادة لدن.

١٣ ـ انظر الكتاب لسيبويه، ١/١٠٧(طبعة بولاق)

١٤ ـ انظر الكتاب، ١/٢١٠ (طبعة هارون) الحاشية.

١٥ ـ انظر الكتاب لسيبويه، ١/٥٨ (طبعة هارون) المقدمة

١٦ ـ انظر سر الصناعة، ٢/٥٤٥

١٧ ـ انظر امالي، ١/٢٢٣

١٨ ـ انظر شرح المفصل، ٤/١٠١

من هذا الفنِّ في ذروته

جـ ـ أنها لو كانت كذلك لما غَفِلَ رجلٌ مثلُ سيبويه عن تِبيَانِ حقيقةِ هذا التنوين، ولعلَّ سيبويه ـ إنْ كان قد أرادها كذلك ـ يريدُ المشابهةَ الصوتيةَ بين التنوين المتمثل بـ (لَدًا) ونونِ التوكيد الخفيفة المتمثلة باضربَنْ، وقد أشار إلى ضَرْبٍ من هذه المشابهة بقوله إنهما (من موضع واحدٍ وهما حرفان زائدان) وأضاف بأن (النون الخفيفةَ ساكنةٌ كما أن التنوينَ ساكن)(١٩) ونَظَرُ سيبويه المتجهُ إلى هذه المشابهة الصوتية يقودنا إلى القول بأنه كان مدركاً أنَّ لَدَنْ بالنون، وليست بألفٍ ممدودة، غير أنه وجد أنَّ رسمَها كذلك أدلُّ على هذه المشابهة المنشودة، التي أرادها(٢٠).

أمَّا ابن مالك فقد ذكر في التسهيل هذه اللغة مرتين، الأولى بالنون والثانية بألفٍ ممدودة منونةٍ(٢١) والغالب على الظن أنَّ ابنَ مالك قد أراد الأولى دونَ الثانية، لأن الثانيةَ فيها ـ كما احسب ـ تصحيفٌ وتحريف، فهي (لَدُ) بفتح اللام وضم الدال، ذلك أنَّ شُراحَ التسهيل ومعهم ابن مالك والسيوطي في همعه والشيخ ياسين في حاشيته على شرح التصريح(٢٢)، قد ذكروا لغاتِ لَدُنْ الواردة في التسهيل كتابةً، ولم يذكروا لَدًا بالألف المنونةِ، بل ذكروا في موضعها (لَدُ) فلعلَّ تحريفاً قد وَقَع في هذه اللغة لم يتفطن إليه المحقق الفاضل، يؤنسنا في ذلك أنَّ المحققَ قد اضطرب حين ضبطَ لغات لَدُنْ الواردة في نص التسهيل(٢٣). ورَسْمُ الفيروز آبادي لها بالألف المنونةِ، يدلنا على أنه قد فَقِهَ

١٩ـ انظر الكتاب، ٣/٥٢١، وانظر شرح المفصل، لابن يعيش، ٩/٤٣ لتقف على اوجه المشابهة بين التنوين ونون التوكيد الخفيفة.

٢٠ـ انظر صفحة٩، ١٠ من هذا البحث ففيه الاسهاب حول هذه المشابهة.

٢١ـ انظر التسهيل، ٩٧

٢٢ـ انظر شرح التسهيل لابن مالك السفر ٢/١٠٥أ والتذييل والتكميل لابي حيان ٣/٤١٨، والمساعد لابن عقيل، ١/٥٣٢، وشفاء العليل، للسلسيلي، ١/٤٨٤ وهمع الهوامع، ١/٢١٥ وحاشية الشيخ ياسين على شرح التصريح ٢/٤٧

٢٣ـ قارن ضبط اللغة الثالثة الواردة في نص التسهيل، ٩٧، مع ما ورد في حاشية المساعد ١/٥٣٢ وقارن ايضا الاحالة رقم (٥) الوارد في التسهيل مع ما ورد في نص المساعد ١/٥٣٢ فسوف تقف على هذا الاضطراب في ضبط لغات لدن.

تمثيلَ سيبويه لها، وفَهِمَ أنَّ المرادَ هو التشابُهُ الصوتي فأكَّد هذا الفهمَ حين مثَّل بها بقفاً، يقوِّي ذلك أنه عدَّد لغات لَدُنْ في كتاب البصائر ورسم لَدَنْ بالنون مغفلاً رسمَها بألفٍ منونةٍ(٢٤) ويبدو أنَّ الفارسي ومن تبعه قد ارتضوا كتابتَها بالنون ناظرين اليها من الناحيةِ النحويةِ دون الالتفاف إلى تشابُهِهَا الصوتي كما ذهبَ إلى ذلك سيبويه، خاصةً أنَّ المصطلحات النحوية كانت قد استقرَّت بعد سيبويه فالتزموا بها مفرِّقينَ بين النون الأصليةِ من جهة والتنوين والنون الخفيفة من جهة ثانية.

٣ ـ لَدِنْ: بفتح اللام وكسر الدال وسكون النون(٢٥) وأصلها لَدُنْ بضم الدال وخففت بحذف الضمة كما في عَضُد التقى ساكنان، الدال والنون فحركوا الدال بالكسر منعا لالتقاء الساكنين(٢٦).

٤ ـ لُدْنِ: بضم اللام وسكون الدال وكسر النون(٢٧) وأصلها لَدُنْ بضم الدال فلما أرادوا التخفيف نقلوا الضمةَ من الدال الى اللام ليكونَ ذلك علامةً على الحركة المحذوفةِ وكسروا النونَ لالتقاء الساكنين(٢٨).

---

٢٤ ـ انظر بصائر ذوي التمييز، ٤/٤٢٦

٢٥ ـ انظر: التسهيل لابن مالك، ٩٧، وشرح التسهيل لابن مالك السفر ٢/١٠٥أ، وشرح الكافية للرضي ٢/١٢٣، ولسان العرب، لابن منظور، مادة لدن. والتذييل والتكميل، لابي حيان ٣/٤١٨، والمساعد لابن عقيل، ١/٥٣٢، والقاموس المحيط، مادة لدن، وهمع الهوامع للسيوطي ١/٢١٥، وحاشية الشيخ ياسين على التصريح، ٢/٤٧، وتاج العروس، للزبيدي، مادة لدن، وحاشية الصبان، ٢/٢٦٢.

٢٦ـ انظر شرح الكافية للرضي، ٢/١٢٣ بتصرف.

٢٧ـ انظر: امالي ابن الشجري، ١/٢٢٢، والكافية لابن الحاجب، ٤٠٨، وشرح المفصل لابن يعيش، ٢/١٢٧، وتسهيل الفوائد لابن مالك ٩٧، وشرح التسهيل لابن مالك، السفر ٢/١٠٥أ وشرح الكافية للرضي، ٢/١٢٣، ولسان العرب لابن منظور مادة لدن، حيث عزا ذكرها لابي علي الفارسي والتذييل والتكميل لابي حيان، ٣/٤١٨.

٢٨ـ انظر: امالي ابن الشجري، ١/٢٢٢، وشرح المفصل لابن يعيش، ٢/١٢٧، وشرح الكافية للرضي، ٢/١٢٣ بتصرف.

٥ ـ لَدْنِ : بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون(٢٩) وأصلها لَدُنْ بضم الدال فحذفوا الضمة للتخفيف فالتقى ساكنان، الدالُ والنون فكسروا النون هروباً من التقاء الساكنين(٣٠).

٦ ـ لَدْنَ : بفتح اللام وسكون الدال وفتح النون(٣١) وأصلها لَدُنْ بضم الدال فحذفوا الضمة للتخفيف، وفتحوا النون هروباً من التقاء ساكنين(٣٢).

٧ ـ لُدْنَ : بضم اللام وسكون الدال وفتح النون(٣٣) ولم يعلل لها احد ممن ذكرها، ويبدو أنه قد جرى عليها ما جرى على لُدْنِ غير أن النون فتحت هنا، وكسرت هناك.

٨ ـ لُدُنْ : بضم اللام والدال وسكون النون(٣٤) ولم يعللوا لها أيضاً ولعلَّهم ضمُّوا اللام اتباعاً لضمة الدال،نزعم ذلك استئناسا بتعليل ابن الشجري لـ (لُدُ) المحذوفة النون، فقد ذكر أنهم ضموا اللام اتباعاً لضمة الدال (٣٥).

٢٩ـ انظر: المفصل، للزمخشري، ١٣٢، وامالي ابن الشجري، ١/٢٢٢، وشرح المفصل لابن يعيش، ٢/١٢٧، ٤/١٠١ والكافية لابن الحاجب، ٤٠٨ وتسهيل الفوائد لابن مالك، ٩٧، وشرح التسهيل لابن مالك، السفر ٢/١٠٥أ، ولسان العرب مادة لدن وعزاها لابي علي ايضا، والتذييل والتكميل لأبي حيان، ٣/٤١٨، والمساعد لابن عقيل ١/٥٣٢، والقاموس المحيط مادة لدن، وتاج العروس مادة لدن.

٣٠ـ انظر: شرح الكافية للرضي، ٢/١٢٣ بتصرف.

٣١ـ انظر: المفصل، للزمخشري، ١٣٢، وشرح المفصل لابن يعيش، ٢/١٢٨، والجامع لاحكام القرآن، للقرطبي، ٤/٢١، والمساعد لابن عقيل، ١/٥٣٢، وبصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي، ٤/٤٢٦ وهمع الهوامع، للسيوطي، ١/٢١٥، وحاشية الشيخ ياسين ٢/٤٧

٣٢ـ انظر: شرح المفصل لابن يعيش، ٢/١٢٨، وشرح الكافية للرضي، ٢/١٢٣ بتصرف.

٣٣ـ انظر: شرح التسهيل لابن مالك السفر ٢/١٠٥أ والتذييل والتكميل لابي حيان ٣/٤١٨ وهمع الهوامع، للسيوطي ١/٢١٥، وحاشية الصبان ٢/٢٦٢.

٣٤ـ انظر: تسهيل الفوائد لابن مالك، ٩٧، وشرح التسهيل لابن مالك السفر ٢/١٠٥أ، والتذييل والتكميل لأبي حيان، ٣/٤١٨، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة لدن، وهمع الهوامع للسيوطي، ، ١/٢١٥ وحاشية الصبان ٢/٢٦٢.

٣٥ـ انظر: امالي ابن الشجري، ١/٢٢٢

٩ ـ لُدُنُ : بضم اللام والنون، وسكون الدال(٣٦)، وأصلها لَدُنْ، أُلقيت ضمةُ الدال على اللام، ثم حركت النون لالتقاء الساكنين(٣٧).

١٠ـ لِدْنَ: بكسر اللام وسكون الدال وفتح النون(٣٨) وقد انفرد بذكرها الصبان من غير أن يعلل لها، ولعلّها متفرعة عن (لَدِنْ) حيث نقلت كسرة الدال الى اللام، فالتقى ساكنان، ففتحوا النون دفعا لالتقاء الساكنين، وقد مر معنا أن لَدِنْ أصلها لَدُنْ.

١١ـ لَدُ: بفتح اللام وضم الدال وحذف النون(٣٩) (ووجه حذف النون فيما ذكره أبو علي أنهم حذفوها لالتقاء الساكنين في قولهم لَدُ الصلاة كما حذفوا التنوين من الأسماء الأعلام في نحو زيد بن فلان، ثم أَجَروا النون في الحذف ولم يلقها ساكن مُجراها في الحذف لالتقاء الساكنين(٤٠) ونقل ابن يعيش عن بعضهم أنهم (حذفوا النون وأبقوا الضمة للدلالة على المحذوف ولأنه مُنتقَصٌ من غيره وليس بأصلٍ على حياله)(٤١) ويتضح من التعليلين أنَّ ابن يعيش قد أراد من نقله النصَّ على أنَّ نونَ لَدُنْ أصلية، في حين أن أبا علي أشعرنا بأن هذه النون زائدة على اصل الكلمة وذلك حين شبَّهها بالتنوين.

١٢ـ لُدْ: بضم اللام وسكون الدال(٤٢) وأصلها، لَدُنْ، فنقلت ضمة الدال

٣٦ـ انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة لدن، والقاموس المحيط، مادة لدن، وتاج العروس، مادة لدن وعزا ذكرها في اللسان لأبي علي الفارسي.

٣٧ـ انظر: لسان العرب، مادة لدن (بتصرف).

٣٨ـ انظر: حاشية الصبان ٢٦٢/٢

٣٩ـ انظر: الكتاب، لسيبويه، ٣٧١/٢، والمفصل للزمخشري، ١٣٢، وشرح المفصل لابن يعيش، ١٠٠/٤ و الكافية لابن الحاجب، ٤٠٨، وشرح التسهيل لابن مالك، السفر ١٠٥/٢أ ولسان العرب، مادة لدن وشرح الكافية، للرضي، ١٢٣/٢ والتذييل لابي حيان ٤١٨/٣ والمساعد لابن عقيل ٥٣٢/١، و القاموس المحيط مادة لدن والفوائد الضيائية للاجامي ١٤٤/٢ وهمع الهوامع للسيوطي، ٢١٥/١ وتاج العروس مادة لدن.

٤٠ـ انظر: امالي ابن الشجري، ٢٢٢/١

٤١ـ انظر: شرح المفصل، لابن يعيش، ١٠١/٤ بتصرف.

٤٢ـ انظر: المفصل، للزمخشري، ١٣٢ وامالي ابن الشجري، ٢٢٢/١، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠٠/٤ والكافية لابن الحاجب ٤٠٨، وتسهيل الفوائد لابن مالك ٩٧، والقاموس المحيط مادة لدن وهمع الهوامع للسيوطي، ٢١٥/١، وتاج العروس مادة لدن.

إلى اللام تخفيفا، فالتقى ساكنان، الدال والنون، فحذفوا النون لالتقاء الساكنين(٤٣).

١٣- لَدْ: بفتح اللام وسكون الدال وحذف النون(٤٤) وعلّل لها ابنُ يعيش بقوله: (كأنّه حذف الضمة تخفيفاً ثم حذف النون وأبقى الدال على سكونها)(٤٥).

١٤- لُدُ: بضم اللام والدال وحذف النون(٤٦) وقد انفرد بتعليلها ابن الشجري فذكر أنهم ضموا اللام إتباعا لضمة الدال(٤٧).

١٥- لَتِ: بفتح اللام وكسر التاء(٤٨) قال عنها أبو حيان (ووجدت في طرة نسختي من هذا الكتاب أعني أصلي الذي بخطي من كتاب تسهيل الفوائد مخرجاً، ولَتِ بلام مفتوحة وتاء مكسورة وينبغي أنْ تكشفَ هذه اللفظة(٤٩) وعلّل لها في البحر المحيط بكونها ضرباً من الإبدال(٥٠).

١٦-١٧- ولَتْ ولَتُ: بفتح اللام وسكون التاء في الأولى وضمها في الثانية وقد ذكر محقق التسهيل أنها زيدتا في إحدى النسخ التي اعتمدها ولم يثبتها في متن التسهيل(٥١).

٤٣- انظر: شرح الكافية للرضي، ٢/١٢٣ بتصرف.

٤٤- انظر: المفصل للزمخشري، ١٣٢، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/١٠٠، والكافية لابن الحاجب ٤٠٨ والتسهيل ٩٧ وشرح التسهيل لابن مالك، السفر، ٢/١٠٥أ، والتذييل والتكميل لابي حيان، ٣/٤١٨ والمساعد لابن عقيل، ١/٥٣٢، والفوائد الضيائية، لملا جامي، ٢/١٤٤، وحاشية الصبان ٢/٢٦٢.

٤٥- انظر: شرح المفصل ٤/١٠١ بتصرف.

٤٦- انظر: الامالي لابن الشجري، ١/٢٢٢، والقاموس المحيط، مادة لدن وتاج العروس مادة لدن.

٤٧- انظر: الامالي، ١/٢٢٢

٤٨- انظر: التذييل والتكميل لابي حيان، ٣/٤١٨، المساعد لابن عقيل، ١/٥٣٢، وهمع الهوامع للسيوطي ١/٢١٥.

٤٩- انظر: التذييل والتكميل، ٣/٤١٨

٥٠- البحر المحيط، ٢/٣٧٢

٥١- انظر: تسهيل الفوائد لابن مالك، ٩٧ (الحاشية) ولم أجدها في شرح التسهيل لابن مالك السفر، ٢/١٠٥أ ولافي التذييل والتكميل لأبي حيان، ٣/٤١٨.

أمَّا لَدَى: فقد عدَّها الأزهري(٥٢) والجوهري(٥٣) وكثير من اللغويين(٥٤) والنحويين(٥٥) من جملة لغات لَدُنْ في حين أنَّ سيبويه نصَّ على مفارقتها للَدُنْ، وذلك بقوله: (ولَدَى بمنزلة عنـد)(٥٦) ولو أراد أنها أخت للَدُنْ لقال: ولَدَى بمنزلة لَدُنْ، لأنه قد تقرَّر أن لَدُنْ تفارق عند، عندهم من وجوه سنراها فيها بعد وقد تبع سيبويه في ذلك طائفة من النحويين الخالفين كابن مالك(٥٧) وشراح تسهيله(٥٨) وألفيته(٥٩)

ومما سبق نلحظ ما يأتي:

١ ـ أنَّ اللغويين والنحويين لم يعينوا لنا أسماء القبائل التي كانت تستعمل كل لغة من هذه اللغات ما عدا نصهم على أنَّ قيساً قد أعربت لدن، وسيأتي الحديث عنها.

٢ ـ أن القدماء عللوا لأكثر اللغات، غير أنَّ المتأخرين كابن مالك ومن تبعه اكتفَوا بذكرها فقط.

٣ ـ أنَّ لَدَنْ التي اختُلِفَ في رسمها، قد اختصت بسياقٍ كلامي معيَّنٍ وهو لَدَنْ غدوةً في حين أن باقي اللغات لم يُنصَّ على اختصاصها بسياق محدد.

٤ ـ أنَّ أكثر اللغات قد تفرَّعت عن لَدُنْ، وجاءت نتيجةً للفرار من التقـاء الساكنين.

٥ ـ أن اللغات التي كانت تثبت النون أكثرُ من اللغات التي تحذف النون، وهذا يدعونا إلى التساؤل عن أصل لَدُنْ، أهو ثنائي، أم ثلاثي؟ ولعل الوقوفَ

٥٢ـ انظر: تهذيب اللغة، مادة لدن.

٥٣ـ انظر: الصحاح، مادة لدن.

٥٤ـ انظر: لسان العرب لابن منظور مادة لدن، وبصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي، ٤٢٦/٤، والقاموس المحيط مادة لدن، وتاج العروس للزبيدي، مادة لدن.

٥٥ـ انظر: المفصل للزمخشري، ١٣٢، وشرح المفصل لابن يعيش، ١٠٠/٤، والكافية لابن الحاجب ٤٠٨، والفوائد الضيائية لملا جامي، ١٤٤/٢.

٥٦ـ انظر: الكتاب، ٢٣٤/٤

٥٧ـ انظر: تسهيل الفوائد، ٩٧

٥٨ـ انظر: مثلا التذييل والتكميل لأبي حيان ٤١٨/٣

٥٩ـ انظر: مثلا شرح الأشموني، ٢/ ٢٦٢

على حقيقة نون لَدُنْ يكشف لنا ما إذا كانت لدن ثلاثيةً أم ثنائية .

ثانياً ـ لَدُنْ بين الثنائية والثلاثية

تناول سيبويه (لَدُنْ) باعتبارها ثلاثيةً الأصول فقد أشار إلى أصالة نونها بقوله: (وأمّا لَدُ فهي محذوفةٌ كما حذفوا يكن، ألا ترى أنك إذا أضفت إلى مضمر رددته إلى الأصل تقول: من لَدُنْهُ ومن لَدُنِّي، فإنّما لَدُنْ كعَنْ)(٦٠).

وقرر في موضع آخر أن حذفَ نونها لغة لبعض العرب قال: (وبعضُ العرب يحذف النون حتى يصير على حرفين، قال الراجز غيلان:

يَسْتَوعِبُ البَوْعَينِ من جَريرِهِ ··· من لَدُلَحْيَيْهِ إلى مُنْخُورِه(٦١)

وقد سَرَد نصوصاً متعددةً في مواضعَ مختلفةٍ من كتابه تدل على أنَّ حذف نونها كان تشبيهاً لها بنون يكن، وأن هذا الحذف شاذ لا يقاس عليه لأن نونيها أصليتان في الكلمة وقد حذفتا تخفيفاً لمّا كثُرَ مثلُ ذلك في كلامهم(٦٢).

وبيّنَ مع الخالفين، أنَّ نونَ يكن قد حذفت لشبهها بأحرف المد واللين، في سكونها وامتداد الصوت بها، فتكون إعرابا مثلَهُنَّ، وتُزاد حيثُ تزادُ الياءُ والواو(٦٣) وتبدَلُ الألفُ منها كما تُبدَّلُ منها، مثل اضربا، ورأيت زيدا، وتحلُّ محَلَّ الواو في قولك بهرانيٌّ وصنعانيٌّ، وتحذَفُ لالتقاء الساكنين كما تُحذَفُ الواو والياء، وتُحذَفُ للجازم نحو لم يَكُ كما تحذف الواو والياء والألف)(٦٤).

ولأجل هذه المشابهة حذفتْ نونُ يكنْ، ومعنى ذلك أنَّ سيبويه حين قال: وأمالَدُ فهي محذوفة كما حذفوا يكن، قد حَمَلَ حذْفَ نون لَدُنْ على حَذْفِ نونِ يكنْ في حالِ الجزم، وقد حُمِلَتِ الأخيرةُ على حذف أحرف المد واللين، بعبارة أخرى، أنَّ نونَ لَدُنْ قد أشبهتْ هي الأخرى أحرفَ المدِّ واللين أيضا.

٦٠ـ انظر: الكتاب، ٣/٢٨٦.

٦١ـ انظر: الكتاب، ٤/٢٣٣ بتصرف

٦٢ـ انظر: هذه النصوص المتفرقة في الكتاب، ١/٢٥ ـ ٢٩٤ ـ ٢/١٩٦ ـ ١٨٤ ـ ٤٠٥.

٦٣ـ انظر: مواضع هذه الزيادة في المقتضب للمبرد، ١/٢١٩.

٦٤ـ انظر: الكتاب، ٤/١٨٤ والمقتضب، للمبرد، ١/٢١٩، ٣/١٦٧ والبغداديات للفارسي ١٥٠ وسر الصناعة لابن جني ٢/٤٣٨ ـ ٤٤٠ ـ وشرح الكافية للرضي ٢/٢٠١ وشرح التصريح للازهري، ١/١٩٦ والاشباه والنظائر للسيوطي، ١/٢٨٩ (بتصرف).

وواضح أنَّ سيبويه في تنظيره هذا كان منطلقاً من إدراكه وجودَ المشابهة الصوتيةِ القائمةِ بين أحرف المد واللين من جهة والنونِ من جهة ثانية، وهذه المشابهةُ قد أكَّدتها الدراسات اللغويةُ الحديثةُ إذ قررت بأنَّ اللامَ والنونَ والميمَ تُعَدُّ من الناحية الصوتية أشباهاً لأحرف المد واللين(٦٥)، غير أنه لم يلتفت ـ وهو ينظِّر لذلك ـ إلى الناحية النحوية، لأنَّ من المعلوم أن حذفَ نون يكن كان بشروطٍ معروفةٍ في كتب النحو، وليس لحذفِ نون لَدُنْ شروط بل هي لغةٌ من جملة لغات لَدُنْ.

كما أنَّ (حُكْمَ) حذفِ أحرفِ المد واللين حين يكون لالتقاءِ الساكنين هو الوجوب(٦٦) أمَّا حذفُ نون لَدُنْ فقد نصَّ سيبويه على شذوذه مطلقاً، دون تقييد بكون هذا الحذف قد تمَّ لالتقاء الساكنين أو لغيرها قال: (إذْ كانَ من كلامهم حذفُ النون والحركات وذلك نحو مُذْ ولَدُ وقد عَلْمَ، وإنما الأصلُ لَدُنْ ومُنْذُ وقَدْ عَلِمَ، وهذا من الشواذ وليس مما يُقاسُ عليه ويطرد)(٦٧) وقيد الرضي إطلاق سيبويه فقرر أنَّ حذفَ نون لَدُنْ لالتقاء الساكنين شاذ في(٦٨) حين ذهب المتأخرون كابن جماعة والسيوطي الى جواز ذلك من غير تشذيذ بل أوجبَ ابنُ جماعة هذا الحذف وأشار ايضاً الى ورودها في الشعر ثابتةً على قلة قال: (مِثْلُ المدة في الحذف وجوباً نونُ التأكيد الخفيفة نحو اضربَ الرجلَ بفتح الباء أي اضربَنْ(٦٩)، ونونُ لَدُنْ نحو ما رأيتُه من لَدُ الصباح، وقد جاءت هذه ثابتةً قليلاً في قول الشاعر:

تَنْتَهِضُ الـرِّعْـدَةُ في ظُهَيْـري　　　من لَـدُنِ الظُّهْـرِ إلى العُصَـيْرِ)(٧٠)

ويتضح مما قدمناه أنَّ هناك فرقاً ـ في الحكم النحوي ـ بينَ حذفِ أحرفِ

٦٥ـ انظر: الأصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس، ٢٤٠ وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي للدكتور طاهر حموده ٣٤.

٦٦ـ انظر: شرح المفصل، لابن يعيش، ٩/١٢٠ ـ ١٢٣ ـ ومناهج الكافية للشيخ زكريا الأنصاري، ٢/١١٠.

٦٧ـ انظر: الكتاب، ٤/٤٠٥ ـ ٤٠٦.

٦٨ـ انظر: شرح الشافية، للرضي، ٢/٢٣٥ (بتصرف).

٦٩ـ انظر: همع الهوامع، ٢/١٩٩.

٧٠ـ انظر: حاشية ابن جماعة على شرح الجاربردي ١/١٥٦ وهي في الأصل من لدن الصباح، ولعله خطأ مطبعي.

المدُّ واللين حين لقائها الساكنَ بعدها، وبين حذفِ نونِ لَدُنْ حين تلقى ساكنا بعدها.

أمَّا حذفُ نون لَدُنْ لغير التقاء الساكنين، فقد دلَّ نصُّ سيبويه السالفُ على شذوذه في حين أن أبا علي فيما حكاه عنه ابن الشجري - اعتبر أنَّ حذفَ نونها كان تشبيهاً لها بحذف التنوين من الأسماء الأعلام في مثل: زيدُ بن عمرو، ثم حملوا حذفها لغير التقاء الساكنين على حذفها لالتقائهما، قال ابن الشجري: (ووجهُ حذفِ النون فيما ذكره أبو علي أنهم حذفوها لالتقاء الساكنين في قولهم: لَدُ الصلاةِ كما حذفوا التنوين من الأسماء الأعلام في نحو، زيدُ بنُ فلان، ثم أجروا النون في الحذف ولم يلقها ساكن مجراها في الحذف لالتقاء الساكنين)(٧١).

وَجعْلُ أبي علي حذفَ نونها لالتقاء الساكنين أصلاً لحذفِ نونها لغير التقائهما يردُّهُ إطلاق سيبويه بأن حذفَ نونها من الشواذ وليس مما يقاسُ عليه ويطرد، ثم إنَّ تشبيهَهُ لحذفِ نونها بحذف التنوين من الأسماء الاعلام لا يطرد تمام الاطراد، لأن للعرب في حذف التنوين في مثل هذا الموضع مذهبين: الأول: حذف التنوين وهو المشهور - والثاني: جواز التنوين(٧٢).

غير أنَّ هذا التشبيه يدلنا على إحساس أبي علي بأن نونَ لَدُنْ زائدةٌ على أصل الكلمة كما أنَّ التنوين كذلك، وممن حاول التعليل لحذف نونها المحقق الرضيُّ إذ ذهبَ إلى أنَّ حذفها لالتقاء الساكنين شاذ، غير أنَّ مما حسَّنه أنَّه كان في معرِض السقوطِ من غيرِ التقاء الساكنين قال: (وحذفه - أي نون لَدُنْ - شاذ ووجهه مع الشذوذ أنه كانَ في معرِض السقوطِ من غيرِ التقاء الساكنين نحو (من لَدُ لَحْيَيْهِ إلى مُنْخُوره) و (الرجز)(٧٣) وواضح أنَّه بهذا التوجيه قد جعلَ ما ليس له علة أصلاً لما هو شاذ غير أنَّه قرر بأنَّ ما ذكره هو وجه استحسان وليس بعلّة موجبة(٧٤) ولذلك فقد ارتأى أن حذفَ نونِ لَدُنْ محمولٌ على حذف أحرف المدّ واللين، حيث قال بعد أن أورد الرجز (فيجوزُ حذفه إذا وقعَ موقعاً يحسُنُ

٧١- انظر الأمالي، ١/٢٢٢.
٧٢- انظر شرح ديوان، الحماسة، للمرزوقي، ٣/١٤٣١ - ١٤٥٩.
٧٣- انظر شرح الشافية، للرضي، ٢/٢٣٤.
٧٤- المرجع السابق، ٢/٢٣٥.

حذفُ حرفِ المدِّ فيه وذلك لأجل مشابهته للواو)(٧٥) وقد رأينا ـ من قبلُ ـ ما بين المحمول والمحمول عليه من اتفاق من الوجهة الصوتية واختلاف من الوجهة الحُكْميَّةِ النحويةِ، وقد بيَّن الرضيُّ بَعْدُ أنَّ حذفَ نونِ لم يكنْ ليس كحذف نون لَدُنْ، قال (ولا يقاسُ عليه نونُ لم يكن، وإنْ شاركه فيها قلنا من مشابهةِ الواو وجواز حذفه لغير الساكنين، لأنَّ حذف نون لدن للساكنين شاذ(٧٦))والأصل المقرر عندهم ـ كما رأينا في نص سيبويه ـ أنه لايقاس على الشاذ.

ومهما يكن من أمر فهناك رأي آخر لسيبويه حول حقيقةِ نونِ لدن نلحظه حين تحدَّث عن نصب «غدوة» بها، فقد عدَّها شبيهةً بالتنوينِ ـ تارةً ـ حيث قال (كما أنَّ لها في «غدوة» حالٌ ليست في غيرها تُنْصَبُ بها، كأنَّه ألحقَ التنوينَ في لغة مَنْ قال لَدُ وذلك قولك من لَدُنْ غدوة)(٧٧) وشبيهةً بنون التوكيد الخفيفةِ تارة أخرى وذلك حين علَّل للغةِ لَدَنْ بفتح الدال فقال (وقال بعضهم لَدَنْ غدوةً كأنه أسكنَ الدَّالَ ثم فتحها كما قال اضربَنْ زيداً ففتح الباء لمَّا جاء بالنون الخفيفة)(٧٨).

وهذا التشبيه والحمل في غاية الاستقامة لأن التنوينَ والنونَ الخفيفةَ من وادٍ واحد، وإنْ كانا يختلفان من حيثُ دخولُ التنوين على الأسماء المتمكنة، ودخولُ النون الخفيفة على الأفعال(٧٩)، فهما يتفقان في كونهما ساكنين وزائدين على أصل الكلمة(٨٠) ويحذفان أحيانا عندَ ملاقاتِهما الساكنَ، وأحيانا يتحركان مع تفاوتِ ذلك بين أنْ يكونَ قياسياً أو غيرَ قياسي(٨١) وهذا هو حالُ نون

٧٥ـ المرجع السابق، ٢/٣٣٥.

٧٦ـ انظر شرح الشافية، للرضي، ٢/٣٣٥.

٧٧ـ انظر الكتاب، ١/٢١٠، وشرح المفصل، لابن يعيش، ٥/١٠٢

٧٨ـ انظر الكتاب، ١/٢١٠، وشرح المفصل لابن يعيش، ٥/١٠٢.

٧٩ـ انظر الانصاف، لابن الأنباري، ٢/٦٥٠.

٨٠ـ انظر: الكتاب، لسيبويه، ٣/٥٢١.

٨١ـ الأصل في التنوين حين يلقى ساكنا أن يتحرك نحو هذا زيدُنِ العاقلُ وربما حذفوه حتى كاد يكون قياسا كما قال ابن يعيش في شرح المفصل ٩/٣٢ ـ ٣٥ وعليه قراءة ولا الليل سابقُ النهارَ والمعنى سابقٌ فحذف التنوين للساكن بعده.
والأصل في نون التوكيد الخفيفة حين تلقى ساكنا بعدها أن تحذفَ، نحو لا تضربَ ابنك، ويجوز حذفها في الشعر وفي قلةٍ من الكلام لغير الساكن ايضا كقول الشاعر اضرب عنك (البيت) انظر شرح المفصل ٩/٤٣ ـ ٤٤ وحاشية ابن جماعة على شرح الجاربردي ١/١٥٦.

لَدُنْ، مع تفاوتِ الحكمِ في حذفِ نونها بين أن يكون شاذاً وذلك حين تلقى ساكناً، أو اعتباطاً وذلك حين تُحذَفُ لغير لقائها الساكن بعدها، وقد وضَّح ابن‌جني وجْهَ المشابهةِ بين نونِ لَدُنْ والتنوين أتمَّ توضيحٍ وذلك حين عَرَضَ لعلة نصب «غدوة» بها فقال: إنهم (شبَّهوا النون في لَدُنْ بالتنوين في ضاربٍ فنصبوا غدوة تشبيهاً بالمميِّز نحو عندي راقودٌ خلّاً وجبةٌ صوفاً، والمفعولِ في نحو هذا ضاربٌ زيداً وقاتلٌ بكراً، ووجهُ الشَبهِ بينهما اختلافُ حركةِ الدال قبلَ النونِ وذلك لأنه يُقَالُ لَدُنْ ولَدَنْ بضم الدال وفتحها، فلما اختلفت الحركتان قبلَ النون شابَهتِ النونُ التنوينَ، وشابهتِ الحركتان قبلَها باختلافِهما حركاتِ الإعرابِ في نحو هذا ضاربٌ زيداً ورأيتُ ضارباً زيداً، ولأنهم قد حذَفوا النونَ فقالوا لَدُ غدوةً كما يُحذَفُ التنوينُ تارةً ويَثْبُتُ أخرى فلمَّا أشبهتِ النونُ التنوينَ من حيثُ ذكرنا انتصبتْ «غدوةٌ» تشبيهاً بالمفعول)(٨٢).

والمستفادُ من هذه المشابهة أنهم كانوا مدركين أنَّ نونَ لَدُنْ زائدةٌ، كما أنَّ التنوينَ والنونَ الخفيفةَ زائدان على أصل الكلمة.

غير أنَّ سيبويه على الرغم من إدراكه ذلك، قد كان متمسكاً بفكرة ثلاثيَّة لَدُنْ، وذلك حين قال: (ألا ترى أنك إذا أضفت إلى مُضْمَرٍ رددته إلى الأصل تقول من لَدُنْهُ ومن لَدُنِّي فإنما لَدُنْ كَعَنْ)(٨٣) وهذا ـ في الحقيقة ـ دليلٌ قوي لسيبويه لأنَّ الإضافة إلى الضمائر تَرُدُّ الأشياء إلى أُصولها(٨٤) غير أنه أجاز في موضع آخر، إضافةَ ياءِ المتكلم ـ وهي ضميرٌ للجرِ والنصبِ ـ إلى (لَـدُ) الثنائية المتحركة الآخر، من غيرِ الإتيانِ بنونِ الوقاية، ومن غيرِ عودةِ نونِ لَدُنْ الساقطةِ عنها تلكَ التي أوجَب رجوعَها، قال: وأما ما تحرَّك آخره فنحو مَعَ ولَدُ كتحريك أواخر هذه الأسماءِ ـ يريدُ نحوَ يدٍ وهَنٍ ـ لأنه إذا تحرَّكَ آخرهُ فقد صارَ كأواخر هذه الأسماءِ فمن ثَمَّ لَمْ يجعلوها بمنزلتها ـ أي بمنزلة قط ـ فمن ذلك قولُكَ معي وَلدِي في لَدُ)(٨٥).

٨٢ـ انظر: سر صناعة الاعراب ٢/٥٤٢

٨٣ـ انظر: الكتاب، ٣/٢٨٦.

٨٤ـ انظر: البسيط لابن ابي الربيع، ١/٥٤٩ بتصرف وشرح التصريح على التوضيح للأزهري ١/١٩٦.

٨٥ـ انظر الكتاب، ٢/٣٧١، وشرح التسهيل، لابن مالك، السفر ١/١٨١ ـ ١٨٢، همع الهوامع للسيوطي، ١/٢١٥ وحاشية الصبان ١/١٢٤ وحاشية الخضري، ١/٦١.

وعلى الرغم من أن هذا الجواز قد اختص بلغات لَدُنْ الثنائيةِ المتحركةِ الآخر لأنها بتحركها لم تَعُدْ بحاجةٍ إلى نونِ الوقايةِ التي اجتُلِبَتْ أساساً لحفظ البناء على السكون فأشبهت بذلك الأسماء المتحركة الآخر(٨٦)، فهو من جانب آخر يعارضُ استدلالَ سيبويهِ في كونِ إضافة لَدُنْ إلى الضمائرِ يُعَدُّ دليلاً على أصالة نونها لأنَّ تجويزَه إضافةَ اللغات الثنائية المتحركة الآخر إلى ياءِ المتكلم من غير أنْ تعودَ نونُها، يدلُّ على العدولِ عن هذا الأصلِ المقرَّر، وقد رأيناهم من قبلُ حريصينَ عليه وذلك حين علَّلوا للغاتِ لَدُنْ الثنائيةِ، حيث جعَلوا لَدُنْ الثلاثيةَ أصلاً لهذه اللغات الثنائيةِ، فكان من الأوْلَى ـ طرداً للقاعدة ـ أنْ يُراعُوا هذا الأصلَ الذي أصَّلوه وأنْ يَنُصوا على أنَّ إضافةَ لَدُنْ بلغاتِها الثلاثيةِ والثنائيةِ الى ياء المتكلم تلزمه نون الوقاية سواء أكانت لدن ثلاثية أم ثُنائية ولو أنهم فَعَلُوا ذلك لاطردت القاعدة تمام الاطراد خاصةً أنهم لجأوا إلى هذا الأصلِ حين وجَّهوا قراءةَ نافع وأبي بكر اللذين خَفَّفا (لَدُني) في قوله تعالى: (قد بَلَغْتَ من لَدُنِّي عُذْرًا)(٨٧) في حين شدَّدَ الباقون(٨٨) فقد ذهبوا في توجيه هـذه القراءة مذهبين:

١ ـ أن لَدُني أصلُها التشديد إلاّ أنه خفَّف، وحذفَ نونَ الوقاية كما قالوا قَدْني وَقِدني.

٢ ـ أن لَدُني، جاءت على لغة من قال في لَدُنْ، لَدُ، فتكون النونُ نونَ الوقاية، ولا نونَ في أصل الكلمة)(٨٩).

وواضح أنَّ التوجيه الأولَ راعَوا فيه الأصلَ، وهو حجةٌ لسيبويه في كون لَدُنْ ثلاثيةَ الأصلِ، أمَّا التوجيه الثاني فهو لا يتفق مع ما قرره في قوله السابق (ألا ترى. . . الخ) فقد أُضيفَتْ لَدُ ـ هنا ـ إلى المضمر ولم تُرَدَّ له نونُه الأصليةُ، كما أنَّ هذا التوجيهَ يتعارَضُ مع ما أجازه سيبويه للغات لَدُنْ الثنائيةِ المتحركةِ الآخر، لأنَّ نونَ الوقاية دخَلتْ على لَدُ، وقد رأينا أنَّه أجازَ أنْ يُقالَ لَدِي في مثل

٨٦ـ انظر حاشية الصبان ١/ ١٢٤ بتصرف.

٨٧ـ من الآية ٧٦ من سورة الكهف.

٨٨ـ انظر القراءة في الكشف، لمكي، ٢/ ٦٩ والنشر لابن الجزري، ٢/ ٣٠١.

٨٩ـ انظر البيان لابن الأنباري، ٢/ ١١٤ والتبيان للعكبري، ٢/ ٨٥٧ وشرح التصريح للأزهري، ١/ ١١٢.

ذلك.

وقد ردَّ ابنُ مالك وابنُ هشام التوجيهَ الثاني وقرَّرا أنَّ لحاق النونِ مع لَدُنْ (أكثرُ) من عدَمِ لِحاقِها وأنَّ ذلك جائزٌ في الكلام الفصيح وأنّه لا وجهَ لمذهَبِ سيبويهِ حين عدَّ سقوطَ نونِ الوقايةِ منها من الضرورات غير أنهما لم يرتضيا الوجهَ الثاني، لأنه كما قال ابن مالك لو كان أصلُها لَدُ بالضم لقيل في حال إضافتها لَدِي(٩٠) وحكى الألوسي عن بعضهم ردّاً على ذلك وترجيحاً للوجه الثاني فقال: ورُدَّ بأنه لا مانعَ من أن يُقالَ إنها وَقَتْهُ من زَوالِ الضَّمِّ)(٩١) ومقتضى ذلك أن هذه النونَ هي نونُ الوقايةِ، وأن الأصلَ لَدُ الثنائيةُ، ونقل الصبان مناصرةَ الدماميني لسيبويه وذلك بقوله: إن (نونَ لَدُنْ إنما تُحذَفُ إذا كانَ الاسمُ المضافُ إليه ظاهراً لا ضميرا)(٩٢) ومعنى ذلك أنَّ النونَ في هذه القراءة هي نونُ لَدُنْ، وليست نونَ الوقاية، غير أنَّ الصبانَ ردَّ رأيه بقوله: (فيردُّه ما في كلام سيبويه من أنه يُقالُ في لَدُ بالضم لَدِي، لصراحته في أنه يُضافُ إلى ياء المتكلم)(٩٣).

ومما يُضافُ إلى الحجج التي أوردها سيبويه للدلالة على ثلاثية لدُنْ ما قرَّره الأعلم الشنْتَمري حين قال تعليقاً على بيت الرجز (من لَدُ لَحْيَيْهِ الى مُنْخُوره) ما نصُّه (أرادَ أنَّ لَدُ محذوفة من لَدُنْ منوية النون فلذلك بقيت على حركتها، ولو كانت مما بُنِيَ على حرفين للزِمَها السكونُ كَمَنْ)(٩٤) ومذهَبُه في كون (لَدْ) مقتطعةً من لدن هو احتمالٌ قد يتعيَّنُ وقد لا يتعيَّنُ فيجوز أن يكون أصلُها لدُنْ، ويُحتَمَلُ أنْ تكونَ قِسْماً برأسِها، وبقاءُ الضمةِ على الدالِ لا يدلُّ بالضرورةِ على الأصلِ لأنها لغةٌ من جملةِ لغاتِ لَدُنْ الثنائيةِ، شأنُها شأنُ لَدْ ولُدْ ولُدُ، بل إن المعتَبَرَ عند ابنِ الحاجِب في سببِ بناءِ لَدُنْ هو أن من لغاتِها (لَدْ) التي تشبهُ الحروفَ في الصيغة(٩٥) ولم ينصَّ على (لَدُ). كما أنَّ المتَّجهَ عندَهم

٩٠- انظر شرح التسهيل لابن مالك، السفر ١/١٨١ - ١٨٢ وتخليص الشواهد وتلخيص الفرائد لابن هشام ١٠٧ بتصرف.

٩١- انظر روح المعاني، للآلوسي، ٢/١٦

٩٢- انظر حاشية الصبان، ١/١٢٤.

٩٣- المرجع السابق، ١/١٢٤.

٩٤- انظر شرح الشواهد، للبغدادي، ٤/١٦١.

٩٥- انظر الايضاح، ١/٥١٥ بتصرف

أيضاً أنَّ السكونَ هو أصلُ البناء(٩٦) وليس الضمُّ لذلك كلِّه احسَبُ أنَّ لَدُ ليست بالدلالة على الأصل بأولى من «لَدْ».

يضافُ إلى ذلك أن قولَه في الشق الثاني، ولو كانت . . . الخ يدلُّ على أنَّه لو وُجدتْ لغةٌ مبنيةٌ على حرفين وساكنةٌ أيضاً فهي ـ بناءً على قوله ـ لغةٌ قائمةٌ برأسها، ومعنى ذلك أن (لَدْ) يمكن أن تكونَ لغةً قائمةً برأسها لأنها ساكنةٌ ومبنيةٌ على حرفين أيضاً. وإذا ثبت ذلك فهذا يؤدي إلى القول بأنَّ تعليلهم السابقَ المفيدَ بأنَّ أصل (لَدْ) ثلاثيٌّ يعارضُه قولُ الشنتمري هذا،

ومهما يكن من أمر فإنَّ حجَجهم وآراءهم التي أوردوها حولَ نونِ لَدُنْ، لا تدلُّ دلالةً إلزاميةً حتميةً على أنَّ نونَها أصليةٌ، فقد رأينا أنَّ فيها ما يقوِّيها، وفيها ما يضعفُها، وحولها خلافاتٌ ومناقشاتٌ، والدليلُ ـ كما يقول ابن الأنباري ـ إذا تطرَّق إليه الاحتمالُ بَطَلَ به الاستدلالُ(٩٧) الأمر الذي يجعلنا نبحثُ عن حقيقةِ هذه النون التي أدركوا زيادتَها كما رأينا من قبلُ، فلعلَّ البحثَ في أصلِ لَدُنْ يكشفُ لنا صِدْقَ شعورِهم وإحساسِهم، وهناك احتمالان:

أ ـ ان (لَدُنْ) قد تكوَّنتْ من ثلاثة عناصرَ إشاريةٍ لأن ז (ز) في العبرية تقابل (ذ) في العربية، وتقابل و (د) في الآرامية و dĕ (د) في السريانية و dẹ (د) في السبئية(٩٨)، ومعنى ذلك أن الدالَ والذالَ والزايَ كانت عناصرَ إشاريةً تؤدي معنىً واحداً مع تنوّعِ نطقِها، فلا يُستبعَدُ أنْ تكون الدالُ من (لَدُنْ) عنصراً إشارياً ثم دخلت عليها اللامُ تأكيداً وتقويةً لها وذلك على حدِّ دخولها على الأسماءِ الموصولةِ فقد ذكرَ بروكلمان أنَّ الأسماء الموصولة أصلُها في كلِّ اللغاتِ الساميةِ أسماءُ إشارةٍ وأضاف بأنَّ اللغةَ الأدبيَّةَ تستعملُ للصيغة المؤكّدة باللام وأداةِ التعريف)(٩٩) مثل الذي والتي . . . الخ وما ذهبَ إليه بروكلمان

٩٦ـ انظر شرح المفصل لابن يعيش، ٨٢/٣.

٩٧ـ انظر الانصاف، ٧٢٩/٢.

٩٨ـ Hebrew and English lexicon of the old Testament by Francis Brown, D.D,D. litt and Oxhers P. 26.

ـ وانظر مقالة أنوليتمان بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي، مجلة كلية الآداب، م ١٠/جـ ٤٢/١ جامعة القاهرة عدد مايو ١٩٣٨م. وفقه اللغات السامية لبروكلمان، ٨٩.

٩٩ـ انظر فقه اللغات السامية ٩١ بتصرف، ودراسات في فقه اللغة للدكتور السيد يعقوب بكر ٥٧، ففيه ما يدل على أنَّ اللامَ قد تقع عنصراً إشاريا.

قد قرَّره النحويون القدماءُ من الكوفيين حيث ذَهبُوا إلى أنَّ أصل (الـذي) (هذا)، و (هذا) عندهم أصله ذالٌ واحدة(١٠٠).

أمَّا النونُ فقد لَحِقتْ بـ (لَدُ) للدلالة على قُرْبِ المشارِ إليه، لأن (السبئيةَ والفنيقيـةَ والحبشيـةَ والآراميـةَ تَصِـلُ إلى ذلـك بـإضـافـة نـونٍ إلى اسم الإشارة)(١٠١).

ومعنى ذلك أنَّ لَدُنْ كانت تعني «مِنْ هذا أومِنَ الذي» فقولنا ـ مثلا ـ سافرتُ مِنْ لَدُنْ مكةَ إلى المدينةِ معناه سافرتُ من هذا المكانِ أو من المكان الذي هو مكة أو فيه مكة، وقولنا سافرت من لَدُنْ الظهر إلى العصرِ، معناه سافرت من هذا الوقتِ، أو الوقت الذي هو الظهر، وقولنا أعطني مالاً من لدنْك، معناه أعطني مالا من هذا الذي عندك أو من الذي عندك، ونلحَظُ من ذلك أنَّ معاني استعمالات لَدُنْ المتنوعة تستقيمُ وبَدَهي أنَّنا لا نعلَمُ على وجه التحديدِ المراحلَ الزمنيةَ التي مرَّتْ بها الكلمةُ، حتى استوَتْ على سوقِها في العربية ثلاثيةَ الأصول، دالةً على الظرفية(١٠٢) كما أننا لا نستطيع أن نحدِّدَ

١٠٠ـ انظر الأصول لابن السراج، ٢/٢٦٢ والأنصاف لابن الانباري، ٢/٦٦٩.

١٠١ـ انظر فقه اللغات السامية، لبروكلمان، ٨٩ ومجيء النون عنصراً إشارياً أمر معهود في اللغات السامية. انظر لذلك التطور النحوي لبرجشتر اسر ٨٥، ٨٦ وفقه اللغات السامية لبروكلمان ٩٢ ودراسات في فقه اللغة ليعقوب بكر ٤٨.

١٠٢ـيبدو أن ضمةَ دال (لَدُ) تمثل مرحلةَ الظرفية التي استقرت عليها اللفظة،نزعم ذلك استئناسا باللغات السامية الأخرى، قال بروكلمان: (وقد بقيت حالةُ الظرفية بالنهاية (ū) اكثرَ شيوعاً في الأشورية وفي العربية والحبشية تتمثل هذه الحالةُ في عدة ظروف مثال ذلك في العربية تحتُ وقبلُ وبعدُ وفي الحبشية (Lalù) فوق (TahTù) تحت (Kadimù) قديما (فقه اللغات ١٠٢)، كما يؤنسنا في ذلك أيضاً أنَّ عهد العرب بالظروف الدالة على فكرة الغاية ـ بوجه عام ـ أنه يجوز أن تُبنى على الضم كقبلُ وبعدُ وعلُ، وأحسب أنهم لو وضعوا هذه الضمةَ على النون بعد أن لحقت بـ (لَدُ) لظُنَّ أنَّ لَدُنْ معربةٌ، لأنها بمعنى عند المعربةِ المتصرفة، وقد أدى ذلك إلى ذهاب قيس إلى إعرابها، يضاف الى ذلك أن من لغات لدن ما نونه مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة، فلكي لا يُتوهمَ أنَّ هذه الحركات هي حركاتُ إعراب ارتأوا أن يُبْقُوا الضمةَ على الدال لأنَّ النونَ جاءت ساكنةً على أصل البناء، ولا داعي للتغيير لعدم الاضطرار إليه، ولا يَرِدُ أنَّ من لغات لَدُنْ لَدْ بسكون الدال لأننا نقول إن تعليلاتهم التي أوردوها للغات لدن الثنائية بوجه عام ترجعها الى لدن بضم الدال الثلاثية.

اللغةَ الأُمَّ التي تكونت فيها الكلمة ثم انتشـرت، أو أَنْ نقررَ أن عـدداً من اللغات قد عَمِلَ على تكوينها فكانت كذلك، ننفي كلَّ ذلـك لأننا لم نجـد نصوصاً سامية قديمةً ـ فيما أُعلم ـ تساعدنا في الجزم على ذلك، وعلى أية حال فما أوردناه هو احتمال قد يكون صواباً، وقد ينأى عن ذلك.

ب ـ أنَّ (لَدَّ) المضعفةَ كانت أصلاً لِلَدُنْ، نزعم ذلك لأَنَّ المعاني اللغويةَ المتعددة التي أوردها اللغويون لهذه المادة تنصَبُّ كلُّها في بؤرةٍ معنويةٍ واحدةٍ، وهي الدلالة على الظرفيةِ المكانية. قال الخليل في نصٍ جامعٍ لها (اللدُّ فِعْلُكَ باللُّدُودِ حين تَلُدُّ به، وهو الدواءُ يُوخَزُ في أحد شقي الفمِ. . وأُخِذَ اللدودُ من لَدِيدَي الوادي وهما جانباه، والوحورُ في وسط الفم، واللَّديدانِ صفحتا(١٠٣) العنق من دون الأذنين، وجانبا كلِّ شيء لـديدَاهُ. . والتَّلَدُّد في التلفت أَنْ يعْطِف بعنقِه مرةً كذا ومرةً كذا. واللدَدُ مصدر أي الألدِّ أي السيءُ الخُلُقِ الشديدُ الخصومةِ العَسِرُ الانقياد(١٠٤). وحصر ابنُ فارس معاني لَدَّ كلِّها في معنيين أحـدهما الخصـام والثاني النـاحية والجـانب، قال: «الـلام والدال اصـلان صحيحان أحدهما يدل على خصامٍ، والأخر يدلُّ على ناحية أو جانب(١٠٥)»، ونصُّ الخليلُ يُوقفُنَا على الارتباطِ المعنوي القائمِ بين الظرفيةِ من جهة وبقيةِ المعاني المتنوعة من جهة ثانية، فـ «(اللدُّ) ما وُضِعَ في وسط الفم، ولَدِيْدَا العنق جانباه. . واللديدَانِ. . ما تحت الأذنينِ وجانبُ كلِّ شيء لديداه. . والتلفت مع عطفِ العنقِ يميناً أو شمالاً ما هو إلاَّ ضربٌ من التلدُّدِ، كما يوضح لنا أَنَّ هناك اشتقاقاً قد تَّم من المعنى الظرفي وذلك بقوله (وأُخِذَ اللدودُ من لديدَي الوادي وهما جانباه) ثم فُسِّرَ اللدودُ بأنَّه (الدواءُ المُسْقَى في أحد لديدَي الفم وهما شقاه)(١٠٦) وأكد ابنُ الأثيرعلى وجود مثلِ هذا الاشتقاق بقوله: (ولديدَا الفم جانباه. . والتلدُّدُ التلفت يميناً وشمالاً تحيُّراً مأخوذٌ من لديدي العنق وهما

١٠٣ـ في الأصل صفقا، والتصويب من لسان العرب، وتاج العروس مادة لدد.

١٠٤ـ انظر معجم العين، مادة لد، وانظر الجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهري، مادة لدد وتهذيب اللغة للازهري مادة لدد وكتاب الأفعال لابن القطاع، ٣/١٤٣ وتاج العروس مادة لدد، ونصوصهم التي أوردوها تتشابه مع ما أورده الخليل.

١٠٥ـ انظر معجم مقاييس اللغة، مادة لد.

١٠٦ـ انظر تهذيب اللغة، للازهري، مادة لد، والفائق في غريب الحديث، للزمخشري، ٣/٣١٣

صفحتاه(١٠٧)) ومن كلِّ ذلك يتضح لنا أنَّ هناك علاقاتٍ اشتقاقيةً بين المعنى الظرفي وبقية معاني لدَّ ما عدا دلالة لدَّ على الخصام فهي تشعرنا بأنه لا صلةَ بينها وبين المعنى الظرفي، غير أنَّ أبا إسحاق الزجاج قد أكد على هذه الصلةِ بقوله: (ومعنى خَصْمٌ أَلدُّ في اللغةِ، الشديدُ الخصومةِ والجَدلُ واشتقاقُهُ من لديدي العنق وهما صفحتاه، وتأويله أنَّ خَصْمَه في أي وجهٍ أخذَ من يمين أو شمالٍ من أبواب الخصومةِ غَلَبَه في ذلك)(١٠٨) وواضح من هذه النصوص جميعها، أنَّ معنى الظرفية سابقٌ على بقيةِ المعاني لأنها مأخوذة منه، وهذا يدعونا إلى الزعم بأن (لدَّ) المضعفةَ الدالةَ على الظرفية كان أصلاً للَدُنْ، ومثلُ هذه الظاهرة - أعني ظاهرةَ وجود مقابلات غير مضعفةٍ للصيغ المضعَّفةِ قد أُلمحَ إليها قدماؤنا وذلك حين ذهب الكوفيون إلى أنَّ أصل صَمَحْمَحَ ودَمَكْمَكَ ومُشَفْشَفَ وكَبْكَبَ ورقرق وكركرَ هو صمحَّح ودمكّك ومشفَّف وكبَّب ورقَّق وكرَّر)(١٠٩) وقد استفاد من هذه الفكرة - فيما يبدو - أحد المحدثين (هورويتز) إذ افترض (أن تكونَ الكلمات العربية الكبيرةُ البنيةِ التي تشتمل على راءٍ أو لام أو نون أو ميم قد تولَّدت نتيجةَ عاملِ المخالفة بين صوتين متماثلين، ومثَّل لذلك بالكلمات الآتية: حَرْجَلَ وجَلْمَدَ وعَنْكَبَ وعرقبَ، وقَرْمَطَ، وفَلْطَحَ وأصلها على التوالي حجَّل وجمَّد وعكَّب وعقَّب، وقمَّط وفطَّح، وأكد هذا الافتراض بقوله: (يوجد غالباً مقابِلاتٌ مضعَّفةٌ للصيغ السابقة وهذا يعني - كما يقول - أن العقلَ السَّاميَّ كان يعتبر هذه الصيغَ المزيدةَ مقابلةً للصيغ المضعَّفةِ وانتهى إلى نتيجة ملخصها أنَّ الحروفَ المائعةَ تعدُّ وسيلةً لمخالفة للتضعيف في الصيغ القديمة) (١١٠)، ولعَلَّ ممن استفاد من هذه الفكرة أيضاً الدكتور إبراهيم أنيس في بحث له عن الأصلِ الاشتقاقي لأحرف العلة فقد قرَّر - بعد الاستقراء - بأن الفعلَ المعتلَّ العين أو اللام إذا أُريدَ معرفةُ أصلِهِ يُنْظَرُ أولاً في نظيرٍ لهُ مضعَّفٍ، أو يُبحَثُ عن نظيرٍ له مهموزٍ سُهِّلَتْ همزتُه، فإذا لم يكن من بين هذين النظيرين فالأصل الاشتقاقي لحروف العلة يجب أن يكون

١٠٧- انظر النهاية في غريب الحديث، لابن الاثير، ٤/٢٤٥

١٠٨- انظر معاني القرآن واعرابه، للزجاج، ١/٢٦٧ ولسان العرب مادة لدد.

١٠٩- انظر الانصاف، لابن الأنباري، ٢/٧٨٨ (بتصرف).

١١٠- انظر دراسة الصوت اللغوي، للدكتور احمد مختار عمر، ٣٣٠ (بتصرف).

اللامَ أو النون أو الميم)(١١١)

وعلى الرغم من أن (هورويتز) قد قصر ذلك على الكلمات الطويلة البنية مما ضُعِّفَ عينُها ـ كما هو واضح من أمثلته التي سَاقَها ـ فإنَّ العربيةَ لم تقتصر على ذلك بل استخدمتها في الكلمات القليلةِ البنيةِ، ممَّا ضُعِّفَ عينُها أو لامُها، ولها صيغٌ غيرُ مضعَّفةٍ، وبَحْثُ الدكتور أنيس خيرُ مثالٍ على ذلك، وإن كان مقصوراً على الأفعال فهو يدلُّ على وجود هذه الظاهرة في العربية، ثم إنَّ هذه الصيغَ غيرَ المضعفةِ قد أتت أحيانا بأحد الحروف المائعة وأحياناً بغيرها، وكلُّ ذلك مع الاشتراك في المعنى الدلالي تارةً وتارة أُخرى يتغيَّر المعنى بين تعميم للخاص أو تخصيص للعام، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

١ ـ بَتَّ وبَتك: فالبَتُّ من معانيه القَطْعُ، ويُقالُ بَتَكَ الشيء إذا قَطَعه(١١٢).

٢ ـ رجَّ ورجَنَ: فالرجُّ يدلُّ على الاضطراب وتحريك الشيء، ورجَن يدلُّ على الاختلاط(١١٣).

٣ ـ حَفَّ وحفَنَ: ومن معاني حفَّ أن يطيفَ الشيءُ بالشيءِ يُقَالُ حَفَّ القومُ بفلان إذا أطافوا به، ويقال حفَنَ الشيء، إذا جمَعه في كفٍ أو غير ذلك والحفنة هي ملءُ كفيك من الطعام(١١٤).

٤ ـ جَذَّ وجذَمَ: وكلاهما يدلُّ على القطع(١١٥)

٥ ـ دسَّ ودسو: وكلاهما يدل على دخول الشيء تحت خَفَاءٍ وسَتْرٍ(١١٦).

٦ ـ بحَّ وبَحَنَ: فالبَحُّ من معانيه الدلالة على سَعَةِ الشيء وانفساحه، قال الفرَّاء: يقالُ نحن في باحَّة الدار بالتشديد وهي أوسعها، والبَحَنُ يدل على الضخامة قال الأصمعي يقول العرب لِلغَرْبِ إذا كان عظيماً كثير

١١١ـ انظر الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس ١٥٠ بتصرف.
١١٢ـ انظر مقاييس اللغة، لابن فارس، مادتي بت وبتك.
١١٣ـ المرجع السابق ٢ رج ورجن.
١١٤ـ انظر مقاييس اللغة، مادتي حف وحفن.
١١٥ـ المرجع السابق مادتي جذ وجذم.
١١٦ـ المرجع السابق دس ودسو

الأخذ إنه لَبَحْوَنُ على مثال جَدْوَل(١١٧) وهو لا يكون كثير الأخذ إلَّا إذا كان واسعاً منفسحاً

٧ ـ الدُّجَّةُ والدُّجْنَةُ: فالدُّجَّة شدة الظلمة والدُّجْنَةُ الظلمة(١١٨).

٨ ـ حضّ وحضَنَ: فالحضُّ من معانيه الدلالة على القرَارِ المستفِلِ ومنه الحضيضُ، وهو قَرَارُ الأرض، قال:

نـزلتُ إليه قـائماً بـالحضيضِ..

ويقال: إن الحضنَ أصلُ الجبل(١١٩).

٩ ـ رصَّ ورصَن: يُقَالُ رَصَصتُ البنيان إذا ضممتُ بعضَه إلى بعض أي صارَ شديداً متماسكاً ثابتاً، والرصين الشيءُ الشديدُ الثبات(١٢٠)

١٠ـ هتَّ وهَتَن: وكلاهما يدلُّ على انصباب المطر وتتابعه(١٢١).

١١ـ حذَّ وحذَقَ: فالحَذُّ يدل على القطع والخفة والسرعة وحذَقَ الشيءَ إذا قَطَعُه يقال حَذَقَ السكينُ الشيءَ إذا قطعَه قالَ الشاعرُ:

فذلك سكينٌ على الحَلْقِ حـاذق(١٢٢)

١٢ـ جزَّ وجزلَ وجزَم وجزَح وجزَر، وتشترك كلها في بؤرة معنوية واحدة وهي الدلالة على القطع(١٢٣).

ويبدو أن لَدَّ ولَدُنَ، من هذا القبيل، ذلك أنَّ لَدَّ هي الصيغةُ القديمةُ للَدُن، وقد طرأ عليها تحوُّلٌ داخلي لسببين؛ أحهدما صوتي، والآخر دلالي.

١١٧ـ انظر لسان العرب، مادتي دج ودجن.

١١٨ـ المرجع السابق، بح، وبحن.

١١٩ـ انظر مقاييس اللغة، مادتي حض وحضن.

١٢٠ـ انظر مجمل اللغة، لابن فارس، مادتي رص ورصن.

١٢١ـ انظر لسان العرب مادتي هت وهتن.

١٢٢ـ انظر مقاييس اللغة مادتي حذ وحذق.

١٢٣ـ انظر معجم مقاييس اللغة، المواد المذكورة أعلاه، وانظر، «لتقف على هذه الظاهرة» المواد الآتية في المعاجم العربية (طح وطحن، وع ورعن، ورض ورضن، ورضم، وشد وشدن، وصرّ وصرى).

أما السببُ الصوتي فهو أن العربَ قد هربت من التضعيف، فأبدلت من الحرف الثاني حرفاً آخر، فقالوا في أمللتُ ودنّارٍ وقِرّاطٍ - أمليتُ وديناراً وقيراطاً(١٢٤) وقد هربوا من ذلك لأن التضعيف ثقيل يحتاج إلى جهد عضلي، قال سيبويه مشيراً الى ذلك (اعلم أنَّ التضعيفَ ثقيلٌ على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخفُّ عليهم من أن يكونَ من موضعٍ واحد)(١٢٥) وإلى نحو هذا أشار ابن جني بقوله: (ولم يكونوا ليضعِّفوا الفاءَ ولا اللّام لكراهيةِ التضعيف في أول الكلمة، والاشفاقِ على الحرف المضعَّف أن يجيء في آخرها، وهو مكانُ الحذف وموضع الإعلال)(١٢٦) فيبدو أن المتكلم قد هربَ من تضعيف دال (لَدَّ) ميلاً نحو السهولة وتوفيراً للجهد العضلي، وقد باتَ في حكم الحقائق المقررة أن (الإنسان في نطقه لأصوات لغته يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي فهو لهذا يميل إلى استبدال السهل من أصوات لغته بالصعب الشاق الذي يحتاج إلى مجهود عضلي أكبر)(١٢٧) ولعلَّ ما يدعَمُ ذلك أن لَدَّ مكونٌ من مقطعين، الأول من النوع الثالث والثاني من النوع الأول، ولمّا كان النبر - فيما نحسب - يقعُ في مثل ذلك على المقطع الأول، والنبرُ يحتاج الى جهد عضلي(١٢٨)، فأحسب أنَّ المتكلمَ بعد أن بذلَ هذا الجهدَ، أراد أن ينهي الكلمة بصوتٍ مريح سهل فارتأى - أولاً - صوت النون لأنه (صوتٌ يَحسُنُ السكوتُ عليه)(١٢٩) ولأنَّ (اللغات تستخدم السواكن الأنفية والترددية بشكل أكبر من بقية الحروف لتحقيق عنصر المخالفة)(١٣٠) ولعل الذي ساعد المتكلم على إجراء هذه المخالفة أنَّ هناك شبهاً كبيراً بين الدال والنون، فكلاهما حرفٌ مجهورٌ، غير أنَّ الدالَ صوت شديد والنون صوت متوسط بين الشدة والرخاوةَ،

١٢٤- انظر الكتاب، لسيبويه، ٤/٤٢٤، والمقتضب للمبرد، ١/٢٤٦، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠/٢٤، ١٢١.

١٢٥- انظر الكتاب، ٤/٤١٧، والمقتضب، ١/٢٤٦، والأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس ٢١٠ - ٢١١.

١٢٦- انظر الخصائص ٢/١٥٥.

١٢٧- انظر الأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس ٢٣٤ - ٢٣٥.

١٢٨- انظر دراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ١٨٧.

١٢٩- انظر فقه اللغة المقارن، للدكتور ابراهيم السامرائي، ١٢٦.

١٣٠- انظر دراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ٣٣٠.

والهواء يتخذ مجراه مع النون خلال الأنف، ومع الدال خلال الفمْ، أمّا موضع اللسان بالنسبة للحنك الأعلى في كل منهما فيكاد يتحد تمام الاتحاد)(١٣١).

وارتأى - أحياناً أخرى - ولعلَّ ذلك قد حدث في مرحلة متأخرة عن الأولى - أن يستبدل بهذه الدال الألف المقصورة، لما في أحرف المد واللين من سهولة في النطق ويسر، أشار إليهما ابن يعيش حين تحدّثَ عن حروف الزيادة بقوله: (وأصلُ حروفِ الزيادة حروفُ المد واللين، التي هي الواو والياء والألف وذلك لأنها أخفُّ الحروف إذ كانت أوسعَها مخرجاً وأقلّها كلفةً.. وأيضاً فإنها مأنوس بزيادتها، إذ كل كلمة لا تخلوا منها، أو من بعضها، ألا ترى أنَّ كلَّ كلمة إن خلت من أحد هذه الحروف فلن تخلو من حركةٍ إمَّا فتحة وإمَّا ضمة وإمَّا كسرة، والحركات أبعاض هذه الحروف وهي زوائدُ لا محالة فلمّا احتيج إلى حروف يزيدونها في كلمهم لأغراضٍ لهم كانت هذه الحروف أولى إذ لو زادوا غيرها لم تُؤمَنْ نفرةُ الطبع والاستيحاشُ من زيادته إذ لم تكن زيادته مألوفه)(١٣٢).

يُضافُ إلى ذلك أن كُلّاً من الدال والألفِ مجهورٌ، غير أنَّ الدالَ صوتٌ شديدٌ، والألف صوتٌ متوسطٌ بين الشدة والرخاوة، والفرق بينهما أنَّ الهواءَ مع الألفِ يجري خلال الفم من غير عائق، واللسان يهبط إلى قاع الفم(١٣٣) في حين أنَّ الهواءَ يتخذ مجراه مع الدال خلالَ الفم ويرتفعُ اللسان نحو الحنك الأعلى(١٣٤) وهذه الاختلافات كانت عاملاً مساعداً لإجراء مثل هذه المخالفة، لأنَّ نُطْقَ الألفِ أسهلُ من نطق الدال من حيثُ الحركاتُ الفسيولوجية للفم بوجه عام، ولعلَّ مما آنس المتكلم على إجراء هذه المخالفة أيضاً ما عهده من مشابهةٍ بين النون والألف، وقد رأينا من قبلُ ما ذكروه في

١٣١- انظر الكتاب لسيبويه، ٤/٤٣٣ - ٤٣٦، والأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس ٢٣٤ - ٢٣٥ (بتصرف)

١٣٢- انظر شرح المفصل لابن يعيش، ٩/١٤١، والأصوات اللغوية، ٢٤٢.

١٣٣- انظر الكتاب، لسيبويه، ٤/٤٣٣ - ٤٣٥، ودراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ٢٩٧.

١٣٤- انظر الكتاب، لسيبويه، ٤/٤٣٣، ٤٣٦، والأصوات اللغوية للدكتور ابراهيم أنيس، ١٨٥ بتصرف.

شأنِ هذه المشابهة، وهو الأمر الذي أكّده المحدثون فقد أشار د. أنيس إلى (أنَّ اللامَ والنونَ والميمَ، تُعَدُّ من الناحية الصوتية أشباهاً لأصوات اللين)(١٣٥)، فلمّا كانت هذه المشابهةُ قائمةً وكان المتكلم ـ من قبلُ ـ قد أجرى المخالفة فجعل دال «لدُّ» الثانيةَ نوناً، وكانت النون شبيهةً بالألف، وكان التغيير يؤنسُ بالتغيير كان ـ كلُّ ذلك ـ بساطاً لكي يجعل دال «لدُّ» الثانية ألفاً مقصورة، ولهذه العوامل مجتمعةً أجرى المتكلم المخالفةَ فتولَّدت لَدَى، عن لدُّ.

ونحن في تفسيرنا هذا نخالفُ ما ذهب اليه ابنُ منظور حين نصَّ بعد أن عدَّد لغات لدن، على أنَّ «لَدَى محولة)(١٣٦) وكنا نتمنى أن يكشف لنا عن أي شيء تحوَّلت، ولِمَ تحوَّلتْ، لأن مقتضى كلامه ـ كما يتبادر الى الذهن مباشرة ـ أنَّها محولةٌ عن (لَدَنْ) وهذا يؤدي إلى كون ألفها ليست أصليةً فكان من الواجب أن تسقطَ وصلاً وتثبتَ وقفاً، كما هو حال نونُ التوكيد الخفيفة، حين نقف عليها، غير أنَّ المعتدَّ به أنَّ ألفَ لَدَى أصليةٌ وذلك لأمرين:

١ ـ أنها ثابتةٌ وقفاً ووصلاً، ولو كانت منقلبةً عن نون لَدَنْ، لسقطت في حالِ الوصل، وقد أشار إلى ذلك أبو علي بقوله: (ونظير دَدَنْ ودَدَاً ودِدٍ، في استعمال اللام تارةً نوناً، وتارة حرفَ علة وتارةً محذوفةً لَدَنْ ولَدَى ولَدُ)(١٣٧)ومن قبلُ قد نصَّ على أنَّ ألف دَدَاً أصلية بقوله: (فأمَّا قولُهم في اللعب واللهو دَدَنْ، ودداً، فليست الألف فيه بدلاً من نون دَدَنْ، مِنْ قِبَل أنها في لغة من نطق بها بالألف ثابتةٌ وموجودة في الوصل والوقف جميعا وذلك نحو قولهم هذا دداً يا هذا، ورأيت فيك دداً مفرطاً وعجبت من دداً أراه فيك كما تقول هذا دَدَنٌ مفرط ورأيت فيك ددناً سرَّني وعجبت من دَدَنٍ رأيته في فلان، ولو كانت الألف في دداً بدلاً من النون في دَدَنْ، لما وجدت في الوصل كما أن ألف إذاً لا توجد في الوصل إنما تقول: إذن أزورك ولا تقول إذاً أزورك، ومنهم من يحذف اللامَ فيقول دَدَ)(١٣٨) ويقتضي هذا التنظير الذي ساقه أبو علي ان

١٣٥ ـ انظر الأصوات اللغوية، ٢٤٠

١٣٦ ـ انظر لسان العرب، مادة لدن، وتبعه في ذلك الزبيدي في تاج العروس مادة لدن.

١٣٧ ـ انظر سر صناعة الاعراب، لابن جني، ٢/ ٦٨٦، وانظر خلافهم حول كتابة ألف إذاً، في شرح الشافية، للرضي ٣١٨/٣، وهمع الهوامع، للسيوطي، ٢/ ٢٣٢.

١٣٨ ـ انظر سر الصناعة، ٢/ ٦٨٦

يدل على أن ألف لدى أصلية.

٢ - أنَّ الوقفَ يمتنع بين المضاف والمضاف إليه(١٣٩) ولَـدُنْ ولَدَى لا تنفكان عن الإضافة، لذا لا يُتصوَّرُ أن تكونَ ألفها منقلبةً عن نون لَدَنْ في حال الوقف، ثم يُقالُ بأنَّ الوصلَ قد أُجرِيَ مُجرى الوقف، ولأجل ذلك فقد أكَّدَابنُ يعيش على أنَّ لَدَى لغةٌ قائمةٌ بنفسها وليست من لفظ لَدَنْ، قال (وأمَّا لدا(١٤٠) فلغةٌ قائمةٌ بنفسها وليست من لفظ لَـدَنْ. والقياس في ألفهـا، أن لا تكون أصلاً، فأمَّا انقلابها مع المضمر ياءً فعلَى التشبيه بألف على وإلى(١٤١) ولعلَّ سبب وهم ابن منظور أنَّه قد اطلعَ على نصِّ الزجاجي القائل بأن لَدُنْ (إذا استقبلتها الألفُ واللامُ أُسقطت نونُها ورجعَتْ إلى لَدَى، كقولك لَدُنْ زيدٍ، ولَدُ الرجل)(١٤٢) ونصُّ الزجاجي - فيما أحسب - فيه تحريفٌ واضحٌ من عدم المطابقةِ بين النص من جهة والأمثلة التي ساقها من جهة ثانية(١٤٣).

ومهما يكن من أمر، فقد حدثتِ المخالفةُ، وأُبدَلَ المتكلمُ من دال «لدَّ»

١٣٩- انظر القطع والائتناف، للنحاس، ١٠٨، ونتائج الفكر، للسهيلي، ٨٧

١٤٠- كذا رُسِمَتْ ومن قبلُ رُسِمَتْ كذلك في الإيضاح، للزجاجي ١٣٩، وتبعهما في ذلك الفيروز آبادي (مادة لدن) غيرَ أنَّ الزبيدي في تاج العروس (مادة لدن) نبَّه الى تصحيفها، ونصَّ على أنَّ صوابَها هو أن ترسمَ بالياء على المشهور عندهم بأنها تُكتَبُ بالياء وإن لم تُمَلْ لقولهم لَدَيْكَ (انظر شرح الشافية للرضي ٣٣٣/٣، والكفاش لأبي الفداء ٦٩٣)، ويبدو أنَّ الزجاجي ومن تبعه لم يعتدوا بذلك، حين رأوا أن بعضَ العرب لم يقلبوا ألفها ياءً حين تتصل بالضمائر (انظر ذلك في صفحة ٣٠ من هذا البحث) فارتأوا أن تكتبَ بألفٍ ممدوةٍ غير منونة، ومذهَبُهم مردود إنْ كانوا قد اعتمدوا ذلك لأنَّ عدَم قلبها ياءً - في هذه اللغة، ليس مقصوراً على لَدَى بل هي كذلك مع على وإلى، ومع ذلك لم نر أحداً منهم كتب على والى؛ بألفٍ ممدودة.

١٤١- انظر شرح المفصل لابن يعيش، ١٢٧/٢.

١٤٢- انظر حروف المعاني، للزجاجي، ٢٧

١٤٣- يبدو أن محقق الكتاب لم يلتفت إلى هذا التحريف، ولقد رجعت إلى جميع المراجع التي ذكرها المحقق في الحاشية، فلم أقف على نصٍ في واحدٍ منها يشير إلى أنَّ نونَ لَدُنْ حين تسقط لملاقاتها الساكن بعدها ترجع إلى لَدَى، بل أشارت هذه المراجع إلى أن نون لَدُنْ تسقط وتبقى لَدُ، ولعلَّ صواب نص الزجاجي يكون على النحو الآتي: ورجَعَتْ إلى لَدُ، وبذلك يتم التطابق بين النص والأمثلة وإذا لم يكن الأمر كذلك فلعلَّ ابن منظور أراد أنَّ لَدَى محولةٌ عن لَدَنْ وأنها حين تلقى ساكنا بعدها تصبح لَدَ، وأن الألف المقصورة نشأت عن إشباع فتحةِ الدال، ومعنى ذلك أن ألفها عنده ليست أصلية.

الثانية نوناً تارة وألفاً مقصورةً تارة أخرى، وقد جاء تا ساكنتين، لأنهما مُهيأتان لكلام بعدَهما، وقد بيَّن د. أنيس فائدةَ تسكين النون بقوله: (والنونُ أشدُّ ما تكونُ تأثراً بما يجاورها من أصواتٍ حين تكـونَ مشكلةً بالسكـون، وحينئذ يتحقق اتصالُها بما بعدها، اتصالاً مباشراً)(١٤٤).

يُضافُ إلى ذلك أنهما وفَّرتا الانسجامَ الصوتي في الكلمة، فقد قامتِ النونُ بوظيفةٍ صوتيةٍ تشبهُ إلى حَدٍّ كبيرٍ وظيفةَ التنوينِ الصوتية، حيث طلبَتْ من الدال قبلَها حركةً تجانسها صوتياً، فوُجِدَتْ لغاتٌ متعددةٌ أُمُّها لَدُنْ بضم الدال، ولَدَنْ بفتحها، ولَدِنْ بكسرها، والمشابهة الصوتية واضحةٌ بين هـذه اللغات وقولِنا زيدٌ وزيداً وزيدٍ)(١٤٥).

وكان من المفروض نتيجةً لهذه المخالفة، أن تكونَ لَدَنْ بفتح الدال هي أمَّ الجميع وأشهر اللغات، لأننا حـين نفك الإدغـام يصبحُ السكـونُ فتحةً تسهيلاً للنطق، كما لو قلنا شَدَّ وشَدَدَ، وأحسب أنَّ الأمرَ كان كذلك غيرَ أن لَدَنْ لما اختصَّت بالظرفية (الزمانية) وذلك حين استعملت مع «غُدوةً» فقط، نتيجةً لظروف لغوية لهجية، تقاصَرتْ عن لَدُنْ (بضم الدال) التي استعملت للدلالة على الظرفية (الزمكانية)، وكلٌّ حسْبَ سياقِه، فشاعت لَدُنْ حتى إنَّ القرآن الكريم لم يستعمل سواها ولم يُقْرأْ بغيرها(١٤٦) فكان ذلك عاملاً على جعلها أُمّاً للجميع وأصلا تفرَّعت عنه بقيةُ اللغات.

والمهم أنَّ هذه المخالفةَ لم تقتصر فائدتُها على ما ذكرنـاه فحسب، بل أفادت أيضاً حين جعلت لنونِ لَدُنْ ولألف لَدَى، وظائفَ نحوية، ولهما قواعدُ تختصَّان بهما(١٤٧).

ب ـ وأمَّا السببُ الدلالي فلعلَّه العاملُ المهم الداعي إلى إجراء هـذه

١٤٤ـ انظر الأصوات اللغوية، ٦٧.

١٤٥ـ وقد مر معنا كيف شبهوا نون لدن بالتنوين.

١٤٦ـ لا يقال إنَّ هناك قراءات خففت نونَ لَدُنْ، أو كسرتها أو أشمَّتها الضمَّ، لأنَّ الأصل في هذه القراءات ـ كما قالوا ـ هو لَدُنْ. بضم الدال وسكون النون. انظر صفحة ٢٥ من هذا البحث وروح المعاني ١٥/ ٣٣٠.

١٤٧ـ انظر صفحة ٣٠ ـ ٣٣ من هذا البحث.

المخالفة، حيث إنَّ المتكلمَ كان حريصاً على التفريقِ بين معنى الظرفية من جهة، وبقيةِ المعاني من جهة ثانية، وقد رأينا ان معاني كلتا الجهتين تشترك في (لدَّ) فيبدو أنَّ المتكلم بعد أن استطاع أن يشتق من «لدَّ» ما عبَّرَ به عن جانبي الوادي وعن شقي الفم وعن المعاني الأخرى التي ذكروها، وجَد أنَّ هناك معنىً مشتركاً ما زال قائماً بين معنى الظرفية ومعنى الخصام وهما الأصلان اللذان نصَّ عليهما ابن فارس ـ فأراد أن يصنع حدّاً فاصلاً بين المعنيين فارتأى أن يجري تحوُّلاً داخلياً في الكلمة بدلاً من أنْ يزيد عليها حرفاً أو حروفاً كما في لديدي العنق وكما في اللدود، ولذا لجأ إلى هذه المخالفة، فأبقى التضعيف دالاً به على الخصام، وجعل لَدُنْ ولَدَى مختصَّيْنِ بالظرفية بعد أن أجرى المخالفة على (لدَّ).

ومهما يكن من أمر، فالذي نحسبه نتيجةً لما أوردناه أن المخالفة الكبيرة قد تمَّت، واكتملت الكلمتان صوتياً ودلالياً، وحقَّق المتكلم بها أغراضه، غير أنه لجأ مرةً ثالثةً الى الهروب من بذل هذا الجهد فحذَفَ نهاية الكلمة. وتفسيرُ ذلك ـ فيما أحسب ـ يعودُ إلى احتمالات متعددة يُنْظَرُ اليها من نواحٍ مختلفةٍ:
أولها: أنَّ هذا الحذفَ قد تمَّ بعد إجراء المخالفة الصوتية، بمعنى أنَّ المتكلمَ حذفَ نونَ لَدُنْ ايثاراً للسهولةِ وتوفيراً للجهد، حيث وقَعَ النبر ـ فيما نحسب ـ على المقطع الثاني(١٤٨)، فاستنفد هذا النبر جزءا من جهده فأسقط صوتَ النون هروباً من بذل جهدٍ إضافي، يقوِّي ذلك أنَّ صوتَ النون نظراً لكونه شائعاً في العربية معرَّضٌ للسقوط كما يقول د. أنيس(١٤٩)، يضاف إلى ذلك أنَّ هذا الصوت قد وقع في آخر الكلمة والأواخر مكان التغيير والحذف(١٥٠).

ثانيها: أنَّ هذا الحذفَ قد تمَّ قبلَ إجراءِ المخالفة، بمعنى أنَّ المتكلم حذَفَ دال «لدَّ» بدلاً من أن يجري المخالفةَ وذلك هروباً من التضعيف، لما فيه من ثِقَلٍ، ولما يتطلبُهُ من جهدٍ عضلي، فارتأى أن يفكَّ الإدغام ويحذفَ الدال

١٤٨ـ يقع النبر على المقطع الثاني على اعتبار أنَّ لَدُنْ لا تكاد تستعمل ـ كما يقول ابن جني إلاّ مسبوقة بمِنْ، ومقتضى ذلك أن (مِنْ لَدُنْ) تتكون من ثلاثة مقاطع، الأول من النوع الثالث، والثاني من النوع الأول، والثالث من النوع الثالث، والنبر في مثل ذلك يقع على المقطع الثاني حين نعد من آخر الكلمة.

١٤٩ـ انظر الأصوات اللغوية، ٢٤٢ ـ ٢٤٣ بتصرف

١٥٠ـ انظر الخصائص، لابن جني، ٢/١٥٥، ٤٨٧.

الثانية، وقد دعاه الى ذلك وجودُ صوتين متماثلين مجهورين، وحين نبَرَ المقطع الأول(١٥١) وبذل له الجهدَ المطلوب، أسقط الدالَ الثانيةَ، هروباً من بذل جهد آخر، لأنّ الدال صوتٌ مجهورٌ، والصوت المجهورُ يحتاج إلى جهدٍ أكثر من الصوت المهموس، ولعلَّ مما يؤكد ذلك أنه قد ورد عنهم اللغات (لت ولت ولت) بإبدال الدال تاءً، وليس ذلك ـ فيما نظن ـ إلا هروباً من بذل الجهد، حيث استعاض المتكلم بالحرفِ المهموسِ عن الحرفِ المجهور، ومعنى ذلك أنَّ الميلَ نحو السهولة كان العاملَ المهمَّ في تفسير حذفِ الدال وقلبِ الدال الباقية تاءً مهموسةً.

ثالثها: أنَّ هذا الحذفَ قد تمَّ قبل إجراء المخالفة، بقصد التفريق بين معنى الظرفية ومعنى الخصام ـ كما رأينا من قبل ـ حيث حذف المتكلم ـ الدال الثانية، بدلا من أنْ يجري المخالفة الصوتية، ليدل على معنى الظرفية وأبقى التضعيف للدلالة على معنى الخصام.

ولا شك أنَّ الوقوفَ على المراحل التاريخية، لهذه التحولات التي حدثت على مادة لدد، وأنتجت لنا لَدُنْ ولَدَى، أمر متعذِّرٌ بل مستحيلٌ، وذلك لبعدِ العهدِ بيننا وبين هذه المراحل، كما أنَّ افتراضنا لا يعني أنَّ كلَّ مضعَّفٍ في العربية له نظيرٌ غيرُ مضعف، جرى عليه ما جرى على لَدَّ ولَدُنْ ولَدَى إذْ كُلُّ حالةٍ لها عواملُ خاصة تخضعُ لها وتُدْرَسُ وفقَها (فهناك ظروف لغوية خاصة وُجِدَتْ في بعض الكلمات دون بعضها الآخر، وفي بعض البيئات دون بعضها الآخر، مما أدى إلى حدوث تغيير في بعض الكلمات فقط. وقد أشار الدكتور أنيس إلى نحو ما ذكرناه، ولخَّص هذه العوامل الصوتية بقوله: (وتلك العوامل الخاصة يمكن ان تلخص في كون الصوت منبوراً أو خالياً من النبر وفي النغمة الكلامية وغير ذلك من عوامل خاصة نجهلها الآن لبعدِ العهد بيننا وبين ذلك العصر الذي تمَّ فيه هذا الانقلاب الصوتي(١٥٢) وعلى أية حال، فإن سيبويه، والنحويين من بعده، قد وجدوا لَدُنْ ولَدَى، ثلاثيَّين، وتعاملوا معهما وفقَ

١٥١ـ لأن لَدَدَ تتكون من مقطعين الأول من النوع الثالث والثاني من النوع الأول. والنبر في نحو هذا يقع على الأول حين نعد من آخر الكلمة.

١٥٢ـ انظر الأصوات اللغوية، ٢٤٥.

منهجهم الوصفي، الذي لا يهمه النظرُ إلى الأصول التاريخية للكلمة المقعَد لها(١٥٣)، غير أنّ هذا المذهب، لا يعني أنهم لم يشعروا بأنَّ نونَ لَدُنْ زائدةٌ على أصل الكلمة، فقد رأيناهم ينصُّون على ذلك، ولقد كانت فكرةُ الجذر الثلاثي للكلمة العربية مسيطرةً على عبقريتهم المبدعة، وأمامهم المجالُ الواسعُ ولديهم الزادُ الكافي للتدليل على ذلك. ولا بأس من أن تطرد القواعد وتنتظم الأحكام خاصةً أنهم في وضع تقعيدٍ للعربية، لذلك سنلحظ أنَّ هذه الفكرةَ، كانت مدار قواعدِهم النحويةِ، التي وضعوها للَدُنْ ولَدَى ولَدُ على النحو الذي سنراه في أحكامهما النحوية الآتية:

ثالثاً ـ أحكامهما النحوية

تعددت الأحكام النحوية للَدُنْ ولَدَى تبعاً لتعدد سياقاتها اللغويةِ، وقد نظر النحويون إليهما وهم بصَدَدِ وضعِ هذه الأحكام من عدةِ نواحٍ، فبحثوهما من حيثُ الإعرابُ والبناءُ، وما يسبقهما وما يأتي بعدهما حيثُ أظهروا من هذه القواعد النظامَ التركيبي لاستعمالاتها، وقرَّروا ـ بإيجاز ـ أنَّ لَدُنْ ولَدَى ظرفان غيرُ متصرفين، مبنيان على السكون ويصلحان للمكان والزمان وملازمان للإضافة، وشرحوا بإسهابٍ هذه الأحكام على النحو الآتي:

أ ـ بناؤهما وإعرابهما

١ ـ **بناء لَدُنْ**: أجمع النحويون على كون لَدُنْ مبنيةً على السكون على أصلِ البناءِ واختلفوا حولَ سبب بنائها على ثلاثة أقوال:

أ ـ نصَّ عليه سيبويه في باب الظروف المبهمة غيرِ المتمكنة، فقال: (وُجزِمَتْ لَدُنْ ولم تُجْعَلْ كعِنْدَ لأنها لا تمكّنُ في الكلام تمكُّنَ عِنْدَ، ولا تقعُ في جميعِ مواقعه فجُعِلَ بمنزلة قط لأنها غيرُ متمكنة)(١٥٤) وأشار في موضعٍ آخر إلى اسميتها ودلالتها على أول الغاية بقوله: (وأمَّا لَدُنْ فالموضع الذي هو أولُ الغاية وهو اسم يكونُ ظرفاً يدلك على أنه اسم قولُهم من لَدُنْ)(١٥٥) وتبعه النحويون

١٥٣ـ انظر فقه اللغة في الكتب العربية، للدكتور عبده الراجحي، ١٧٧ ـ ١٨٣.
١٥٤ـ انظر الكتاب، ٣/٢٨٦.
١٥٥ـ المرجع السابق، ٤/٤٣٣.

الخالفون ففصَّلوا ما أوجزه وقرروا أنَّ لَدُنْ قد بُنِيَتْ لشبهها الحرفَ في الجمودِ، ذلك أنها لزَمتْ استعمالاً واحداً، وهو الظرفيةُ، وابتداءُ الغاية وامتناعُ الإخبار بها وعَنْها، بخلاف عِنْدَ ولَدَى، فإنهما لا يلزَمانِ استعمالاً واحداً فقد يكونان لابتداءِ الغاية ـ أحياناً ـ وذلك إذا سُبقَا بِمنْ ـ وقد ينأيان عنها ويستعملان فَضْلَةً وعُمْدَةً كقوله تعالى: وعِنْدَه مفاتح الغيب(١٥٦)، ولدينا كتاب(١٥٧) ونحو: جلست عنده، بخلاف لَدُنْ فإنها لا تقع إلا فضلة(١٥٨).

ب ـ نصَّ عليه ابن الحاجب تبعاً للزمخشري في مفصله إذ قرَّر الأخير بأنَّ لَدُنْ ولَدَى(١٥٩) لغتان وارتأى ابن الحاجب أن عِلَّة بنائها هو كونها أشبهتْ في بعض لغاتها الحروف قال: (وبُنِيَتْ لَدُنْ ولَدْ لشبهها بالحروف لوضعها على الصيغة التي ليست عليها الأسماء المتمكنة وإنما عليها الحروف فأشبهت الحروف)(١٦٠).

وارتضى الرضي، وجهاً آخر لبنائها وذلك بكونها قد زادت على سائر الظروف غير المتصرفة في عدم التصرف، وبكونها مع عدم تصرفها لازمةً لمعنى الابتداء فتوغلت في مشابهة الحرف(١٦١) ونظراً لكونها ملازمةً لمعنى الابتداء أوجب الرضيُّ سَبْقَها بِمنْ ظاهرةً أو مقدرةً(١٦٢) بمعنى أنها بنيتْ لتضمنها معنى الحرف (مِنْ) مضافاً إلى ذلك عدمُ تصرفها، لذلك قال: (فهي بمعنى مِنْ عِنْدَ)(١٦٣) ومذهَبهُ متجهٌ لأنَّ الظرفيةَ وعدمَ التصرف لا يكفيان في البناء ـ كما

١٥٦ـ من الآية ٥٩ من سورة الانعام.
١٥٧ـ من الآية ٦٢ من سورة المؤمنون.
١٥٨ـ انظر شرح المفصل لابن يعيش، ٤/١٠٠، وتسهيل الفوائد، لابن مالك ٩٧ وشرح التسهيل لابن مالك السفر ٢/١٠٥ أ، وشرح الكافية، للرضي، ٢/١٢٣، والتذييل والتكميل لأبي حيان، ٣/٤١٦، وأوضح المسالك لابن هشام ٣/١٤٥ والمساعد لابن عقيل، ١/٥٢٧ ـ ٥٣٢، وشرح ابن عقيل، ٣/٦٧، وشرح التصريح للأزهري، ٢/٤٦، وهمع الهوامع، للسيوطي، ١/١٢٥، وشرح الأشموني ٢/٢٦٤ وحاشية الصبان، ٢/٢٦٤، وحاشية الخضري، ٢/١٣ (بتصرف)
١٥٩ـ انظر المفصل، ١٣٢.
١٦٠ـ انظر الإيضاح، ١/٥١٥، والفوائد الضيائية، لملا جامي، ٢/١٤٤.
١٦١ـ انظر شرح الكافية، ٢/١٢٣ بتصرف.
١٦٢ـ انظر شرح الكافية، ٢/١٢٣ بتصرف.
١٦٣ـ انظر شرح الكافة، ٢/١٢٣، وحاشية الشيخ ياسين على شرح التصريح، ٢/٤٥.

يقول الشيخ ياسين ـ لأنَّ بعضَ الظروف غير المتصرفة معربة(١٦٤) مثلَ عِنْدَ، وتعويل الرضي على ملازمتها لمعنى الابتداء هو ما نصَّ عليه سيبويه بقوله فيما سبق (هو أول الغاية) وبَدَ هي أنها لهذا القيد تبتعد عن شبه عِنْدَ الظرفيةِ المعربة لعدمِ ملازمة عند لمعنى الابتداء.

جـ ـ نقله أبوحيان في بَحْرِهِ عن بعضهم حيث قال: (وأوضح بعضهم علّة البناء فقال: علّة البناء كونها تدلُّ على الملاصقة للشيء وتختص بها بخلاف عِنْدَ فإنها لا تختصُّ بالملاصقةِ، فصار فيها معنى لا يدلُّ عليه الظرف بل هو من قبيلِ ما يدلُّ عليه الحرفُ فهي كأنها متضمنة للحرف الذي كان ينبغي أن يُوضَعَ دليلاً على القرب ومثله ثَمَّ وهُنَا، لانهما بنيا لما تضمنا: معنى الحرف الذي كان ينبغي ان يوضع ليدلَّ على الإشارة)(١٦٥) وهذا الرأي يخالفُ ما ذكرهُ سيبويه وابنُ الحاجبِ والرضيُّ، حولَ علّةِ بنائها فهو لم ينصَّ على ملازمتها لابتداءِ الغاية، بل علّةُ البناءِ عنده تتمثل في الشَّبَهِ المعنوي وذلك بتضمنها معنى الحرف المدلول به على القرب، وبهذا تكون قد ابتعدت عن مشابهتها لعند لعدم اختصاص الأخير بهذا المعنى.

ويبدو أنَّ أبا حيان قد شك في وجه بنائها وذلك حين نص النحويون على أنها بمعنى «عند» وعلى لزومها الإضافة إلى ما بعدها، لأنَّ الإضافة من خواص الأسماء، وبذلك تبتعد لَدُنْ عن شبه الحرف وتصبح شبيهةً بعند الأمر الذي يؤدي بها إلى أنْ تعرَبَ لا أنْ تُبْنَى قال: (إن لَدُنْ ملازمةٌ للإضافة والإضافة لا تنفك عنها لفظاً وهي بمعنى عند، وعند معربة ولَدُنْ مبنية وكان ينبغي أن تعربَ وهي مبنية(١٦٦).وردَّ رأيه الإمامُ البلقينيُّ بقوله (إن لَدُنْ ليست بمعنى عند بل لَدُنْ لأول غاية زمانٍ أو مكان، ولم تعرب لأنها ليست بمعنى لفظةٍ معربةٍ وبأنها بنيتْ لشبهها الحرف في لزوم استعمال واحد وامتناع الإخبار بها وعنها، بخلاف عند فقد تكون لابتداء الغاية وقد تستعمل فضلةً وعمدةً، ولا تلزَمُ استعمالاً واحداً لذا لم يعارض شبَهَ الحرف في لَدُنْ من الوجوه المذكورة لزومُ

١٦٤ـ انظر حاشية الشيخ ياسين، ٢/ ٤٦ بتصرف.
١٦٥ ـ انظر البحر المحيط، ٢/ ٣٧٢، وحاشية الخضري، ١/ ٢٨.
١٦٦ـ انظر حاشية الشيخ ياسين، ١/ ٤٩ بتصرف

الإضافة، فإنَّ الشيء الواحد لا يقوى أنْ يعارِض أشياء)(١٦٧) وأكَّد الشهاب القاسميُّ على بنائها بقوله: (قوةُ الشبه في لَدُنْ أنَّه انضمَّ إلى شبهها المعنوي وهو تضمنها معنى الملاصقة المخصوصة التي من معاني الحروف الشَبهُ اللفظي في بعضِ لغاتها)(١٦٨) وبزوال هذه الشبهة التي ألمح اليها أبوحيان يتضح أنَّ لَدُنْ مبنيةٌ عند أكثر العرب.

غير أنَّ موضِع لَدُنْ لَمّا كان صالحاً لعِنْدَ فقد شبهتها قيسٌ بها فأعربتها. قال أبو زيد وتقول - أي قيس - هو من لَدُنِ فلان، وهو لدنُك ولَدُني فيحركون النون)(١٦٩) ونصَّ ابن مالك على ذلك بقوله: (وإعراب اللغة الأولى - أي لَدُنْ - لغةٌ قيسية)(١٧٠) وقد قرأ بها أبو بكر عن عاصم قوله تعالى (من لَدُنْهُ)(١٧١) فأسكنَ الدال مع إشمامها الضمَّ وكسرَ النونَ والهاءَ وقرأ الباقون بضم الدال وإسكان النون وضم الهاء(١٧٢) وقد كشف مكي عن هذه القراءة بأنَّ قراءة الجمهور جاءت على الأصلِ أمّا قراءةُ عاصم فإنَّ إسكانَ الدال لغةٌ، وإشمامُها الضمَّ دلالةٌ على أنَّ أصلها الضمُّ وأنَّ كسرَ النون قد تمَّ دفعاً لالتقاء الساكنين(١٧٣) وعلى هذه اللغة جاء قول الراجز(١٧٤):

تَنْتَهِضُ الرِّعدةُ في ظُهَيْرِي مِنْ لَدُنِ الظهرِ إلى العُصَيْرِ

واختلفوا حول كسرة النون، أهي كسرةُ إعرابٍ أم كسرةُ بناءٍ اجتُلِبَتْ لدفع الساكنين على مذهبين:

١ - ذهب مكي - كما رأينا - وأبو علي الفارسي - فيما حكاه عنه ابن

١٦٧- انظر المرجع السابق، ٢/٤٧ بتصرف
١٦٨- انظر المرجع السابق، ٢/٤٧
١٦٩- انظر النوادر في اللغة، ١٦٩
١٧٠- انظر تسهيل الفوائد، ٩٧ والتذييل والتكميل لابي حيان، ٣/٢١٧ وشرح ابن عقيل، ٣/٦٧.
١٧١- من الآية ٢ من سورة الكهف
١٧٢- انظر الكشف لمكي، ٢/٥٤، والنشر لابن الجزري، ٢/٣١٠، والاتحاف للدمياطي ٢٢٨ (بتصرف).
١٧٣- انظر الكشف لمكي ٢/٥٤.
١٧٤- قيل إن هذا الرجز لرجل من طيء، انظر التذييل لأبي حيان، ٣/٤١٨، وشرح الشواهد للعيني ٢/٢٦٢، وهمع الهوامع للسيوطي ١/٢١٥ وشرح الأشموني ٢/٢٦٢.

الشجري - إلى أنَّ كسرتَها لالتقاء الساكنين قال أبو علي: (فأمَّا ما رُوِيَ عن عاصم من قراءته لدنه، فالكسرةُ فيه ليسَتْ كسرةَ جر، وإنَّما هي كسرةُ التقاء الساكنين وذلك أنَّ الدالَ من لَدُنْ أُسكنت كما أُسكنت الباء في سَبُع، فالتقى ساكنان، الدال والنون وكسرت النون لالتقاء الساكنين)(١٧٥).

٢ - ذهب ابن مالك وتبعه جمهورُ النحويين إلى أنَّ كسرتَها كسرةُ إعراب، وذلك واضح من قوله (وإعراب اللغة الأولى لغةٌ قيسية)(١٧٦) يؤيده ما حكاه أبو حاتم عنهم بأنهم يقولون (من لَدُنهِ بضم الدال وكسر النون، وفي النصب لَدُنَهُ بفتح النون، والدال مضمومةٌ أو ساكنةٌ مُشمَّمةُ الضمِّ)(١٧٧).

وذهب أبو حيان إلى تجويز الوجهين حيث قال بعد أن ذكر القراءة وقولَ الراجز (يجوز أن يكون كسر النون إعراباً على هذه اللغة، ويجوز أن تكون مبنيةً على السكونِ وكسرت النونُ لالتقاء الساكنين)(١٧٨) وقد بيَّن وجهَ الخلاف بين المذهبين الإمام الزرقاني فيما نقلَه عنه الشيخ ياسين بقوله: إن ابنَ مالك قد رأى (إن إشمامَ الضمِّ ليسَ من جملةِ اللغات، وحيثُ كانَ مُشَمَّاً صار كأنه موجودٌ فظهرَ أنَّ الكسرَ حينئذ إعراب، والذي رآه أبو علي أن الإشمامَ غيرُ معَوَّل عليه وأنَّ المُعْرَبَ لَدُنْ المشهورة، وهي مضمومةُ الدال وإعرابها بأن يقالَ من لَدُنْهِ بضم الدال وكسر النون وأمَّا لَدُنْ المقروْ به فهو جملة لغات لدُنْ)(١٧٩)، وواضح من هذا النص ان ابن مالك قد ذهب الى ان لَدَنْ المعربةِ ليسَتْ من جملةِ لغات لَدُنْ وذلك للإشمام الذي أصبح أصلاً، ولو كانت من جملة لغاتِ لَدُنْ لكان حقُّها البناءَ في حين أن أبا علي لم يعوِّلْ على هذا الاشمام لعَرُوضه، وذهب إلى أنَّ لَدُنْ المقروء بها من جملةِ لغات لَدُنْ المبنية، فحقُّها البناءُ لا الإعراب وقد تبعَ الرضيُّ(١٨٠) أبا علي، وارتضى أكثرُ النحويين مذهبَ ابنِ مالك(١٨١).

١٧٥- انظر امالي ابن الشجري، ٢٢٣/١

١٧٦- انظر التسهيل، ٩٧

١٧٧- انظر التذييل والتكميل لأبي حيان، ٤١٨/٣ والمساعد لابن عقيل، ٥٣٣/١.

١٧٨- انظر التذييل ٤١٨/٣.

١٧٩- انظر حاشية الشيخ ياسين، ٤٦/٢ بتصرف

١٨٠- انظر شرح الكافية، ١٢٣/٢ وحاشية الشيخ ياسين، ٤٦/٢.

١٨١- انظر أوضح المسالك لابن هشام، ١٤٥/٤ وشرح التصريح للأزهري، ٤٦/٢ وهمع الهوامع للسيوطي، ٢١٥/١. وشرح الأشموني، ٢٦٢/٢

٢ ـ إعراب لَدَى وبناؤها: رأينا فيما سبق أن كونَ لَدَى من جملةِ أخوات لَدُنْ هو أمرٌ مختلفٌ فيه، ويبدو أنَّ لهذا الاختلافِ أثراً في اختلافهم حولها، من حيثُ البناءُ والاعرابُ، فقد اختلفوا فيها على رأيين:

١ ـ أنها معربةٌ، وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: (ولَدَى بمنزلة عند)(١٨٢) فلما كانت عِنْدَ معربةً جُعِلتْ لدى كذلك، وإلى نحوِ هذا ذهب كثيرٌ من النحويين(١٨٣).

٢ ـ أنها مبنيةٌ وممن نصَّ على ذلك الزمخشري(١٨٤) وتبعه ابن يعيش معللاً سبب بنائها بقوله (اعلم أنَّ لَدَى ظرفٌ من ظروف الأمكنة، بمعنى عند، وهو مبني على السكون، والذي أوجب بناءه فَرْطُ إبهامه بوقوعه على كل جهة من الجهات الست فليس في ظروف الأمكنة أبهمُ من لَدَى وعِنْدَ، ولذلك لَزِمَت الظرفية فلم تتمكَّن تمكُّنَ غيرها من الظروف فجرَت لذلك مَجْرَى الحرف في إبهامه)(١٨٥) أمَّا ابن الحاجب فقد جعلَ بناءَها حملاً لها على اختها لَدُنْ التي بنيت لأنَّ من لغاتها ما وُضِعَ على حرفين فأشبهت الحروف قال: (وبنيَتْ لَدَى لأنه هو هو ـ أي لأنه لَدُنْ ـ وقد تقدَّم أن كلَّ اسم مبنيٌ فإنه يُبنَى وإن اختلفَت لُغاتُه بزيادةٍ أو نقصانٍ مع بقاء أصلِ المعنى فيبني لَدْ لشبَهِ الحَرْفِ وبُنِيَ لَدَى لشبَهِ ما أشبه الحرفَ وإن اختلفَتْ جهاتُ الشبَهِ فإنه لا يضرُّ، ألا ترى أنَّ نزالِ مبنيٌّ لشبهه بانزل وبُنِيَ فَجَارِ لشبههِ بنزالِ، وإن اختلفَتْ جهاتُ الشَبَهِ وهذا كثيرٌ في العربية في أبوابٍ مختلفةٍ)(١٨٦) ولم يرتضِ الرضيُّ هذا المذهب ـ على الرغم من ذَهَابه إلى أنَّ لَدُنَّ ولَدَى لغتان ـ وذهب إلى أنَّ لَدَى معربةٌ لأنَّها بمعنى عِنْدَ، في حينِ أنَّ لَدُنْ قد بُنِيَتْ لعدَمِ تصرفِها وللزومِها لمعنى الابتداء فتوغلتْ في مشابهةِ الحرفِ، وهذا المعنى منتفٍ في لَدَى)(١٨٧) وواضح أنَّ كونَ لَدَى من جملة

١٨٢ـ انظر الكتاب، ٤/ ٢٣٤.

١٨٣ـ انظر شرح الكافية للرضي، ٢/ ١٢٣، والتذييل والتكميل لأبي حيان، ٣/ ٤٢٣ والمغني لابن هشام، ٢٠٨ وهمع الهوامع للسيوطي ١/ ٢٠٢ وحاشية الصبان، ٢/ ٢٦٤ وحاشية الخضري ٢/ ١٣.

١٨٤ـ انظر المفصل ١٣٢

١٨٥ـ انظر شرح المفصل، ٤/ ١٠١

١٨٦ـ انظر الإيضاح، ١/ ٥١٥

١٨٧ـ انظر شرح الكافية، ٢/ ١٢٣ بتصرف.

أخواتِ لَدُنْ كانَ منظوراً إليه في هذا التقعيد، فالذين ذهبوا إلى ذلك جعلُوها مبنيةً ما عدا الرضيِّ والذين لم يعتدوا بـذلك كسيبـويه ومن تبعـه ذهبوا إلى إعرابها.

ب ـ سبق لَدُنْ بمِنْ ظاهرة أو مقدرة

نصَّ ابنُ جني فيما نقله عنه ابن الشجري، على أنَّ لَدُنْ لا تكاد تستعمَلَ إلا مسبوقةً بمِنْ قال: قال أبو الفتح واستعمل ـ أبو الطيب ـ لَدُنْ بغيرِ مِنْ وهو قليلٌ لا يكادون يستعملونها إلا ومعها مِنْ كما جاء في التزيل (مِنْ لَدُنْ حكيمٍ عليمٍ)(١٨٨) و (قد بلغْتَ من لدُنِّي عُذْرًا)(١٨٩) وأنشد سيبويه:

مِنْ لَدُ شولاً فإلى إتلائِها . .

وابن جني في تقريره ذلك لم يبين لنا العلّةَ(١٩٠) في ذلك بل أحال ذلك على الاستعمال اللغوي أمَّا الرضي فقد علَّل لذلك بقوله إن (لَدُنْ ولغاتها المذكورة، يلزَمُها معنى الابتداء فلذا يلزمُها . مِنْ إمَّا ظاهرةً ـ وهو الأغلب ـ أو مقدرة فهي بمعنى من عند)(١٩١) وبيَّنَ بعضهم ـ فيما نقله الصبان ـ الفرقَ بين معنى من ومعنى لَدُنْ بقوله إن لَدُنْ (لأول المسافات فمسمَّاها نفس أول الزمان أو المكان وبهذا فارقت مِنْ فإنها لابتداء الزمان أو المكان ومن ثَّم كانت حرفاً ولَدُنْ اسما)(١٩٢) وعلَّل الشيخ ياسين لهذا الاجتماع بقوله (فإن قيل إذا كانت لَدُنْ ملازمةً لمبدأ الغايات فما فائدة دخول «مِنْ» عليها فالجواب أنَّ إفادتها لذلك لمَّا ـ لم يؤلف كألفِ الاستفهام والشرط من الاسم ـ أُتِيَ بمِنْ لتكون كالدَّالة على ذلك ولذلك لزمَتْ في الغالب)(١٩٣) ويبدو أنهم قد قيَّدوا ذلـك بقولهم (في الغالب) لأن جملةً من أشعار العرب جاءت لَدُنْ فيها بغيرِ مِنْ دالةً على ابتداء

١٨٨ـ من الآية ٦ من سورة النمل.
١٨٩ـ من الآية ٧٦ من سورة الكهف.
١٩٠ـ انظر الأمالي ١/٢٢١ ـ ٢٢٢
١٩١ـ انظر شرح الكافية، ٢/١٢٣.
١٩٢ـ انظر حاشية الصبان، ٢/٢٦٤
١٩٣ـ انظر حاشية الشيخ ياسين ٢/٤٥ ـ ٤٦

الغاية من ذلك قول الشاعر:

فــإن الــكــثر أعيــاني قــديمــاً ولم أقــتر لَــدُنْ أني غــلامُ

ومثله قول كثير:

وما زلتُ من ليلى لَدُنْ أنْ عرفتُهـا لكالهائم المُقْصَى بكـلِّ مكان(١٩٤)

واذا كان الامر كذلك، فإن ابن جني حين لم يعلِّل لذلك وأحاله على الاستعمال اللغوي، كان أكثر نفاذاً في فقه هذا التركيب من غيره. وما ذهب اليه أكده الأستاذ عباس حسن بعد أن أورد أجوبتهم بقوله: (والسبب الحق هو استعمال العرب القدامى لها مجتمعَينِ دون تعليل آخر)(١٩٥).

وجَرُّ لَدُنْ بمِنْ مخرجٌ لها من الظرفية إلى شَبَه الظرفية فتكون في هذه الحال مبنيةً على السكونَ في محل جر بمن.

أمَّا لدى فلاٌ تلزمه (مِنْ) لأن معنى الابتداء لم يلزمها، بل تكون ـ كما رأينا ـ لابتداء الغاية ولغيرها (١٩٦) هذا ما تحدث به النحاة عما يمكن أن يكونَ ـ أو لا يكونَ ـ قبل لَدُنْ ولدى، أما ما يجب أنْ يكونَ بعدها فقد خَصُّوه بما يأتي:

جـ ـ إضافتها إلى ما بعدها

١ ـ لما كانت لدن ظرفاً، فقد وجب إضافتها إلى مابعدها، فيجرُّ (ما يليها بالإضافة لفظاً إن كان مفرداً او تقديراً إن كان جملة)(١٩٧) ونصَّ إبو حيان على أنها (تضاف إلى المفـرد لفظاً كثيـراً، وإلى الجملة قليـلا)(١٩٨) وفصَّـل الأشموني هذا الايجاز بأن المضاف اليه لفظاً إنما يكون كذلك إن كان معرباً

١٩٤ـ انظر امالي ابن الشجري، ١/٢٢٢، وانظر عدداً من الابيات حذفت فيها مِنْ قبل لدن مع دلالتها على ابتداء الغاية في التذييل لابي حيان ٣/٤١٩.

١٩٥ـ انظر النحو الوافي، ٢/٢٩٣

١٩٦ـ انظر شرح الكافية الشافية، لابن مالك، ٢/١٢٣، والمساعد لابن عقيل، ١/٥٣٤ بتصرف.

١٩٧ـ انظر تسهيل الفوائد، لابن مالك، ٩٧، وأوضح المسالك لابن هشام ٣/١٤٥، التذييل والتكميل لأبي حيان ٣/٤١٩ وشرح الكافية للرضي، ٢/١٢٤، وهمع الهوامع للسيوطي، ١/٢١٥ وشرح الأشموني ٢/٢٦٢.

١٩٨ـ انظر البحر المحيط، ٢/٣٧٢

ويكون مجرور المحل إن كان مبنياً أو جملة)(١٩٩) فالأول نحو قوله تعالى: مِنْ لَدُنْ حكيم عليم(٢٠٠) ومنه قول الراجز(٢٠١):

تنتهضُ الرِّعدةُ في ظُهَيْرِي ... مِنْ لَدُنِ الظهرِ إلى العُصَيرِ

والثاني: نحو قوله تعالى: وعلَّمناهُ من لَدُنَّا عِلْما(٢٠٢) والثالث كقول الشاعر وقد أضافها إلى جملةٍ اسمية(٢٠٣).

وتذكرُ نُعْمَاهُ لَدُنْ أنت يافعٌ ... إلى أنت ذو فودَيْنِ أبيض كالنَّسْرِ

أمَّا إضافتها إلى الجملة الفعلية فقد اشترط ابنُ مالك لجوازه ان تكونَ الجملةُ ذاتَ فعلٍ متصرفٍ مثبتٍ قال في تسهيله (ويشاركها - أي الآية - في الإضافة إلى المتصرف المثبَتِ لَدُنْ وريثُ)(٢٠٤) كما أجاز أيضا إضافتها إلى الفعل بتقدير أنْ المصدرية قال: (وجاءَ عن العرب إضافةُ ريثَ ولَدُنْ إلى الفعل على تقدير أنْ المصدرية)(٢٠٥) غير أن ابن الدهان منَع إضافة لَدُنْ الى الجملةِ لأن لَدُنْ مِنْ ظروفِ المكان، وظروفُ المكانِ لا يُضَافُ منها إلى الجملة إلا حيثُ)(٢٠٦) واحتجَّ بأن ذلك قد وردَ عن سيبويه، قال ابن هشام وفي (الغرَّة) لابن الدهان أنَّ سيبويه لا يرى جوازَ إضافتها إلى الجملة ولهذا قال في قوله:

(من لَدُ شولا)

إنَّ تقديره (من لَدُنْ أنْ كانت شولاً، ولم يقدر من لَدُ كانت)(٢٠٧) غير أنَّ جمهورَ النحويين أجازوا إضافتها إلى الجملة مطلقاً، لأنَّ لَدُنْ في الإبهام مثلُ

١٩٩- انظر شرح الاشموني، ٢/٢٦٢.

٢٠٠- من الآية ٦ النمل

٢٠١- انظر شرح الشواهد، للعيني، ٢/٢٦٢.

٢٠٢- من الآية ٦٥ الكهف.

٢٠٣- انظر البحر المحيط لابي حيان، ٢/٣٧٢، وهمع الهوامع للسيوطي، ١/٢١٥، وشرح الاشموني، ٢/٢٦٣.

٢٠٤- انظر تسهيل الفوائد، ١٥٩، والمغني لابن هشام ٥٥١.

٢٠٥- انظر شرح الكافية الشافية، ٢/٩٤٦-٩٤٨

٢٠٦- انظر التذييل والتكميل لابي حيان، ٣/٤١٩، وشرح الأشموني ٢/٢٦٣.

٢٠٧- انظر مغني اللهيب، ٥٥١.

حيثُ ـ كما قال ابن الشجري ـ في حالِ الإضافة(٢٠٨) أو لأنها حين تضافُ إلى الجملة تكونُ خالصةً للزمانِ دونَ المكان قال الرضي (فإذا أُضيفت إلى الجملة تمخضتْ للزمانِ لِمَا تقدَّم أنَّ ظروفَ المكان لا تُضَافُ إلى الجملة منها إلا حيثُ وأضاف بأنه (يجوز تصديرُ الجملة بحرفٍ مصدري لَمَّـا لم تتمخض لَدُنْ في الأصلِ للزمان)(٢٠٩) وأورد مجيزو إضافتها إلى الجملة شواهدَ شعرية منها: قول القطامي(٢١٠):

صريـعُ غـوانٍ راقهُنَّ ورُقْنَـه   لَدُنْ شَبَّ حتى شَابَ سودُ الذوائبِ

فأضافَ لَدُنْ إلى شَبَّ، وقيل لا دليلَ فيه إذ يمكن أن يكونَ المعنى لَدُنْ أَنْ شبَّ فحذف أن)(٢١١) ورُدَّ بأنَّ فيه حذفَ الموصولِ الحرفي وبقاءَ صلته(٢١٢) وهو ممنوع(٢١٣).

ومن ذلك أيضا قولُ الشاعر وقد أضافها إلى جملة فعلية:

لَـزِمْنَـا لَـدُنْ سـألتمُـونـا وِفَـاقَكم   فَلا يكُ منكم للخلافِ جُنوحُ(٢١٤)

وأوردوا لإضافتها إلى أنْ والفعلِ قولَ الأعشى:

أراني لَـدُنْ أنْ غابَ رهـطي كأنما   يراني فيكم طالبُ الضيم أرنبا(٢١٥)

ب ـ أمَّا لَدَى فهي لا تنفك عن الإضافة لا معنى ولا لفظا(٢١٦)، وليس ثمة خلافٌ في ذلك، غير أنهم نصوا على أنَّ ألفها تقلب ياءً مع الضمير لأنها بمنزلة إلى وعلى، قال سيبويه (وإنما قالوا) لديك وعليك وإليك ـ في غير التسمية

٢٠٨ـ انظر امـالي ابن الشجري، ١/٢٢٣.

٢٠٩ـ انظر شرح الكافية، للرضي، ٢/١٢٥.

٢١٠ـ انظر امالي ابن الشجري، ١/٢٢٣، وشرح التصريح للازهري، ٢/٤٦، وهمع الهوامع للسيوطي، ١/٢١٥.

٢١١ـ انظر امالي ابن الشجري، ١/٢٢٣، وشرح التصريح للازهري، ٢/٤٦.

٢١٢ـ انظر شرح التصريح، ٢/٤٦.

٢١٣ـ انظر حاشية الصبان ١/٢٤٤.

٢١٤ـ انظر البحر المحيط، ٢/٣٧٢، والتذييل والتكميل ٣/٤١٩.

٢١٥ـ انظر ديوان الأعشى ١١٥، وأمالي ابن الشجري ١/٢٢٣ وهمع الهوامع ١/٢١٥.

٢١٦ـ انظر شرح الكافية الشافية، لابن مالك، ٢/٩٢٦

ـ ليفرقوا بينها وبين الأسماء المتمكنة، كما فرقوا بين عنِّي ومنِّي وأخواتها وبين هَني)(٢١٧) وذهب الرضي إلى تعليل آخر فقال: (وإنما قلب ألفُ هذه الكَلمات الثلاث مع المضمر تشبيهاً بألفِ رمى إذا اتصل بالمضمر المرفوع نحو رميتُ وإنما شُبِّهَ الضمير المجرور بالمرفوع دون المنصوب نحو رماك، لأن الجار مع الضمير المجرور كالكلمة الواحدة، كالرافع مع الضمير المرفوع بخلاف الناصب مع المنصوب، ولم يشَّبه بألف نحو غزا لأنَّ الواو ثقيل والياء أقربُ إلى الألف من الواو)(٢١٨).

وحكى سيبويه عن بعض العرب أنهم كانوا يستغنون عن هذا القلب ويقرون الألفَ معها فيقولون عَلاك ولَدَاك وإلاك، قال (وحدَّثنا الخليلُ أنَّ ناساً ـ لم يعينهم ـ من العرب يقولون عَلاك ولَدَاك وإلاك)(٢١٩) وعلى ذلك جاء قول الشاعر (٢٢٠):

إلاكُم يا خُنَاعةُ لا إلاَنا عزا الناس الضراعةَ والهوَانا
فلو برئَتْ عقولُكُم بصرتُم بأنَّ دواءَ دائكم لَدَانَا
وذلكم إذا واثقتمُونا على قِصَر اعتمادكم عَلاَنا

حيث لم يقلب الألف ياءً مع الضمير في الالفاظ الثلاثة وإنما أراد إليكم لا إلينا ولدينا وعلينا أمَّا حين تضافُ إلى الظاهر فتسلم(٢٢١) كقوله تعالى: إذ القلوبُ لدى الحناجر(٢٢٢) وحكى ابن عقيل: بأنها تُقلَبُ ياءً أيضاً مع الظاهر فيقال لدي زيد(٢٢٣).

د ـ حذف كان واسمها بعد لدن ولغاتها

وهذه مسألة موصولةُ العلائق بما قبلها، فقد قرروا أنَّ كان واسمها

٢١٧ـ انظر الكتاب، ٣/٤١٢.
٢١٨ـ انظر شرح الكافية، للرضي، ٢/١٢٤.
٢١٩ـ انظر الكتاب لسيبويه، ٣/٤١٣.
٢٢٠ـ انظر الابيات في شرح التسهيل لابن مالك، السفر ٢/١٠٥أ، والتذييل والتكميل لابي حيان ٣/٤٢٣، وهمع الهوامع، ١/٢٠٣.
٢٢١ـ انظر شرح الكافية، للرضي، ٢/١٥٤.
٢٢٢ـ من الآية ١٦ من سورة غافر.
٢٢٣ـ انظر المساعد ١/٥٣٤

يحذفان بعدها، مع اختلافهم في كون هذا الحذفِ كثيراً(٢٢٤) او قليلاً(٢٢٥) أو شاذاً(٢٢٦) ومن ذلك قول الراجز:

مِنْ لَدُ شولاً فإلى إتلائها. .

حيث رُوي بنصب شولاً وبجره(٢٢٧)، واستقَّر خلافهم حول رواية النصب وتقدير المحذوف على ثلاثة آراء:

١ ـ ذكره سيبويه ونصَّ على أن التقدير (من لَدُ أنْ كانت شولاً فإلى اتلائها)، قال موضحاً ذلك ومشيراً إلى العلة (نُصِبَ، أي شولاً ـ لأنَّه أراد زماناً، والشولُ لا يكونُ زماناً ولا مكاناً، فيجوز فيها الجر كقولك من لَدُ صلاة العصر الى وقت كذا ـ وكقولك من لَدُ الحائِط إلى مكان كذا فلما أراد الزمانَ حَمَلَ الشولَ على شيءٍ يَحْسُنُ أنْ يكونَ زماناً إذا عمل في الشول ولم يحسُنْ إلاَّ ذا كما لا يحسُن ابتداء الأسماء بعد إن حتى أضمرتَ ما يحسنُ أنْ يكونَ بعدها، عاملاً في الأسماء فكذلك هذا، كأنَّك قلتَ من لَدُ أنْ كانت شولاً فإلى إتلائها)(٢٢٨) وفسَّر السيرافي قولَ سيبويه بقوله: (المعنى أنَّ لَدُنْ إنما تضافُ إلى ما بعدها من زمانٍ أو مكانٍ إذا اقترنت بها إلى، كقولك جلست مِنْ لَدُ صلاة العصر إلى وقت المغرب. فلمَّا كان الشَّولُ جمعَ الناقةِ الشائلِ لم تَصلُحْ أنْ تكونَ زماناً، فأضمرَ ما يصلحُ أنْ يقدَّرَ زماناً، فكأنه قال من لَدُ أن كانت شولاً، والكون مصدرٌ، والمصادرُ تُستعَمل في معنى الأزمنةِ كقولك جئتُكَ مقْدَمَ الحاج وخلافةَ المقتدر وصلاةَ العصر، على معنى أوقات هذه الأشياء)(٢٢٩) ورُدَّ مذْهَبُ سيبويه بأنَّ تقديره (فيه حذفُ الموصولِ وصلتِه وبقاءُ معمولِهَا من غيرِ ضرورة، وأجيبَ بأنه تقديرُ معنى لا إعراب)(٢٣٠) أي أنَّ سيبويه (أتى فيه بأنْ فِراراً من قلَّةِ إضافةِ

٢٢٤ـ انظر تحصيل عين الذهب، للاعلم الشنتمري، حاشية الكتاب، طبعة بولاق، ١/ ١٣٤.

٢٢٥ـ انظر شرح الاشموني ١/ ٢٤٣.

٢٢٦ـ انظر شرح ابن عقيل، ١/ ٢٩٥.

٢٢٧ـ انظر تحصيل عين الذهب، للاعلم الشنتمري، ١/ ١٣٤، وشرح الشواهد للعيني ١/ ٢٤٣.

٢٢٨ـ انظر الكتاب، ١/ ٢٦٥ وذكر العيني في شرح الشواهد ١/ ٢٤٣ أن التقدير عند سيبويه من لَدُ كانت شولاً من غير أنْ

٢٢٩ـ انظر الكتاب، لسيبويه ١/ ٢٦٥ (الحاشية) والكتاب (طبعة بولاق) ١/ ١٣٤ (الحاشية).

٢٣٠ـ انظر تخليص الشواهد، لابن هشام ٢٦٣، وشرح التصريح للازهري ١/ ١٩٤، وحاشية الصبان ١/ ٢٤٣، وحاشية الخضري ١/ ١١٧.

لَدُنْ إلى الجمل، وحَلُّ الإعراب «مِنْ لَـدُ كانت» بحـذْفِ أنْ(٢٣١) غيرَ أنَّ الأزهري - فيما يبدو - لم يرتضِ ذلك حيث قال: (وان حُمِلَ على أنّه تقديـرُ إعرابَ لزِمَ منه أنَّ ما فرَّ منه وقَعَ فيه)(٢٣٢) لأنَّ ما فرَّ منه هو (أنَّ لَدُنْ لا تضافُ للجمل)(٢٣٣) غير أنَّ ما يرجّح مذهبَ سيبويه - في كون - شولاً - جمعاً لشائلٍ روايةُ الرجز بغيرِ تنوينٍ فقد روى الجَرْميُّ: «من لَدُ شولا» بغير تنوين على أنَّ أصله شولاءُ بالمدِّ، وقصره للضرورة(٢٣٤) وردَّ ابنُ هشام ذلك بقوله: (ولكنَّ هذه الروايةَ تقتضي أن المحدَّثَ عنه ناقةٌ واحدةٌ لا نوق)(٢٣٥) وهو خـلافُ المراد.

٢ - ذكره ابن هشام من غيرِ عزوٍ لأحدٍ بقولـه: (وأمّا الشـولُ بفتح المعجمة ومادتُه تدلُّ على الارتفاعِ، واختُلِفَ في المراد به هنا فقيل: مصـدر شالتِ الناقة بذنبها أي رفعته للضراب فهي شائلٌ بغير تاء، والجمع شُوَّلٌ مثل راكع وركَّع، والتقدير من لَدُنْ شالَتْ شولاً، فالبيتُ من حِذْفِ عاملِ المصدَّرِ المؤكد)(٢٣٦) ورُجِّحَ هذا الرأي برواية من (لَدُ شولٍ بالخفض)(٢٣٧).

واستظهره الصبان لأنه (أقلُّ كلفةً من تقدير سيبويه)(٢٣٨) غير أنَّ ما يضعفهُ أنَّ فيه حَذْفَ عاملِ المصدر المؤكد)(٢٣٩) وفي حذفه خلاف(٢٤٠) ثم يُجَابُ عن روايةِ الجر (بأنَّ التقدير مِنْ لَدُ شولان شَوْلٍ) فحذف المضاف وأقيمَ المضاف إليه مقامه ولكن لا يقعُ التوفيقُ بين الروايتين في التقدير(٢٤١) من حيث المعنى.

٢٣١- انظر حاشية الخضري، ١/١١٧

٢٣٢- انظر شرح التصريح، ١/١٩٤

٢٣٣- انظر حاشية الشيخ ياسين، ١/١٩٤

٢٣٤- انظر تخليص الشواهد، لابن هشام ٢٦٢، وشرح الشواهد للعيني، ١/٢٤٣

٢٣٥- انظر تخليص الشواهد، لابن هشام ٢٦٢.

٢٣٦- انظر تخليص الشواهد، ٢٦٢، وحاشية الصبان ١/٢٤٤.

٢٣٧- انظر تخليص الشواهد، ٢٦٢.

٢٣٨- انظر حاشية الصبان، ١/٢٤٤.

٢٣٩- انظر حاشية الخضري ١/١١٧.

٢٤٠- ذهب ابن مالك الى منع الحذف وأجازه ابنه، والمتجه هو المنع، انظر شرح الكافية الشافية، ٢/٦٥٧، وشرح الألفية لابن الناظم، ٢٦٥.

٢٤١- انظر تخليص الشواهد، لابن هشام، ٢٦٢ بتصرف.

٢ ـ ذكره أيضاً ابن هشام مستغرباً إياه بقوله (ومن الغريب أنَّ بعضَهم زعَمَ أنَّ انتصابَ شولاً بعد لَدُنْ على التمييز أو التشبيه بالمفعول به كانتصاب غدوةً بعدها في قولهم لَدُنْ غدوةً وأنَّه لا تقديرَ في البيت)(٢٤٢) وردَّه بقوله (وهذا مردود باتفاقهم على اختصاص هذا الحكم بغدوة ولأنه لم يُسْمَعْ في غدوة مع حذفِ النون بل مع ثبوتها)(٢٤٣) ومراده أنَّه لم يسمع نَصْبُ غدوةً إلا بثبوت النون ويَردُ عليه أنَّ ابنَ يعيش قد نصَّ على أنهم يقولون:(لَدُ غدوةً)(٢٤٤) لذا فالصواب ما ذكره العيني بقوله: (بأن هذا مردود باتفاقهم على اختصاص هذا الحكم بغدوة)(٢٤٥). أمَّا روايةُ الجر فقد اختلفوا حولَها على رأيين أيضا:

أ ـ ذهب سيبويه إلى أنَّ (شولٍ) مجرورٌ على التوسُّع لأنَّه بمنزلةِ المصدرِ والمصادرُ ـ كما قال السيرافي ـ تُستعمَلُ في معنى الأزمنة كثيراً(٢٤٦) قال سيبويه مشيراً الى ذلك (وقد جرَّه قومٌ على سَعَةِ الكلام وجعلُوه بمنزلة المصـدر حين جعلُوه على الحين، وإنما يريدُ حينَ كذا وكذا وإنْ لم يكنْ في قوَّةِ المصادر لأنه لا يتصرَّفُ تصرُّفَها)(٢٤٧).

ب ـ ذهب الأعلم إلى تجويز ما أجازه سيبويه في روايةِ النصب والجر وذكر توجيهاً آخرَ لروايةِ الجرِّ حيث قال: (ويجوز جَرُّ الشولِ على تقديرين:

١ ـ أحدهما أنه يريدُ الزمانَ فكأنه قال من لَدُنْ زمانِ شولِها أي ارتفاع لبنها، ويكونُ الشَّولُ مصدراً على هذا التقدير ثم يُحْذَفُ الزمانُ ويُقَامُ الشَّولُ مقامَه.

٢ ـ والتقدير الثاني من لدن كون شولها، ووقوعها في إتلائها فتحذف الكونَ وتقيمُ الشول مقامه كما تقدَّمَ في التقدير الأول)(٢٤٨).

ورُجِّحَ هذا التقدير لكونه يوحِّدُ معنى رواية الجر والنصب، ولكن يحتاج

٢٤٢ـ المرجع السابق، ٢٦٢ ـ ٢٦٣ وشرح الشواهد، للعيني، ١/٢٤٣.
٢٤٣ ـ المرجع السابق، ٢٦٣ وشرح الشواهد، للعيني ١/٢٤٣.
٢٤٤ـ انظر شرح المفصل، ٤/١٠٢
٢٤٥ـ انظر شرح الشواهد للعيني، ١/٢٤٣.
٢٤٦ـ انظر الكتاب، ١/١٣٤ ـ طبعة بولاق (الحاشية).
٢٤٧ـ انظر الكتاب، ١/٢٦٥ (طبعة هارون)
٢٤٨ـ انظر الكتاب، ١/١٣٤ طبعة بولاق الحاشية.

إلى الخبر فيقدَّرُ موجوداً، أو أنَّ كان هنا تامة(٢٤٩).

هـ ـ نصب غدوة بعد لَدُنْ والعطف عليها

رأينا فيما سبق أنَّ الأصل في لَدُنْ أن يُجَرَّ ما بعدها بالإضافة لكونها دالةً على ابتداء الغاية الزمانية أو المكانية، فإمَّا أنْ تضاف إلى مفرد أو جملة، وعلى هذا الأصل فقد ورد إضافتها إلى غدوة وقد سجَّل ذلك سيبويه في كتابه إذ قال: (والجَرُّ في غدوةٍ هو الوجهُ والقياس)(٢٥٠) وقد خرج عن هذا الأصل المقرر اختصاصها بنصب غدوة بعدها أيضاً، أشار إلى ذلك سيبويه بقوله: كما أنَّ لَدُنْ لها في غدوةً حالٌ ليست في غيرها تَنْصَبُ بها)(٢٥١) وقد أكَّدَ على هذا الخروج في أكثرَ من موضعٍ في كتابه، فكان كثيراً ما ينهي نصَّه بالحديث عما شذ عن أصولهم من ذلك قولُه بعد أن تحدَّثَ عن نصب لَدُنْ لغدوة (فقد يشذُّ الشيءُ من كلامهم عن نظائره ويستخفُّون الشيءَ في موضع ولا يستخفُّونه في غيره)(٢٥٢) ومثلُه قولُه أيضاً (ومن كلامهم أنْ يجريَ الشيءُ على ما لا يُستعمَل في كلامهم)(٢٥٣) وقد علَّل سيبويهِ نَصْبَ «غدوةً» بعد لَدُنْ لكون نونها تشبُه التنوينَ، في كونها تُحْذَفُ في بعض لغاتها كما أنَّ التنوينَ كذلك، قال: (كأنه ألحقَ التنوينَ في لغةِ مَنْ قال لَدُ، وذلك قولك من لَدُنْ غدوةً، وقال بعضهم لَدَنْ غُدوةً كأنَّه أسكَن الدَّال ثم فتحها كما قال اضربَنْ زيداً ففتح الباء لَمَّا جاء بالنون الخفيفة)(٢٥٤) وأوضح ابن جني هذه المشابهةَ بقوله: إنَّ (الفتحةَ في لَدَنْ إنما جاءت من قِبَل أنهم أسكنوا الدَّالَ في لَدُنْ استثقالاً للضمة فيها كما يسكن نحو عَضُدٍ وسَبُعٍ فيُقالُ عَضْدٌ وسَبْعٌ، فلما سُكِّنت الدالُ وكانت النونُ بعدها ساكنةً التقى ساكنان، ففتحت الدالُ لالتقائهما، وشُبِّهت من طريقِ اللفظ بنحو قولك في الأمر والنهي اضربَنْ زيداً ولا تضربَنْ عمرا)(٢٥٥).

٢٤٩ـ شرح الشواهد للعيني، ١/٢٤٣ وحاشية الشيخ ياسين على شرح التصريح، ١/١٩٤.
٢٥٠ـ انظر الكتاب، سيبويه، ١/٢١٠.
٢٥١ـ المرجع السابق، ١/٢١٠
٢٥٢ـ المرجع السابق، ١/٢١٠.
٢٥٣ـ انظر الكتاب ٢/٢٨١ وانظر الكتاب، ١/٥١ ـ ٥٨ ـ ٣/١١٩.
٢٥٤ـ انظر الكتاب، ١/٢١٠.
٢٥٥ـ انظر سر صناعة الاعراب، لابن جني، ٢/٥٤٥ ـ ٥٤٦.

وواضح من هذه النصوص جميعاً أنَّ العامل في نصب «غدوةً» هو لَدُنْ نفسُها، وأنَّها نصبته تشبيهاً بالمفعول أو التمييز لأنَّ نونها تشبهُ تنوينَ اسمِ الفاعل كما أنَّ اختلافَ حركةِ دالها يشبهُ حركاتِ الإعراب وذهب ابن مالك - فيما حكاه عنه الأزهري - إلى أنَّ العاملَ في نصب «غدوةً» هو كانَ محذوفةً وليس لَدُنْ وأنَّ التقديرَ لَدُنْ كانَ الوقتُ غدوةً) قال الأزهري (أو تنصبها أنت على إضمار كانَ واسؤمها وبقاءِ خبرها، والأصل لَدُنْ كان الوقت غدوةً، والذي دلَّ على الوقت كلمة لَدُنْ، قاله ابن مالك، وقال هذا حَسَنٌ لأنَّ فيه إبقاءَ لَدُنْ على ما ثَبتَ لها من الإضافة ويؤيده من لدُ شولاً، فالنصبُ على هذا ليس بلَدُنْ وإنما هو بكان المحذوفة)(٢٥٦).

وواضح أنَّ ابنَ مالك قد أراد من تقديره أنْ يتحد العاملان في نصب شولاً وغدوةً بعد لَدُنْ، وذلك يؤدي إلى كون لَدُنْ مضافةً إلى ما بعدَها، وهو ما ثَبتَ لها أصلاً، بخلاف ما ذهب إليه سيبويه، وابن جني، في تعليلهما لأنَّهما علَّلا - أصلاً - لهذا الخروج ونَأيَا بلَدُنْ عن أصلها المقرَّر لها.

ومهما يكن من أمر، فقد نَقل النحويون عن الكوفيين أيضاً رفع «غدوةٌ» بعد لَدُنْ(٢٥٧)، واختلفوا في التقديرِ على ثلاثة أقوال:

أ - ذكره ابن جني بقوله: (وكما جاز أنْ تشبَّه النونُ بالتنوين فتنصبُ «غدوةً» تشبيهاً بالمفعول كذلك شبَّه بعضُهم «غدوةٌ» بالفاعل فرفعَها فقال: لدُنْ غدوةٌ كما تقول أقائمٌ زيدٌ)(٢٥٨) ولَدُنْ حينئذٍ غيرُ مضافةٍ أصلا»(٢٥٩).

ب - ذكره ابن مالك وذهب إلى أنَّ التقدير (لَدُنْ كانت غدوةٌ)(٢٦٠) وكان على هذا الوجه تامةً وغدوةٌ فاعلُها، ولَدُنْ مضافةٌ إلى الجملة)(٢٦١).

٢٥٦- انظر شرح التصريح، للأزهري، ٢/٤٧.

٢٥٧- انظر شرح التسهيل، لابن مالك، ١/١٠٥، والتذييل والتكميل لابي حيان، ١/٤٢٣، واوضح المسالك لابن هشام، ٣/١٤٧، وشرح الأشموني، ٢/٢٦٣ وهمع الهوامع، ١/٢١٥.

٢٥٨- انظر سر الصناعة، ٢/٥٤٣ وشرح المفصل لابن يعيش، ٥/١٠٢ والتذييل والتكميل لابي حيان ٣/٤٢٣.

٢٥٩- انظر حاشية الصبان، ٢/٢٦٤.

٢٦٠- انظر شرح التسهيل، لابن مالك، السفر ٢/١٠٥/أ

٢٦١- انظر حاشية الصبان، ٢/٢٦٤ بتصرف.

جـ ـ ذكره الأشموني ـ من غير نسبة ـ حيث قال: (وقيل خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ والتقديرُ لَدُنْ وقتٍ هو غدوةٌ)(٢٦٢) ولَدُنْ على هذا الوجه مضافٌ إلى مفرد منوي)(٢٦٣).

وكما أنَّ نصبَ (غدوةً) ورفعَها خروجٌ لها عن الأصل المقرَّرِ لها، فإن تنوينها خروجٌ أيضاً عن أصلِهَا المقرَّر لها وهو المنعُ من الصرف، وذلك للتعريف والعدل عن الغدوة أو للتعريف والتأنيث فكان من حقها ألاَّ تنونَ، وقد أرجَع ابنُ جني علَّةَ صرفها لأمرين:

أحدهما: كثرةُ الاستعمال لأنهم لَمَّا كَثُرَ استعمالُهم إياه أَشَدُّ تغييراً، والآخر؛ أنهم لو لم يصرفوها لقالُوا لَدُنْ غدوةَ فتنفتح الهاءُ، فلا يعلم أمنصوبةٌ هي أم مجرورةٌ، ألا ترى أنَّ ما لا ينصرف نصبُه وجرُّه بلفظٍ واحد، نحو رأيت عُمَرَ ومررت بعمرَ، فلما اعتزموا نصبَ «غدوةً» بعد لَدُنْ، وإخراجَها لكثرة الاستعمال عن حالِ نظائرها صَرَفُوها، ليكونَ ظهورُ التنوين مع الفتحة يحقق ما نووه واعتقدوه من النصب، ويزيد الشبهةَ عن السامع فلا يظنُّ أنها مجرورةٌ غيرَ منصوبةٍ)(٢٦٤) وأضاف بأنهم (حَمَلُوا المرفوعةَ والمجرورةَ لقلَّةِ الرفعِ فيها والجرِّ على النصبِ الذي قد شَاعَ وكَثُرَ) وأخيراً فإن مما تَجْدُرَ الإشارةُ إليه هو أنَّ اختصاصَ لَدُنْ بنصب «غدوةً» لا ينسحب على أية لفظة غيرها، تفيد معناها حيث لم يجز النحويون لدن بكرةً أو عشيةً، قال ابن يعيش (فلا تقول قياساً على لَدُنْ غدوةً لَدُنْ بُكْرةً لأنَّه لم يكثُرْ في كلامهم كثرةَ لَدُنْ غدوة)(٢٦٥) أما إذا عُطِف على، غدوةٍ، المنصوبةِ كقولنا لدن غدوةً وعشيةً وبكرةً فقد أجاز ابن مالك جواز الجر مراعاةً للأصل، ونَقَل جوازَ النصب عن الأخفش مراعاةً للفظ، واستبعده،قال مشيراً إلى ذلك (فإن عُطِفَ على غدوةٍ بَعْدَ أنْ نُصِبتْ فحكمُ المعطوف الجرُّ لأنَّ غدوةً وإنْ لم تُجَرَّ لفظاً فهي في موضع جر، وجوَّز سعيد بن مسعدة الأخفشُ نصبَ المعطوفِ وهذا بعيدٌ عن القياس)(٢٦٦) وتتبع أبو حيان

٢٦٢ـ انظر شرح الاشموني، ٢/٢٦٤.

٢٦٣ـ انظر حاشية الصبان، ٢/٢٦٣.

٢٦٤ـ انظر سر الصناعة، ١/٥٤٣ وشرح المفصل لابن يعيش، ٤/١٠٢ وشرح الكافية للرضي، ٢/١٢٤.

٢٦٥ـ انظر شرح المفصل، لابن يعيش، ٤/١٠٢.

٢٦٦ـ انظر شرح الكافية الشافية لابن مالك، ٢/٩٥٣

ابن مالك في مذهبه وأوجبَ النصبَ ومنعَ الجرَّ حيث قال بعد أن أو ردَ رأي ابن مالك: (والذي أختاره أنه لا يجوز في المعطوف إلَّا النصب، ولا يجوز الجرُّ لأنَّ غدوة عند من نصبه ليس في موضع جر فليس من باب العطف على الموضع وهو نصبٌ صحيح، فإذا عطف عليه ولا سيما على مذهب من جعل غدوة منصوباً بكان مضمرة فلا يُتخيَّلُ فيه إذ ذاك جَرٌّ البتة)(٢٦٧) ويضيف أبو حيان مجيباً عمَّا يمكن أنْ يُسْأل عنه فيقول: (فإن قلتَ يلزم من ذلك أنْ تكونَ لَدُنْ قد انتصبَ بعدها ظرف غير غدوة ولم يُحفَظْ نَصْبُ بعدها إلا في غدوة فالجواب أنَّه يجوزُ في الثواني ما لا يجوز في الأوائل - ألا ترى أنك تقول: رُبَّ رجلٍ وأخيهِ يقولان ذلك... ولا تقول ربَّ أخيه فكذلك هذه المسألة لو باشرت المعطوف لَدُنْ لم يكن فيه إلَّا الجر فلما كان معطوفاً جاز فيه النصب لأنه معطوف على معرب صحيحِ الإعراب ولا موضع له أعني غدوة)(٢٦٨) وبذا نتبين ان النحويين بوجه عام قد أجازوا في المعطوف الجر والنصب(٢٦٩).

وبالانتهاء من هذا الحكم نكون قد انتهينا من هذا البحث الذي حاولنا فيه أنْ نكشف حقيقةَ الظرفين لَدُنْ ولَدَى.

والحمد لله أولاً وآخراً

٢٦٧- انظر التذييل والتكميل، لابي حيان، ٤٢٢/٣.
٢٦٨- المرجع السابق، ٤٢٣/٢ بتصرف
٢٦٩- انظر شرح الكافية الشافية، لابن مالك، ٩٥٣/٢ - وشرح ابن عقيل، ٦٩/٣ وهمع الهوامع للسيوطي ٢١٥/١ وحاشية الخضري، ١١٤/٢.

المصادر والمراجع

١ ـ الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين السيوطي، تح، د، طه عبدالرؤوف سعد، نشر مكتبة الكليات الازهرية ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٢ ـ الأصوات اللغوية، للدكتور ابراهيم أنيس، نشر مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الخامسة ١٩٧٥م.

٣ ـ الأفعال (كتاب) للسرقسطي (سعيد بن محمد) تح. د. حسين محمد محمد شرف، ومحمد مهدي علام مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٤ ـ الأمالي الشجرية، لابي السعادات ابن الشجري، دار المعرفة، بيروت.

٥ ـ أوضح المسالك الى الفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري، تحقيق محيي الدين عبد الحميد دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

٦ ـ الأصول في النحو، لأبي بكر بن السراج تح. د. الفتلي، الطبعة الاولى مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٧ ـ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، للشيخ أحمد الدمياطي، تصحيح، علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت لبنان (مصورة عن مطبعة عبد الحميد حنفي بمصر).

٨ ـ الانصاف في مسائل الخلاف، لابن الأنباري، تح، محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية بمصر.

٩ ـ الإيضاح في شرح المفصل، لابن الحاجب، تح. د. موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، نشر وزارة الاوقاف العراقية ١٩٨٢٠م.

١٠ـ الايضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي تح. د. مازن المبارك دار العروبة، مصر ١٩٧٨هـ ١٩٥٩م.

١١ـ البحر المحيط، لأبي حيان، نشر مطابع النصر الحديثة، الرياض.

١٢ـ البسيط في شرح جمل الزجاجي، لابن أبي الربيع، تح. د. عياد الثبيتي، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م.

١٣ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي، تح محمد علي النجار وعبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٦٩م.
١٤ـ البغداديات لأبي علي الفارسي، تح. صلاح الدين عبد الله السنكاوي ـ مطبعة العاني، بغداد، نشر وزارة الاوقاف العراقية.
١٥ـ البيان في غريب اعراب القرآن، لابن الانباري تح. د. طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
١٦ـ تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦ هـ.
١٧ـ تاج اللغة وصحاح العربية، لاسماعيل بن حماد الجوهري، تح، احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ٣١٩٩هـ.
١٨ـ التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، تح علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٦م ـ ١٣٩٦هـ.
١٩ـ تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب، في علم مجازات العرب للأعلم الشنتمري (حاشية الكتاب، طبعة بولاق ١٣١٦هـ).
٢٠ـ تخليص الشواهد وتلخيص الفرائد، لابن هشام الانصاري، تح. د. عباس مصطفى الصالحي الطبعة الاولى، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.
٢١ـ تسهيل الفوائد، وتكميل المقاصد، لابن مالك، تح . د. محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، وزارة الثقافة مصر ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.
٢٢ـ التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر، د. رمضان عبد التواب نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٢٣ـ تهذيب اللغة، لابي منصور الأزهري، تح. يعقوب عبد النبي، مراجعة محمد علي النجار الدار المصرية للتأليف والنشر.
٢٤ـ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تصحيح احمد عبد العليم البروذي، الطبعة الثانية.
٢٥ـ جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي، الطبعة الاولى، حيدر آباد، ١٣٤٥هـ.

٢٦- حاشية ابن جماعة على شرح الجاربردي على الشافية (ضمن مجموعة شروح الشافية المجلد الاول) عالم الكتب بيروت (مصورة عن طبعة ١٣١٠هـ)
٢٧- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على الالفية (نسخة مصورة بدون تاريخ)
٢٨- حاشية الشيخ ياسين على شرح التصريح (مع شرح التصريح للازهري ضمن مجلد واحد) دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٩- حاشية الصبان على شرح الاشموني، ومعه شرح الشواهد (المقاصد النحوية) للعيني ضمن مجلد واحد، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه.
٣٠- حروف المعاني، للزجاجي، تح. د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ودار الامل، الطبعة الاولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م
٣١- الخصائص، لابن جني، تح، الأستاذ محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
٣٢- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م
٣٣- دراسات في فقه اللغة العربية، د. السيد يعقوب بكر، مكتبة لبنان، ١٩٦٩
٣٤- ديوان الأعشى، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز - مصر.
٣٥- روح المعاني، للالوسي، دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٣٦- سر صناعة الاعراب، لابن جني، تح. د. حسن هنداوي، الطبعة الاولى، دار القلم بدمشق، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م
٣٧- شرح الأشموني، انظر رقم (٢٩).
٣٨- شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم، تح. د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجبل - بيروت.

٣٩- شرح التصريح على التوضيح، للأزهري، (انظر حاشية الشيخ ياسين).
٤٠- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون الطبعة الثانية، ١٩٦٨م.
٤١- شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاستر اباذي، ومعه شرح الشواهد للبغدادي منشورين معا، تح، محمد نور الحسن وزميليه، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٤٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة دار التراث القاهرة الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
٤٣- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تح. د. عبد المنعم هريدي دار المأمون للتراث، منشورات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.
٤٤- شرح الكافية في النحو لرضي الدين الاستر اباذي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٤٥- شرح كتاب سيبويه للسيرافي (بهامش الكتاب، طبعة بولاق ١٣١٦هـ).
٤٦- شحر المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
٤٧- شفاء العليل، في ايضاح التسهيل، للسلسيلي، تح. د. عبدالله الحسيني المكتبة الفيصلية مكة المكرمة الطبعة الاولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٤٨- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، للدكتور طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر الاسكندرية.
٤٩- العين (كتاب) للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح، د. مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة العراقية.
٥٠- الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، تح. علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، البابي الحلبي ١٩٧٢م
٥١- فقه اللغات السامية، لكارل بروكلمان، ترجمة د. رمضان عبد التواب مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧م - ١٣٩٧هـ.
٥٢- فقه اللغة في الكتب العربية، للدكتور عبده الراجحي، دار النهضة

العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٤م
٥٣ـ فقه اللغة المقارن، تح . د. ابراهيم السامرائي، دار العلم للملايين الطبعة الثالثة ـ بيروت ١٩٨٣م .
٥٤ـ الفوائد الضيائية، للاجامي، تح . اسامة طه الرفاعي وزارة الاوقاف العراقية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
٥٥ـ القاموس المحيط، للفيروز ابادي، الطبعة الثانية مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م .
٥٦ـ القطع والائتناف (كتاب) لابي جعفر النحاس، تح، د. احمد خطاب العمر، مطبعة المعاني، بغداد وزارة الاوقاف العراقية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
٥٧ـ الكافية لابن الحاجب (ضمن مجموع مهمات المتون) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م .
٥٨ـ الكتاب، لسيبويه، تح عبد السلام هارون الهيئة المصرية العامة للكتاب، جـ ١/١٩٧٧م ـ جـ ٢/١٩٧٩ ـ جـ ٣/١٩٧٣ ـ جـ ٤/١٩٧٥
٥٩ـ الكتاب لسيبويه، الطبعة الاولى، بولاق، ١٣١٦هـ .
٦٠ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي، تح . د. محيي الدين رمضان مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م
٦١ـ لسان العرب لابن منظور، تح . عبد الله علي الكبير وزملائه، دار المعارف بمصر .
٦٢ـ مجمل اللغة، لابن فارس، تح . الشيخ هادي حسن حمودي منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت الطبعة الاولى ١٩٨٥م .
٦٣ـ المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تح . د. محمد كامل بركات، منشورات مركز البحث العلمي بمكة المكرمة، دار الفكر بدمشق ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م
٦٤ـ معاني القرآن واعرابه، للزجاج، تح . د. عبد الجليل شلبي، منشورات المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت .
٦٥ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تح . د. مازن

المبارك وزميلية، الطبعة الخامسة دار الفكر بيروت ١٩٧٩م.
٦٦ـ المفصل في علم العربية، للزمخشري، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت لبنان.
٦٧ـ مقاييس اللغة، لابن فارس تح. عبد السلام هارون (الأجزاء الستة) الطبعة الثانية مطبعة البابي الحلبي من ١٩٦٩ الى ١٩٧٣م
٦٨ـ المقتضب، للمبرد، تح. الشيخ عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت.
٦٩ـ مناهج الكافية للشيخ زكريا الانصاري، (ضمن مجموعة من شروح الشافية المجلد الثاني) عالم الكتب بيروت
٧٠ـ نتائج الفكر في النحو، لابي القاسم السهيلي، تح. د. محمد ابراهيم البنا دار الرياض للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٧١ـ النحو الوافي، لعباس حسن، الجزء الثاني، دار المعارف، الطبعة السادسة ١٩٨٠م
٧٢ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري، تصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.
٧٣ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تح. د. محمد محمود الطناحي وطاهر احمد الزاوي دار احياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.
٧٤ـ النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري تح. د. محمد عبد القادر أحمد، الطبعة الاولى، دار الشروق ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٧٥ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

المخطوطات والدوريات

١ ـ شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك الطائي، السفر الاول تح. عدنان خلف قليل ابوجري، السفر الثاني، تح. علاء الدين حموية.
رسالتا دكتوراه ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة ام القرى ١٤٠٧هـ ـ

١٩٨٧م.

٢ ـ كتاب التذييل والتكميل لابي حيان، الجزء الثالث، تح. د. حماد البحري، رسالة دكتوراه ـ كلية اللغة العربية جامعة الازهر ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٣ ـ الكناش في النحو والصرف، لابي الفداء رسالة دكتوراه بتحقيقنا ـ جامعة الاسكندرية ١٩٨٤.

٤ ـ مجلة كلية الاداب، جامعة القاهرة، المجلد العاشر، ١٩٤٨م.

المراجع الاجنبية

١ - المراجع باللغة الانجليزية

1 - Hebrw and English Lexicon of the old Testament by francic Brown, D.D.,D. Litt. and Oxhers, Oxford, at the clarendon Press 1939.

٥ - مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، العدد ١٨ ـ ١٩ /١٩٨٢م: شريم، د. جوزيف «التعيين والتضمين في علم الذلالة» ص ٧٢ ـ ٨١

٦ ـ مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، العدد ٣٠ ـ ٣١، /١٩٨٤م: دمشقيةد. عفيف «اللغة وباب الاجتهاد» ص ٢٩ ـ ٤٣

٧ - مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، العدد السابق: دورليان، جورج «بحثا عن وجهي سوسور»، ص ١٢٣ ـ ١٢٨

٨ - مجلة الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية، العدد ٣٣ ـ ٣٤/١٩٨٧م: زهر الدين، د. صالح «اللغة العربية بين الأصالة والتشويه» ص ١١٨ ـ ١٣٠

٩ - حوليات جامعة الكويت ـ الحولية السادسة، ١٩٨٥م، الرسالة الحادية والثلاثون: إسلام، د. عزمي، «مفهوم المعنى»، دراسة تحليلية.

٢ - المراجع باللغة الفرنسية

10- Dubois (J) Giacomo (M) Guespin (L) Marcellesi (J.B.), Mevel (J.P.)

11- Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris 1973.

12- Guiraud (P)
La Sémantique, Que sais - Je? Presses universitaires de France 8e édition Paris 1975.

في الدَّلاَلة والتطوّر الدّلالي

د. أحمد محمد قدّور
جامعة حلب

١ـ أسس اللسانيات وتطبيقها:

يقف الدارسون المحدثون، في سياق الحديث عن تاريخ اللسانيات، عند المراحل المتعاقبة التي مرّ بها هذا العلم حتى وصل الى ما وصل اليه على يد اللغويّ الشهير فرديناند دوسوسير (F.De Saussure) ت١٩١٣م. ولعلّ أهمّ هذه المراحل تلك التي حدّدها سوسير نفسه، في مطلع محاضراته (Cours de Linguis- tique Generale). فقد ذهب سوسير الى أنّ موضوع اللسانيات بدأ بالقواعد (Grammaire) أو علم النحو. وهو علم قديم قام على أسس المنطق الذي حدّد له مقاييس الخطأ والصواب. وقد ظلّ متداولاً لدى الشعوب القديمة حتى أخذه الفرنسيون في العصر الحديث وأنشأوا حوله دراسات واسعة. ثمّ كان مولد فقه اللغة (Philologie) في مدرسة الاسكندرية ومواضع أخرى، لكنّه ارتبط حديثا بالحركة العلمية التي أسّسها فريدريك ولف (Wolf) منذ عام ١٧٧٧م. وليست اللغة هي الموضوع الوحيد لفقه اللغة، بل هناك مجالات أخرى، امتدّ إليها كالنصوص المكتوبة وما يتّصل بالمدوّنات، والعادات، والتاريخ الأدبي وغيرها. وفي مرحلة تالية اكتشفت اللغة السنسكريتية عام ١٨١٦م. فكان من ذلك تشكيل نواة للدراسات المقارنة ضمن مجموعة اللغات الهندية ـ الأوروبية. [١]

(١) انظر: ده سوسُر، فردينان، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، ص ١١ـ١٣.

أمـا النجاح الذي حققته اللسانيات في القرن العشرين فقد أسهم فيه لغويون كثر. لكنّ النصيب البارز منه يرجع إلى سوسير في محاضراته التي نثرها على طلابه في جامعة جنيف دون أن يجمعها في كتاب. ويؤكد جورج مونان (Mounin) أنـه بالامكـان التعـرّف إلى مذهـب سوسير من خلال الأمليات التي أعدّت للنشر، وأن بعض الأخطاء لا تقلّل من أهمية الأفكار التي نعدّها قد نقلت بأمانة منذ عام ١٩١٦. (٢) وعلى الرغم من أنّ هذه المحاضرات لم تلقَ القبول السريع فإنّها أثارت ردود فعل متعددة لدى طوائف مختلفة من الباحثين. ويحـدّد مونـان عام ١٩٦٣ بداية لاكتشاف القيمة الحقيقية لإضافات سوسير المنهجية. (٣)

ولعلّ أهمّ ما يلاحظ في سياق التأريخ للسانيات أنّ تركيز الدارسين كان على الجـانب الحديث. وأنّ إسهام سوسير فيه هو الأظهر والأقوى. ولذلك يرى الدارسون أنّ مناقشة للّسانيات أو لأعلامها المحدثين لا بدّ من أن تتطرّق إلى أفكار سوسير التي كاد هذا العلم أن يقوم عليها أساسا.

أظهرت الدراسات المنهجية في اللسانيات أنّ هذا العلم يشمل في صورته الحديثة قطاعات الدرس اللغويّ الأساسية. وهي الأصوات اللغوية (Phonologie) والصرف (Morphologie) والـتركيب (Syntaxe) والـدلالة (Semantique) يضاف إلى ذلك علم اللغة العام أو اللسانيات العامة (Linguistique Generale). وميدان هذا التخصص تلك المسائل التي تتصل باللغة الإنسانية وما يتعلق بها دون أن يُقصد بها لسان معيّن. (٤)

ويجد الدارس في المناهج اللسانية الحديثة تنوّعا يسمح له بالنظر إلى المسألة المدروسة من زوايا متعدّدة. فالمنهج الوصفي يدرس الظواهر اللغوية مفترضا أنها في حالة ثبات، وهي محدّدة بحدود الزمان والمكان والمستوى اللغوي. والمنهج التـاريخي يتناول الظواهر ضمن تدرّجها عبر الزمن ساعيا إلى كشف تطوّرها وجـوانب التغـيّرات الطارئة أيا كانت. أما المنهج المقارن فهو مختصّ بمقارنة

(٢) انظر: مونان، جورج، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، ص ٦٥.
(٣) انظر: المصدر السابق، ص ٥٥.
(٤) انظر: حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية، ص ٣١ ـ ٤٦.

الظواهر اللغوية بين لغة وأخرى في إطار ما عرف بالأسر اللغوية، على حين أنّ المنهج التقابلي (Contrastive) يقابل بين لغتين أو أكثر أو بين لغة ولهجة، أو بين مستوى وآخر دون أن يتقيد بشروط المقارنة، بل يكون سعيه إلى كشف كلّ القيم الخلافية وجوانب توظيفها.(٥)

فاللسانيات من حيث الاختصاص تشمل كلّ جوانب اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وهذا ما يثير بدءاً مسألة من مسائل الاختلاف حين يعرض الدارسون المحدثون عندنا لجوانب الإفادة من اللسانيات وتطبيقها.

ومن الجدير بالذكر أنّ في دراساتنا اللغوية القديمة ما يماثل هذه الجوانب مع ملاحظة افتقارها إلى النظر الكلي، ممّا هيّأ لها فرص التشعب والبعد عن مركز استقطاب يضمّها في نسق واحد. لكنّ هذا لا يعني أنّ دراساتنا اللغوية القديمة غدت إرثا ينبغي تجاوزه لأنه لا يتفق واللسانيات من هذه الزاوية أو غيرها. بل يعني عندنا أنّ هذه الدراسات من حيث الاختصاص تفي بمتطلبات الدرس الحديث لأن فيها من النضج والسعة ما يؤهلها للاستمرار.

فالحاجة الى اللسانيات من حيث التخصّص المعرفي والتعليمي تتجلّى في اللسانيات العامة وتاريخها، ممّا لا يحسن بنا أن نتجاهله في درسنا ومناهجنا إن أردنا أن نكون على بيّنة ممّا يجري حولنا في هذا العالم الذي يشهد ثورة الاتصال في مختلف المناحي.

أما إنشاء اختصاص اللسانيّات العربية. فينبغي أن يكون على هدى وتثبّت كي لا يكون نسخة مكرّرة من اللسانيات الأجنبية. فهذه اللسانيات العربية أو ما دعاه بعضهم بعلم اللغة العربية ونحو ذلك هي أقرب ما تكون في رأينا، إن قصدنا الإفادة من اللسانيات الأجنبية ومن تراثنا معا، إلى بحوث أصول النحو وبعض بحوث فقه اللغة. ومن الممكن أن تضمّ اللسانيات العربية المسائل الصوتيه كما قدّمها أجدادنا مع مقارنة أولية بالنتائج الحديثة لعلم الأصوات. كما تضمّ المسائل الصرفية المتصلة ببناء الكلمة ووزنها واشتقاقها وما يتعلق بالثروة اللفظية من سبل التوليد من حيث الأصول وتعليلها لا من حيث

(٥) انظر: المصدر السابق، ص ٣٥ ـ ٤١.

القـواعـد وتعليمها. وتضمّ اللسانيات العربية أيضا المسائل النحوية المتصلة ببعض الأصول مما لا يتعلق بتاريخ النحو، بل بما يدعى أحيانا بفلسفة النحو، كما تجدر العناية بمعطيات علم المعاني، وهو فرع من فروع البلاغة العربية. وصلته بالنحو تقوم على أساس المقارنة بين الإعراب والمعنى النحوي على نحو مماثل للبنى السطحية والبنى العميقة. كذلك يمكن لهذا العلم اللساني المقترح أن يضمّ مسائل الدلالة والمعجم وما يتصل بعلم البيان الذي حجّرته البلاغة القديمة. ومن الممكن ههنا أن تدرس سبل التطور الدلالي عامة، كما يمكن أن يحلّل المجاز من الوجهة الدلالية. ومن الواضح أنّ كلّ ما ذكر لا يمتّ إلى أي قاعدة ينبغي أن تُعلّم أو مثال يجب أن يؤثر. إنّما البحث ههنا يكون وصفيا بعيدا عن التعليمية أو إصدار الأحكام المعيارية.(٦)

فإن استقام لنا هذا المنهج وحقّقناه على ما رسمنا، كانت اللسانيات العربية الحديثة تخصّصا علميا يمكن توظيفه في المناهج الجامعية دون أن يكون بديلا لأي جانب من جوانب الدرس اللغوي. فلا مناص من إبقاء القواعد الصرفية والنحـوية عاملا على تقويم اللسان وإبقاء مباحث فقه اللغة العربية في حيّز مستقل. إضافة إلى جوانب تكميلية تضمّ تاريخ الدرس النحوي واللغوي وما يتصل باللغة من مباحث البلاغة.

وتجـدر الإشـارة في هذا السياق إلى محاولـة جادّة قام بها أحـد أعـلامنا المعاصرين وهو الدكتور تمّام حسّان في كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها» وهو أجـدر مصنّف بحمل اسم اللسانيات العربية.(٧) لكن ما يلاحظ حقيقة أنّ الدكتور حسّان كان مندفعا إلى نقد البحوث القديمة وتقويمها من جهة، كما كان مغرقا في قياس لغتنا على المعطيات اللسانية الحديثة من جهة أخرى. ولقد كان من نتيجة ذلك أنّ الكتاب حمل صورة من صور الانتقاص للدرس العربي وان لم يكن ذلك مقصودا من المؤلف. وعلى الرغم من هذا فإن كتاب الدكتور

---

(٦) انظر: قدّور، أحمد محمد، «من أثر اللسانيات في الدرس اللغوي العربي ومناهجه»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد /٢٧ / المجلد /٧ / صيف ١٩٨٧، ص ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٧) للدكتور تمام حسان جهود كثيرة في سبيل تحديث مناهج الدرس العربي، نذكر اهمها وهي «مناهج البحث في اللغة» و «اللغة بين المعيارية والوصفية» و «اللغة العربية معناها ومبناها» و «الاصول».

حسّان يمثّل أشمل محاولة وأقواها في هذا المجال.

أمـا اللسـانيات من حيث الأسس المنهجية فهي تقـوم على مجموعة من المفاهيم المعرفية التي تتجلّ في المسائل التالية: [٨]

١ ـ بين المعيار والاستعمال.

٢ ـ مراتب الظاهرة اللغوية: اللغة، اللسان، الكلام.

٣ ـ الفصحى واللهجات.

٤ ـ الوصفية والمناهج اللسانية.

ومن الجـدير بالذكر ههنا أنّ كثيرا مما تتصل بالأسس المعرفية للّسانيات ومنـاهجهـا كان مثـار اختلاف الدارسين عندنا. لكنّ أخطر ما في الأمر هو التسليم بما جاء في المعطيات اللسانية على أساس من الاحتذاء والتقليد لا على أساس من الفهم والإفادة ضمن ما تسمح به معطياتنا التي لا بدّ من أن تتباين عمّا سواها في صورة من الصور.

وبناء على ما سبق من موقفنا فإن تحليلنا للأسس المنهجية يبقى ضمن مجال المعطيات الخاصة بنا دون أن ننساق وراء تعليلات متعسّفة لتسويغ هذا الامر أو غيره. فالهدف هو تحليل موضوعي من وجهة نظر لها خصوصية وامتياز.

ففي مسـألـة المعيار والاستعـمال يقف اللسـانيون المحـدثون إلى جانب الاستعمال إذ يعدّونه أصلا. [٩] على حين يرون المعيار فرعا قابلا للتبدّل والتغيّر تبعـا للاستعمال. ويقابل هذا الموقف موقف النحاة وفقهاء اللغة من القدماء والمحدثين وهو الذين يعتدّون بالمعيار أساساً لقياس الاستعمال والتحكم فيه. ويقدّم صديقنا الدكتور عبدالسلام المسدّي خلاصة لهذه المسألة حين يرى أنّ علماء اللغة القدماء ومن تبعهم نظروا إلى القوانين التي تحدّد مسيرة اللغة على أساس أنّ القواعد اللغوية قواعد مستقرة تجنح إلى البقاء. وانطلاقا من هذا الاعتبار اتسمت الدراسات القديمة بالنظرة الصفوية أي بمبدأ المحافظة على صفاء اللغة عن طريق تحكّم المعيار في الاستعمال. فهم إذن يحاولون إرجاع

(٨) استنـدت صياغتنـا لهذه الأسس إلى كتاب الدكتور عبدالسلام المسدي «اللسانيات وأسسها المعـرفية» الصـادر عن الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، عام ١٩٨٦، وهو واحد من كتب الدكتور المسديّ القيمة.

(٩) انظر: المصدر السابق، ص ٢٥ ـ ٢٦.

المنحرف في الاستعمال إلى الاستقامة الملحوظة في القاعدة المعيارية، ثم هم يجرون أحكامهم في سلم القيم الذي تستند إليه. فعملهم إذن تقويمي وتقييمي.

وفي الحق أنّ هذا واضح من الآثار اللغوية التي وصلتنا والتي ما تزال تؤثر فينا. لكنّ توجيه هذ الموقف لا يخلو من انحياز إلى الصف الآخر. فالمعيار الذي استند اليه هؤلاء استمدّ أصلا من مجموعة كبرى من الاستعمالات المطّرده ممّا يشكل ظواهر مشتركه تُراعى عفوا لا قصدا واتفاقا لا فرضا. ثم يكون التنظيم والتقعيد. فإذا جنح مستعمل اللغة إلى التخفّف من القواعد، أو جهل بعضا منها خرج كلامه من القياسيّ المطّرد إلى غيره. لكنّ المعيار الذي قد يتشدّد بعضهم في ردّه إليه لا يخرج عن كونه استعمالا له مواصفات عامة تحظى برضى أهل اللغة.

وهناك أمور أخرى ينبغي أن تؤخذ في تحليل المعيار أيضا منها أنّ المعيار سابق لقواعد النحاة لأنه أمر معروف ولكنّه لا يُصرّح به أو لا يظهر لدى النظرة العجلى، ومع ذلك فهو يراعى عفوا وسليقة بعد أن يتلقى الانسان اللغة من أهلها كما يتكلّمونها. فالمعيار إذن اتفاق اجتماعي على خصائص مشتركه ضمنا لا صراحة. ومن ذلك أنّ المعيار يرتبط بالقيم الثقافية حين تروى الأعمال الأدبية كما قيلت فيطرد جيلا بعد جيل. فإذا مالوحظ منه شيء يتّصل بطريقة من طرق الحديث وسياقه سارع الناس إلى ضمّه إلى منظومة العادات المتوارثة والقيم المتأصلة فيقوى في النفوس مكانة ويشتد في الاستعمال محافظة.

ومن ذلك أيضا أنّ معايير النحاة التي استمدّت من الاستعمال المطّرد عموما قويت سلطتها حين داخلها المنطق الذي اشتجر تأثيره في معظم العلوم القديمة. والمنطق كما هو معروف يضع المعايير الدقيقة للخطأ والصواب. ويتصل هذا أيضا بالأخلاق وتقويمها ونحو ذلك. فالمعيار اللغوي إذن ليس من ابتكار النحاة وفقهاء اللغة، بل هو واحد من المعايير الاجتماعية والثقافية والمنطقية السائدة. ففي ضوء هذه الأمور يتضح أنّ المعيار ليس شرّا كلّه. ويكفي أن نذكّر بأنّ أهمّ الآثار الأدبية قد وصلت بعد أن حافظ المعيار على خصائصها اللغوية عامة. فلا ينبغي إذن أن تؤخذ الأمور على أنّ ما جاء به

اللسانيون من تفضيل الاستعمال أمر واجب القبول بإطلاق. فهل يتصور المرء مدى ما قد يحدث للّغة إذا أُخذ كلّ استعمال بعين الاعتبار وأُلغي المعيار موجِّها ومحافظا. لا شك إذن في أنّ صور اللغة الواحدة سوف تغدو متعدّدة زمانا ومكانا حتى نصل، إذا بقي قانون سيادة الاستعمال المطلق نافذا إلى لغيّات محدودة في المكان وقصيرة في الأجل.

وإنّ ما نراه ههنا هو أنّ التوازن بين المعيار والاستعمال هو الذي يحفظ اللغة إذ يمنع جمودها وتحجّرها حين لا يقيّدها بالمعيار نصّا، ويدفع عنها خطر التفرّع والبلبلة إذ يحرس الاستعمال بحدّ من المعيار الذي لا غنى عنه. ومن هذا التوازن تكون الحياة للّغة في المكان والزمان.

وفي مسألة تقسيم الظاهرة اللغوية نجد أنّ مصطلحات سوسير حول اللغة واللسان والكلام[10] قد التبست في أذهان بعض دارسينا حين ظنّوا أنّ الكلام (Parole) ينبغي أن ينطبق على العامية في ضوء الثنائية المعروفة عندنا بين الفصحى والعامية والتي لا شك في أنّها أوضح ممّا هي عليه في معظم اللغات لأسباب لا مجال للتعرّض لها في هذا الصدد.

وفي ضوء هذه الثنائية التي لا تعتد بها اللسانيات لأنها تتجه أساسا كما رأينا إلى الاستعمال وتهمل ما سواه نجد أنّ العربية الفصحى تمثّل العربية المعيارية، على حين أنّ الكلام هو الاستعمال الذي يمتح منها على اسلوب من الأساليب المتنوعة والمتجدّدة ضمن ما يُبقي على حياة اللغة في الزمن الراهن متصلا بما مضى من تاريخها. وهذا هو الشرط الذي ينبغي ألا نتساهل فيه حين يجري أي استمداد من المناهج الأجنبية أو تطبيق لها.

وعلى هذا ينبغي أن يكون «الكلام» في بحوثنا ملحقا بالفصحى لأنه كما رأينا القدر المستعمل من الفصحى في أسلوب من أساليبها المعروفة. فان كان الامر كما نصف خرجت العامية من ميدان التطبيق لأنها لا تمتّ إلى مستوى الفصحى معيارا وظهورها كلاما.

ويتصل بهذه المسألة ما اطّرد لدى كثير من الدارسين من أنّ اللسانيات

---

(١٠) انظر: سوسير، المحاضرات، ص ١٩ ـ ٢٦.

تستمدّ شرعيتها من دراسة اللهجات. [11] وهو أمر لا يستطيع أحد إنكاره وإن سوّغه بعضهم. فالدراسات الحديثة ولا سيّما تلك التي أنشأها الدارسون العرب الموفدون إلى الجامعات الأجنبية كان معظمها يتّجه إلى اللهجات لأنّها الميدان الـذي يمثّل الاستعمال الحيّ في زعم بعضهم. أما الفصحى فقد لاقت من هؤلاء وأولئك جحودا وهجوما لا هوادة فيه.

ولسنـا ههنـا بصدد تحليل الدوافع غير البريئة لهذه الوجهة فلهذا مكان آخر، [12] بل نريد توضيح بعض الأمور المنهجية التي تثيرها اللسانيات في سياق التـطبيق. فاللهجات عندنا ذات خطر كبير لأنها من عوامل التجزئة الثقافية والقومية، على حين أنّ الفصحى عامل توحيد لايدانيه عامل آخر. إضافة إلى أنّها الجذر الضارب في أعماق التاريخ الواعي لتراث الأمة. ومن هنا لا يصحّ في رأينا أن ننساق مع بعض الآراء التي تولي اللهجات المحكية كلّ اهتمام وإن كانت اللسانيات وراءها. لأن في ذلك من النتائج ما لا تؤمن معه العواقب المدمّرة.

فالعـربية تعـرف بأنها (L'ARABECLASSIQUE). وتقـوم هذه الصفـة على ملاحظة ان العربية تحدّدها عناصر اساسية تمتدّ إلى أقدم النصوص التي وصلتنا من العصر الجـاهلي. ويفترض أنّ هذه العناصر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية مستمرة مع تغيّر ضمن حدود معيّنة. ومن هنا يكون اختلاف العربية عن معظم اللغات التي لا يفترض فيها ذلك الاستمرار الذي يقاوم التغيّر. بل لقد يسير التغيّر في هذه اللغات إلى آفاق غير محدودة ممّا قد يظهر لهجات مستقلة أو لغات متمايزة تتفرّع من هذه اللغة أو تلك. [13]

ولقـد قاد امتياز العربية بهذه الصفة أي كونها فصحى إلى مقارنات غير عادلة وظّفت غالبا لإيقاع الضيم على العربية وتراثها. لكنّ الناظر في المرحلة الأخـيرة للعـربية الفصحى، وهي المـرحلة التي تخصّ هذا العصر يرى أنّ

---

(١١) انظر: المسدّي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص ١٦.

(١٢) انظر حول هذه الدوافع: زهر الدين، صالح، «اللغة العربية بين الأصالة والتشويه»، مجلة الوحدة، العدد ٣٣ - ٣٤، ١٩٨٧م، ص ١٢٠ - ١٢١.

(١٣) انظر: الداية، د. فايز، علم الدلالة العربي، ص ١٧٨.

الفصحى بُعثت بعثا حقيقيا منذ أوائل عصر النهضة العربية الحديثة وما تلاه. ويكفي المرء أن يذكر تلك الميادين التي دخلتها الفصحى وتلك الآثار الأدبية والعلمية والفكرية التي دوّنت بها في هذا العصر.

أما اللهجات العامية التي اتجه اليها الدارسون فلم تكن في ظنّي على الحالة التي عرفوها عن اللاتينية ولهجاتها لأسباب متعدّدة. لعل أهمّها أنّ العربية فصحى ولهجاتٍ هي لغة الناس من أهل البلاد التي سكنها العرب فليست إذن لغة فئة متسلطة جاءت من خارج الحدود. بل هي لغة مشتركة بين الناس من جميع الفئات الناطقة بها وان اختلف هذا المستوى عن ذاك. كما أنّ عناصر الفصحى الجارية عفوا في اللهجات عموما أبعدتها عن الاستقلال والانعزال النهائي. وتتمثل هذه العناصر في القرآن الكريم أساسا، ثم التعليم بالفصحى لغة الدين، ثم التراث الأدبي والفكري الذي مارس تأثيرا لغويا مهمّا. أضف إلى ذلك أنّ الحالة التي صودفت عليها اللهجات في أواخر العهد العثماني حالة خاصة كانت لها ظروفها، كانتشار الأمية وضعف العناية بالثقافة الأدبية وقلّة الاهتمام الرسمي بالعربية. ولذلك نرى أنّ حالة هذه اللهجات بعد اتخاذ الفصحى لغة رسمية وانتشار التعليم بها على نطاق واسع إضافة إلى دور الاعلام والصحافة، قد تطورت مترقية باتجاه الفصحى التي تخلّت هي أيضا عن القيود المصطنعة من مخلّفات البلاغة التقليدية في عصور التراجع الأدبي والجدب الابداعي. ونحن نرى أنّ العوامل التي أسهمت في تقريب الشقّة بين الفصحى واللهجات ما تزال تتفاعل بتقدّم الزمن. ومن المؤمل أن تكون الخطا القادمة في هذا السبيل سريعة ومؤثرة.

فليس يعنينا في هذا الصدد أن تكون معطيات لغتنا ودرسنا اللغوي متطابقة والمعطيات التي رأيناها في اللسانيات. وبناء على ما رأينا يسوغ رفضنا لاتهام العربية بالتخلف والعجز، وحذرنا من تطبيق ما جاءت به اللسانيات كلًّا، على أساس المبدأ المزعوم في أنّ المناهج تؤخذ كلًّا لا أجزاء، وأنّ المناهج المطّردة هناك ينبغي أن تطّرد هنا حتما. ثم إننا نرفض مزاعم «العلمية» التي يتمترس خلفها بعض المبشرين بالحداثة في هذا المجال وغيره. فإن صحّ أنّ العلم فيما زعموه وارد جاز لنا أن نقيسه بمعيار آخر، وهو النفع والضرر.

ونجد في مسألة المناهج أنّ اللسانيات تنحو نحواً وصفياً ينبذ كلّ موقف معياري، وقوام المنهج الوصفي تحديد مرحلة معينة لوصف ظاهرة من الظواهر بغضّ النظر عن السابق واللاحق، وتُتّخذ النواحي المشتركة في الدرس بعد الوصف والاستقراء قواعد هي جهة الاشتراك بين حالات الاستعمال الفعلية. فالقاعدة في هذا المنهج ليست معياراً مفروضاً مسبقاً، بل استنتاج يخصّ حالات محددة، أما المادة التي يختارها الدارس فهي تُجمع دون اختيار تعبير ما أو البعد عن غيره لأفضلية معيّنة، بل تهتمّ بالاستعمال وما يتّصل به من جوانب،أيّا كان من حيث قربه من المستوى الرفيع من الكلام أو بعده عنه. (١٤)

ومن الملاحظ أنّ تركيز سوسير على هذا المنهج وهو ما دعاه بمصطلح (Syn-chronique) جعله المنهج السائد عند أكثر المشتغلين باللغة في معظم أنحاء العالم. (١٥) أما تطبيق هذا المنهج عندنا فقد أثار معركة بين هؤلاء اللغويين وأولئك. فالدارسون من الطائفة الأولى تشبثوا بالوصفية على أساس أنّها المنهج الوحيد الذي ينبغي أن يطبق على دراساتنا، لأنه المنهج السائد في اللسانيات. ولا يعني هؤلاء إن كان في هذا التطبيق أخطار تهدّد درسنا ولغتنا. بل لم يكتف بعض هؤلاء بما دعوا إليه من التطبيق الحرفي والقسري في الدراسات الحديثة للعربية، إنّما أخذوا يوجّهون النقد الشديد إلى مناهج اللغويين القدماء لأنهم لم يتبعوا القواعد الوصفية التي ظهرت في هذا العصر. فالوصفيون إضافة إلى اندفاعهم في التعميم وقياس اللغات جميعا بمقياس واحد، واجهوا بعنف كلّ الضوابط التي تشكّلت للمحافظة على العربية الفصحى.

والحق أنّ الأمر لا يتصل بالمنهج الوصفي نفسه بقدر ما يتصل بالداعين إلى تطبيقه. فلا بأس في تطبيق هذا المنهج إن بقينا ضمن سياج معياري واسع. وهذا السياج هو الذي يضمن استمرار العربية الفصحى لغة للتراث والحضارة والحياة المتجدّدة.

أما الدارسون من الطائفة الأخرى فقد رفضوا غالبا كلّ التقنيات الحديثة

---

(١٤) انظر: حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٨وانظر حجازي، علم اللغة العربية، ص ٣٧ ـ ٣٨.

(١٥) انظر: حجازي، علم اللغة العربية، ص ٣٨.

وأساؤوا الظنّ بها لِما وَقَر في النفوس من تفوّق العرب في درسهم اللغوي، ولِما عرف عن مصدّري المناهج الحديثة من غايات خفيّة قد يكون فيها السمّ ملتبسا بالدسم. وعلى كلّ فإنّ الموقف الصحيح لا بدّ من أن يتجاوز هذا الحذر من موقع البصر والتبصر، كما يتجاوز ما أثير حول ضرورة إخضاع اللغة لهذا المنهج قسرا. فالأجدى إذن هو أن نفتح عيوننا على الوافد الجديد دون عقد نقص أو نوازع استعلاء لنرى رؤية الذين يملكون ما يميزون به بين ما هو مقبول وما هو مردود، وبين ما هو قابل للتطبيق وما هو غير قابل لذلك.

وهناك أخيرا مسألة ألحّ عليها بعض الدارسين المحدثين. [١٦] وهي تتصل بموقع تراثنا اللغوي من اللسانيات الحديثة. فالتراث العربي في هذا الصدد واسع وعميق، ولذلك وجب أن نعنى بكشفه للدارسين جميعا كشفا علميا يضيف إلى الفكر الإنساني عطاء وافرا. فهذا التراث جزء من التراث الانساني الذي هو ملك مشاع لرواد المعرفة. وبهذا التراث الذي نقرؤه قراءة معاصرة واعية نتلمّس أولى الخطوات في سبيل الإسهام في تقدّم اللسانيات التي نرجو ألا تبقى أجنبية دوما.

---

(١٦) انظر: المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص ١٧٣ ـ ١٧٦.

٢ ـ الدلالة وجوانب اللغة :

لقد شغل البحث في أصل اللغة ودلالة ألفاظها جانبا واسعا من النشاط اللغوي على امتداد عصور متتالية. وتشير الدراسات الحديثة إلى اهتمام القدماء بهذا البحث الذي كان مدار جدل ونقاش، فالهنود والإغريق والعرب تناولوا جوانب من هذا البحث الذي تركّز حول نظريتين، ترى الاولى أنّ أصل اللغة وحي إلهي، على حين تذهب الثانية إلى أنّ اللغة تواضع واصطلاح إنساني. وعلى الرغم من أنّ علماء اللغة المحدثين أخرجوا البحث في أصل اللغة ونشأتها الأولى من مباحث علم اللغة أو اللسانيات، (١٧) فإنّ النظر في كيفية دلالة الألفاظ على معانيها، ونوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله يبقى ذا فائدة ولا سيّما إذا اتخذ سبيلا إلى التطبيق.

ويقف مونان (Mounin) عند هذه المسألة في معرض تقويم المسائل اللغوية النظرية لدى الإغريق، ويميِّز بين وجهتي نظر متباينتين، يعبر عن الأولى منهما أفلاطون في حواره كراتيل أو قراطليس (Cratyle) إذ يرى أنّ للألفاظ معنى لازما يتّصل بطبيعتها الذاتية، فالكلمات تتطابق ومسمّياتها أي الأشياء التي تدل عليها. (١٨) ويعبر عن الوجهة الثانية أرسطو الذي يذهب إلى أنّ للألفاظ معنى اصطلاحيا ناجما عن اتفاق أو تراض بين البشر(١٩).

ويرصد مونان آراء أخرى كثيرة عبر تاريخ اللغة لدى الشعوب القديمة. ويبدو من خلال تلك الآراء ميل إلى الاعتقاد بأنّ مصدر اللغة وحي إلهي أو عطاء أسطوري. غير أنّ هذا لا يعني أنّ النظر في دلالة الألفاظ على المعاني قد توقّف عند حدود معيّنة يفرضها ذلك الاعتقاد، بل نجد على العكس من ذلك نظرات موضوعية يقرب بعضها من المفاهيم الحديثة. ومع أنّ تتبع هذه النظرات وما يماثلها في تاريخ علم اللغة لا يخلو من فائدة، فهي لا تشكّل مطلقا فرضيّات

---

(١٧) انظر: مونان، جورج، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة د. بدر الدين القاسم، ص ١٦.

(١٨) انظر: المصدر السابق، ص ٩١، وغازي، د. يوسف، مدخل إلى الألسنية، ص ٨٠.

(١٩) انظر: مونان، تاريخ علم اللغة، ص ٩١، وانظر رأيا مماثلا للهنود في مونان أيضا، ص ٦٩.

أساسيّة للبحث المنظّم.[٢٠]

.ويجد الدارس في التراث اللغوي العربي غنى وتشعّبا على الرغم مما داخله من تأثيرات المنطق والفلسفة وعلم الكلام. وما يهمّنا هنا هو ما يتّصل بالجانب الدلالي ولا سيّما مسألة البحث في دلالة الألفاظ ومجال تطوّرها في ضوء ما انتهى اليه اللغويون القدامى من نظرات.

ويلخّص السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه «المزهر» أهم الآراء التي تدوولت في هذه المسألة، ويقول: «الألفاظ إما أن تدل على المعاني بذواتها، أو بوضع الله إياها، أو بوضع الناس؛ أو بكون البعض بوضع الله والباقي بوضع الناس. والأول مذهب عبّاد بن سليمان والثاني مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري وابن فورك. والثالث مذهب أبي هاشم، وأما الرابع: فإما أن يكون الابتداء من الناس والتتمة من الله، وهو مذهب قوم. أو الابتداء من الله والتتمة من الناس، وهو مذهب الاستاذ أبي إسحق الإسفرايني. والمحققون متوقفون في الكل، إلا في مذهب عبّاد. ودليل فساده أنّ اللفظ لو دلّ بالذات لفهم كلّ واحد منهم كلّ اللغات...[٢١]

والحقّ أنّ البيئة التي أنضجت هذا الدرس هي بيئة المعتزلة الذين أهّلتهم ثقافتهم العقلية لبحث القضايا الدينية واللغوية بحثا عميقا. وقد انتهى المعتزلة في هذا المجال إلى عدّ المواضعة اصطلاحا قام به البشر ابتداء. ومن المفيد الإشاره إلى بعض الآراء التي عبّرت عن هذه الوجهة لدى ابن جني (ت ٣٩٢هـ) والقاضي عبد الجبار الأسد آبادي (ت ٤١٥هـ)، والامام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ). فاللغوي العبقري ابن جني يميل إلى أنّ اللغة تواضع واصطلاح بين البشر وليست وحيا وتوقيفا. غير أنه حين يتعمق أسرار اللغة العربية يجد في نفسه ما يملك عليه جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر، فيقوى في نفسه اعتقاد كونها توقيفا من الله وأنّها وحي[٢٢]. أما القاضي عبد الجبار فيحلّل علاقة الاسم بالمسمّى على نحو دقيق، ويرى أن حقيقة

---

(٢٠) انظر: مونان، ص ٧٠، وانظر: إسلام، د. عزمي، مفهوم المعنى، ص ٢٨ ـ ٤٠.

(٢١) السيوطي، المزهر، ١/١٦، وانظر المسألة بتمامها، ١/٨ ـ ٣٠.

(٢٢) انظر: ابن جني، الخصائص، ١/٤٧.

الحروف لا تتعلق بالمسمّى لشيء يرجع إليه كتعلّق العلم والقدرة بها يتعلّقان به، فلا بدّ من أمر آخر يوجب تعلّقه بالمسمّى، وليس هناك ما يوجب ذلك فيه سوى القصد والإرادة.(٢٣) ويثبت الإمام عبد القاهر في هذا المجال قانونا لغويا انتظرت الدراسات ما يقارب عشرة قرون ليصاغ على يد اللغوي سوسير في مطلع القرن العشرين، وهو اعتباطية الألفاظ وقيمتها العرفية الاجتماعية. لأنّ أشكال الكلمات لدى عبد القاهر ـ ليست بدالة على شيء ولا ترتبط في هيئتها وأصواتها بمدلولاتها وإنما يتمّ الربط بين هذه الأشكال اللغوية وما تدلّ عليه بالتفاهم الاجتماعي (٢٤) ويعبّر الجرجاني عن هذا بقوله: . . . وذلك ان نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط. وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرّى في نظمه لها ما تحرّاه. فلو أنّ واضع اللغة كان قد قال «ربض» مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد.»(٢٥)

ولا بدّ من الإشارة في هذا السياق إلى واحد من أهمّ القائلين بالتوقيف، هو ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، إذ من الأهمية بمكان التوقّف عند حجج ابن فارس التي استمدّها من تاريخ اللغة، فهو، إضافة إلى احتجاجه بالآية القرآنية «وعلّم آدم الأسماء كلّها»(٢٦)، يسوق أدلة لها خطرها ولا سيّما حين تؤخذ قضية التطوّر اللغوي في الاعتبار. ففي حديثه عن التوقيف يذهب إلى أنّ اللغة لم تأت جملة واحدة وفي زمان واحد، بل وقّف الله تعالى آدم ثمّ الأنبياء من بعده ما شاء أن يعلّمهم، حتى انتهى الأمر إلى الرسول محمّد صلّى الله عليه وسلم فآتاه الله من ذلك ما لم يؤته أحدا قبله. ثم قرّ الأمر ـ كما يقول ابن فارس ـ قراره، فلا نعلم لغة من بعده حدثت. فإن تعمل اليوم لذلك متعمّل وجد من نقّاد العلم

---

(٢٣) انظر: المسدي، د. عبدالسلام، «اللسانيات العربية والاصطلاح اللغوي، مجلة الحياة الثقافية، تونس، العدد ١٦/١٧، ١٩٨١م، ص ١٤، وانظر له أيضا: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ١٠٧ وما يليها. .

(٢٤) انظر: الجرجاني، دلائل الاعجاز، تحقيق د. رضوان الداية ود. فايز الداية، ص ١٢ (من المقدمة). .

(٢٥) الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص ٤٢.

(٢٦) البقرة، آية ٣١.

من ينفيه ويردّه. ويضيف إلى ذلك أمرين آخرين هما: أنه لم يبلغه أنّ قوما من العرب في زمان قريب من زمانه أجمعوا على تسمية شيء مصطلحين عليه، ليكون الاستدلال بذلك على اصطلاح سابق. وأن ما روى عن الصحابة ـ وهم البلغاء والفصحاء ـ لا يشير إلى أنهم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة لم تتقدّمهم[٢٧] وفي «المزهر» آراء أخرى لأهل الأصول وبعض اللغويين تدلّ على غلوّ بعيد في النظر إلى اللغة مفردات وتراكيب على أنّها متوقفة على ما نقل عن العرب لأن العرب حجرت في التراكيب كما حجرت في المفردات[٢٨] ومن الملاحظ ـ ههنا ـ أنّ معظم أهل التوقيف ذهبوا إلى الرجم بالغيب، إذ مضوا في التاريخ صعدا الى نوح وآدم، بل إلى مخلوقات سبقت آدم وذريته. ويحار الدارس في الجمّ الغفير من الأخبار والأحاديث التي ساقها هؤلاء لإثبات آرائهم التي اتسمت بالجزم المستمدّ من حرمة الشواهد الدينية[٢٩].

ولعلّ من المفيد أن نستذكر ما كنّا وقفنا عنده في درس المعيارية من أثر الدين في تشكيل معيار الخطأ والصواب، وما اتصل بذلك من النظر إلى اللحن على أنه ضلال يستحقّ مرتكبه التضييق في الرزق والاستغفار ممّا وقع فيه. ونضيف هنا أنّ النظرة التوقيفية أسهمت أيضا في تشكيل المعيارية وحجر التطوّر اللغوي أيّا كان مجاله. وفي الآراء التي نقلنا بعضها عن أصحاب التوقيف ما يدلّ على ذلك دلالة واضحة.

ولا شك في أنّ هذه القضية دقيقة وذات اتجاهات متشعّبة، ولذلك يبدو من غير المفيد جمع الموروث اللغوي حول جوانب القضية، أو نقده، لأن البحث لا يتّسع له وهو متّجه إلى التطبيق أصلا. أما الجانب الذي نسعى إلى تنويره فهو جوانب الدلالة بين اللفظ والمعنى، أو ما يعرف في اللسانيات الحديثة بالرمز اللغوي (Signe)، وحدّاه الأساسيان: الدال (Signifiant) والمدلول (Signifié)

ويرجع الفضل في صياغة نظرية الرمز اللغوي ودلالته إلى اللغوي سوسير

---

(٢٧) انظر: ابن فارس، الصاحبي، ص ٣٣ ـ ٣٤، والسيوطي، المزهر، ١/٨ ـ ١٠.

(٢٨) انظر: السيوطي، المزهر، ١/٤٠ وانظر أيضا إشارة أخرى، ١/٤٢٩.

(٢٩) انظر المصدر السابق، ١/٢٥ ـ ٣٠، وانظر: دمشقية، د. عفيف، اللغة وباب الاجتهاد، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٣١/٣٠، ١٩٨٤، ص ٢٩ ـ ٣٦.

الذي أثّرت نظراته في تطوّر الدرس اللغوي الحديث. وقد ذهب سوسير إلى اعتباطية الدلالة، أي أنّ العلاقة بين الدال والمدلول غير معلّلة، بل هي كيفية اعتباطية (L'arbitraire du signe) [٣٠] . ويفسر اللغوي بنفينست (E. Benvenist) هذه العلاقة مستدركا على سوسير ما يتصل بمجال الاعتباطية. فهو يرى في هذا الصدد أنّ الدال والمدلول يتصفان بصلة الإلزام، فلا يقع بينهما الاعتباط، بل بين الرمز اللغوي «دال ومدلول» وما يشير إليه من أشياء وأفكار. ومن الواضح أنّ هذا التحليل يستند إلى أنّ بناء المعنى قائم على علاقة مثلثة بين: الدال، والمدلول، والمرجع (Referent) [٣١] .

وبإمكان الدارس أن يستنتج من كلام بنفينست وجود ثنائيتين، الأولى بين الرمز بحدّيه: الدال والمدلول من جهة، والمرجع أي الواقع غير اللغوي من جهة أخرى. ويبدو أنّ الدارسين يتفقون على أنّ العلاقة ههنا اعتباطية إذ ليس هناك ما يعلّل ربط كلمة «فرس» بالحيوان الذي تشير إليه، وقد كان من الممكن أن يدعى باسم آخر، وممّا يدلّ على هذه الاعتباطية دلالة واضحة اختلاف الرموز الدالة على أشياء واحدة باختلاف اللغات في المواضعة. والثانية بين الدال والمدلول وهما حدّا الرمز اللغوي. فالدال هو الصورة الصوتية، والمدلول هو الصورة المفهومة. «ولا شك في أنّ طبيعة هذه الثنائية هي الأكثر تعقيدا، إذ إنّها شكّلت مادة لتأويلات عديدة لم يكن تفسير سوسور الغامض بعيدا عنها. فبعضهم اعتبر أنّ الاعتباطية التي تحكم علاقة العلامة ـ الرمز ـ بالمرجع لا يمكن نقلها إلى ثنائية الدال/ المدلول ذات العلاقة المعلّلة.» [٣٢]

ومهما يكن من أمر فإننا نجتهد لبيان مجال الاعتباطية في الدلالة اللغوية.

---

(٣٠) انظر: سوسّر، محاضرات في الألسنية العامة، ص ٨٩ ـ ٩٢، وايلوار، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة د. بدر الدين القاسم، ص ٥٧ ـ ٦٠، ومونان، علم اللغة في القرن العشرين، ص ٥٠ ـ ٥١، وعمر، د. أحمد مختار، علم الدلالة، ص ٥٤ ـ ٥٥.

(٣١) انظر: مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ص ٥٤ ـ ٥٥، وايلوار، مدخل إلى اللسانيات، ص ٥٩ ـ ٦٠، وشريم، د. جوزيف، «التعيين والتضمين في علم الدلالة» مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ١٨/ ١٩، ١٩٨٢، ص ٧٨.

(٣٢) دورليان، جورج، «بحثا عن وجهي سوسور» الفكر العربي المعاصر، العدد ٣٠/ ٣١، ١٩٨٤، ص ١٢٤.

فالدلالة ترتكز أساسا إلى الاعتباط الذي يكوّن الربط الدلالي ابتداء. غير أن الدال حين يتداول وهو مرتبط بالمدلول الذي تواضع عليه الناس، يغدو على لسان المتكلم وفي أذن السامع قائما مقام المسمّى المدلول عليه في الذهن، وفي عالم الوجود الفعلي، ويرتفع بذلك حاجز الاعتباط.[٣٣] ومن المؤكد أنّ الدال لا يدل على مدلوله لأمر راجع إليه في ذاته، أو لعلاقة طبيعية تربط أحدهما بالآخر، بل يكون مفيدا بالمواضعة (Convention) التي تمثّل عقدا (Contrat) بين أفراد الجماعة اللغوية، وهو عقد اجتماعي يقصد به التواضع الضمني على أنماط اللغة في دلالات الألفاظ، وما يتركب منها من أنظمة.[٣٤] ويقوم هذا العقد على القصد الذي يمثّل مظهر الإرادة الواعية في ربط الدوال بمدلولاتها في اللغة. كذلك يكون للزمن تأثير حاسم في الاطراد والتواتر اللذين يعملان على استقرار الاقتران الدلالي. ويبدو أنّ النظر إلى عامل الزمن الذي يؤدي إلى ذلك الارتباط بين الدال والمدلول يوهم بوجود صلة واجبة أو ملزمة بين ذينك الحدّين.

وإنّ النظر في طبيعة المواضعة التي وصفناها يسمح لنا أن نجيز تطوّر الدلالة لتغيّر المواضعة وفق ما تمليه الظروف المستجدّة في حياة الجماعة اللغوية. فالتواضع الاجتماعي عرضه للتغيير لأن حاجات المجتمع وظروفه متجدّدة، ولذلك تبدو حاجة ما بعد فترة من الزمن، غائبة عن المجالات الحيوية للمجتمع، على حين تظهر حاجات أخرى لم يكن للمجتمع عهد بها من قبل. ومن الملاحظ أنّ التغير الاجتماعي يؤدي عادة إلى خلخلة استقرار المخزون اللغوي المتواضع عليه ويؤول بعدئذ إلى تطلّع إلى الوفاء بمطالب التعبير اللغوي الجديد.

إنّ موضوع الدلالة لا يقتصر على المسائل التي تتصل بدلالة الألفاظ، بل يشمل كلّ ما يمتّ إلى «المعنى» بصلة في جميع جوانب اللغة: الصوتيه والصرفية والنحوية والمعجمية. فعلم الدلالة ـ كما يرى كثير من الدارسين ـ مسؤول عن دراسة الدلالة في مستويات التحليل اللغوي كافة. ولا بدّ من الاشارة ههنا إلى

(٣٣) انظر: المسدي، د. عبدالسلام «اللسانيات والاصطلاح»، ص١٢ ـ ١٣.
(٣٤) انظر: شاهين، د. عبدالصبور، في علم اللغة العام، ص ٤٤.

أنّ استخدام مصطلحي : معنى ودلالة لا يشير إلى فروق واضحة بينها [٣٥] وعلى الرغم من ذلك فإنّ استخدام مصطلح دلالة للتعبير عن مجموع الوظائف المعنوية في سياق معيّن هو ما نفضله .

ويلاحظ أحد الدارسين في هذا المجال أنّ مصطلح «معنى» أعمّ وأشمل من مصطلح «دلالة» لأنّ هذا المصطلح يختصّ بالألفاظ وحدها ، على حين أنّ «المعنى» يمكن أن يكون للّفظ كما يمكن للعبارة أو للجملة ولا يكون مقصورا بالضرورة على الألفاظ وحدها . [٣٦] وممن يذهب هذا المذهب في توسيع مصطلح «معنى» تمّام حسّان في كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها» وهو يقول في هذا الصدد : «إنّ المعنى على مستوى النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي هو معنى وظيفي ، أي أنّ ما يسمّى المعنى على هذا المستوى هو في الواقع وظيفة المبنى التحليلي، ثم يأتي معنى الكلمة المفردة «المعنى المعجمي» وما يكون بمجموع هذين المعنيين مضافا اليهما القرينة الاجتماعية الكبرى التي نرتضي لها اصطلاح البلاغيين «المقام» (Context of situation) وكل ذلك يصنع «المعنى الدلالي» [٣٧] ومن الملاحظ أنّ تمّام حسّان يجعل «المعنى الدلالي» محصلة للمعنى المقالي : الصوتي والصرفي والنحوي ، والمعنى المعجمي ، والسياق اللغوي ، والمقام الذي يشمل القرائن الحالية أي ظروف أداء المقال .

ونجد بالمقابل دارسا آخر هو إبراهيم أنيس يذهب إلى اعتماد مصطلح «دلالة» للتعبير عن معاني الجوانب اللغوية : الصوتية والصرفية ، والنحوية والمعجمية [٣٨] ومهما يكن من أمر فإننا لا نجد بأسا في استعمال كلا المصطلحين : معنى ودلالة للتعبير عن الوظائف اللغوية كافة ، مع تأكيد ما ذهبنا إليه من تفضيل مصطلح «دلالة» لوصف مجموع ما تؤديه جوانب اللغة من وظائف في سياق الكلام .

---

(٣٥) انظر: إسلام ، د. عزمي ، مفهوم المعنى ، ص ٢٥ .

(٣٦) انظر: المصدر السابق ، الموضع نفسه .

(٣٧) حسان ، د. تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ١٨٢ ، وانظر: ص ٣٣٩ ، وقارن بأولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص ٦٦ ـ ٦٧ ، وحجازي ، د. محمود فهمي ، المعجمات الحديثة ، ص ٥٠ ـ ٥١ .

(٣٨) انظر: أنيس ، د. إبراهيم ، دلالة الألفاظ ، ص ٤٦ ـ ٥١ .

والخلاصة التي نسعى إلى الانتهاء إليها وتبنّيها هي أنّ دلالة الحدث اللغوي الكاملة لا يمكن أن تقتصر على المعاني المعجمية أو أي جانب آخر من جوانب اللغة منفردا عن سائر الجوانب، لأنّ من القصور أن نعدَّ هذه الجوانب وحدات مستقلة يقوم كلّ منها بذاته.

فالجانب الصوتي يضمّ معاني تستفاد من «النبر» و «النغمة» الصوتية التي تؤدي إلى تبدلات دلالية قد تنقل الكلمة المنطوقة من المدح إلى الذّم أو من الجدّ إلى الهزل. . . كذلك تظهر ههنا معان تستمدّ من الأصوات اللغوية نفسها. وقد أولع ابن جني بهذا النوع من الدلالة حتى قال بأن أصل اللغة جاء من محاكاة أصوات الطبيعة. (٣٩) وقد قاد إعجاب ابن جني بملاحظات أبداها الخليل وسيبويه من هذا القبيل إلى بسط الموضوع والتوسّع فيه إلى مدى بعيد. فهو ينسب إلى الاصوات المفردة معاني خاصة فالخضم لأكل الرطب، والقضم للصلب مثلا، والشين في شدّ الحبل تشبّه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد. . . والحق أنّ معظم الدارسين المحدثين ينكرون هذه المناسبة لأنّ الأصوات لا تستقل بدلالة خاصة من حيث هي أصوات مفردة. (٤٠) وما هذه المعاني التي استقراها ابن جني إلا ظلال معان مكتسبة ولا صلة لها بأيّ مناسبة بين الصوت والمعنى.

والجانب الصرفي من أوضح جوانب الدلالة المستفادة من الصيغ والأبنية. ومن الملاحظ أنّ جهود القدماء كانت في هذا المجال موفّقة. وأوضح الأدلة على ذلك ما بحثوه في معاني صيغ الزوائد وحروف الزيادة وعلاقتها بالأبنية وصيغ المبالغة والأسماء المشتقة وأبنية التصغير والتأنيث وغير ذلك. وسوف تكون لنا وقفة متأنية عند هذا الجانب لتحليل كثير من أمثلة اللحن المتصلة بالدلالة الصرفية والاشتقاق، وما يتصل بالثروة اللفظية من مشكلات دلالية.

أما الجانب النحوي فيتصل بالسياق النظمي (Syntagmatique) الذي يدخل

(٣٩) انظر: ابن جني، الخصائص، ١/٤٦ - ٤٧.

(٤٠) انظر: ابن جني، الخصائص، ٢/١٥٧، ١٦٣، من باب «اساس الألفاظ أشباه المعاني»، وانظر رأي د. صبحي الصالح المؤيد لابن جني في: دراسات في فقه اللغة، ص ١٥١، وانظر أيضا مناقشة د. عبده الراجحي له في: فقه اللغة في الكتب العربية، ص ٦٨ - ٦٩.

فيه كلّ ما يربط كلمتين أو أكثر في سياق لغوي، إضافة إلى أنماط الجمل المعروفة، والأدوات ذوات المواقع الدالة على معان نحوية. ومن الملاحظ أنّ بعض الدارسين المحدثين يبالغون في تأكيد هذه الدلالة، إذ يرون أنها هي التي تعطي الكلمة دلالتها وليس المعجم.(٤١)

والجانب المعجمي أقرب الجوانب جميعا إلى الدلالة الاجتماعية، لأن المفردات ودلالاتها لا تدوّن في المعجم إلا بعد اتفاق اجتماعي يقوم على المواضعة والعرف. وتمثّل هذه الدلالة نقطة البدء للدلالات الأخرى التي تضيف إليها ما تكتسبه من معان تتصل بالاستعمال، إضافة إلى معاني الصيغ والمواقع السياقية. ومن الجدير بالذكر أنّ الكلمة ـ كما ترى هذه المناهج ـ لا معنى لها ولا قيمة إذا أُخذت منعزلة عن السياق اللغوي والمقام الاجتماعي. والحق أنّ النظر إلى هذا الأمر ينبغي أن يكون متوازنا لأنّ المعنى المعجمي ـ على الرغم من تعدّده أو عمومه ـ يمثل النويّات المعنوية التي تدخل في بناء كلّ جانب من جوانب الدلالة.

---

(٤١) انظر عرضا لآراء يوجين نيدا (Nida) حول المعنى النحوي في: الداية، د. فايز، علم الدلالة العربي، ص ٢٠٠.

٣ ـ فكرة التطوّر ودلالات المصطلح :

ارتبطت مسألة البحث عن قوانين لعلم اللغة في البحوث الغربية بفكرة التطوّر بوصفها مبدأ أساسيًا من مبادىء العلم والثقافة. وعلى الرغم من أنّ فكرة التطوّر ظهرت في بيئة المفكرين في عصر التنوير،(٤٢) فهي لم تلق الاهتمام الواسع في الدراسات الانسانية إلا بعد أن نفذت إلى العلوم الطبيعية، ولا سيما حين ارتبطت بكتاب داروين (Darwin) ، ت ١٨٨٨ المعروف «بأصل الأنواع». ويلاحظ هولتكرانس (Hultkrantz) أنّ مفهوم التطوّر غدا من خلال مؤلف داروين سمة لجميع البحوث الفكرية، مع ملاحظة المبالغة الكبيرة لدى بعض الباحثين حين يتحدثون عن أهمية هذا الكتاب بالنسبة لنموّ نظرية التطوّر وسيادتها.(٤٣)

وعلى هذا النحو من المبالغة طبّق كثير من الدارسين نظرية داروين على اللغة، وزعموا بأنّ الأنواع في الطبيعة واللغات في التاريخ تتغيّر تبعا لنواميس متشابهة؛فالعاملان الجوهريان في اللغات هما كما في الأنواع: التغيّر والانتخاب الطبيعي.(٤٤) وقد قادت المبالغة الكثيرين إلى الزعم بأنّ اللغة كائن حي له طبيعته الذاتية، وأنّ تطوّر اللغة محكوم بقوانين ثابته كالقوانين التي تحكم مظاهره التطوّر الأخرى في الطبيعة»(٤٥).

ويبدو أنّ هذا التعسّف ولّد معارضة شديدة دعت إلى التهوين من أثر داروين وعلوم الطبيعة في سيطرة الأفكار التطوّرية لأنّ «فكرة التطور الثقافي لم تكن مجرّد تقليد تافه أو نقل للفكرة من التطور البيولوجي، فقد كانت العلوم كلّها تتحرك نحو هذه الفكرة، لأن المبدأ كامن في طبيعة الحقائق. (٤٦)».

---

(٤٢) انظر: هولتكرانس، إيكة، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، ص ١٠٣.

(٤٣) المصدر السابق، ص ١٠٣ ـ ١٠٤، وانظر: ميتشيل، دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، ص ١٩٠ ـ١٩١.

(٤٤) انظر: أيوب، د. عبدالرحمن، اللغة والتطور، ص ٣٧ ـ ٣٩. وتجدر الاشارة إلى تطبيق هذه النظرية على الأجناس الأدبية لدى برونتيير (Brunetière) وغيره من الباحثين.

(٤٥) انظر: المصدر السابق، ص ٥٧ ـ ٥٨ وظاظا، د. حسن، اللسان والإنسان، ص ١٢٥.

(٤٦) هولتكرانس، قاموس الاثنولوجيا، ص ١٠٤.

كذلك ظهرت فكرة ترى أنّ نظرية التطوّر البيولوجي لا يمكن ان تنطبق على الوقائع الثقافية، بل إن عددا من الباحثين رفض التسليم بوجود أيّ مشابهة بين التطوّر البيولوجي والتطوّر الثقافي بما فيه اللغة والمجتمع.(٤٧)

ولم يكن ما أتى به المحدثون من علماء القواعد (Neo-grammairiens) من جبرية الظواهر اللغوية، وسلب الأفراد كلّ قدرة على التأثير في قوانين اللغة وتطوّرها مسلّما به، إذ لقي مذهبهم هذا مقاومة كبيرة تمثلت في آراء متعدّدة لمجموعة من الباحثين.

والحقيقة أنّ العوامل التي تؤثر في اللغة وتؤدي إلى تغيّرها يرجع أهمّها إلى الظواهر الاجتماعية التي تضمّ ثقافة المجتمع وسلوكه وطرائق حياته وما الى ذلك. وإنّنا ـ مع قرارنا بدور العوامل النفسية في تطوّر اللغة ـ نؤكّد دور المجتمع في تطوّر اللغة بوصفه العامل الأساسي الذي ينبغي أن يتجه إليه النظر. وقد تضافرت في هذا المجال جهود أعضاء المدرسة الاجتماعية الفرنسية (Ecoles Sociologique Francais) التي أنشأها دوركايم (Durkheim)، ت١٩١٧م لبيان العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وأثر المجتمع وحضارته ونظمه وتاريخه في مختلف الظواهر اللغوية.(٤٨) ومن الملاحظ أنّ أعلام هذا الاتجاه شنّوا هجوما شديدا على الطبيعيين ومصطلحاتهم الدخيلة على البحث اللغوي، كالحياة والموت والوراثه والنشوء والارتقاء.(٤٩)

ومن المعروف أنّ رفض سوسير اتخاذ معايير من خارج اللغة، انتهى به إلى فكرة استقلال اللغة بوصفها منظومة لا تعترف إلا بترتيبها الخاص، وبقوانينها الداخلية، ولذلك يؤكد بأنه «يجب أن يكون الانطلاق من اللغة ذاتها واتخاذها معيارا للظواهر اللغوية الأخرى كافة.(٥٠)

واستنادا إلى هذا التوجّه نرى أنّ مشكلة التطوّر اللغوي يجب أن تدرس ضمن أنظمة اللغة من خلال اتصالها بالإطارين الزماني والمكاني، وليس من

---

(٤٧) انظر: باى، لغات البشر، ص ٤٠ ـ ٤١، ووافي د. علي عبدالواحد، علم اللغة، ص ٥٧.

(٤٨) انظر: وافي، علم اللغة، ص ٦٥ ـ ٦٧، وميتشيل، معجم علم الاجتماع، ص ٧٨ ـ ٨٠.

(٤٩) انظر: فندريس، اللغة، ترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، ص ٢٤٧.

(٥٠) سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص ٤، ٣٧.

الضروري القصد إلى استخلاص قوانين تحاكي في اطرادها ودقتها القوانين العلمية.

وبالنظر إلى أنّ فكرة التطوّر نقطة ارتكاز تقوم عليها الدراسه في مختلف فروع العلم، يمكننا أن نفترض أنّ اللغة في تطوّر مستمر يتنازعها فيه عاملان متناقضان تجاهد اللغة في الاحتفاظ بتوازنها بينهما، وهذان العاملان أو القوتان - كما يرى دارمستيتر (A. darmesteter) [٥١] - هما: أ - المحافظة، وهي نزعة طبيعية عند المتحدثين باللغة تسعى إلى الإبقاء عليها كما عرفوها في جميع أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية لكي لا تتغيّر ولا تختلف. ب - التغيّر، وهو قوّة تعمل على دفع اللغة نحو التطوّر في جميع أنظمتها. وبين هاتين القوتين المتضادتين تقع اللغة في صراع دائم وأبدي، فإذا ما تمسكت بالقديم المحافظ وحده جمدت وتخلفت، وإذا ما فتحت صدرها للتطوّر من غير حدود ضاعت شخصيتها القائمة على الانتظام، وتعرضت للتشعب والاندثار. [٥٢]

وليس من شكّ في أنّ الحالة السليمة للّغة لا بدّ من أن تخضع للتوازن بين هاتين القوتين كي تصل إلى نوع من التطوّر الهادىء الذي يرتبط بالقديم وتراثه، ولا يرفض الجديد ومتطلباته.

ويقود الحديث عن فكرة التطوّر إلى حديث عن دلالات مصطلح «تطوّر» وتعدّد استعماله. فكلمة «التطوّر» اشتقت في هذا العصر من كلمة «طور» على وزن التفعّل، وهي كلمة احتيج إليها للتعبير عن معنى جديد غير التبدّل والتغيّر، وهو الانتقال من طور إلى طور. [٥٣] ويدلّ التطوّر غالبا على تغيّر تدريجي يؤدي إلى تحوّلات متلاحقة. [٥٤] وعلى الرغم من ذلك يُلاحظ أنّ استعمال مصطلح التطوّر توسّع بحيث أصبح مرادفا لمصطلح التغيّر (change)

(٥١) انظر هذا الرأي المنقول من كتابه «حياة الكلمات» (La vie des mots) في: ظاظا، د. حسن، اللسان والإنسان، ص ٩٨.

(٥٢) انظر: ظاظا، المصدر السابق، ص ٩٨، وبشر، د. كمال، دراسات في علم اللغة، ١٢٨/٢، وخليل، د. حلمي، المولّد، ص ١٩.

(٥٣) انظر: المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، ص ٣١ - ٣٦، ص ٣٢٥.

(٥٤) انظر: المعجم الوسيط، ٥٦٩/٢ - ٥٧٠، والمصطلحات العلمية والفنية لخياط ومرعشلي، ١٣٣/٢، ومعجم علم الاجتماع لميتشيل، ص ١٩٧.

الذي يشير إلى حدوث تغيّرات أو ظواهر جديدة لا تعني بالضرورة أنّها تسير على نسق منتظم أو تتحوّل من طور إلى طور.

وهناك من الدارسين من يرى ان التغيّر (change) أبسط معنى من معاني التطور، لأنّ التغيّر بمعناه العام ليس هو المقصود بالتطور (Evelution) إذ إنّ هذا الأخير يعني تغيّرا يتخذ نسقا منتظما يمكن أن نتبع مراحله، وخصائص كل مرحلة.(٥٥) ومن الملاحظ أنّ معظم الدراسات الأجنبية تميل إلى هذا المصطلح أي التغيّر، على حين أنّها تفضّل الابتعاد عن المصطلحات التي تدلّ على معنى التقويم، كما في مصطلحيْ التطوّر المعروفينْ (Evoulution) و (Development) (٥٦) وكل ما يعنيه أصحاب هذا الاتجاه هو أنّ هناك شيئا ما حدث للّغة، أو أنّ هناك تغيّرات، أو ظواهر جديدة لحقت بها في فترة زمنية، وعلى هذا المستوى أو ذاك من مستويات البحث اللغوي(٥٧). ويبدو أنّ إطلاق هذا المصطلح (change) يشير إلى التغيّر الذي لا يكون مقصودا من الفرد أو الجماعة، ولذلك يحدث هذا التغيير من غير أن يتولّد لدى الناطقين باللغة إحساس بأن اللغة التي يستعملونها لا تبقى كما هي(٥٨).

واستنادا إلى هذا الفهم للتغيّر اللغوي يرى أندريه مارتينيه (Martinet) أنّ عالم اللغة يهتم بتسجيل التغيّر على أنّه وقائع تسجّل وتشرح ضمن إطار العادات اللغوية التي تنتمي إليها. كما يرى أنّه ليس من حقّ عالم اللغة أن يصدر حكمه لها أو عليها(٥٩).

ويلاحظ الدارس نوعا من التطوّر اللغوي الذي لا يحدث من تلقاء نفسه، وهو ما يدعى بالتطوير. فالتطوير جهد واع يقوم به الأدباء والمفكرون، أو تقوم به مجامع اللغة والهيئات المختصّة بالتعليم والمصطلح الفني. ودلالة التطوير هنا

---

(٥٥) أيوب، د. عبدالرحمن، اللغة والتطور، ص ٣٥.

(٥٦) انظر: ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ص ١٩٠، ١٩٧ ـ ١٩٩.

(٥٧) انظر: بشر، د. كمال، دراسات في علم اللغة، ٢/ ١٢٥ وخليل، د. حلمي، المولد، ص ١٧ ـ ١٨.

(٥٨) انظر: مارتينيه، أندريه، مبادىء اللسانيات العامة، ص ١٧٦.

(٥٩) انظر: المصدر السابق، ص ١٠.

قريبة من مصطلح ابتداع (Initiative) (٦٠). ومن الملاحظ أنّ ظهور الظروف الجديدة بسبب التغيّر الاجتماعي وتطوّر الثقافة والعلوم، يتطلب جهودا مكثّفة لتلبية الحاجات الجديدة في حياة الجماعة. ومن هنا يبرز الابتداع بوصفه سببا من أسباب تطوّر اللغة.

ومن الجدير بالذكر أنّ عددا من الدارسين يقفون من مظاهر التغيّر والتطوّر كلّها موقفا متشدّدا، إذ يعدّون كلّ انحراف عن أنظمة اللغة ودلالات مفرداتها خطأ وحجتهم في ذلك أنّ المظاهر الجديدة تخالف القواعد والنصوص التي سجّلت في كتب اللغة والتي ارتضاها العلماء الموثوق بهم (٦١). ومن الملاحظ أنّ معظم اللغويين القدامى وقفوا من التطوّر هذا الموقف، وقد سبق أن بيّنا الظروف الخاصة التي رافقت تشكيل المعيار الذي استند اليه هؤلاء اللغويون في مقاومة التغيّر وعدّه خطأ. ولقد رأينا أثر المعيارية في الاصوات والصرف والنحو، وما دفعته من أخطار على وحدة اللغة.

أما المفردات فهي من أكثر العناصر اللغوية استجابة لدواعي التغيّر، لأن دلالة المفردات لا يمكن أن تبقى محصورة بحال من الأحوال في أنماط ثابتة من العيش والفكر والثقافة وغير ذلك. وعلى الرغم من أنّ اللغويين القدامى وقفوا من الدلالة أيضا ذلك الموقف المتشدّد، ففي العربية شواهد كثيرة على التطوّر الدلالي، بعضها ورد في تضاعيف بحوثهم المعجمية وملاحظاتهم النقدية، وبعضها الآخر اتخذ شكلا قريبا من البحوث المنظّمة والواضحة المقاصد. وبإمكان الدارس أن يتقرّى أمثلة كثيرة على هذه البحوث في مصنّفات الفقه والاصطلاح والغريب والألفاظ الإسلامية. إضافة إلى ما يستخلصه الدارس المتعمّق من ملامح لتطوّر الدلالة وإشارات إلى سبل التطوّر التي وردت في مصنّفات اللحن وكتب التثقيف اللغوي.

ويتبيّن لنا ممّا سبق أنّ هناك جانبا من اللغة هو دلالة المفردات كان بالإمكان إخراجه من نطاق المعيارية، وعلينا الآن تخصيص الجهد له لما له من

---

(٦٠) انظر: ظاظا، اللسان والإنسان، ص ١٠٢، وخليل، المولّد، ص ١٧ ـ ١٨ وعمر، د. أحمد مختار، علم الدلالة، ص ٢٤٢.

(٦١) انظر: بشر، دراسات في علم اللغة، ٢/ ١٢٥.

خطورة في حياة اللغة والمجتمع. وتذهب كثير من الدراسات الى أنّ التطوّر في متن اللغة أي في الألفاظ ودلالاتها على المعاني، يمثل الميدان الكبير الذي يتسع لبحوث كثيرة، يمكن أن يتناولها الباحثون من أكثر من جانب[62]. وترجع أهمية هذا الجانب اللغوي في رأينا الى أنّ الأصوات والصرف والنحو تمثّل أنظمة قياسية يفترض استقرارها بحسب قواعدها التي لا تقدم كمّا محدودا من الصيغ والاستعمالات، بل تقدّم أساليب متنوعة يجري عليها الصوغ القياسي الذي يتضمن قدرات توليدية. أما المفردات فهي عناصر لغوية تنافي مبدأ الاستقرار، لانها قابلة للتأثر بالزمن وأطواره التاريخية.

ويؤكد اللغوي فندريس (Vendryes) وجود فرق في تطوّر اللغة بين الأصوات والصرف والنحو من جهة، والمفردات من جهة أخرى. وهو يرى في هذا الصدد: « أنّ الحياة تشجّع على تغيّر المفردات لأنها تضاعف الأسباب التي تؤثر في الكلمات. فالعلاقات الاجتماعية والصناعات والعدد المتنوعة تعمل على تغيّر المفردات، وتقضي على الكلمات القديمة أو تحوّر معناها وتتطلب خلق كلمات جديدة. ونشاط الذهن يستدعى دائما للعمل في المفردات. وبالاختصار فإنّ الأسباب التي تؤدي إلى تغيّر الظواهر ليست في أي مادة أكثر تعقيدا ولا عددا ولا تنوعا منها هنا[63]. فالمفردات على العكس من أنظمة اللغة الأخرى لا تستقر على حال، لأنها تتبع الظروف.

ومن الضرورة بمكان أن نؤكد أنّ التطوّر في دلالة المفردات ـ وهو ما نحن بشأنه ـ ليس مطلق الأحكام كما نرى، إذ لا بدّ من الاحتراز في هذا الجانب كي يبقى هذا التطوّر محروسا بالأنظمة اللغوية المعيارية. وتكون هذه الحراسة ذات جدوى إذا ما راقبنا التغيّر الذي تتعرّض له الدلالة نتيجة الاستعمال، ممّا يعدّ في التغيّر غير المقصود، وإذا ما ضاعفنا جهود التطوير والابتداع أضعافا كي تلبّي حاجات التطوّر الحضاري السريع الذي يكاد يسبق كلّ متابعة فضلا عن التريّث وبطء الحركة.

---

(٦٢) انظر: أنيس، د. إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص ١٢٣، وظاظا، اللسان والإنسان، ص ١٢٥ والداية، د. فايز، علم الدلالة العربي، ص ١٧٨.

(٦٣) فندريس، اللغة، ص ٢٤٧.

٤ ـ أسباب التطور الدلالي ومظاهره:

تعدّ دراسة التطوّر الدلالي المحور الرئيس لعلم الدلالة الحديث الذي تركزت جهود الباحثين فيه على جوانب التغيّرات المتعاقبة التي تحدث للمعنى، أو ما يدعى بعلم الدلالة التاريخي (Semasiologie). «فقد كان من أهمّ ما شغل علماء اللغة موضوع تغيّر المعنى، وصور هذا التغيّر وأسباب حدوثه، والعوامل التي تتدخل في حياة الألفاظ أو موتها»(٦٤).

والتطور الدلالي أو تغيّر المعنى (Changements des sens) جزء من التطوّر اللغوي الذي يشمل قطاعات اللغة الرئيسة، وهي الأصوات والصرف والنحو والمفردات. كذلك نجد مبدأ التطوّر أي الانتقال من طور إلى طور أو التغيّر مطلقا، غدا نظرية أساسية من نظريات العلوم الطبيعية والإنسانية. ولقد مرّ بنا في موضع سابق من هذا البحث ما يتّصل بهذا الموضوع وما دار حوله من مناقشات، ذهب بعضها إلى أنّ مبدأ التطوّر منشؤه من علم الطبيعة، ثم استعارته بقية العلوم والآداب والدراسات الاجتماعية، على حين أنكر بعضها الآخر أن تكون نظرية التطوّر الطبيعي صالحة للتطبيق في غير مجالها. كما ظهر لدى بعض الباحثين حماسة في نفي التأثر بالتطوّر الطبيعي جملة، لأن التطوّر مبدأ عام عرفته المعارف الإنسانية قبل ظهور «داروين» ونظريته. ولا شك في أنّ هذه الحماسة جاءت لتردّ تلك الاندفاعة الكبرى لنظرية التطوّر الطبيعي التي سعى كثير من العلماء والباحثين إلى أن تشمل جميع العلوم والآداب وضروب المعرفة الأخرى.

وقد ظهر نتيجةً لذلكَ التأثر بعلم الحياة «البيولوجية» الذي كان مسيطرا على أجواء العلم والمعارف في القرن الماضي تعبيرُ «حياة الألفاظ»، إذ شبّه علماء اللغة الكلمات بالأحياء وجعلوا لها مولدا وحياة وموتا، ومن ذلك كتاب اللغوي «دار مستير» (Darmesteter) الذي عنونه بحياة الألفاظ (La vie des mots)(٦٥).

(٦٤) عمر، د. أحمد مختار، علم الدلالة، ص ٢٣٥، وانظر (Dictionnaire de linguistique, Larousse,P. 432.)

(٦٥) انظر: المبارك، محمد، فقه اللغة، ص ٢٠٦.

ويلاحظ ههنا أنّ بعض الباحثين أسرفوا في وصف اللغة بأنها كائن حيّ خاضع لناموس الارتقاء، وهذا ما دفع بعض اللغويين المحدثين إلى نقد هذا الوصف والمصطلحات الأخرى التي لا تمتّ إلى اللغة (٦٦). كذلك يلاحظ أنّ تأثير نظرية التطوّر في علم الحياة امتدّ إلى اللغة لاصطناع قوانين صارمة تجعل كثيرا من مظاهرها أمورا حتميّة لا تتخلّف(٦٧).

وعلى الرغم من تَشعُّبِ هذا البحث وما يتطلّبه من استقصاء، فإننا ـ نظرا إلى طبيعة بحثنا وحدوده ـ نقتصر على ثلاثة جوانب رئيسة من جوانب نظرية التطوّر الدلالي هي أسباب التطوّر وقوانينه، ومجالاته :

فالتطوّر الدلالي يماثل في نظرنا مصطلح تغيّر المعنى، من غير أن يحمل صفة تقويمية تشير إلى الحكم على التطور بالخطأ أو الصواب. وإلى هذا ذهبنا في الفصل الأول حين اعتمدنا مصطلح (change) الذي يدلّ على التغيّر أيا كان نوعه ومداه.

أما أسباب التطوّر الدلالي وعوامل التغيّر فهي مجموعة يمكن ان تقسم إلى قسمين، يضمّ الأول الأسباب الداخلية، على حين يضمّ الثاني الأسباب الخارجية.

فالأسباب الداخلية تدلّ على ما اتصل باللغة، كالأسباب الصوتية والاشتقاقية والنحوية والسياقية في مدار الاستعمال الذي يؤثر عبر تلك الأسباب في تطوّر المعاني، آخذا في البداية شكل الانحراف، ثم متدرّجا بعد ذلك حتى يغدو عرفا متواضعا عليه - فالتقارب الصوتي بين صوتين من كلمتين مختلفتين قد يفضي نتيجة لسوء النطق أو سرعته إلى تحريف يجعلهما بعد ذلك من كلمات المشترك اللفظي تنشأ من تطوّر الأصوات(٦٨). كما قد يؤدي الانحراف في نطق بعض الاصوات إلى اتجاه عكسي، إذ تغدو للكلمة الواحدة صورتان لفظيتان

---

(٦٦) انظر: فندريس، اللغة، ص ٢٤٧.

(٦٧) للتوسّع، ينظر في: أيوب، د عبدالرحمن، اللغة والتطور، ص ٣٧ ـ ٣٩، وباي، ماريو، لغات البشر، ص ٤٠ ـ ٤١، وظاظا، د. حسن، اللسان والإنسان، ص ١٢٥، وميتشيل، معجم علم الاجتماع، ص ٧٨ ـ ٨٠، ووافي، د. علي عبدالواحد، علم اللغة، ص ٥٧.

(٦٨) انظر: أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ١٢٥.

أو أكثر، مما قد يؤدي إلى الترادف وهو المنسوب إلى اللهجات، كالصقر والزقر والسقر التي تدلّ جميعا على مسمّى واحد، كما قد يؤدي إلى صورة من صور الفروق، فنطق الطاء في «الغلط» تاء يُظهر كلمة جديدة هي «الغلت» مما يوحي بوجود فرق بين معنى الكلمتين، كأن يكون الغلط عاماً، والغلت في الحساب خاصّا، كما جاء في بعض المعاجم(٦٩). واستنادا إلى هذه الجوانب الصوتية يمكن للدارس أن يحلّل كثيرا من مظاهر التطوّر الدلالي. أما الاسباب الاشتقاقية فهي مسؤولة أيضا عن بعض الانحراف الذي يشيع حتى يغدو ظاهرة عامة تفسّر معنى هذا اللفظ أو ذاك، بعيدا عن المعنى الأصلي. والسبب هو الخلط بين أصلين من أصول الاشتقاق. من ذلك أنّ ابن مكي ذكر نقلا عن أهل عصره أنّهم يعنون بقولهم «ضربه فأشواه» أنه أحرقه ضربا، كما يشوى اللحم في النار، وليس الأمر كذلك، لأن معناه: ضربة فأصاب شواه، والشَّوَى أطراف الجسد كاليدين والرجلين(٧٠). ولا شكّ في أن تقارب هاتين الكلمتين، «شَوى» بمعنى أحرق شيئا في النار، كما هو معروف، و «الشَّوى» بمعنى أطراف الجسد، بعث ذلك الوهم في أنّهما من أصل اشتقاقي واحد يدلّ على الإحراق. ويبدو أنّ الصيغ الفعلية المشتركة بين هذين الأصلين المختلفين دلالة هي التي رشّحت لهذا الوهم الذي دعوناه بالجناس الاشتقاقي.

وتسهم الأسباب النحوية والموقعية السياقية في كثير من أمثلة التطوّر الناشىء من كثرة استعمال لفظ في موضع معيّن. فكلمة «الفشل» تدلّ على الضعف، ولكنّ كثرة استشهاد الناس بورودها في القرآن الكريم في قوله تعالى: «ولا تنازعوا فتفشلوا»(٧١)، وذلك في مواطن التنازع المؤدّي إلى الإخفاق عادة جعلهم يظنّون أنّ معنى الفشل هو الإخفاق(٧٢). كما تؤدي الأساليب النحوية كالنفي والتعجب والاستفهام والحضّ وغير ذلك، إلى تطوّرات دلالية متشعّبة

(٦٩) انظر: اللسان، ٢/٦٤، ٧/٣٦٣، والقاموس المحيط، ص ٨٧٨، وتاج العروس، ١٩/٥١٧.

(٧٠) انظر: ابن مكي، تثقيف اللسان، ص ٣٠٠ وقارن باللسان، ١٤/٤٤٥ ـ ٤٤٩.

(٧١) الأنفال، آية: ٤٦.

(٧٢) انظر: المبارك، محمد، فقه اللغة، ص ٢١٣.

رصد علماء البلاغة صورا كثيرة منها، مع التنبّه إلى اختلاف مناهجهم عن علم الدلالة الحديث.

أما الاساليب الخارجية فتشير إلى أثر العوامل الاجتماعية والتاريخية والنفسية في تغيّر المعنى. ويبدو أهم هذه العوامل ما يرجع إلى الظواهر الاجتماعية التي تضم ثقافة المجتمع وسلوكه وطرائق الحياة فيه. ومن الجدير بالذّكر هنا أنّ أعضاء المدرسة الاجتماعية الفرنسية ولا سيّما دوركايم (Durkheim) ركزوا جهودهم لبيان العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، ومدى ما يؤثره المجتمع وحضارته في مختلف الظواهر اللغوية. وقد تابع هذا النهج من بعدُ اللغويُّ السويسري الشهير سوسير (Saussure) [٧٣]. وتدلّ الاسباب التاريخية على التغيّر في الاشياء والمسمّيات دون الأسماء. ويشير هذا النوع من التغيّر الدلالي إلى صور متعدّدة منها إحياء لفظ قديم كان يدلّ على شيء غاب أو انقرض، وذلك لسدّ النقص في الثروة اللفظية، ويكون باعتماد عنصر المشابهة بين الشيء القديم الذي كان له الاسم، والشيء الجديد الذي صار له. من ذلك في العربية الفصحى المعاصرة جمّ غفير من الألفاظ التي حافظت على صيغها مع أنّها غدت تدلّ على مسمّيات جديدة تطوّرت بتطوّر الحضارة، كالقطار والسّيارة والجرّار ونحوها. وللأسباب النفسية تأثيرها أيضا في تغيّر المعنى، وتشير كثير من المشاعر الانسانية كالتفاؤل والتشاؤم والخوف والرجاء ونحوها إلى آثار مهمّة في هذا المجال. من ذلك ما ذكره الجواليقي من أنّ العرب ما زالت «تسمّي الناهضين في ابتداء الأسفار «قافلة» تفاؤلاً بأن ييسّر الله لها القفول، وهو شائع في كلام فصحائهم» [٧٤].

ومنه أيْضاً ما هو معروف في العربية، نحو إطلاق لفظ «السليم» على الملدوغ تفاؤلا، ولفظ «المفازة» على الصحراء المهلكة تفاؤلا بالنجاة من أهوالها. ومن هذا النحو أيضا ما درسه علماء اللغة والنفس المحدثون تحت عنوان «التابو» (Tabou) ويدلّ على المحظور والممنوع ذكره [٧٥]. وأهمّ ميدان تكثر فيه أمثلة

(٧٣) انظر: وافي، د. علي، علم اللغة، ص ٦٥ ـ ٦٧.

(٧٤) انظر: الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ص ١٢٤.

(٧٥) انظر: فرويد، الطوطم والتابو، ترجمة بوعلي ياسين، ص ٤١ ـ ٤٩.

«التابو» هو ما تعلّق بالألفاظ «الجنسية» وما يقاربها ممّا تحسن الكناية عنه ويقبح التصريح به [٧٦].

والحقّ أنّ كثيرا من حالات التغيّر والتحوّل في دلالة الألفاظ، أو في تطوّر الألفاظ، إنما هي نتيجة لسبل عديدة لا يسهل تقعيدها لتشعّبها وقصورها عن تفسير كلّ ما يعرض للباحث من أمثلة التطوّر. وتبقى تلك الأسباب التي أوجزناها صوى يهتدي بها الباحث في هذا المعترك الصعب، من غير ان تؤخذ على أنها عوامل حتميّة أو قوانين صارمة[٧٧].

تسلك الدلالة في تغيّرها سبلا معروفة في معظم اللغات، وهي التي تعرف بقوانين المعنى أو أشكاله ومظاهره. وقد نُقل عن بريال (Breal)، وزملائه تقسيم منطقي ظهر لهم حين قارنوا المعنى القديم بالحديث، فتبيّنوا أن المعنى القديم إما أن يكون أوسع من المعنى الجديد، أو أضيق منه، أو مساويا له؛ فيكون من ذلك تضييق المعنى أو التخصيص، وتوسيعه أو التعميم، والانتقال من مجال إلى آخر، ويضمّ المجاز[٧٨]. وعلى الرغم من إحكام هذا التقسيم إذ ليست هناك إمكانية لايجاد قسم رابع، فان هذه القوانين وأمثالها ما تزال بحاجة إلى مزيد من البراهين الواقعية كي تصبح في مستوى القوانين العلمية. ولذلك ـ كما يقول أولمان ـ «وجب أن تؤخذ الأمور بمنتهى الحيطة والنظرة الواقعية، ومن الأسلم لنا أن نتجنب إصدار أحكام سريعة شاملة في هذا الشأن [٧٩].

ومهما يكن من أمر فإن ما يهمّنا هو تصنيف أمثلة اللحن التي نحن بصددها وتفسيرها، وهذه القوانين صالحة من غير شكّ لتفسير تلك الأمثلة ولا سيّما إذا عرفنا أنّ معظم مصنفات اللحن صرّحت بالتقسيم الذي رأيناه، أي «التخصيص والتعميم والنقل» حين عرضت لجزء مهم من أمثلة تطوّر الدلالة.

---

(٧٦) انظر: أولمان، دور الكلمة، ص ١٧٤، وأنيس، دلالة الألفاظ، ص ١٤٠، وعمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص ٢٦٥.

(٧٧) لمزيد من التفصيل، ينظر في: أولمان، ص ١٥٢ ـ ١٦٠، وأنيس، ١٣٤ ـ ١٥١، والمبارك، محمد، ص ٢١٢ ـ ٢١٧، وعمر، أحمد مختار، ص ٢٣٧ ـ ٢٤٢، والداية، علم الدلالة، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٧٨) انظر: أولمان، ص ١٦١ ـ ١٦٣.

(٧٩) أولمان، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

فالتخصيص يدلّ على تضييق المعنى، وذلك بقصر العامّ على بعض أفراده. ويمكن أن يُفسّر بأنه نتيجة لشيوع نوع واحد من مجموعة من الأشياء أو الأمور التي تدلّ عليها الكلمة. كذلك قد يؤدي انقراض بعض الاشياء أو العادات ومظاهر السلوك المعبّر عنها دلاليا إلى تضييق الدلالة وانحصارها بما بقي من تلك الأشياء متداولا، دون أن تلغى تلك المرحلة التى كانت الدلالة فيها عامة. كما يمكن أن يكون أمن اللبس سببا في هذا النوع من التطوّر، لأنّ الدلالات العامة قد توقع في سوء الفهم، بسبب جواز انطباقها على أشياء كثيرة، فيكون التخصيص تحديدا للمقصود وإهمالا لما عداه. ويرى إبراهيم أنيس أنّ الناس «ينفرون من تلك الكلّيات التي لا وجود لها إلا في الأذهان، وهم لقصور في الذهن حينا، أو بسبب الكسل، والتماس أيسر السبل حينا آخر يعمدون إلى بعض تلك الدلالات العامة ويستعملونها استعمالا خاصا»(٨٠). ويفسّر أحمد مختار عمر التخصيص بأنّه «نتيجة إضافة بعض الملامح التمييزية للّفظ، فكلّما زادت الملامح لشيء ما قلّ عدد أفراده»(٨١). ويبدو أنّ أمن اللبس، والاقتصاد في بذل الجهد هما العاملان الأساسيان في إحداث هذا النمط من تطوّر الدلالة، ولا سيّما لدى الناس في حياتهم العامة، أما ذلك النوع الذي يكون بإضافة ملامح جديدة للدلالة، فميدانه العلم ومصطلحه. وهو بعيد عمّا ننظر فيه من جوانب التطوّر في لحن العامة.

أما التعميم فيكون بتوسيع معنى اللفظ، ومفهومه، ونقله من المعنى الخاص الدالّ عليه إلى معنى أعمّ وأشمل(٨٢). ويُفسّر التعميم بأن الناس في حياتهم العادية يكتفون بأقلّ قدر ممكن من دقّة الدلالات وتحديدها، ويقنعون في فهم الدلالات بالقدر التقريبي الذي يحقّق هدفهم من الكلام والتخاطب(٨٣). ولا شكّ في أنّ هذا التفسير ينطبق على معظم أمثلة الدلالة التي تداولها العامة، ولقد مرّ بنا في الفصل السابق مواضع متعدّدة كان اتجاه

---

(٨٠) أنيس، د. ابراهيم، دلالة الألفاظ، ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٨١) عمر، د. أحمد مختار، علم الدلالة، ص ٢٤٦.

(٨٢) انظر: المبارك، محمد، فقه اللغة، ص ٢١٨.

(٨٣) انظر: أنيس، دلالة الالفاظ، ص ١٥٥.

الناس فيها إلى تعميم الدلالة وإزالة الفروق. ولإبراهيم أنيس رأي في دور التعميم ومدى شيوعه في اللغات، ذهب فيه إلى «أنّ تعميم الدلالات أقلّ شيوعا في اللغات من تخصيصها، وأقلّ أثرا في تطوّر الدلالات وتغيّرها»[٨٤]. ولسنا ندري علام استند أنيس في إطلاقه هذا الحكم الذي نرى خلافه ولاسيّما في المستوى الذي تحدّث عنه، وهو مستوى الناس في حياتهم العادية. فالحرص على الدقة وإيقاع الألفاظ في مواقعها المحدّدة ومراعاة الفروق، ليست من الظواهر الشائعة لدى الناس في ذلك المستوى الموصوف. ، ويمكن للدارس أن يأخذ مبدأ الاقتصاد في بذل الجهد في حسبانه ههنا أيضا ـ وهذا الاقتصاد مسؤول عن كثير من الظواهر اللغوية ـ لأن أهل اللغة عامة يميلون إلى التيسير على أنفسهم، ويؤثرون السهولة التي تتمثّل في القدر التقريبي الذي يكفي لفهم الكلام، وهو قدر نفعي يتعرض لضغط الاختزال والتبسيط. فلا غرابة إذن حين تتعرّض وظيفة أمن اللبس إلى أخطار جمّة في هذا النوع من تطوّر المعنى، ولا سيّما إذا ابتعد الناس عن التثقيف اللغوي، وأوغلوا في الانغلاق ضمن تجمّعاتهم المهنية والسكنية.

وينفرد الانتقال من مجال إلى آخر بجانب مهمّ في تطوّر الدلالة، وذلك لتنوّعه واشتماله على أنواع المجازات القائمة على التخيلات[٨٥]. ويقوم هذا الانتقال على تغيّر مجال الاستعمال، فالمعنى الجديد هنا ليس أخصّ من المعنى القديم ولا أعمّ، بل هو مُساوٍ له. ولذلك يتّخذ هذا الانتقال المجاز سبيلا له، لما يملكه المجاز من قوّة التصرف في المعاني عبر مجموعة متعدّدة من العلاقات والأشكال. فاستعمال اللفظ بالمعنى الجديد يكون في بادىء الأمر عن طريق المجاز، لكنّه بعد كثرة الاستعمال والتواتر الزمني يغدو من «النقل» الذي تضمحل منه الصبغة المجازية[٨٦]. ويطلق على هذا النوع من المجاز لدى البلاغيين مصطلح «المجاز الراجح»[٨٧].

(٨٤) أنيس، دلالة الألفاظ، ص ١٥٤.

(٨٥) انظر: عمر، د. أحمد مختار، علم الدلالة، ص ٢٤٩.

(٨٦) انظر: المبارك، وفقه اللغة، ص ٢٢١، والمسدى، د. عبدالسلام، التفكير اللساني، ص ١٨٨، وقاموس اللسانيات، ص ٤٤.

(٨٧) انظر: حسين، محمد الخضر، دراسات في اللغة، ص ١٠.

ومن الجدير بالذكر أنّ علماء الدلالة المحدثين ذهبوا إلى أنّ في المجاز المرسل ذي العلاقة الكلّية والجزئية، والعلاقات الأخرى كالمجاورة والسببية، وفي الاستعارة نماذج إساسية لتغيّر المعاني(٨٨). وثمة أفكار تتصل بها نحن بصدده يحسن بنا أن نعرض لها بإيجاز. من ذلك أنّ الدارسين المحدثين يفرّقون بين نوعين من الاستعارة، أحدهما يدلّ على تبديل لغوي أو نقل غير تصويري، والآخر يشير إلى الابتكار في التصوير لإثارة المتلقي.

وتندرج في النوع الأول من الاستعارة الاستعارات الذاوية التي فقدت عنصر المجاز المثير وتحوّلت إلى رصيد اللغة. كما يدخل في هذا النوع أيضا الاستعارات اللغوية القائمة على النقل الإرادي غير الفنيّ، فهي في الأصل ابتكار وضع تسمية واصطلاحا. من ذلك أمثلة كثيرة في العربية وغيرها، نحو «رجل الكرسي» و «عين الباب» و «عنق الزجاجة». وقد أنكر بعض المحدثين إطلاق مصطلح «استعارة» على هذا النمط من الاستعمال اللغوي، لأنه لا يهدف إلى تحقيق تأثير معينّ ـ كما هي الحال في ضروب المجاز الفنيّ ـ أو ابتكار أدبي.

وقد صنّف اللغوي المعاصر غيرو (Guiraud) أمثلة من هذا النوع تحت مصطلح «التسمية المعرفية» (La Nomination Cognitive)(٨٩). ويدخل في هذا النمط من الاستعارة اللغوية استخدام الكلمات ذوات المعاني المادية للدلالة على المعاني المجردة على نحو قريب من مصطلح «التجسيد» نحو «جسم المشكلة» و «رأس الفكرة». وأمثلة هذا الاستعمال كثيرة، ولم نعد نشعر بأنّها مجازية. ومن هذا النمط من الاستعارة اللغوية أيضا ما يكون نقلا لكلمات تدلّ على إحدى الحواس إلى مجال يتصل بحاسة أخرى. ويعرف هذا في الدراسات الحديثة باسم «التزامن» أو «التبادل» (Synesthesie). ومن جملة هذا النقل قولنا: «صوت ناعم» و «ذوق في اللباس» و «منظر حلو». ومن الجدير بالذكر أنّ هذا النوع من النقل يظهر في شكلين، الأول منهما يشير إلى النقل من حاسة إلى أخرى،

---

(٨٨) انظر: الداية، د. فايز، علم الدلالة العربي، ص ٣٧٩، ودراستنا في مجلة «عالم الفكر»، العدد /٤/، المجلد /١٦/، ١٩٨٦، «مقدمة لدراسة التطور الدلالي..»، ص ٣٧ ـ ٤٠.

(٨٩) انظر: (Guiraud, La sémantique, Que sais - Je?, P.57).

وهو شائع في الفن الأدبي ولا سيّما الشعر. أما الثاني فيدلّ على تطوّر دلالة كلمة من المفردات الدالة على حاسة من الحواس باتجاه التعميم، وهذا ممّا يعدّ في أساليب اللغة للوفاء بمتطلبات التعبير المتجدّده. واستنادا إلى هذا الاجتهاد نرى أنّ بعض صور الشكل الأول لا تزال محتفظة بقوة المجاز الفنّي وبما يثيره من انفعال. من ذلك أنّ «السمع ملون» و «النغمة زرقاء» و «العين ترشف الأنين». أما الشكل الثاني فيشير إلى ذلك التطوّر الذي وصفنا نحو كلمة «حلو» التي تطوّرت من مجال الذوق الحسي إلى بقية مجالات الحواس، ثمّ إلى مجالات أخرى من الحسي والمجرّد(٩٠).

ويمكن أن ندرج في هذا النمط من درس الاستعارة اللغوية ما ينتج من «التابو» من تلطّف في التعبير عبر أساليب متعدّدة من الاستعارة والكناية. «فمن المعروف أنّا نلجأ دائما إلى العبارات الرقيقة، والتلميحات اللطيفة، والتحويم حول المقصود عندما نضطر إلى إلقاء الأخبار السيئة، وبخاصة أخبار المرض والموت»(٩١). ويؤول هذا النمط مثله في ذلك مثل ضروب المجاز إلى تعبير لغوي مباشر، فاقدا ما اتصف به من قبل من التلطّف والرمز الحييّ الذي لا يكاد يفصح عمّا يراد منه. من ذلك في عصرنا ما يلاحظ لدى تلاوة الصيغ الشرعية والقانونية المتصلة بالزواج، من حرج، على الرغم من أنّ معظم الكلمات الواردة في تلك الصيغ ليست مما يخدش الحياء. والمسألة ههنا تتركز في أنّ لهجات الخطاب قد طوّرت مفردات متعدّدة للدلالة على الزواج، هي في العرف أستر لما لا يحسن ذكره صريحا. ويقاس على هذا ما يتصل بالموت والمرض والكوارث من مفردات.

والخلاصة التي يمكن أن ننتهي إليها هي أن معظم صور الاستعارة، ما كان منها فنيّا، وما كان لغويا يؤول بعد التكرار والتواتر في الزمن إلى رصيد اللغة المعجمي، مع أنّ هناك مراتب ينبغي أن تراعى حين التصدّي لتصنيف الأمثلة التي ترجع إلى أنماط الاستعارة جميعها. وتجدر الاشارة الى صنيع الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) المتميّز في معجمه «أساس البلاغة) الذي جمع فيه كلّ ما انتهى إليه

---

(٩٠) انظر رسالتنا العربية الفصحى المعاصرة، جامعة حلب، ١٩٨٤م، ص ١٧١ ـ ١٧٣.
(٩١) أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ١٧٧.

من الاستعمالات المجازية والأمثال والكنايات وغيرها. ويمثّل هذا العمل في نظرنا ذروة لما يمكن أن يكون عليه المعجم الدلالي في ذلك العصر. فالزمخشري حريص على تبينّ الأصل الحقيقي للدلالة، وإن بدا غريبا، لأنّ مستعملي اللغة ألفوا استعمال بعض المفردات بدلالاتها المتطورة، وتنوسيت تبعا لذلك الأصول التي انحدرت منها. ومفهوم الحقيقة عنده لا يتعدى الأصل الأول - بحسب اجتهاده - وهو غالبا ما يكون حيا. أما بقية المعاني المتطوّرة - وإن كانت في نظرنا من باب الحقيقة بحسب مناهجنا الحديثة - فهي عنده في باب المجاز. والمجاز لدى الزمخشري مجال واسع يضمّ كل الأساليب الفنية المتداولة حتى عصره[٩٢].

ولقد أحسن صنعا حين تجنّب التصنيف البلاغي للمجاز الذي يفضي إلى التعقيد وتحكّم المعيار. وهو لا يقصد - كما يقول محمد الخضر حسين - بتعرّضه «للمعاني المجازية بعد الحقيقة أن يقصر المجاز على تلك الألفاظ، ولا أن يحجر على الناس التصرّف في تلك الألفاظ، بنقلها إلى معان لم ينقلها إليها العرب وإنما قصده التنبيه على جانب عظيم من أساليب البلغاء وتصرفاتهم في المعاني، ليقتدي بها الناشئون[٩٣]...

وإذا تجاوزنا ما يتصل بالاستعارة من مسائل نقل المعنى، فإنّا نجد في المجاز المرسل صورا أخرى يظهر فيها هذا النقل. فاللفظ الذي ينقل من معنى إلى آخر، يتوسّل بإحدى طريقتين هما الاستعارة وتقوم على المشابهة بين المدلولين، والمجاز المرسل الذي يعتمد مجموعة من العلاقات بين المدلولين. من ذلك ما درسه أولمان تحت عنوان «العلاقة بين المدلولين» من صور متعدّدة، بدأها بمثال على المجاورة هو كلمة «مكتب» (Bureau) التي يماثل تطوّرها في العربية الفصحى المعاصرة ما ذكره أولمان عن تطوّرها. فالمكتب أصلا هو منضدة الكتابة وما يتصل بها، ثم غدا دالا على الحجرة التي توضع فيها هذه المنضدة، ثم تطوّرت الدلالة لتشير اليوم إلى «هيئة» حكومية أو شعبية تدار منها أعمال متنوّعة. ومن الواضح أنّ حلقات هذا التطوّر بقيت جميعا في مدار الاستعمال، إذ لم ينسخ الجديد منها ما كان أقدم، بل تعايشت هذه الدلالات

---

(٩٢) انظر: مقدمة أمين الخولي لأساس البلاغة، ص (ح - ن).

(٩٣) حسين، محمد الخضر، دراسات في اللغة، ص ٩.

معا، فالمكتب يدلّ على المنضدة، وعلى الحجرة التي يكون فيها، وعلى الهيئة الصغيرة والكبيرة مهما كان النشاط الذي تمارسه. ويضيف أولمان إلى ما ذكره صورا أخرى يظهر فيها هذا المجاز المرسل، منها إطلاق المحل على الحالّ، كما في «شرب كوبا من الماء» وإطلاق اسم الأداة والآلة على وظيفتها، وإطلاق اسم العمل على آثاره ونتائجه. كما قد يسمّى الشيء باسم مخترعه أو مؤلفه أو مكانه الأصلي، ويكون من ذلك تحويل أسماء الأعلام إلى أسماء وصفات عادية، وهناك صورة أخرى كثيرة الورود - كما يقول أولمان - وهي استحضار الكلّ بذكر جزئه، ذي الخاصة البارزة، كما في إطلاق العين على الجاسوس والشراع على السفينة[٩٤].

ونجد في الدرس البلاغي للمجاز في «علم البيان» غنى وتشعبا. من ذلك ما يقف عليه الدارس من ضروب المجاز اللغوي أو المرسل، وهو أقرب المجاز إلى النقد الدّلالي، لأنه كما عرّفه السكاكي: المجاز الذي يرجع إلى المعنى المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه، ويكون «بأن تُعدّى الكلمة عن مفهومها الأصلي بمعونة القرينة إلى غيره لملاحظة بينهما ونوع تعلّق[٩٥]. وتدلّ الامثلة التي ذكرها السكاكي على ما عُرف بعلاقات المجاز المرسل، وهي السببية والمسببيّة والجزئية والكلية واعتبار ما كان واعتبار ما يكون والمحلّية والحاليّة[٩٦]. والمسألة ههنا ليست في تنبّه البلاغيين واللغويين إلى هذه التعريفات الدقيقة للمجاز، واستنباطهم ما يكون بين المعاني من علاقات، فذلك ممّا يقدّر لهم، إنما مدار الأمر يكون في أنّ هذا الدرس آل إلى قوالب جامدة، حاول بعضهم من خلالها تثبيت ما عرفه من أمثلة على أنه مسموع لا يقاس عليه[٩٧]. وهذا كما هو واضح وجه من وجوه النظرة المعيارية الصارمة التي تظهر في معظم المواقف المعلنة من تطوّر اللغة ولا سيّما في المباحث النظرية. أما معظم المباحث التطبيقية لدى

---

(٩٤) انظر: أولمان، دور الكلمة، ص ١٦٩ - ١٧٠، وانظر أيضا: المبارك، محمد، فقه اللغة، ص ٢٢٠ - ٢٢١، والداية، د. فايز، علم الدلالة، ص ٣٨٠ - ٣٨٥.

(٩٥) السكاكي، مفتاح العلوم، ص ١٩٤.

(٩٦) انظر: المصدر السابق، ص ١٩٤ - ١٩٦، والقزويني، التلخيص، ص ٢٣٦ وما يليها.

(٩٧) انظر: حسين، محمد الخضر، دراسات في اللغة، ص ٧ - ٨.

القدماء فقد عرفت خروجا على كثير من المواقف المتشدّدة من تطور الدلالة، واجتهادا في تحليل الدلالة من الوجهة التاريخية.

ثمّة مجالات ثلاثة تظهر فيها التغيّرات الدلالية، وهي المجال الأساسي الذي يمثّل الأصول الحسية الأولى للدلالة والمجال الحسي الذي يشهد التطوّر بين المحسوسات بالتخصيص والتعميم والنقل، والمجال الذهني الذي ترقى إليه الدلالة الحسية عبر أشكال متنوّعة، أهمّها الاستعارة. وتعبّر هذه المجالات عن التسلسل المتدرّج لتطوّر الدلالة بدءا من المعنى الحقيقي الذي هو غالبا ما يكون حسّيا مرتبطا بالبيئة التي استقرت فيها أصول اللغة، ثم نقلا لهذا المعنى الحسي الى محسوسات أخرى نتيجة لضغط الحاجة المتولّدة من تطوّر الثقافة والعلوم إلى استخراج الدلالات المجرّدة وتوليدها.

فالبحث في المجال الأول يكون في الأصل الحسي الذي يفترض أن يكون أقدم المعاني، وأقربها إلى ظروف المكان والزمان التي عايشها أهل اللغة[٩٨]. ودلالة هذا الأصل دلالة عرفية «حقيقية» لا تحتاج إلى قرائن، بل تستغني في الدلالة على المراد منها بنفسها عن سائر ما تحتاج إليه ضروب الدلالات المجازية من علاقات. وليس المقصود هنا بالأصل الحقيقي للدلالة هو الأصل الأول لوضع اللغة في طور نشأتها لأن ذلك ممّا يخرج هذا البحث عن حدوده، إنّما هو المعنى الذي جرى به الاستعمال مستقرّا قبل أن يشهد شيئا من التغيّر في أي اتجاه وذلك بحسب ما يظهر لنا عادة من دراسة سلسلة التطوّر. وهناك مواضع متعدّدة يمكن ان يكون هذا الأصل موظّفا فيها، منها ما أتينا على ذكره في الأجزاء السابقة من هذا البحث، ومنها ما يوظّف في الدرس التطبيقي الواسع. وكان ممّا سبق أن ابن قتيبة خصّص أبوابا «لتأويل» كلام الناس الذي يجهلون أصوله، بعد أن شاعت دلالاته المتطوّرة[٩٩]. ومن هذا النحو أيضا ما ورد في تضاعيف الأمثلة التي ناقشها المصنّفون الذين احتكموا أحيانا إلى دلالة الأصل

(٩٨) انظر: زيدان، جرجي، الفلسفة اللغوية، ص ٩٧ - ٩٩.

(٩٩) انظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٥٠ وكذلك ما جاء في أبواب «أصول أسماء الناس» و «صفاتهم»، ص ٦٧ - ٨٥، ومن هذا النحو ألفّ السيوطي رسالة بعنوان «رسالة في أصول الكلمات».

كي يتبيّنوا وجه الصواب أو عدمه في كلام الناس، أو في آراء السابقين من اللغويين. وهناك موضع وقفنا به من هذا الاحتكام، هو ما ذكره أبو هلال العسكري من معايير للفصل في مسألة الترادف، كان أصل الدلالة واحدا منها[100]. ومن هذا النحو أيضا ما رأيناه في درس الدلالة الاشتقاقية من توقّف عند كثير من مواضع أصول الدلالة مشتجرة بالأصل الاشتقاقي.

أما المجال الثاني من المجالات التي تشغلها الدلالة، فهو مجال التطوّر بين المحسوسات. وتتمثل في هذا المجال نقلات متنوّعة للمعنى الحسي الأول مجتازا حدوده عبر السبل المعروفة من التخصيص والتعميم والنقل. ويكون من خلال هذا المجال خروج اللغة من السكون والاستقرار النسبي إلى الحركة والتغيّر بفعل ما يجري في المجتمع من تطوّرات تنعكس على اللغة. ومن هنا تغدو المعاني الحسّية العرفية محدودة وقاصرة عن الوفاء بمتطلبات التعبير اللغوي الجديدة، فيكون المجاز ـ باتساعه وقوته ـ طريق اللغة إلى ذلك. ويلاحظ أنّ معظم ما ينتج من هذا المجاز يكون متسما بطابع الارتجال المحدث ثم يفقد لطول العهد به ما يميّزه من الاستعمال الحقيقي.

وفي المجال الثالث نجد أن الدلالات الحسية تنتقل إلى المجال الذهني ذي الطوابع التجريدية، وذلك نتيجة لرقيّ العقل الإنساني وتطوّر الخبرة والعلم. «فالمجردات لا تتناول المفردات أو الأعمال الحركية أو المتصلة بالحواس الظاهرة، وإنما تعبّر عن الحالات النفسية والعقلية ومفرداتها من الشعور والانفعال والحكم في السلوك والحياة عامة وفي العلوم[101].» ويمثّل الانتقال من المعاني المادية المحسوسة إلى المعاني المجرّدة الاتجاه الظاهر في تطوّر الألفاظ، لأنّ هذا الاتجاه أكثر شيوعا من الانتقال في الاتجاه المضاد، أي من المجال الذهني إلى الحسي[102]. فبحث التطوّر يبدأ إذن بالمعنى الحسي الأول ثم يتناول التطوّر في المجالات الحسية، ثم يرقى صعدا إلى المجرد الذهني.

---

(١٠٠) انظر: العسكري، الفروق، ص ١٦ ـ ١٧.

(١٠١) الداية، علم الدلالة العربي، ص ٢٨٩.

(١٠٢) انظر: أولمان، دور الكلمة، ص ١٨٦، وأنيس، دلالة الألفاظ، ص ١٦١، والمبارك، محمد، فقه اللغة، ٢٢٢.

المصادر والمراجع

ابن جنّي — الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط. ثانية، د.ت

ابن فارس — الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، ١٩٦٤م

ابن قتيبة — أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م

ابن مكي — تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق عبدالعزيز مطر، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦م

ابن منظور — لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت

أنيس، د. إبراهيم — دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط. ثانية، ١٩٦٣م

أولمان، ستيفن — دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٥م

إيلوار، رونالد — مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، وزارة التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٠م

أيوب، د. عبدالرحمن — اللغة والتطور، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٩م

باي، ماريو — لغات البشر، ترجمة صلاح العربي، قسم النشر بالجامعة الامريكية، القاهرة، ١٩٧٠م

بشر، د. كمال — دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م

الجرجاني، عبدالقاهر — دلائل الاعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية وفايز

الداية، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٣م

الجواليقي — شرح أدب الكاتب، تقديم مصطفى صادق الرافعي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠م

حجازي، د. محمود — علم اللغة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣م

فهمي — المعجمات الحديثة، دراسات في اتجاهات تأليفها وأسسها اللغوية، أملية مستنسخة في كلية الآداب بجامعة القاهرة، ١٩٧٨م

حسّان، د. تمام — اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط. ثانية، ١٩٧٩م

اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٠م

حسين، محمد الخضر — دراسات في اللغة، جمع وتحقيق علي التونسي، المطبعة التعاونية بدمشق، ١٩٧٥م

خليل، د. حلمي — المولّد، دراسة في نمو وتطوّر اللغة العربية بعد الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الاسكندرية، ١٩٧٨م

خيّاط، يوسف والمرعشلي، نديم — المصطلحات العلمية والفنيّة، مجلّد ملحق بلسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٠م

الداية، د. فايز — علم الدلالة العربي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م

الراجحي، د. عبده — فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م

الزبيدي — تاج العروس، ط. المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٦هـ «عشرة أجزاء»، وط. وزارة الانباء الكويت «من الجزء الأول وحتى الثاني والعشرين» ولما يتمّ.

الزمخشري — أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢م

زيدان، جرجي — الفلسفة اللغوية، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٢م

السكاكي — مفتاح العلوم، المطبعة الأدبية بمصر، ١٣١٧هـ

سوسُر، فردينان — محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، دار نعمان، جونية، لبنان، ١٩٨٤م

السيوطي — المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، البابي الحلبي بمصر، د. ت

شاهين، د. عبدالصبور — في علم اللغة العام، جامعة حلب «تصوير» ١٩٨١ ـ ١٩٨٢م

الصالح، د. صبحي — دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط. رابعة، ١٩٧٠م

ظاظا، د. حسن — اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، ١٩٧١م

العسكري، أبو هلال — الفروق في اللغة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط. خامسة، ١٩٨٣م

عمر، د. أحمد مختار — علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٨٢م

غازي، د. يوسف — مدخل إلى الألسنية، منشورات العالم العربي الجامعية، دمشق، ١٩٨٥م

فرويد، سيغموند — الطوطم والتابو، ترجمة بوعلي ياسين، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٨٣م

فندريس، جوزيف — اللغة، ترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م

الفيروز آبادي — القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت،

١٩٨٦ «مجلد واحد»

قدّور، أحمد محمد — العربية الفصحى المعاصرة، دراسة في تطورها الدلالي من خلال شعر الأخطل الصغير، رسالة ماجستير، جامعة حلب، ١٩٨٤م

القزويني — التلخيص في علوم البلاغة، شرح عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية بمصر، ط. ثانية، ١٩٣٢م

مارتينيه، أندريه — مبادىء اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحمو، وزارة التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٥م

المبارك، محمد — فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، ط. سابعة، ١٩٨١م

مجمع اللغة العربية بالقاهرة — المعجم الوسيط، دار الفكر، ط. ثانية، د. ت

المسدى، د. عبدالسلام — التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١م

قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٤م

اللسانيات وأسسها المعرفية، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، والدار التونسية للنشر بتونس، ١٩٨٦م

مونان، جورج — تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم. وزارة التعليم العالي، دمشق، «تصوير» جامعة حلب، ١٩٨٢م

علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، وزارة التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٢م

ميتشيل، دينكن — معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١م

هولتكرانس، إيكه — قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف

بمصر، ١٩٧٢م
وافي، د. علي عبدالواحد علم اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط. سابعة، د.ت

الدوريّات والحوليّات

مجلة الحياة الثقافية، تونس، العدد /١٦ ـ ١٧/ ، ١٩٨١م: المسدى، د. عبدالسلام «اللسانيات العربية والاصطلاح اللغوي»، ص ١١ ـ ٢٣
مجلة عالم الفكر، وزارة الاعلام، الكويت، العدد الرابع، المجلد السادس عشر، ١٩٨٦م: قدّور، أحمد محمد «مقدمة لدراسة التطور الدلالي في العربية الفصحى في العصر الحديث»، ص ٢٩ ـ ٤٤
المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت، العدد / ٢٧ /، المجلد السابع، ١٩٨٧م: قدّور، أحمد محمد، «من أثر اللسانيات في الدرس اللغوي العربي ومناهجه»، ص ١٥٨ ـ ١٦٧

اشتقاق "طيء"

الأستاذ محمد بن عمر بن عبدالرحمن العقيل
ابو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري
المملكة العربية السعودية

دعوت في كتابي (اللغة العربية بين القاعدة والمثال) الى معجم على منهج كتاب (مقاييس اللغة) لابن فارس يوحد أصوله، ويستوعب كل مفردات اللغة.

وأوضحت في كثير من مباحثي وجه الضرورة لذلك: بأن الاشتقاق المعنوي لم يحقق بمعجم تطبيقي ذي أصول وقواعد واضحة، وأنه تحريات متفرقة في جمهرة ابن دريد، والعين، وتهذيب اللغة، وأساس البلاغة، ومفردات الراغب، وكتب الاشتقاق التطبيقية ككتاب ابن دريد، وكتب التفسير والشروح.

بل نحن بحاجة الى معاجم تطبيقية لمعاني الصيغ والروابط .

ودرجت في تحقيقاتي على تسمية التصريف اللفظي تحويلا إلى الصيغ المسموعة، ولم أسمِّ ذلك اشتقاقا، لأن الاشتقاق إحداث اسم لمعنى جديد.

بمعنى أن الاشتقاق قاصر على توليد المعاني المجازية والاصطلاحية والعرفية العامة من المعنى الأولي (الحقيقي).

وكنت أتحول هذه التأصيلات بالدراسات التطبيقية كلما سنحت الفرصة. واشتقاق اسم طيء: من ثنايا مباحثي التاريخية اهتبلت جانبها اللغوي فسلكته

في نمط الدراسات التطبيقية الآنفة الذكر.

وطيىء علم، وقد درج الشداة على أن يقولوا: الأسماء لا تعلل.

وهذا صحيح بالنسبة لآحاد الاستعمال، فمن يسمي ولده اليوم طيئا قد يكون عارفا وجه الاشتقاق، ومن ثم يعلم سبب تسميته ولده طيئا.

وقد يكون سمّاه مباختة ومصادفة فيصح في حقه: أن الأسماء لا تعلل.

أما الاسم عندما أطلق علما أول مرة فلا بد أن يكون معقول المعنى التاريخي بأن يكون اقتراضا من لغة أخرى، أو أن يكون مشتقا من معنى لغوي.

ولهذا عني بعض العلماء باشتقاق الأعلام كالأصمعي وابن دريد في كتابيهما (الاشتقاق) و (ابن جني) في المبهج، والزجاج في كتابه (اشتقاق أسماء الله).

ومؤصلو اللغة وباحثوها ودارسوها يتوجسون وجه الاشتقاق ويتحرونه بمسالك استنباطية تختلف درجات القناعة بها بين الظن واليقين.

وقد بينت في كتابي الآنف الذكر أن المعنى الحقيقي الجامع يعتمد في استكشافه على الاستقراء أكثر من الاعتماد على النقل، وأن الاستقراء الصحيح يوصل إلى يقين أو رجحان[1].

وعلى هذه الأسس أعود الى التصريف اللفظي لطيىء، والاشتقاق المعنوي.

وقبل تبيان اشتقاق اسم (طيىء) أحب أن أذكر دلالة هذا الاسم منذ انتشار ذرية طيىء واتخاذه رمزا لما هو أعم من طيىء.

لقد اتخذ رمزا قبل الإسلام، وكانت طيىء من أشهر القبائل.

قال الدكتور جواد علي: «قبيلة طيىء من القبائل التي كان لها شأن كبير قبيل الإسلام.

ولعلها كانت من أشهرها قبل الميلاد، وفي القرون الأولى للميلاد»[2].

ودليل هذه الشهرة أن كلمة طيىء تساوي كلمة عرب عند عدد من الأمم

---

(١) انظر اللغة العربية بين القاعدة والمثال ص ١٧.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/ ٢١٩ وانظر بحث العرب للدكتور جواد علي بمجلة الرسالة عدد ٦٤٩ سنة ١٣٦٠ هـ ص ١٣٣٧.

على هذا النحو:

١ ـ طيايا بمعنى عرب عند السريان [٣].

وعند علماء التلمود من العبرانيين طيّعا ـ بتشديد الياء ـ وطيايا وطياية [٤].

قال الدكتور جواد وقد شاعت هذه التسمية قرب الميلاد، وانتشرت في القرون الأولى للميلاد كما تبين ذلك من الموارد السريانية والموارد اليهودية[٥].

وقال: «أطلق العبرانيون اسم طيعة وطياية على العرب محاكاة لبني إرم، فتجد اللفظة في التلمود، وفي كتابات العبرانيين المدونة في القرون الأولى للميلاد»[٦].

وهذا لا ينفي أن اليهود قد يطلقون طيعة، وطيية وطياية على قبيلة طيىء ذاتها لأن بني طيىء عرب داخلون في التسمية العرفية لارم والعبرانيين، ولأن طيئا أصل هذه التسمية العربية.

ومما يشعر برجحان أن المراد خاصة طيىء لا عموم العرب ما ذكره الدكتور جواد عن كتاب شمعون الذي هو من بيت أرشام حيث ذكر طيايا حنبا (حنفا) ومعدايا في معسكر المنذر الثالث ملك الحيرة.

وطيايا هم الأعراب الشماليون، ومعدايا هم معد[٧].

وقال الدكتور جواد في موضع آخر:

ونجد في رسالة شمعون الأرشامي: أن في جملة من كان في معسكر المنذر الثالث طياية حنبة ومعداية: أي طيىء ومعد.

والأغلب أنه قصد بطياية الأعراب، فقد كانت تطلق بهذا المعنى في هذا العهد[٨].

قال أبو عبد الرحمن: اقتران معد وحنيفة مع طياية في السياق يرجح أن

(٣) المفصل ٤ / ٢١٩ وفي المفصل ٨ / ٥٩٠: «إن بني إرم والفرس أطلقوا على العرب عموما كلمة طياية (طيايو) من أصل طيىء».
(٤) المفصل ١ / ٣١ و ٨ / ٥٩٠.
(٥) المفصل ١ / ٣٢.
(٦) المفصل ١ / ٦٥٢.
(٧) المفصل ٢ / ٥٤٩ قال: وكما يفهم أيضا من نص مريغان.
(٨) المفصل ٣ / ١٧٣.

المراد بطياية في هذا الموضع بنو طيىء.

وحيثما أطلقوا ترجح أن المراد بهم عموم العرب.

وقال الدكتور جواد

«ويذكر التلمود أن الأعراب طيية (طباية) المجاورين لموضع صقونية طلبوا من أهله - وهم يهود - أن يذبحوا لهم ذبائح في مقابل إعطائهم لحومها وجلودها.

أما دمها فيجمع ويعطى للأعراب، وذلك لتقديسه لأربابهم.

وكانت عادتهم تلطيخ أصنامهم بدم القرابين»[٩].

وقال:

«وقد عرف الأعراب بطييعة في التلمود».

أما السريان والموارد اليهودية الأخرى المدونة بالسريانية، فقد أطلقوا وأطلقت على الأعراب لفظة طيية (طيايا)، وذلك بإسقاط حرف العين من الكلمة: طييعة والكلمتان من أصل واحد[١٠]، هو (طيىء) اسم القبيلة العربية المعروفة.

وقد كانت في أيام تدوين التلمود من أقوى وأشهر القبائل العربية حتى غلب اسمها سائر أسماء القبائل، فأطلق على كل عربي كائن ما كان.

وأطلقت لفظة (عرباية) في كتاب من كتب التلمود، على العرب المزارعين الذين استقروا على مقربة من (فومبديثة).

وذكر التلمود أن أولئك العرب المزارعين كانوا قد انتزعوا مزارع اليهود بما فيها من أبنية وأملاك، وأقاموا بها، ولهذا السبب فقد ذهب اليهود الى حبرهم وقاضيهم (ابيه)، وطلبوا منه إعطاءهم وثائق تملّك أخرى، حتى يكون في إمكانهم مراجعة السلطات لإثبات ملكيتهم لأملاكهم التي انتزعت بالقوة

---

(٩) المفصل ١/ ٦٦٠.

(١٠) لا يبعد أن العين بدل من الهمزة، وأن الأصل طييئة، ويكون الاسم نقل عن عرب يقلبون الهمزة عينا. وهذا الإبدال مشهور في لغة العرب لقرب المخرجين. ولا تزال قبائل من نجد - حتى هذه اللحظة - تقلب الهمزة عينا فتقول عن المسألة: مسعلة.

منهم.

وقد نزح يهود من فلسطين إلى الحجاز، فسكنوا وادي القرى حتى نزلوا يثرب، وذهب قسم منهم الى اليمن(١١).

٢ـ كتب الدكتور جواد علي مقالة بحث عن العرب ذكر فيها كلمة «ماتوعربي» وهي نص آشوري اصطلح به على العرب في القرن الثامن قبل الميلاد بمعنى أرض العرب(١٢).

ويرى الدكتور أن كلمة طيايا تحولت إلى تاجك عند الفرس بتحريف يلائم لغتهم(١٣).

وقد أبى عليه كاتب من النجف رمز لاسمه بحروف (ح. م. ع.) وقال: يطلق الفرس هذه الألفاظ الثلاثة «تاجيك» و«تاوك» و«تاوي» على المغول الذين غزوا ايران فبغداد في القرن السابع الهجري، ويطلقونها أيضا على بعض القبائل الشمالية في إيران فيقولون: «ترك تاجيك».

وأما العرب فيعرفون عند الفرس بهذه اللفظة «تازي» ومعناها حرفيا «صحراوي» إذ إن لفظة «تاز» تعني في اللغة الفارسية الأرض المقفرة الخالية.

ولما اشتهر العرب بأنهم قوم «صحراويون» أطلق عليهم الفرس هذه اللفظة بعد أن أضافوا إليها ياء النسبة فقالوا «تازي» فالمصدر الذي استند عليه الدكتور خاطئ ،بناء على هذا،ألبتة(١٤).

ويدعي حمزة الأصفهاني(١٥)أن العرب من ذرية تاج بن فروال الجد الرابع

---

(١١) المفصل ١/٦٦١.

(١٢) مجلة الرسالة عدد ٦٤٩ سنة ١٣٦٠ هـ ص ١٣٣٤.

(١٣) مجلة الرسالة العدد السابق ص ١٣٣٧.

(١٤) الرسالة عدد ٦٥٣ سنة ١٣٦٥ هـ ص ٦١.

(١٥) حمزة بن الحسن الأصفهاني (٢٨٠ ـ ٣٦٠ هـ) مشهور بتعصبه للفرس. ألف لابن بويه كتابه «الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية». فتعصب للغة الفرس. ومع هذا كان عوام أصبهان يسمونه بائع الهذيان لكثرة تصانيفه وخوضه في كل فن. انظر عنه الأعلام ٢/٣٠٩ ومعجم المؤلفين ٤/٧٨.

للملك الفارسي بيوارسب [16]، ولهذا سموا تاجيان.

قال: «بيوارست ده‌آك ده‌آك: اشتقاقه اسم لعقد العشرة، وآك اسم

(١٦) هو المعروف عند العرب بالضحاك، وقد مدح أبو تمام الأفشين في انتصاره على بابك الخرمي فضاهى بابك بالضحاك في قوله:

بل كان كالضحاك في سطواته ... بالعالمين وأنت أفريدون

وبين التبريزي في شرحه لديوان أبي تمام ٣/٣٢١ ـ ٣٢٢ أقوال الاخباريين عن الضحاك وعلق بقوله: «هذا شيء أخذه الطائي من سير الفرس وهي كثيرة الكذب». وتكلم عنه المسعودي في مروج الذهب ١/٢٢٣ ـ ٢٢٤ (دار الفكر) وقال: «وهو الده آك. وقد تنوزع فيه: أمن الفرس كان أم من العرب؟. وذكره المسعودي: أيضا في التنبيه ص ٧٥ ـ ٧٧ وقال: « واليمانية من العرب تدعي الضحاك، وتزعم أنه من الأزد. وقد ذكرته الشعراء في الإسلام، فافتخر به أبو نواس الحسن بن هانىء، مولى بني حكم بن سعد العشيرة في قصيدته التي هجا فيها قبائل نزار بأسرها وافتخر بقحطان وقبائلها، وهي قصيدته المشهورة التي أطال الرشيد حبسه بسببها، وقيل إنه حده لأجلها وأولها:

لست لدار عفت وغيرها ... ضربان من قطرها وحاصبها

فنحن أرباب ناعط ولنا ... صنعاء والملك في محاربها

وكان منا الضحاك يعبده (م) ... الخابل والطير في مساربها

وفيها يقول يهجو نزارا:

واهج نزارا وافر جلدتها ... وكشف الستر عن مثالبها

وقد رد عليه قصيدته هذه جماعة من النزارية.

وقد ذهب كثير من ذوي المعرفة بأخبار الأمم السالفة وملوكها إلى أن الضحاك كان من أوائل ملوك الكلدانيين النبط».

قال أبو عبد الرحمن: رواية الديوان ص ٨٦:

بل نحن أرباب ناعط ولنا ... صنعاء والمسك من محاربها

وكان منا الضحاك يعبده (م) ... الخائل والوحش من مساربها

وفسر ناشر الديوان الخائل بالمتكبر. والصواب أنه الخابل بالباء. قال ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ١٩٧ ـ ١٩٨:

«وأما قوله: وكان منا الضحاك: فإن الضحاك كان رجلا بعيد الصوت، كثير العجائب، والعجم تدعيه، وذلك حق، وكان اسمه بالفارسية أزدها، ومعناه: الشين لأنه كان شريرا رديا، فعربته العرب فقالت: الضحاك، وإنما كانت أمه قحطانية، فادعته اليمن لذلك. والعرب تزعم والعجم أيضا أن الجن كانت تطيعه وأن الوحش كانت تألفه وتأنس به، فذلك قوله:

وكان منا الضحاك يعبده الـ ... ـخابل والوحش في مساربها

يعني بالخابل الجن.».

وفي المعجم الذهبي ص ٦٣: «ازدهاك: الاسم الأصلي للضحاك. أزدها؛ ثعبان كبير، وثعبان أسطوري. أزدهاك: اسم الضحاك ذي الثعبانين». وانظر عن بيوارسب المعارف ص ٦٥٢ وقال: «هو الضحاك الحميري». والأخبار الطوال ص ٤ وأخبار الدول للقرماني ص ٢٣٨.

للآفة، والمعنى أنه كان ذا عشرآفات أحدثها في الدنيا، وليس هذا موضع ذكرها.

وهذا لقب في نهاية القبح، فلما عربوه صار في نهاية الحسن لأن دهآك لما عرب انقلب إلى ضحاك(١٧)، وبه يسمى في كتب العربية وهو بيوراسف بن ارونداسف بن ريكاون بن ماده سره بن تاج بن فروال بنساميك بن مشى بن كيومرث.

وتاج أجده الذي صار العرب من ولده، ولذلك قيل لهم تاجيان»

وقال الدكتور جواد علي:

«واستعملت النصوص الفهلوية لفظة تاجك في مقابل عرب كما استعملت الفارسية لفظة تازي بهذا المعنى أيضا.

واستعمل الأرمن كلمة تجك في معنى عرب ومسلمين.

واستعمل الصينيون لفظة تشي لهذه التسمية.

وقد عرف سكان آسية الوسطى الذين دخلوا في الإسلام بهذه التسمية، كما أطلق الأتراك على الإيرانيين لفظة تجك من تلك التسمية، حتى صارت لفظة تجك تعني الإيراني في اللغة التركية.

ويرى بعض العلماء أن تاجك وتجك وتازك هي من الأصل المتقدم من أصل لفظة طيىء.

ولكلمة تازي في الفارسية معنى صحراوي من تاز بمعنى الأرض المقفرة الخالية، ولذلك نسب بعض الباحثين كلمة تازي إلى هذا المعنى، فقالوا: إنها أطلقت على العرب لما اشتهر عنهم أنهم صحراويون»(١٩).

قال أبـو عبد الرحمن: في معجم الدكتور التونجي عن معنى تاجيك عكس ما ذكره المعلق ح. م. ع.

---

(١٧) القول بأن الضحاك ترجمة ده آك لا أعلم له وجها. ولعل من يطلع على هذا البحث ـ ممن له تخصص بالعربية والفارسية ـ يحرر كلمة حول هذا.

(١٨) تاريخ سني ملوك الأرض ص ٢٨ وانظر المفصل ٣٢/١. وده بفتح الدال، وأك بدون مد الهمزة، وآك بمد الهمزة كلاهما بمعنى الآفة والهلاك. انظر المعجم الذهبي ص ٤٤، و٧٤، و٢٨٤.

(١٩) المفصل ٣٢/١ وأحال إلى ما سلف النقل عنه من مجلة الرسالة.

قال التونجي : تاجيك ـ (تر) : غير الترك والمغول عموما والإيراني خاصة سكان تاجيكستان حاليا.

وهي مركبة من (تات : رعية) و (جيك : علامة التصغير)[٢٠].

قال أبو عبد الرحمن : علامة (تر) ترمز إلى أن اللفظ تركي [٢١].

وقال عن تازي : النسبة إلى قبيلة طيىء العربية، والعرب أو لغتهم لدى الإيرانيين، وكلب الصيد[٢٢].

قال أبو عبد الرحمن ؛ هذا ما يتعلق بدلالة طيىء قبل الإسلام.

وأما التصريف اللفظي لكلمة طيىء فقد قال الخليل بن أحمد :

«بناء طيىء من طاء وواو، فقلبوا الواو ياء فصارت ياء ثقيلة. كان الأصل فيه طوى»[٢٣]

وقال أبو عبد الرحمن : هكذا نقلت هذا النص عن كتاب الاشتقاق لابن دريد، وهو غير مستقيم سياقا، لأنه اذا كان من طاء وواو ثم قلبت الواو ياءين : فكيف يكون الأصل فيه طوى؟

وقال العوتبي الصحاري : «قال الخليل :

أصل طيىء من طاء.

وأصله الواو.

فقلبوا الواو ياء فصارت ياء ثقيلة.

وكان الأصل فيه طوى»[٢٤].

قال أبو عبد الرحمن : لا يزال أيضا النص مشكلا، فكيف يكون الأصل فيه طوى أو الطوى ما دام من طاء يطوء الفعل ذي الهمزة الأصلية؟

وفي كتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد خلاف ما ذكره ابن دريد والعوتبي.

قال : «وطيىء قبيلة بوزن فيعل، والهمزة فيها أصلية، والنسبة إليها طائي»[٢٥].

---

(٢٠) المعجم الذهبي ص ١٧٩.

(٢١) المعجم الذهبي ص ١٩.

(٢٢) المعجم الذهبي ص ١٨١.

(٢٣) الاشتقاق لابن دريد ص ٣٨٠.

(٢٤) الأنساب للعوتبي ١/٢٤٦.

(٢٥) العين ٧/٤٦٧ وتابعه ابن جني كما سيرد من كلامه.

وقال ابن دريد أيضا:

«وكان ابن الكلبي يقول: سمي طيئا لأنه أول من طوى المناهل.

ويقال: طويت الشيء أطويه طيا.

«وكذلك طويت البئر أطويها بالحجارة»[٢٦].

وقال الهيثم: سمي طيّا لطيّه المراحل مراغما لقومه[٢٧].

قال أبو عبد الرحمن: سيأتي رد فحول العلماء لهذه الدعوى من ناحية التصريف اللفظي، لأن مادة طوى غير مادة طيىء.

وفي توجيه معنى الحمل على طوى - مع فساد ذلك الحمل لفظا - افتراضان:

أحدهما: ما ذكره الأزهري عن الليث قال:

«وقال بعض النسابين: سمي طيىء طيئا لأنه أول من طوى المناهل: أي جاز منهلا إلى منهل آخر ولم ينزل»[٢٨].

وثانيهما: ما ذكره الزبيدي. قال:

«وقيل: لأنه أول من طوى بئرا من العرب.

وفيه نظر»[٢٩].

وقال أبو محمد ابن قتيبة:

«وروى نَقَلَةُ الأخبار أن طيئا أول من طوى المناهل، فسمي بذلك.

واسمه جلهمة.

وأن مرادا تمردت، فسميت بذلك، واسمها يحابر.

ولست أدري كيف هذان الحرفان، ولا أنا من هذا التأويل فيهما على يقين»[٣٠].

---

(٢٦) الاشتقاق لابن دريد ٣٨٠، والأنساب للعوتبي ١/٢٤٦ وأول ما عنده: «وقال ابن الكلبي: نقول: إنما سمي .. إلخ».

قال أبو عبد الرحمن: ويظهر أن ذلك من كتاب ابن الكلبي عن تفرق القبائل الذي لخص منه البكري مقدمته لكتابه معجم ما استعجم.

(٢٧) الأنساب للعوتبي ١/٢٤٨ وقد استدرك الفاسي في إضاءة الراموس على من لم يبين أن طيئا لقب لا اسم. وذكر من لاحظ ذلك كالواحدي في شرح ديوان المتنبي، وشرح أبي عبيد للأمالي.

(٢٨) تهذيب اللغة ١٤/٤٩.

(٢٩) تاج العروس ١/٩٢.

(٣٠) أدب الكاتب ص ٦٤.

ومثل ابن قتيبة حمزة الأصفهاني شكك في اشتقاق طيىء من طوى، وبيان ذلك أن عيسى بن داب[31] علل تسمية عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن

(٣١) قال السمعاني: «هو أبو الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن داب كان أخباريا راوية عن العرب وافر الأدب عالما بالنسب عارفا بأيام الناس حافظا للسير. قيل إنه كان يزيد في الأحاديث ماليس منها. وكان قد حظي عند الهادي ويدعو له بمتكأ». قال أبو عبد الرحمن: إذا كان ما نقل عن ابن داب رأيا له فهو خلاف العربية. وإن كان نقلا ينقله عن أهل العربية فهو متهم في النقل.
قال خلف الأحمر والأصمعي: كان يضع الحديث.

وقال عبد الواحد بن علي: كان يضع الشعر وأحاديث السمر وكلاما ينسبه للعرب فسقط علمه وخفيت روايته.

قال أبو عبد الرحمن: وجمهور النقاد على أنه واهي الحديث منكره، فهو في نقل الأدب أوهى.

وأخباره كما قال عنه ابن مناذر:

اذا طلبت منافعها اضمحلت كما يرفضّ رقراق السراب

انظر عنه: البيان والتبيين ٥١/١ و ٣٢٤ والضعفاء الكبير للعقيلي ٣٩١/٣ ومراتب النحويين لعبد الواحد ص ١٥٦ ـ ١٥٧ ونور القبس ص ٣١٠ ـ ٣١١ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٨١ وتاريخ بغداد ١٤٨/١١ ـ ١٥٢ والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٢٤٣/٢ والأنساب للسمعاني ٢٦٧/٥ ـ ٢٦٨ ومعجم الأدباء ١٠٤/٦ ـ ١١١ والمغني للذهبي ٥٠٢/٢ وميزان الاعتدال ٣٢٧/٣ ـ ٣٢٨ ولسان الميزان ٤٠٨/٤ ـ ٤٠٩ وتاج العروس ٢٤٢/١ ـ ٢٤٣ ونقل عن المزهر للسيوطي. وذكر الزبيدي له في التاج إنما هو في مادة دأب بالهمزة. وقد ضبطه ضبطا قلميا بالهمزة كثيرون من محققي بعض الكتب الآنفة الذكر، وبعض المترجمين المتأخرين كالزركلي في الأعلام ٢٩٨/٥.

وهكذا نص ابن دريد في الاشتقاق ص ١٧١ ـ ١٧٢ على أنه دأب من قولهم: ما زال هذا دأبه ودينه: أي فعله الذي لا يفارقه.

وضبطه آخرون بالألف إما تسهيلا لهمزة دأب، وإما من دب يدب فاسم الفاعل داب، وخففت الباء، والوجه الأول أحرى.

وبالألف ضبطها أهل النسب قال السمعاني: بفتح الدال المهملة، وفي آخرها الباء الموحدة بينهما الألف.

وتابعه ابن الأثير في اللباب ٤٨١/١ وابن حجر في تبصير المنتبه ٥٥٧/٢ وقال: «داب بلا همزة».

قال أبو عبد الرحمن: يدل الشعر الذي قيل في ابن داب: أنه بدون همزة وأن الباء مخففة كقول ابن مناذر من الوافر:

خذوا عن مالك وعن ابن عون ولا ترووا أحاديث ابن داب

فالبيت في سياق كلمات غير مهموزة كالشباب والكذاب.

وقول الليثي من الوافر:

ألا من مبلغ داب بن كرز أبا الخنساء ذائدة الظليم

إلا أن هذا البيت يدل على تخفيف الباء فحسب.

قحطان بسبأ لأنه استولى على اليمن وسبا أهلها.

فعلق عليه حمزة الأصفهاني بقوله: «ولا أدري كيف تصرف ابن داب في العربية لأن السبي غير مهموز، وسبأ مهموز.

على أن لابن داب أسوة بالنساب، فإنهم زعموا أن طيا سمي طيا لأنه أول من طوى المناهل، وأنا بريءٌ من عهدة الكلمتين جميعا»(٣٢).

وسيأتي نص ابن جني والبطليوسي في رد دعوى الاشتقاق هذه أيضا.

وقد رجح هؤلاء أن الاشتقاق من طاء، وهو الصحيح كما سيأتي تحقيقه.

وأما تشكك ابن قتيبة في اشتقاق مراد من مرد فلا مسوغ له، وسيأتي مناقشة البطليوسي له.

بل يحتمل الاشتقاق من «مرد» ومن «أراد»، ومن لم يترجح له أحد الاحتمالين فليس له أن ينفي أحدهما، لأنهما جائزان تصحيحا، وإنما المطلوب تعيين أحدهما ترجيحا.

والراجح عندي - إذا لم يصح خبر ينص على الاشتقاق من الإرادة -: أن مرادا(٣٣) مشتق من مرد، لأن اللغويين يحكونه في مادة مرد دون أراد، ولأن الوجه الآخر هو الاحتمال الثاني المؤخر عند بعض النسابين، وبعضهم لم يحك إلا الوجه الأول وهو التمرد، ولأن صيغة فُعال التي جاء على وزنها مراد أدل على الأسماء: أسماء الذوات كغراب، وأسماء العيوب كسعال، ومراد هنا اسم ذات ملحوظ فيه عيب وهو التمرد.

قال ابن الكلبي عن فروع القبيله: وإنما سموا مرادا لأنهم تمردوا(٣٤).

وقال أبو إبراهيم الفارابي: «فتمردت فسميت مرادا»(٣٥).

وقال العوتبي: «وإنما سمي مرادا لأنه أول من تمرد باليمن» (٣٦).

---

(٣٢) تاريخ سني ملوك الأرض ص ٩٨.

(٣٣) أصرفه ها هنا لانه علم فحسب ليحابر

(٣٤) النسب الكبير ٢٢٧، وفي نسب معد واليمن الكبير ٤٠/أ، قال: «سمي مرادا لأنه تمرد من اليمن».

(٣٥) ديوان الأدب ١/٤٤١.

(٣٦) الأنساب ١/٢٨٤ وقال الجوهري في الصحاح ١/٥٣٥: «وهو فعال على هذا القول». قال أبو عبد الرحمن: في هذا إيماء الى قول آخر.

واليكم الآن نص البطليوسي تعقيبا على كلام ابن قتيبة الآنف الذكر بادئا بالتعليق على قوله: «وأن مرادا تمردت»:

كذا رويناه عن أبي نصر[٣٧]: (مرادا) مصروفا، والقياس ألا يصرف، لأنه أراد القبيلة دون الحي، والدليل على أنه أراد القبيلة قوله:

«تمردت»، وقوله: «واسمها: يحابر» فأنّثَ الضمائر[٣٨].

وظاهر كلام ابن قتيبة أنه أنكر اشتقاق مراد من التمرد. كما أنكر اشتقاق طيىء من طي المناهل.

واشتقاق مراد من التمرد ممكن غير ممتنع، فتكون الميم على هذا أصلا، ويكون وزن مراد على هذا فعالا، وممكن أن يكون مراد اسم المفعول من أراد يريد، فتكون الميم زائدة، ويكون وزن مراد مفعلا، بمنزلة مقام ومنار.

وقد جاء في خبر لا أقف الآن على نصّه، ولا أعرف من حكاه:

---

(٣٧) لعله الجوهري صاحب الصحاح، ولعله من رواة أدب الكاتب لابن قتيبة، وان كنت لم أجد له اسنادا اليه فيما تيسر لي من كتب البرامج والأثبات وأما مراد فقال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر: اسمه يحابر بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

هذا قول ابن الكلبي. وقال ابن اسحاق: مراد بن مذحج بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

على ما ذكرناه من مذهب ابن إسحاق في مذحج وأن غيره يخالفه أهـ.

وعند ابن عبدربه: مراد بن مالك بن مذحج بن أدد.

ويظهر ان كلمة (ابن) بين مالك ومذحج تطبيع أو وهم لأنه ذكر في موضع آخر ان مذحجا هو مالك بن أدد بن زيد. وعند المعري في الفصول والغايات: مراد بن يحابر. وعند السهيلي: مراد ابن سعد العشيرة بن مذحج. وقال الليث: ومراد حي هم اليوم في اليمن. ويقال: إن نسبهم في الأصل من نزار.

انظر نسب معد واليمن الكبير ورقة ٤٠/أ والمعارف لابن قتيبة ص ١٠٥ والعقد الفريد ٣/٣٤٦ و ٣٤١ (مكتبة المعارف) والبدء والتاريخ ٤/١١٩ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٤٠٥ والانباه لابن عبد البر ص ١١٨ وتهذيب اللغة للأزهري ١٤/١١٩ ولسان العرب ٤/٤٠٩ (دار صادر) والروض الأنف للسهيلي ١/٢٣٦ واللباب لابن الأثير ٣/١٨٨ وتاج العروس ٢/٥٠٠ ومجلة العرب ٢٢/٢١١.

ولمراد أخبار أسطورية مع عمه طيىء بن أدد تناقلها المؤرخون عن كتاب الهيثم بن عدي عن طيىء. انظر على سبيل المثال الأنساب للعوتبي الصحاري ١/٢٤٦ ـ ٢٥١.

(٣٨) ما دام أراد القبيلة فقد اجتمعت العلمية والتأنيث فلا ينصرف وعن اختلاف الحكم بين تسمية الحي وتسمية القبيلة راجع كتاب «ما ينصرف ومالا ينصرف» لأبي إسحاق الزجاج ص ٥٧ ـ ٥٩.

أن مرادا اسم جدهم أو أبيهم، وأنه لقب بذلك، لأن رجلا قال له: أنت مرادي.

وهذه دعاوي لا يعرف حقها من باطلها، ولا صحيحها من سقيمها، وإنما تحكى على ما نقلته الرواة.

وأما اشتقاق طيىء من طي المناهل فغير صحيح في التصريف، لأن طيئا مهموز اللام، وطوى يطوي لامه ياء، فلا يجوز أن يكون أحدهما مشتقا من الآخر، إلا أن يزعم أنه مما همز على غير قياس كقولهم: حلأت السويق[٣٩]، ولا ينبغي أن يحمل الشىء على الشذوذ إذا وجد له وجه صحيح من القياس.[٤٠]

وإنما اشتقاق طيىء من طاء يطوء: إذا ذهب وجاء، ذكر ذاك ابن جني في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة[٤١].

وقال السيرافي: ذكر بعض النحويين أن طيئا مشتق من الطاءة. والطاءة: بعد الذهاب في الأرض، وفي المرعى، قال: ويروى أن الحجاج قال لصاحب خيله: أبغني فرسا بعيد الطاءة.

وفي بعض الأخبار كيف بكم إذا تطاءت الأسعار، أي غلت وبعدت على المشترين»[٤٢].

قال أبو عبد الرحمن: ما أشار إليه البطليوسي من كلام ابن جني هذا نصه:

قال أبو الفتح عثمان بن جني: «أما طيّىء ففعيل من طاء يطوء إذا ذهب وجاء، وأصله: طيوىء فقلب كسيد وميت، فإذا أضيف إليه قيل: طائي، وأصله: طيئي كطيعي، فحذف العين تخفيفا ورفضا لها ألبتة، فيبقى طيىء كطيعي، ثم أبدلت الياء ألفا استحسانا استمر لا وجوبا عن قوة علة، ومثله

---

(٣٩) قال في تاج العروس ١٠/ ٩٥: «حلأ الشيىء جعله حلوا، وهمزه غير قياس.
قال الليث: وهو غلط منهم يقولون: حلأت السويق.
وقال الفراء: توهمت فيه الهمز لما رأوا قوله: حلأته عن الماء ـ أي منعته ـ مهموزا».

(٤٠) قال أبو عبد الرحمن: ليس هذا فحسب، بل لا بد من امتناع الحمل على الوجه الصحيح من القياس، ولا بد من دليل على الحمل على الوجه الشاذ.

(٤١) المبهج ص ٢١. والروض الأنف ١/ ٣٦٠.

(٤٢) الاقتضاب ٢/ ٤٥ ـ ٤٦.

من القلب: قولهم في النسب إلى الحيرة: حاري[٤٣]، وقولهم في يئس ييأس، وييس: يائس، يابس، وقول من زعم أنه سمي بطيىء لأنه أول من طوى المناهل: من كلام غير أهل الصناعة»[٤٤].

ولقد علل سيبويه النسب إلى طيىء بطائي، وذلك أن هذا النسب من المعدول على غير قياس[٤٥].

قال: «فمما جاء محذوفا من نحو سدٍّ ومتٍّ: هَيْن ومَيْت ولين وطيب وطيىء.

فإذا أضفت لم يكن إلا الحذف، إذ كنت تحذف هذه الياء في غير الإضافة. تقول: سيدي، وطيبي - إذا أضفت إلى طيب، ولا أراهم قالوا: طائي إلا فرارا من طيئي، وتقديرها طيعي، ولكنهم جعلوا الألف مكان الياء، وبنوا الاسم على هذا كما قالوا في زبينة زباني»[٤٦]

وقال البيدي: «والقياس: طيئي - كطيعي - حذفوا الياء الثانية فبقي طيئي، فقلبوا الياء الساكنة (وهي الياء الأولى) ألفا على غير قياس، فإن القياس أن لا تقلب السواكن، لأن القلب للتخفيف، وهو مع السكون حاصل. قاله شيخنا»[٤٧].

قال أبو عبد الرحمن: فهمنا من كلام سيبويه أن طيئا - بياءين وهمزة - لا ينسب إليه بياءين فيقال طيئي بتشديد الياء وإنما يقال طيئي بالتخفيف، وجعل طائيا فرارا عن طيئي بالتخفيف ولم يعلل.

وأما ابن جني فعلل طيئي - بياء واحدة - بالتخفيف، وعلل العدول إلى طائي بالتخفيف أيضا.

الا أن الفاسي - شيخ الزبيدي - لم يجد في قلب الياء إلى ألف تخفيفا، لأن

---

(٤٣) انظر أيضا معجم ما استعجم ١/ ٤٧٩.

(٤٤) المبهج ص ٢١ في الكلام عن سيار بن قصير الطائي.

(٤٥) الكتاب ٣/ ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٤٦) الكتاب ٣/ ٣٧١.

(٤٧) تاج العروس ١/ ٩٢ ونص شيخه الفاسي في إضاءة الراموس مادة طاء.

قياس القلب في غير السواكن، أما مع التسكين فالتخفيف حاصل.

قال أبـو عبد الرحمن: بيد أن الألف الساكنة أخف من الياء الساكنة، فالعدول من خفيف إلى أخف.

ولا ريب أن طائيا نسبة على غير قياس إلا أن الفاسي فسر «على غير قياس» بقلب السواكن.

قال أبو عبد الرحمن: ليس هذا صحيحا، بل المراد بالقياس ما جرى على قواعد التصريف في النسب، وغير القياس مالا قاعدة له.

ولقد قال الجوهري: «والنسبة اليهم طائي على غير قياس، وأصله طيئي مثل طيعي، فقلبوا الياء الأولى ألفا وحذفوا الثانية»(٤٨).

وذكر الاسترابادي الاحتمالات في مخالفة القياس فقال:

«طائي شاذ أصله طيئي كميتي(٤٩) فحذف الياء المكسورة كما هو القياس.

فصار طيئي بياء ساكنة، ثم قلبوا الياء الساكنة ألفا على غير القياس قصدا للتخفيف لكثرة استعمالهم إياه.

والقياس قلبها إذا كانت عينا أو طرفا وتحركت وانفتح ما قبلها.

ويجوز أن يكون الشذوذ فيه من جهة حذف الياء الساكنة فتنقلب الياء التي هي عين ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها على ما هو القياس»(٥٠).

قال أبو عبد الرحمن: قوله: «والقياس إذا كانت عينا» هو الاحتمال الأول لمعنى مخالفة طائي للقياس.

وقوله: «ويجوز أن يكون الشذوذ فيه» هو الوجه الثاني.

وتفسير الشذوذ: أنه حذفت الياء الأولى، وقاعدة التصريف في النسب إبقاؤها وحذف الياء المتحركة بعدها.

وهذا الوجه الثاني أخذ به الليث كما سيأتي من إيراد كلامه ومناقشته.

ولقد تعقب الفيروز آبادي نص الجوهري الآنف الذكر فقال: «ووهم

---

(٤٨) الصحاح ٦١/١ وضبط محقق الصحاح الطيئي والطيعي بالتخفيف، وذلك بالقلم، وهو غير صحيح بل هما بالتشديد.

(٤٩) بتشديد الياء في طيئي وكميتي.

(٥٠) شرح شافية ابن الحاجب ٣٢/٢ ـ ٣٣.

الجوهري»[٥١].

ولم يبين وجه الوهم، وقال الزبيدي موضحا وجه الوهم راداً على صاحب القاموس:

«فقدم القلب على الحذف، وكذلك الصاغاني، وانت خبير بأن هذا وأمثال ذلك لا يكون سببا للتوهيم»[٥٢].

إذن وجه الوهم عند الفيروز آبادي أن صاحب الصحاح قال: فقلبوا الياء الأولى ألفا وحذفوا الثانية.

وأن الأولى أن يقول: فحذفوا الثانية وقلبوا الأولى ألفا.

وهذا ليس سببا للتوهيم عند الفاسي والزبيدي

قال أبو عبد الرحمن: وأما الصاغاني فلا أدري أين نصه عن الطائي.

وغاية ما أعرفه: أنه لم يذكر هذه المادة في كتابه الذي تعقب به الصحاح وهو«التكملة والذيل والصلة».

فلعل سبب توهيم الزبيدي له أنه تابع الجوهري فلم يستدرك عليه.

وهناك توجيه آخر للنسبة بطائي ذكره الأزهري فقال: «قال الليث:

«طيىء قبيلة بوزن فيعل، والهمزة فيها أصلية.

والنسبة إليها طائي، لأنه نسب إلى فعل فصارت الياء ألفا.

وكذلك نسبوا إلى الحيرة حاري، لأن النسبة إلى فعل فعلي كما قالوا في رجل من النسر: نسري. قال:

وتأليف طيىء من همزة وطاء وياء، وليست من طويت.

وهو ميت التصريف»[٥٣].

وعن قول الأزهري «نسب إلى فعل» ضبطها محقق التهذيب يعقوب عبد (رب) النبي ضبطا قلميا بفتح الفاء وكسر العين وقال في الحاشية:

---

(٥١) القاموس المحيط ١/٢٣.

(٥٢) تاج العروس ١/٩٢، وقال الفاسي في إضاءة الراموس: «قوله: «ووهم الجوهري»: كلام لا معنى له، فإن كلامه ككلامه فربما يحرف. إنما في كلام الجوهري تقديم وتأخير». وقال: «ثم لا دليل على أن الحذف مقدم أو القلب».

(٥٣) تهذيب اللغة ١٤/٤٨ - ٤٩ ولسان العرب ١٥/٢١ وذكر مادة طيىء في موضع آخر في ١/١١٦.

«والمراد أن الياء الساكنة حذفت فصارت الكلمة على طيىء بزنة فعل».

قال أبو عبد الرحمن: نص الأزهري عن أبي الليث قائم على دعوى أن طيئا - بتشديد الياء - حذفت منه الياء الأولى الساكنة وبقيت الياء الثانية المكسورة فصار على وزن فعل بكسر العين: أي بكسر ياء طيىء المخففة.

والقاعدة في عين فعل المكسورة أن تفتح في النسب كراهية توالي الحركات.

قال الاستراباذي:

«اعلم أن المنسوب اليه إذا كان على ثلاثة أحرف أوسطها مكسور وجب فتحه في النسب وذلك ثلاثة أمثله:

نمر[٥٤] ودئل[٥٥] وإبل[٥٦].

تقول: نمري[٥٧]ودؤلي[٥٨] وإبلي[٥٩].

وذلك أنك لو لم تفتحه لصار جميع حروف الكلمة المبنية على الخفة - أي الثلاثية المجردة من الزوائد - أو أكثرها على غاية من الثقل بتتابع الأمثال من الياء والكسرة.

إذ في نحو إبلي[٦٠] لم يخلص منها حرف [٦١] وفي نحو نمري [٦٢] ودئلي[٦٣] لم يخلص منها إلا أول الحرف»[٦٤].

قال أبو عبد الرحمن: وعلى هذا تكون طيىء - بالياء المكسورة المخففة -

---

(٥٤) بفتح النون وكسر الميم.

(٥٥) بضم الدال وكسر الهمزة

(٥٦) بكسر الهمزة وكسر الباء.

(٥٧) بفتح الميم.

(٥٨) بفتح الهمزة.

(٥٩) بفتح الباء.

(٦٠) بكسر الباء.

(٦١) أي أن الحروف كلها مكسورة.

(٦٢) بكسر الميم.

(٦٣) بكسر الهمزة.

(٦٤) شرح شافية ابن الحاجب ٢/١٨ والمعنى أن الحروف كلها مكسورة ما عدا نون نمري المفتوحة، ودال دئلي المضمومة.

وانظر الكتاب لسيبويه ٣/٣٤٣ وقال الزبيدي في تاج العروس ٣/٥٨٦ عن نمري - بفتح الميم -: استيحاشا لتوالي الكسرات.

في حال النسب طيئي بالياء المفتوحة المخففة، وذلك بناء على دعوى الليث.

إلا أن الياء قلبت ألفا فصارت طائيا، وحمل الليث هذا القلب على قلب حيري إلى حاري ولم يبين وجه الحمل.

أما قوله: «لأن النسبة إلى فعل فعلي» فليس تعليلا لقلب حيري إلى حاري، لأن حيرة ليست على وزن فعل.

وانما هو تعليل لكون طائي في الأصل طيئيا بفتح الطاء والياء كنمري.

وذكر حاري تعليل لقلب طيئي إلى طائي.

وإنما نجد التعليل عند الليث في موضع آخر حيث فهم من كلامه أن حمل طائي على حاري ليس لكون حيري - بكسر الحاء وسكون الياء - على وزن طيئي (بفتح الطاء والياء)، لأنهما غير مشتركين في الوزن.

وإنما للاشتراك في العلة، وهو كراهة توالي الكسرات.

قال الأزهري: «قال الليث: الحيرة[٦٥] بجنب الكوفة، والنسبة إليها حاري كما نسبوا إلى النمر نمري [٦٦].

فأراد أن يقول حيري [٦٧] فسكن الياء فصارت ألفا ساكنة»[٦٨].

قال أبو عبد الرحمن: قول الليث: «فصارت ألفا ساكنة» تسويغ لقلب حيري إلى حاري، لأن الألف تجانس الفتحة التي قبل الياء.

وبذلك يسوغ قلب طيئي إلى طائي.

والواقع أن كون ياء طيئي مفتوحة وهي عين الكلمة وما قبلها مفتوح يسوغ قلبها ألفا، فلا حاجة لقياسها على حاري لو صَحّ القياس.

---

(٦٥) بكسر الحاء.

(٦٦) وردت النمر ذات النون الموحدة بالتاء المثناه تطبيعا وهكذا وردت في موضع من اللسان تطبيعا أيضا كما في ٥/٣٠٦ (بولاق).

ووردت أيضا تطبيعا بالمثناه في كتاب العين ٣/٢٨٩.

(٦٧) ضبط محقق تهذيب اللغة الحاء ضبطا قلميا بالكسر.

وهو خطأ، والصواب ضبطها بالفتح وقد ضبطها بالفتح ضبطا قلميا محققا كتاب العين ٣/٢٨٩ أراد أن حيرة بكسر الحاء تكون في النسب بفتح الحاء إشراكا لها مع نمري وما في حكمها في العلة لا في الوزن، وهي الفرار من ثقل تتابع الأمثال من الياء والكسرة كما قال الاستراباذي فيما مضى من كلامه.

(٦٨) تهذيب اللغة ٥/٢٣٣.

فكيف وهو لم يصح.

قال أبو عبد الرحمن: هذه الجولة الطويلة من أجل إيضاح مذهب الليث في التصور.

وهو بعد صحته مردود لسببين:

أولهما: أن الحاري شاذ ولا يحمل عليه. قال ابن سيده عن الحيرة:

«والنسبة إليها حاري، وهو من نادر معدول النسب قلبت الياء فيه ألفا، وهو قلب شاذ غير مقيس عليه غيره»(٦٩).

وثانيهما: أن ياء حيري سوغ قلبها ألفا مجانسة الألف لفتحة الحاء قبلها.

وهذا غير متحقق في طيئي، لأن الياء مفتوحة غير ساكنة، فلا مسوغ ـ من هذا الوجه ـ لقلبها إلى طائي.

قال أبو عبد الرحمن: ووجه استشهاد غير الليث بحاري أنه مثل طائي في مخالفة القياس فحسب.

قال الزبيدي: «والنسبة إليه طائي على غير قياس كما قيل في النسب إلى حيرة حاري»(٧٠).

وبعد هذا فدعوى الليث مردودة من أصلها، لأن حذف الياء الأولى الساكنة خلاف القاعدة في تصريف نسب ما كان على فيعل.

وقول الليث: «وتأليف طيىء من همزة وطاء وياء»: أراد به جملة حروف المادة، ولم يرد الترتيب، إذ الترتيب بالطاء والياء والهمزة.

وقوله: «وهو ميت التصريف» يظهر أنه يعني تأليف طيىء من الحروف المذكورة.

ولا أظنه يعني انعدام التصريف لأنه يقال: طاء، وطيىء، وطائي، وطوئي.

وإنما يعني قلة التصريف فيها لو قورن بمادة مثل ضرب وظهر.

وأما الاحكام التي مَرّت عن شذوذ طائي عن القياس فلها اعتباران:

---

(٦٩) المحكم ٣/٣٣٦.

(٧٠) تاج العروس ١/٩٢.

فمن رأى أن طائيا معدول بها عن طيئي - بالياء الساكنة المخففة - فوجه الشذوذ عنده أن موضع الياء ها هنا ليس موضع ما تقلب فيه ألفا كما بين ذلك الاستراباذي فيما سلف من كلامه.

ومن رأى أن طائيا معدول بها عن طيئي - بالياء المفتوحة المخففة - فليس الشذوذ عنده في هذا العدول، لأن الياء المفتوحة إذا كانت عينا للكلمة بعد متحرك تقلب ألفا كما سبق من كلام الاستراباذي.

وإنما وجه الشذوذ أن هذا العدول الصحيح بني على شاذ، وما بني على شاذ فهو شاذ.

وبيان ذلك أن طيئا - بكسر الياء المخففة - التي حولت إلى طيئي بالياء المخففة المفتوحة بناء شاذ، لكون الياء الأولى الساكنة حذفت وبقيت الثانية المتحركة، وقاعدة التصريف في النسب عكس ذلك.

وفرق اللغويون بين الاشتقاق من اسم الطاءة، وبين الاشتقاق من فعل طاء.

وممن فرع هذا التفريع واعتبره اختلافا الزبيدي،فنص على أن الجوهري اقتصر على الاشتقاق من الطاءة. وأن ابن سيده اقتصر على الاشتقاق من طاء[٧١] . قال أبو عبد الرحمن: هذا هو نص الجوهري: «الطاءة مثل الطاعة: الإبعاد في المرعى. يقال فرس بعيد الطاءة. قالوا: ومنه أخذ طيء مثل سيد»[٧٢].

قال أبو عبد الرحمن: فليس في نص الجوهري ما يشعر بالخلاف في الأخذ من الاسم أو الفعل، وإنما أراد الاشتقاق المعنوي.

قال أبو عبد الرحمن: والمحقق عندي في مثل هذا أن الصيغ مثل فيعل وفاعلي وفعلي مسموعة كلها من العرب محصورة معروفة لا اشتقاق فيها، وإنما الذي يجري تحويل المادة إلى صيغتها حسب دلالة الصيغة المرادة ووفق المقاييس الصرفية.

وإنما الاشتقاق من المعاني، وهو تولد معان مجازية كثيرة من معنى وضعي واحد على نحو ما يفعله ابن فارس في مقاييس اللغة باستثناء استدراكات على

(٧١) تاج العروس ١/٩٢.
(٧٢) الصحاح ١/٦١.

تأصيله ذكرتها في بعض كتبي ومباحثي[٧٣].

ولكي أحقق الاشتقاق المعنوي أذكر مقلوب هذه المادة وجذرها الثنائي.

فأما الجذور فستة:

الأول: طأ.

قال ابن فارس: «الطاء والهمزة وهو يدل على هبط شيء. من ذلك قولهم طأطأ رأسه. وهو مأخوذ من الطأطاءة، وهو منهبط من الأرض»[٧٤].

الثاني: طو. وهو مهمل.

الثالث: أط. وهو صوت الشيء إذا حن[٧٥]

الرابع: وط: ومنه تركب الوطواط وهو الخطاف، وفيه معنى الضعف[٧٦].

الخامس: أو. مهمل في اللغة، وهو في الروابط يدل على التخيير.

السادس: وأ: مهمل.

كما أن المقلوب من هذه الحروف ست كلمات هي:

الأولى: طوء: منها قولهم: ما بها طوئي: أي أحد. ومنها طاء في الأرض يطوء بمعنى ذهب.

والطاءة الإبعاد في الأرض. والطاءة الكمأة. وهي على بابها من المادة، والملاحظ بعدها في الأرض.

وقال كراع: مقلوبة وأصلها طآة فتكون من مادة طآ[٧٧]وذلك وهم كما سيأتي بيانه.

والثانية: طأو: مهملة، وإنما قلبت الطاءة إلى طآة في بعض اللغات فتوهم كراع أنها أصلية في هذا الباب[٧٨]

والثالثة: أطو: مهملة.

والرابعة: أوط: مهملة.

والخامسة: وطأ: قال ابن فارس: الواو والطاء والهمزة كلمة تدل على تمهيد شيء

---

(٧٣) انظر على سبيل المثال كتابي اللغة العربية بين القاعدة والمثال ص ١٧ ـ ١٨.

(٧٤) مقاييس اللغة ٣/٤٠٧.

(٧٥) مقاييس اللغة ١/١٦.

(٧٦) مقاييس اللغة ١/٧٧ ويظهر أن أصله حكاية صوت.

(٧٧) انظر لسان العرب ١/١١٥ وتاج العروس ١/٩٢.

(٧٨) انظر الصحاح ٦/٢٤١١ وتاج العروس ١٠/٢٢٣.

وتسهيله.

وذكر ابن فارس وطأت له المكان، والوطاء وهو الفراش، والمواطأة[٧٩].

قال أبو عبد الرحمن: وطأ المخففة أقدم في الوضع من وطأ المشدودة، لأن زيادة المبنى لزيادة المعنى.

فيظهر أن الأصل الوطأ بالرجل ثم يحدث عن ذلك التمهيد.

والسادسة: وأط: أي زار القوم. والوأط: الهيج. والوأطة: اللجة من الماء.

والوأطة: المرتفع من الأرض، وتخفف إلى الواطة[٨٠].

قال أبو عبد الرحمن: العبرة بما استعمل من تلك الجذور والمقلوبات.

والمعاني لما استعمل منهن كما يلي:

١ ـ هبوط الشيء. ومنهبطه

٢ـ صوت الحنين.

٣ـ حكاية صوت أخذ منه معنى الضعف.

٤ـ الذهاب والإبعاد.

٥ـ الإثقال بالرجل وما يحصل عنه من تمهيد.

٦ـ الزيارة، والهيج، واللجة، والمرتفع من الأرض.

ويستبعد من هذه المعاني المعنى الثاني والثالث لأنهما اسمان لصوتين، وأسماء الأصوات وحكايتها أصل مستقل غير المعنى الأصلي الوضعي[٨١].

وتبقى المعاني الأول والرابع والخامس والسادس قيودا للمعنى الأولي الوضعي الأصلي الحقيقي الجامع لمعاني طاء وهو الوطأ بالرجل بحثا عن مكان وطيء.

وهذا يكون ببحث، والبحثُ يقتضي كثرة ذهاب وابعاد.

والمكان الوطيء أعم من المرعى، وإنما كانت الطاءة للمرعى بعرف لغوي عام لا بمعنى أولي.

وجلهمة أبو القبيلة طاء في الأرض يطوء فهو طائي[٨٢].

---

(٧٩) مقاييس اللغة ٦/١٢٠ ـ ١٢١.

(٨٠) تاج العروس ٥/٢٣٧.

(٨١) انظر كتابي اللغة العربية بين القاعدة والمثال ص ٢٣ ـ ٢٤.

(٨٢) وذلك اسم الفاعل من طاء، والأصل ان تكون عين ولام فاعل همزتين فقلبت اللام ياء فصارت طائيا. انظر الكتاب لسيبويه ٤/٣٧٦

وهو طيء ـ على وزن فيعل ـ للمبالغة كطيب وصيب.
وها هنا يتوافق الاشتقاق اللغوي مع الاستفاضة التاريخية.

فالمستفيض أن طيئا من اليمن يسكن بوادي الضريب وأنه رحل من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال فأصبحت ذريته المنسوبة اليه من قبائل الشمال، ولم يأت لها ذكر فيما عثر عليه من النقوش في الجنوب [٨٣].

فقد صدق عليه أنه طاء بمعنى ذهب بعيدا، وأنه وجد مكانا وطيئا لأمنه أو خصبه و تمهيده وهو أرض الجبلين.

وأما دعوى الاشتقاق من طوى بمعنى أول من طوى بئرا، أو أول من طوى المناهل بمعنى تجاوزها فلم ينزل: فيحتاج إلى صحة دعوى الأولية، وعلى فرض صحة دعوى الأولية، أو التنازل عنها إلى مجرد طي البئر أو تجاوز المنهل: فدعوى الاشتقاق من أصل المادة مقدم على دعوى الاشتقاق من مادة أخرى على دعوى البدل أو القلب إذا صح ورجح الاشتقاق من أصل المادة.
والى هذا فمادة طوى غير مادة طاء ولم يدع مدع بينهما بدلا أو قلبا.

وقول ابن جني ـ فيما سلف من كلامه ـ: «ثم أبدلت الياء ألفا استحسانا استمر لا وجوبا عن قوة علة» [٨٤]: يوحي بأن العرب لم تستعمل طيئيا ـ بياءين ـ مكان طائي. أوحى بذلك قوله «استمر». والواقع أنني لا أعلم استعمال طيئي في شعر أو نثر.

وأما استعمال طي بياء مشددة دون همزة فليس ذلك استعمالا لصيغة نسب، وإنما هو استعمال لاسم العلم مخففا.

ويطلق اسم العلم ـ إذا كان أبا قبيلة ـ ويراد به بنوه، فيقال مثلا: جاءت تميم، والمراد بنو تميم. قال الزبيدي: «وقد يخفف طيء هذا فيقال فيه: طي بحذف الهمزة كحي. وإنه عربي صحيح، وقد استعملها الشعراء المولدون كثيرا، وهو مصروف.

---

(٨٣) انظر كتاب دراسات في أنساب قبائل اليمن ص ٦٩.
(٨٤) المبهج ص ٢١.

وفي لسان العرب: فأما قول ابن أصرم[٨٥]:

عادات طي في بني أسـد ري القـنـا وخـضـاب كل حسـام

إنما أراد عادات طيىء فحذف.

ورواه بعضهم: طيىء فجعله غير مصروف»[٨٦].

قال أبو عبد الرحمن مما ورد في ذلك قول ابن الفارض:

سائـق الأظـعـان يطوي البـيد طي منـعـما عرج على كثبـات طي

قال النابلسي عن طي:

«وكان أصله الهمز فخفف:

إما بحذف الهمزة اعتباطا وبغير سبب، إنما هو لمجرد التخفيف. أو بقلبها ياء ثم حذف الياء لتوالي الأمثال»[٨٧]

---

(٨٥) لم يعرف به في معجم الشعراء في لسان العرب ص ٥١. وفي كتاب فهارس لسان العرب ٣/ ٧٣٠ ذكر أنه ابن أصرم اليشكري. وفي المنازل والديار ص ٣٨٧ أورد هذا البيت ضمن أربعة أبيات ونصه:

عادات قومـي من بني أسـد ري القـنـا وخـضـاب كل حسـام

وسماه أصرم بن حميد، وقال: وقيل هي لمفضل العمي.

(٨٦) تاج العروس ١/ ٩٢.

وقال في لسان العرب ١/ ١١٠ (بولاق) جعله اسما للقبيلة. قال أبو عبد الرحمن: فاجتمعت العلمية والتأنيث. وهذا الوجه الثاني أوجه. وأما الحكم للوجه الأول بأنه عربي صحيح فمحل نظر. وغاية أمره أن يكون ضرورة.

وأما تسهيل الهمزة على غير وفق قاعدة، وهل يعد عاميا أو لهجة فصيحة فانظر رأيي حولها بكتابي (تاريخ نجد في عصور العامية: ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد ٤/ ٣٩ - ٤٦.

(٨٧) شرح ديوان ابن الفارض ص ٢٠.

أسماء المصادر

١ ـ أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ.

لأبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد القرماني. (٩٣٩ ـ ١٠١٩). عالم الكتب ببيروت (تصوير للمخطوطة).

٢ ـ الأخبار الطوال.

لأبي حنيفة أحمد بن داوود الدينوري. (ـ ٢٨٢ هـ)، تحقيق عبد المنعم عامر ومراجعة الدكتور جمال الدين الشيال. ط أوفست عن مكتبة المثنى.

٣ ـ أدب الكاتب.

لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ ـ ٢٧٦ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط م السعادة ـ الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٧ هـ.

٤ ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.

لياقوت بن عبد الله الحموي. (٥٧٤ ـ ٦٢٦ هـ)، ط م هندية بالموسكي بمصر الطبعة الثانية ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥م.

٥ ـ الاشتقاق

لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون ط م السنة المحمدية ١٣٧٨ هـ نشر مكتبة الخانجي.

٦ ـ إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس.

لأبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي (ـ ١١٧٥ هـ)، مصورة عن الخزانة الملكية بالرباط رقم ١/٥٤٤.

٧ ـ الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين).

لخير الدين الزركلي/الطبعة الثالثة ١٣٨٩ ـ ١٣٩٠ هـ. ودار العلم للملايين الطبعة السابعة ١٩٨٦م.

٨ ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب.
لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (٤٤٤ ـ ٥٢١ هـ)، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا، والدكتور حامد عبد المجيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ ـ ١٩٨٢م.
٩ ـ الإنباه على قبائل الرواة.
لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (ـ ٤٦٣ هـ)
ط م السعادة بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ نشر مكتبة القدسي.
١٠ ـ الأنساب.
لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ـ ٥٦٢ هـ)
تحقيق الشيخ عبد الرحمن المعلمي. الطبعة الأولى ط م مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٨٢ ـ ١٤٠٢ هـ.
١١ ـ الأنساب
لسلمة بن مسلم العوتبي الصحاري (لا يعرف عصره)، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ عن وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان.
والطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ هـ.
١٢ ـ البدء والتاريخ. للمطهر المقدسي (ـ ٣٥٥ هـ)، ط مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة باريز سنة ١٩٠٣ م.
١٣ ـ البيان والتبيين.
لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. ، (١٥٠ ـ ٢٥٥ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثالثة مكتبة الخانجي ١٣٨٨ هـ.
١٤ ـ تاج العروس من جواهر القاموس.
لمحمد مرتضى الزبيدي. ط م الخيرية بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٠٦ هـ.
١٥ ـ تاريخ بغداد.
للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ـ ٤٦٣ هـ)، دار الكتاب العربي ببيروت.
١٦ ـ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء.

لحمزة بن الحسن الأصفهاني. (٢٨٠ - ٣٦٠هـ)، دار مكتبة الحياة.
١٧ - تاريخ نجد في عصور العامية/ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد.
لأبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري. دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض/الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ - ١٤٠٦هـ.
١٨ - تبصير المنتبه بتحرير المشتبه.
للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ)
تحقيق علي محمد البجاوي ومراجعة محمد علي النجار. نشر المؤسسة المصرية ط دار القومية ١٣٩٣ - ١٣٨٦هـ.
١٩ - التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية.
للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (- ٦٥٠هـ).
حققه: عبد العليم الطحاوي، وعبد الحميد حسن، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، والدكتور مهدي علام. ط م دار الكتب ١٩٧٠ - ١٩٧٩م.
٢٠ - التنبيه والإشراف.
لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (- ٣٤٥ هـ)، ط دار التراث ببيروت ١٣٨٨ هـ.
٢١ - تهذيب اللغة.
لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠)
تحقيق عبد السلام محمد هارون، ومراجعة محمد علي النجار. المؤسسة المصرية العامة للتأليف ط دار القومية العربية ودار الكاتب العربي ط م سجل العرب ١٩٦٤ - ١٩٦٧م.
٢٢ - جمهرة أنساب العرب.
لأبي محمد علي بن أحمد ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار المعارف بمصر ١٣٨٢هـ.
٢٣ - دراسات في أنساب قبائل اليمن.
لأحمد حسين شرف الدين. الطبعة الثانية عام ١٤٠١ هـ.
٢٤ - ديوان أبي نواس الحسن بن هانىء (١٤٥ - ١٩٩ هـ).
دار بيروت للطباعة ١٣٩٨ هـ.

٢٥ ـ ديوان الأدب لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي
(ـ ٣٥٠ هـ)، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر والدكتور إبراهيم أنيس. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٤ ـ ١٣٩٩ الطبعة الأولى.

٢٦ ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام.
لأبي القاسم وأبي زيد عبد الرحمن بن الخطيب السهيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١ هـ). تحقيق عبد الرحمن الوكيل. ط دار النصر الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧ هـ.

٢٧ ـ شرح ديوان ابن الفارض.
لرشيد بن غالب المجتنى (١٢٢٨ ـ ١٣٠٦ هـ، جمع فيه بين شرحي حسن ابن محمد البوريني (٩٦٣ ـ ١٠٢٤ هـ)، وعبد الغني بن اسماعيل النابلسي (١٠٥٠ ـ ١١٤٣ هـ). دار التراث ببيروت.

٢٨ ـ شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس (١٩٠ ـ ٢٣١ هـ).
لأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (٤٢١ ـ ٥٠٢ هـ)، تحقيق محمد عبده عزام. دار المعارف بمصر ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥م.

٢٩ ـ شرح شافية ابن الحاجب.
لرضي الدين محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيى الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٣٩٥ هـ.

٣٠ ـ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية).
لإسماعيل بن حماد الجوهري (ـ ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ط م دار الكتاب العربي بمصر.

٣١ ـ الضعفاء الكبير.
لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي (ـ ٣٢٢ هـ). تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي. دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.

٣٢ ـ كتاب الضعفاء والمتروكين.

لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي. (٥١٠ ـ ٥٩٧ هـ)، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي. دار الكتب العلميه ببيروت/الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

٣٣ ـ طبقات الشعراء.

لأبي العباس عبدالله بن المعتز. (٢٤٧ ـ ٢٩٦هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج. دار المعارف بمصر.

٣٤ ـ العقد الفريد.

لأحمد بن محمد بن عبدربه (ـ ٣٢٨هـ)، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة. نشر مكتبة المعارف بالرياض ـ توزيع دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٤٠٤هـ، ط مؤسسة جواد ببيروت. وط م التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٦٧ هـ. تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري.

٣٥ ـ العين.

لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ ـ ١٧٥ هـ)
تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي. عن وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٥م.

٣٦ ـ فهارس لسان العرب.

للدكتور خليل أحمد عمايرة بإشراف الدكتور أحمد أبو الهيجاء. مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

٣٧ ـ القاموس المحيط.

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٧٢٩ ـ ٨١٧ هـ)، الطبعة الثانية ط م مصطفى الحلبي سنة ١٣٧١ هـ.

٣٨ ـ الكتاب.

لأبي بشر عمرو بن سيبويه (ـ ١٨٠ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون. عالم الكتب ببيروت ط م دار القلم بالقاهرة.

٣٩ ـ اللباب في تهذيب الأنساب.

لعــز الـدين أبي الحسن علي بن محمـد ابن الأثـير الجـزري . (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ) . ط دار صادر ببيروت .
٤٠ ـ لسان العرب .
لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ)، دار صادر بيروت . والمصورة عن بولاق تصوير الدار المصرية للتأليف .
٤١ ـ لسان الميزان .
للحـافظ ابن حجـر العسقلاني، (ـ ٨٥٢هـ)، تصوير مؤسسة الأعلمي عام ١٣٩٠هـ للطبعـة الأولى عام ١٣٢٩ ـ ١٣٣١هـ طبعـة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن .
٤١ ـ اللغة العربية بين القاعدة والمثال .
لأبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري . عن نادي القصيم ببريدة ـ ط م الفرزدق بالرياض .
٤٣ ـ ما ينصرف ومالا ينصرف .
لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (٢٣٠ ـ ٣١١ هـ)، تحقيق هدى محمود قراعة . عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر لجنة إحياء التراث الاسلامي . ط م الأزهر سنة ١٣٩١ هـ .
٤٤ ـ المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة
لأبي الفتح عثمان بن جني . (ـ ٣٩٢ هـ)، ط م الترقي بدمشق سنة ١٣٤٨ هـ عن مكتبة القدسي .
٤٥ ـ مجلة الرسالة المصرية التي يرأس تحريرها أحمد حسن الزيات عفا الله عنه .
٤٦ ـ مجلة العرب لشيخنا حمد الجاسر متعنا الله بحياته .
٤٧ ـ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة .
لعـلي بن اسـماعيل بن سيده . (ـ ٤٥٨ هـ)، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا، والدكتور حسين نصار . ط م مصطفى الحلبي ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٧٧ ـ ١٤٩٣هـ
٤٨ ـ مراتب النحويين .
لعبـد الـواحـد بن علي (ـ ٣٥١هـ)، تحقيق محمـد أبو الفضل

إبراهيم . دار نهضة مصر .
٤٩ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر .
لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ـ ٣٤٦هـ)
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . دار الكتاب اللبناني ١٣٨٦هـ .
* ـ معجم الأدباء .
(انظر إرشاد الأريب) .
٥٠ ـ المعجم الذهبي (فارسي ـ عربي) .
للدكتور محمد التونجي . دار العلم للملايين الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩م .
٥١ ـ معجم الشعراء في لسان العرب .
للدكتور ياسين الأيوبي . دار العلم للملايين/ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م .
٥٢ ـ معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) .
لعمر رضا كحالة . ط م الترقي بدمشق ١٣٧٦ ـ ١٣٨١هـ .
٥٣ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع .
لأبي عبيدالله بن عبد العزيز البكري، (ـ ٤٨٧هـ)، تحقيق مصطفى السقا . عالم الكتب ببيروت .
٥٤ ـ المعارف .
لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ)، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة . دار المعارف بمصر/ الطبعة الثانية سنة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧م .
٥٥ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام .
للدكتور جواد علي (ـ ١٤٠٨ هـ)، دار العلم للملايين ومكتبة النهضة ببغداد ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٦ ـ ١٩٧٨م .
٥٦ ـ المغني في الضعفاء .
للحافظ الذهبي (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ)، تحقيق نور الدين عتر . دار المعارف بحلب ط م البلاغة الطبعة الأولى عام ١٣٩١ هـ .
٥٧ ـ مقاييس اللغة
لأبي الحسين أحمد بن فارس . (ـ ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام

محمد هارون. ط دار احياء الكتب العربية (عيسى الحلبي) ١٣٦٦ ـ ١٣٧١هـ

٥٨ ـ المنازل والديار.

لمجد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ (٤٨٨ ـ ٥٨٥ هـ). المكتب الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥هـ

٥٩ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. (ـ ٧٤٨هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي. ط دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي ١٣٨٢ هـ

٦٠ ـ النسب الكبير

لهشام بن محمد بن السائب ابن الكلبي، (ـ ٢٠٤هـ)، مصورة عن نسخة الاوسكوريال رقم ١٦٩٨.

٦١ ـ نسب معد واليمن الكبير.

لهشام بن محمد ابن الكلبي. مصورة عن نسخة المتحف البريطاني رقم ١٢٠٢.

٦٢ ـ نور القبس.

لأبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود اليغموري (ـ ٦٧٣هـ)، المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء. لأبي عبيدالله محمد بن عمران المرزباني. (٢٩٦ ـ ٣٨٤هـ)، تحقيق رودلف زلهايم. دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن سنة ١٣٨٤هـ.

"ابن زكي" وخطبته القدسيّة / تحقيق ودراسة

د. عبدالجليل عبدالمهدي
الجامعة الاردنية

حياته :

وهو ابو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى بن علي ابن عبدالعزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبدالرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم[1] بن عبدالرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان القُرشيّ، الأموي، العثماني، الدمشقي، الشافعي، الملقب محيي الدين، المعروف بابن زكي الدين[2].

يذكر ابو شامة المقدسي أنه لم يرفع أحد نسب ابن زكي الدين، أو نسب واحد من أسرته، لـ «يتصل بأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه»[3]. وكانت ذريته تدّعي الاتصال بعثمان، في نسبها. وهو مجرد ادعاء كما يبين أبو شامة، إذ نجده يقول: «كما تدعيه ذريته في زماننا»[4]، أي في زمان أبي شامة المقدسي، المتوفى سنة ٦٦٥هـ[5]. ويذكر أنه «لو كان ذلك الاتصال صحيحاً، لما خفي على الحافظ أبي القاسم المعروف بابن عساكر، ولو كان يعرفه لما أغفل ذكر هذه المنقبة لأجداده، وأمه، وأخواله»، فقد كان يحيى ابن علي بن عبدالعزيز جد الحافظ أبي القاسم بن عساكر لأمه. وقد ترجم له

(١) جاء في الفتح القدسي، وإتحاف الأخصا أنه: محمد، بدلاً من القاسم.
(٢) انظر: وفيات الاعيان ٤ / ٢٢٩، وانظر: الفتح القدسي/ ١٣٩، الروضتين ٢ /١٠٨، ١٠٩، ١١٠، الذيل على الروضتين/ ٣١، مفرج الكروب ٣ /١٣٣، زبدة الحلب ٣ /٧١، العبر ٣ /١٧٣، سير اعلام النبلاء ٢١ / ٣٥٨، ٣٥٩، مضمار الحقائق/ ١٤٣، ١٤٤، طبقات الشافعية الكبرى ٦ /١٥٧، عيون التواريخ ٢٠ / ٣٩٦، تتمة المختصر ٢ / ١٤٨، التكملة لوفيات النقلة ٣ /٨، الوافي بالوفيات ٤ /١٦٩، عقد الجمان للعيني ٢٦ / حوادث ٥٩٧هـ، البداية والنهاية ١٣ / ٣٢ - ٣٣، ٢٥٧، النجوم الزاهرة ٦ / ١٢٦، ١٨١، الدارس ١ / ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣١، ٢٦٧، ٣٦٢، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٠، ٢ / ١٨٥، ١٨٦، ٣٠٢، ٣٨٧، قضاة دمشق ٤٤، ٤٥، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، إتحاف الأخصا ١ / ١٣٩، نزهة الخاطر/ ١٠٣، شذرات الذهب ٤ /٣٧٧.
(٣، ٤) الذيل على الروضتين/ ٣١.
(٥) انظر. نفسه/ ١١١.

في تاريخه، ولم يزد على القرشي. و«لو كان أموياً عثمانياً كما يزعمون، لذكر ذلك ابن عساكر، إذ كان فيه شرف لجده وخاليه محمد وسلطان، كما يقول أبو شامة[1].

ويذكر السبكي في حديث عن ابن الزكي ونسبه بعد وصفه بالعثماني، قوله: «على ما يذكرون»[2]. وهذا مما قد يشكله في اتصال نسب ابن الزكي بعثمان، رضي الله عنه.

ويشيد عدد من الشعراء بابن الزكي في نسبه، ومنهم الشاعر الدمشقي فتيان الشاغوري، فهو يشيد بآل الزكي، وبنسبهم القرشي، كما يبدو في قوله[3]:

من دوحةٍ قُرَشيَّةٍ أمويَّةٍ ... في سُرَّةِ البطحاء ذات عِراسِ

وقوله[4]:

يا ابنَ عليّ القُرَشيِّ يا محمد ... استمع ما قلتُ غيرَ مُنْتَحَلِ

★ ★ ★

ولد ابن الزكي سنة ٥٥٠هـ، في دمشق[5]. وهو من أسرة مشهورة في الشام. وهي بيت قضاء، فزكي الدين يحيى بن علي بن عبدالعزيز القرشي، جد أبيه تولى قضاء الشام، وكان أول من ولي القضاء من بيت آل الزكي[6]، وجده ولي القضاء فيها[7]، ثم ولي أبوه القضاء، وكان قاضي القضاة فيها، ثم استعفى من القضاء فأعفي[8]. وولي محيي الدين نفسه قضاء دمشق

(١) انظر: الذيل على الروضتين/٣١، سير اعلام النبلاء ٢١/٣٥٩، قضاة دمشق (الثغر البسام)/ ٤٤، ٤٥.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٧.

(٣) ديوانه/ ٢٣١، ٢٣٢.

(٤) نفسه/ ٣٧٠، ٣٧١.

(٥) انظر: وفيات الاعيان ٤/٢٣٦، الذيل على الروضتين/٣٢، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٧، الوافي بالوفيات ٤/١٧٠، النجوم الزاهرة ٦/١٨١ ـ ١٨٢، قضاة دمشق/ ٥٢، عقد الجمان للعيني ٢٦/ حوادث ٥٧٩هـ)، نزهة الخاطر /١٠٣، الانس الجليل ٢/١٣٤.

(٦) الذيل على الروضتين/٣١، الوافي بالوفيات ٤/١٦٩، ١٧٠، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٧، العبر ٤/٢٠٥، قضاة دمشق/٤٤، ٥٢، ٥٣.

(٧) الوافي بالوفيات ٤/١٦٩، ١٧٠، قضة دمشق/ ٥٣.

(٨) وفيات الاعيان ٤/٢٣٦، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٧، العبر ٣/٤٤، الوافي ٤/١٦٩، ١٧٠، عقد الجمان للعيني ٢٦/ حوادث ٥٧٩ هـ. قضاة دمشق/٤٦، ٥٣.

في شهر ربيع الاول سنة ٥٨٨هـ، وكان قاضي قضاة الشام فيها[1]. ثم ولي ولداه: زكي الدين أبوالعباس الطاهر[2]، وأبو الفضل يحيى[3]، القضاء فيها. وكان كل منهما رئيساً في القضاء، معرقاً فيه[4]. يقول ابن كثير في حديث عن ابن الزكي، أبي المعالي القرشي، : «وكل منهما كان قاضيا، أبوه، وجده، وابـو جده يحيى بن علي، وهو أول من ولي الحكم بدمشق منهم[5]، كما تقدم. إنه «من بيت القضاء والحشمة، والاصالة، والعلم» كما يذكر الصفدي[6].

★★★

كان والده قاضيا كما تقدم، وكان عالماً سمع عليه طالبو العلم. وأخذوا عنه، وقد اشتغل بالحديث، و«كان عالي الطبقة في سماع الحديث. سمع خلقـاً كثيراً وحـدّث ببغداد مدة إقامته، وسمع عليه الناس» كما يقول ابن خلكان[7]. وكان ابنه أبوالمعالي واحداً من طالبي العلم الذين سمعوا منه[8].

ووالـدتـه أم محمـد آمنـة بنت محمـد بن الحسن بن طاهر القرشية، المعروف والدها بأبي البركات بن المران. وهي أخت أسماء أم تاج الامناء أبي الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (-

---

(١) انظر وفيات الاعيان ٤/٢٢٩، ٢٣٠، الذيل على الروضتين/ ٣١، مضمار الحقائق/ ١٤٤ - ١٤٥، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٧، النجوم الزاهرة ٦/١٨١، البداية والنهاية ١٢/٣٤٦، الدارس ١/٢١٩، قضاة دمشق/ ٥٢، ٥٣، ٥٥ - ٥٩، ٦٣، عقد الجمان للعيني ٢٦/ حوادث ٥٧٩ هـ.

(٢) انظر: قضاة دمشق/ ٥٥ - ٥٩.

(٣) انظر: الدارس ١/٢٢١، ٢٢٢.

(٤) وفيات الاعيان ٤/٢٢٩، البداية والنهاية ١٣/٢٥٧، قضاة دمشق/ ٦٦، ٧١ - ٧٤، الانس الجليل ٢/١٣٤.

(٥) البداية والنهاية ١٣/٣٢، وانظر: عقد الجمان للعيني ٢٦/ حوادث ٥٧٩ هـ.

(٦) الوافي بالوفيات ٤/١٧٠

(٧) وفيات الاعيان ٤/٢٣٦، وانظر: عقد الجمان للعيني ٢٦/ حوادث ٥٧٩هـ، نزهة الخاطر/ ٩٥، قضاة دمشق/٤٦.

(٨) طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٨، الوافي بالوفيات ٤/١٧٠.

٥٩٥هـ)[1].

وكانت والدته محدثة. ويُذكر أن والدها كان قد استنسخ لها كتاب السنن لأبي داود، كما سمعت بعضه، وسمعت على جدها لأمها، وسمع منها ولدها. ويُذكر أنها وقفت رباطاً لسكنى الفقراء من النساء. وكانت قد حجت مع اختها أسماء في سنة ٥٥٥هـ وهي ابنة خالة الحافظ أبي القاسم بن عساكر الكبرى[2].

شيوخه:

تقدم القول ان أبا المعالي أخذ العلم عن والده ووالدته، كما أخذ عن غيرهم من العلماء. وكان قد نشأ في دمشق، في ظل والديه. وقد عُنيا به، وأحاطاه برعايتهما العلمية.

وأخذ ابن الزكي عن العديد من العلماء في العلوم الشرعية، والعلوم اللغوية والأدبية، وغيرها من أصناف العلوم. ويذكر السبكي، ويتابعه الصفدي، وابن طولون، أنه قرأ المذهب الشافعي على جماعة، وسمع الحديث من والده، كما سمعه من طائفة من العلماء[3]، منهم: الوزير الفلكي، أبو مظفر سعيد بن سهل النيسابوري الخوارزمي (ت ٥٦٠هـ)[4] وعبدالرحمن بن أبي الحسن الداراني[5]، والصائن بن عساكر، هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (٤٨٨ - ٥٦٣هـ)[6]. والأمير أبو المكارم

(١) انظر: تاريخ دمشق - تراجم النساء/ ٣١، الذيل على الروضتين/ ٣١ البداية والنهاية ١٣/ ٣٢، ٣٣، ١٠١، عقد الجمان للعيني ٢٦/ حوادث ٥٧٩هـ، الدارس ٢/ ٣٠٢، ٣٦٢، قضاة دمشق/ ٤٤، ٤٥.

(٢) تاريخ دمشق - تراجم النساء/ ٣١، ٤٩، ٥٠، اعلام النساء/ ١٦.

(٣) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٥٧، ١٥٨، الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٠، قضاة دمشق/ ٥٢.

(٤) انظر: العبر ٣/ ٣٢، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٧٠، شذرات الذهب ٤/ ١٨٨.

(٥) انظر: الدارس ١/ ١٠٤، ١٠٥.

(٦) انظر: العبر ٣/ ٤١، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٠، الدارس ١/ ٤١٦ - ٤١٨.

عبدالواحد بن واحد بن المسلم بن هلال الأزدي (ت ٥٦٥هـ) [١].

ويذكـر ابن كثير أن ابن الـزكي اشتغـل على القـاضي شرف الـدين عبدالله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون (٤٩٢ ـ ٥٨٥هـ) [٢].

الاشتغال بالقضاء والتدريس والاشراف على الأوقاف:

تولى ابن الـزكي القضـاء نيابـة واستقـلالاً، فقد ذُكر أنه تولى القضاء بدمشق نيابـة عن الشيخ شرف الـدين عبـدالله بن محمـد بن هبـة الله بن عصرون، الآنف ذكره[١]. وولي ابن الزكي القضاء في حلب. ويذكر ابن كثير أنه قد ولي قضاء دمشق، ثم أضيف إليه قضاء حلب[٢]. وكان السلطان صلاح الدين قد عوّل عليه في الحكم والقضاء بحلب، فقضى وحكم. وقد ولاه هذا المنصب عندما فتح السلطان حلب، في سنة ٥٧٩هـ. وقيل إنه لما تم فتحها أنشد ابن الزكي قصيدة، تنبأ فيها بتحرير بيت المقدس. ويُذكر أن ابن الـزكي رتّب له نائباً وهو القاضي زين الدين نبأ بن الفضل بن سليمان المعروف بابن البانياسي[٥]. وتحسن الاشارة هنا إلى ما يذكره ابن العديم، فقد ذكر أن صلاح الدين سير الى القاضي محيي الدين في دمشق، بسفارة القاضي الفاضل، فأحضر إلى حلب، وولي قضاءها[٦].

ويُذكـر أن ابن الـزكي كان قد تظاهر بترك بالنيابة، ولازم بيته، وبقي كذلك إلى أن توفي ابن أبي عصرون، فولاه صلاح الدين القضاء، وعظمت

---

(١) انظر: العبر ٣/٤٦، مرآة الجنان ٣/٢٧٨.

(٢) البداية والنهاية ١٢/٣٣٣. وانظر: العبر ٣/٩٠، النجوم الزاهرة ٦/١٠٩ ـ ١١٠، الدارس ١/٣٩٩ ـ ٤٠٤، قضاة دمشق/ ٤٩ ـ ٥١.

(٣) الذيل على الروضتين/ ٣١، البداية والنهاية ١٣/٣٣، نزهة الخاطر/ ١٠٣، التارج المكلل/ ١١١.

(٤) البداية والنهاية ١٣/٣٣.

(٥) انظر: البرق الشامي (تحقيق د. ششن)/ ١٢٦، ١٢٨، (تحقيق د. فالح)/ ١٣٢، ١٣٣. مضمار الحقائق/ ١٤٤ ـ ١٤٥، الروضتين ٢/٤٧، الذيل على الروضتين/ ٣١، ٣٢، وفيات الاعيان ٤/ ٢٣٠، ٦/٢٢٩، زبـدة الحلب ٣/٧١، ٧٢، قضاة دمشق/ ٥٤، ٥٥، نزهة الخاطر/ ١٠٣، ١٠٤.

(٦) زبدة الحلب ٣/٧١.

رتبته عنده[١] .

ويذكر أبو شامة المقدسي أن ابن الزكي تولى قضاء دمشق في ربيع الأول من سنة ٥٨٧هـ[٢] ، عوضاً عن القاضي ابن أبي عصرون .

ويذكر الأسدي ، في حوادث سنة ٥٨٧هـ ، أنه فيها «عزل السلطان أبا حامد بن أبي عصرون عن قضاء دمشق ، وولى محيي الدين بن الزكي»[٣] . ثم أصبح ابن الزكي قاضياً للقضاة ، في سنة ٥٨٨هـ ، واستمر يتولى منصبه هذا إلى أن توفي سنة ٥٩٨هـ[٤] .

★ ★ ★

واشتغل ابن الزكي بالتدريس إذ إنه درَّس في عدد من المدارس بدمشق ، ومنها المدرسة التقوية[٥] . وقد نتساءل هنا : متى ابتدأ ابن الزكي التدريس ، في هذه المدرسة؟ يقول ابن شداد : «أول من ذكر الدروس بها قاضي القضاة محيي الدين محمد بن علي ومن بعده محيي الدين بن زكي الدين ، ثم انتزعت من يده» ، ووليها غيره ، ثم عادت إليه ثانية[٦] .

ويذكر النعيمي أن هذه المدرسة قد وقفت في سنة ٥٧٤هـ . بناها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت٥٨٧هـ) ، وهي منسوبة إليه[٧] . وهذا يبين أن ابن الزكي قد ابتدأ التدريس بها بعد سنة ٥٧٤هـ .

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى ٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، الوافي بالوفيات ٤ / ١٧٠ ، قضاة دمشق / ٥٣ ، نزهة الخاطر / ١٠٤ .

(٢) كتاب الروضتين ٢ / ١٩٤ ، الذيل على الروضتين / ٣١ . وانظر : البداية والنهاية ١٢ / ٣٤٦ ، الانس الجليل ٢ / ١٣٤ ، الدارس ١ / ٢١٩ ، قضاة دمشق / ٥٢ ، نزهة الخاطر / ١٠٥ .

(٣) قضاة دمشق / ٥١ .

(٤) الذيل على الروضتين / ٣٢ ، البداية والنهاية ١٢ / ٣٤٦ ، قضاة دمشق / ٥٢ .

(٥) انظر : الدارس ١ / ٢١٦ ـ ٢٢٥ .

(٦) الاعلاق الخطيرة ـ دمشق / ٢٣٥ ، الدارس ١ / ٢٢٠ .

(٧) انظر : الروضتين ٢ / ١٩٤ ، ١٩٥ ، العبر ٣ / ٩٤ ، البداية والنهاية ١٢ / ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ، الدارس ١ / ٢١٦ ـ ٢٢٠ .

وقد تقدم قول ابن شداد أن أول من درّس بها هو قاضي القضاة محيي الدين محمد بن علي، غير أن النعيمي يذكر أنه لعل أول من درّس فيها أبو المظفر بن عساكر، عبدالله بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله (٥٤٩ ـ ٥٩١هـ). ويستشهد النعيمي بما قاله السبكي والأسدي، إذ قالا إنه قد درّس بالتقوية، ولم يقولا إنه أول من درّس بها [١].

ولعل هذا يزيل التناقض بين ما يذهب إليه ابن شداد، وما يذهب إليه النعيمي، علماً بأن قول النعيمي غير راجح بدليل استخدامه لفظة «لعل» في كلامه.

ودرّس القاضي ابن الزكي في المدرسة العزيزية [٢] في دمشق، ويذكر ابن شداد أنه «أول من درّس بها»، وكان ذلك في سنة ٥٩٢هـ. ويذكر الذهبي، وابن كثير أن الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين قد أمر القاضي محيي الدين بن الزكي بتأسيس المدرسة العزيزية، المنسوبة إليه، وكانت داراً للأمير عز الدين أسامة، ففعل [٣].

عُني القاضي ابن الزكي بتدريس التفسير، والفقه، وغيرهما من العلوم. ويشير أبو شامة المقدسي إلى أنه كان يدرّس في مدرسته بالكلّاسة [٤] درساً عاماً في التفسير [٥]. ومن كتب التفسير التي عني ابن الزكي بها تفسير ابن بَرَّجان أبي الحكم عبدالسلام بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن اللخمي الإشبيلي (ت٥٣٦هـ) [٦]، فقد ذكر أنه اطلع عليه، وأخذ منه. ومن ذلك ما أخذه حول التنبؤ بتحرير بيت المقدس، وقد ضمن ذلك في قصيدة له قالها في فتح حلب سنة ٥٧٩هـ، يقول مخاطباً السلطان صلاح الدين:

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٧/١٢٨، الدارس ١/٢٢١. (ورد في الدارس خطأ ان ابا المظفر بن عساكر توفي سنة ٥٧١هـ. الدارس ١/٢٢١).

(٢) انظر: الدارس ١/٣٨٢ ـ ٣٩٨.

(٣) الاعلاق الخطيرة ـ دمشق/ ٢٣٩، العبر ٣/١٠٥، البداية والنهاية ١٣/١٢، الدارس ١/٣٨٢، ٣٨٣.

(٤) انظر: الدارس ١/٤٤٧ ـ ٤٥١.

(٥) الذيل على الروضتين/ ٣٢، البداية والنهاية ١٣/٣٣، قضاة دمشق/ ٥٣.

(٦) وفيات الاعيان ٤/٢٣٦، ٢٣٧.

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب [1]

فكان كما قال. وقد «قيل لابن الزكي: من أين لك هذا؟ فقال: أخذته من تفسير ابن بَرَّجان في قوله تعالى: ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾[2]. ويعقب ابن خلكان على ذلك بقوله: «ولما وقفت أنا على هذه الحكاية، لم أزل أتطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة»[3]. ويوصف هذا التفسير بأنه «تفسير كبير في مجلدات، ذكر فيه من الأسرار والخواص ما هو مشهور بين أهل هذا الشأن. وقد استنبطوا من رموزاته أموراً، فأخبروا بها قبل الوقوع»[4]. وجاء «أكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات»[5]. لقد اثبت هذا كله كما ورد في المصادر، مع الاعتقاد أن بني البشر لا يستطيعون التنبؤ بالغيب.

ويذكر أبو شامة أن إبن الزكي كان يحرض على كتابة عقيدة الغزالي الملقبة بالمصباح[6]. وكان يدعو إلى حفظها. وكان هو نفسه يحفظها، ويُحفِّظها أولاده[7].

ويبدو أن عناية ابن الزكي كانت منصبة على العلوم الشرعية، والعلوم

(١) يعارض ابن الزكي ابا تمام في قصيدته التي أنشأها في موقعة عمورية «السيف اصدق انباء من الكتب...»، واورد العيني البيت منسوباً الى القاضي فخر الدين بن المولى، كما اورده منسوبا الى ابن سناء الملك في قصيدته: «بدولة الترك عزت ملة العرب...»، ولم يرد في ديوان ابن سناء الملك. ثم اورده منسوبا الى ابن الزكي. (انظر: عقد الجمان - ج: ٢٥، ٢٦ حوادث ٥٧٩هـ. ديوان ابن سناء الملك - تحقيق د. محمد عبدالحق/ ٩ - ٢٢، تحقيق محمد نصر ٢/١ - ٤، وفيات الاعيان ٤/٢٢٩، الادب في العصر الايوبي/٢٥٧.

(٢) الروم الآيات ١ - ٣.

(٣) وفيات الاعيان ٤/٢٢٩، ٢٣٠. وانظر: سنا البرق الشامي (تحقيق د. ششن)/ ٢٠٣. (تحقيق د. النبراوي)/ ٢٢٦، مرآة الزمان ١٤/١٤٣، ١٥٣، الكامل ١١/٩٧، المختصر ٣/٦٦، تتمة المختصر ٢/١٤١، سير اعلام النبلاء ٢١/٣٦٠، مرآة الجنان ٣/٣٧٦ - ٣٧٧، السلوك. ج١ق ١/٨١، تاريخ الخلفاء/ ٤١٨، الدارس ١/٢٣٠، ٢٣١، نزهة الخاطر/ ١٠٤.

(٤) كشف الظنون ١/٦٩ - ٧٠.

(٥) وفيات الاعيان ٤/٢٣٧.

(٦) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١/٢٢٦.

(٧) الذيل على الروضتين/٣٢، وانظر: البداية والنهاية ١٣/٣٣، قضاة دمشق/٥٣.

اللغـوية والأدبية، ولكنـه كان يقف موقفـاً سلبياً من الاشتغـال بالمنـطق، والجدل، وكان ينهى عن الاشتغال بهما وبكتبهما. وقد بلغ موقفه هذا منهما أنه قد قطّع كتباً في هذين العلمين، أمام الحضور في مدرسته بالكلاسة. وقد كان يذكر الدرس العام للتفسير[1]. وهو موقف سلبي كان يحسن ألا يكون.

★★★

وكان القاضي ابن الزكي «يتولى نظر الجامع الأموي بنفسه». ويُذكر أنه كان بيده «الأوقاف التي للجامع وغيره». وقد استمر مشرفاً على تلك الأوقاف إلى أن عُزل عنها في جمادى الأولى سنة وفاته، وهي سنة ٥٩٨هـ، وكان ذلك قبل وفاته بشهور[2].

تلاميـــذه:

تلقى العـديد من طالبي المعـرفـة العلم على القـاضي الخطيب ابن الزكي، وسمعوا منه، ورووا عنه، ويذكر السبكي أنه قد حَدَّث، وسمع منه طالبو العلم، وروى عنه العديدون، ومنهم:

الشهـاب القـوصي، إسمـاعيل بن حامـد بن عبـدالـرحمن (٥٧٤ - ٦٥٣هـ)[3]، والمجد بن عساكر[4]، وجماعة آخرون. كما أجاز الكثير من طالبي العلم الـذين سمعـوا منه. وممن حدّثوا عنه بالإجازة أحمد بن أبي الخير[5].

---

(١) الذيل على الروضتين/ ٣٢، الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٠، البداية والنهاية ١٣/ ٣٣، قضاة دمشق/ ٥٣، نزهة الخاطر/ ١٠٥.

(٢) انظر: الذيل على الروضتين/ ٣٢، طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٥٨، البداية والنهاية ١٣/ ٣٣، قضاة دمشق/ ٥٣.

(٣) انظر: الذيل على الروضتين/ ١٨٩، العبر ٣/ ٢٧٠، البداية والنهاية ١٣/ ١٨٦ - ١٨٧، الدارس ١/ ٨٥، ٩٧، ٤٣٨ - ٤٤٠.

(٤) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٥٨، قضاة دمشق/ ٥٢.

(٥) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٥٨.

منزلتـــه :

كان ابن الـزكي يتبـوأ مكانة مرموقة، إذ كانت له عند السلطان صلاح الـدين «المنـزلة العالية، والمكانة المكينة»[1] . وقد كان كذلك في العلم والقضاء، ويوصف بأنه كان ذا عقل ورزانة، وورع، وديانة»[2] ، وبأنه كان كامل السؤدد[3] .

ونتبين تلك المنزلة من مشاركته في المجالس العلمية التي كان السلطان يشارك فيها، والمكان الذي يجلس فيه عندما تعقد تلك المجالس . ومن ذلك مجلس علمي عقده القـاضي جمـال الـدين المصـري، يونس بن بدران (ت٦٢٣هـ)[4] ، وحضـر عند السلطان المعظم عيسى بن الملك العادل، وشارك فيه الأعيان والأكابر من أمثال شيخ الحنفية جمال الدين الحصيري، محمد بن أحمد بن عبدالسيد البخاري (٥٤٦ - ٦٣٦هـ)[5] ، والشيخ سيف الـدين الآمدي، علي بن محمد (٥٥٠ - ٦٣١هـ)[6] ، ومحيي الدين بن الزكي، وفخر الدين بن عساكر، عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله (٥٥٠ - ٦٢٠هـ)[7] ،وتقي الدين بن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن (٥٧٧ - ٦٤٣هـ)[8] ، وغيرهم[9] .

ونتبين هذه المنـزلـة من إشادة الكثيرين بابن الزكي . ومن ذلك إشادة

---

(١) وفيات الاعيان ٤/٢٢٩، وانظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٣٦٠، الوافي بالوفيات ٤/١٧٠، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٥٩، الانس الجليل ٢/١٣٤ .

(٢) التاريخ المنصوري/٢٤ .

(٣) الوافي بالوفيات ٤/١٧٠، قضاة دمشق/ ٥٣ .

(٤) انظر: الذيل على الروضتين/١٤٨، العبر ٣/١٩٢، البداية والنهاية ١٣/١١٤ - ١١٥ .

(٥) انظر: العبر ٣/٢٢٨ - ٢٢٩، البداية والنهاية ١٣/١٥٢ - ١٥٣، النجوم الزاهرة ٦/٣١٥، الدارس ١/٣٦٢ .

(٦) انظر: الذيل على الروضتين/ ١٦١، العبر ٣/٢١٠، البداية والنهاية ١٣/١٤٠ - ١٤١ .

(٧) انظر: الذيل على الروضتين/١٣٦ - ١٣٩، العبر ٣/١٨١ - ١٨٢، البداية والنهاية ١٣/١٠١، المدارس في بيت المقدس ١/٢٠٥ - ٢٠٩ .

(٨) انظر: العبر ٣/٢٤٦ - ٢٤٧، البداية والنهاية ١٣/١٦٨ - ١٦٩، الانس الجليل ٢/١٠٤، الدارس ١/٢٠، ٢١، المدارس في بيت المقدس ١/٢٠٩ - ٢١١ .

(٩) الدارس ١/٣٦١، ٣٦٢ .

القاضي الفاضل به في رسالة كتبها إليه، إذ نراه يشيد به في معارفه، وفضائله، ويخاطبه في إحدى رسائله التي كتبها إليه فيقول: «كان كتابي تقدم إلى المجلس السامي»، ثم يدعو له بنفاذ الأمر، وعلو القدر، وأسعد الحظ، وأطول العمر، كما يدعو أن تكلأه عين العناية الربانية في دنياه ودينه، وأن تعصمه من النوائب. ويعود ليشيد به في ثباته، ويقينه، وفيض يمينه، وفي أعماله للدنيا والآخرة، وهي أعمال مقبولة كما يصفها[1].

وقد قيلت أشعار تشيد بابن الزكي، ويذكر ابن أبي أُصيبعة أنه نقل شعراً لأبي الفضل مؤيد الدين محمد بن عبدالكريم بن عبدالرحمن الحارثي المهندس الطبيب[2]، من خطه في مقالته في رؤية الهلال، ألفها للقاضي محيي الدين بن زكي الدين»، ويقول فيها يمدحه[3]:

والنَّعْتُ ما لم تكُ الأفعالُ تَعْضُدُه	اسمٌ على صورة خُطَّتْ من الصُّوَر
وما الحقيقُ به لفظٌ يطابقُه الـ	ـمعنى كنجلِ القُضاةِ الصِّيدِ من مُضَر
فالدينُ والمُلْكُ والإسلامُ قاطبةً	برأيه في أمانٍ من يد الغِيَر
كم سَنَّ سُنَّةَ خيرٍ في ولايته	وقام لله فيها غَيرَ معتذِر
يرجو بذاك نعيماً لا نفاد له	جوار ملك عزيز جل مقتدر

ويمدحه الشاعر فتيان الشاغوري (٥٣٠ ـ ٦١٥هـ)[4] في ثلاث من قصائده، ويشيد به فيها، كما يشيد بآله فيقول[5]:

والجدُّمدحُ الطاهر القاضي زكـ	ـي الدين والدنيا أبي العباسِ
يا ابن الألى شهدَ الزمانُ بأنهمْ	بعد الخلائف فيه خيرُ الناسِ
ما للأمور إذا شَكا من كَلْمِها	شوسُ الملوكِ سواكُمُ من آسِ

(١) نهاية الارب ٨/١٢، ١٤، ١٥.

(٢) انظر: عيون الانباء في طبقات الاطباء/ ٦٦٩ ـ ٦٧١.

(٣) نفسه/ ٦٦٩، ٦٧٠. وانظر: الدارس ٢/٣٨٧، ٣٨٨.

(٤) انظر: خريدة القصر، قسم شعراء الشام ١/٢٤٧ ـ ٢٥٩، وفيات الاعيان ٤/٢٤ ـ ٢٦، ديوانه (المقدمة).

(٥) ديوانه/ ٢٣١، ٢٣٢.

ذَلَّلْتُمُ بعلومكمْ وحُلومكمْ إذ رُضْتُموها كَلَّ ذات شِماسِ
وأطاعَ أمرَكُمُ الزمانُ وقد رَمَى حُسَّادَكُمْ بالرَّغْمِ والإتعاسِ
وبلغتُمُ بالرّأيِ ما لم يستطع إدراكَهُ بالّلام أشْدُ حِماسِ
حَسدَتْ دمشقَ على مقامكمُ بها بغدادُ وهي حِمَى بني العباسِ

ويركز الشاعر الشاغوري، في إشادته بابن الزكي، على الاشادة بأدبه وبيانه، ومعرفته بالعلوم الشرعية، فيقول[1]:

أنتَ الذي بفَعالِهِ ومَقالِه في حُكْمِهِ أنْسَى ذكا ابن إياسِ
إنْ يَنْثُرِ الدُّرَّ النفيس بنانُهُ يَنْظِمْهُ بالأقلامِ في القِرْطاسِ
ببيانِهِ وبنانِهِ سحران من لفظٍ وخطٍّ باهر الجلّاسِ
طَبٌّ بأحكام الشريعة فارسٌ في حَوْمَتَي نصٍّ وحُسْنِ قياسِ

ويصور الشاعر نفسه وممدوحه بزهير بن أبي سُلمى، وهَرِم ابن سنان.

ويشيد به وبابنه، ويقر بأنعمهما عليه، ويهنئهما بالعام الجديد[2].

ويمـدحـه في قصيدة أخرى، وقد مضى رسولاً إلى حلب، ويشيد به علماً، ومناظرة، وجدلاً، وكتابة، فيقول[3]:

حَبْرٌلَدَيْهِمَنْ وراءَ النهر في الـ ـجدالِ يلقَى البحرَ بالماءِ الوَشَلْ
يضربُ في كلِّ العلومِ باليد الـ ـبيضاءِ لا سوء بها ولا شَلَلْ
وكُتْبُهُ الكتائبُ الشُّهْبُ إذا أنشأها مُبْتدِهاً أو مُحْتَفِلْ
عبارةُ الفاضلِ في كتابهِ ترمي سطورَ ابن هلال بالخَجَلْ
أغْزرُ من بحْرٍ خِضَمٍّ عِلْمُهُ وحِلْمُهُ أرْزَنُ من كُلِّ جَبَلْ

ثم يصور عودته الى دمشق، ونجاحه في وفادته، كما يبدو في قوله[4]:

قدومُهُ سَرَّ دمشقَ بعدَ ما ساءَ وجوه أهلها حين رَحَلْ
فالخيرُ ساعٍ معَهُ حيثُ سَعَى مُصاحباً ونازلٌ أينَ نزَلْ
يا حلبُ البيضاءُ قد وافاك مِنْ محمد في دهرنا خيرُ الرُّسُلْ

---

(١) ديوانه / ٢٣٢.
(٢) انظر: ديوانه / ٢٣٣، الوافي بالوفيات ٤ / ١٧٠.
(٣) ديوانه / ٣٧٠، ٣٧١.
(٤) ديوانه / ٣٧١، ٣٧٢.

ذاكَ هو القاضي الذي أقلامُهُ بها الأقاليمُ تُساسُ والدُّوَلْ
ذو مَحْتِدٍ زاكٍ ومجدٍ بَاذخٍ ومنْصِبٍ يعْلُو كما تَعْلُو القُلَلْ

وفي قصيدة ثالثة، يشيد به الشاغوري، بمجده، وعليائه، ونعيمه، وبؤسه، وإغاثته ذوي الحاجات، ثم يشيد به في رعايته الحركة الأدبية، وتشجيعه الأدب والأدباء[١] .

لقد قام ابن الزكي بدور بارز، في المجالات الدينية، والأدبية، والسياسية، والاجتماعية، وغيرها. ومن ذلك أنه مضى رسولاً إلى حلب كما تقدم. ولما نزل الفرنج على تبنين، في سنة ٥٩٤هـ، أنفذه الملك العادل رسولاً إلى الملك العزيز بمصر، مستصرخاً، فأرسل العزيز العساكر، وقدم بنفسه، فرحل الفرنج خائبين[٢] .

وفي المضمار المذهبي، وقف ابن الزكي ضد الحنابلة[٣] . وكانت علاقته سلبية مع الاسماعيليين[٤] .

بينه وبين القاضي الفاضل:

يذكر الصفدي أن مكاتبات القاضي الفاضل الى ابن الزكي، تقع في مجلدة كبيرة[٥]. ولم يصل إلينا من تلك المكاتبات إلا أجزاء من عدد من الرسائل التي كتبها القاضي الفاضل إلى ابن الزكي. ومن تلك الرسائل رسالة كتبها إليه، من مصر، في سنة ٥٩٣هـ، يتحدث فيها عن معضلة من المعضلات العادية التي طرقت الناس في مصر وهم نيام، وقد كانت معضلة رهيبة جعلت الناس يظنون أن ساعة الميعاد قد طرقت، وكان ذلك في «الثلث الأول من ليلة الجمعة»، في الثامن عشر من جمادى الآخرة، من السنة الأنف ذكرها. ويصف الفاضل تلك المعضلة العادية بأنها «عارض فيه

(١) ديوانه/ ٥٧٤.
(٢) خطفه البارق (عن الروضتين) ٢/ ٢٣٣، الذيل على الروضتين/١٣.
(٣) انظر: الذيل على الروضتين/ ٤٦، ٤٧، البداية والنهاية ١٣/ ٢٠، ٢١، ٣٣، ٣٩، الدارس ٢/ ٢٥٦.
(٤) يُذكر انه حدث لابن الزكي قضية معهم بسبب قتل شخص منهم يعرف بالفافا. ولذلك كان يخاف على نفسه، فلم يكن يخرج الا لصلاة الجمعة من باب سر الى الجامع الاموي، من داره التي كانت بباب البريد. انظر: الذيل على الروضتين/٣٢، البداية والنهاية ١٣/ ٣٣، الوافي بالوفيات ١٤/ ١٧٠، طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٥٩، قضاة دمشق/ ٥٤.
(٥) الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٠.

ظلمـات متكاثفة، وبروق خاطفة، ورياح عاصفة». ويصور تلك الرياح العاصفة، والبروق المتوالية من جهة المقطم، «وكأن جهنم قد سال منها واد، وعدا منها عاد، وزاد عصف الريح إلى أن انطفأت سرج النجوم، ومزقت أدم السمـاء». وكـان النـاس لا حول لهم ولا قوة، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿يجعـلون أصـابعهم في آذانهم من الصواعق﴾ [1]، ولا عاصم لهم إلا الاستغفار والاستغاثة، وكانوا معتصمين بالمساجد الجامعة.

ويعلل الكاتب ما وقع بالناس بأنهم «لا يستغربون العذاب لأنهم على موجباته مصرون، وفي وقت وقوع واقعـاتـه باستحقاقه مقرون. وقد استمرت تلك الليلة مدلهمة حتى الثلث الأخير، إلى أن أذن الله لها بالركود، فأخذ الناس يتبادلون التهاني، إذ رأوا وكأنهم قد بُعثوا بعد النفخة، وأفاقوا بعد الصيحة.

وهكذا يخاطب القاضي الفاضل ابن الزكي في أمر مصيبة عامة نزلت بالمسلمين في مصر، وهي مسألة تهم كليهما، بل تهم كل المسلمين. ويبين القاضي الفاضل بأنه لم يصف إلا ما وقع فعلاً، كما يبدو في قوله مخاطباً ابن الـزكي: «ولا يحسب المجلس أني أرسلت القلم محرفاً، والقول مجزفاً، فالأمر أعظم، ولكن الله سلم». وعلى الناس أن يتخذوا من ذلك كله العظة والعبرة[2].

وفي الحـديث عن منزلة ابن الزكي، تقدم الحديث عن رسالة أخرى كتبها القاضي الفاضل إلى ابن الزكي، اشاد فيها به. ويذكر الفاضل فيها أن رسالة وردت اليه من ابن الزكي[3]، ولكن تلك الرسالة لم تصل إلينا للأسف. وفي رسـالة القاضي الفاضل تلك، يصور العلاقة بينهما بأنها كانت علاقة وطيدة، كما يبدو في قوله: «.. فإنك تُسكِّن بها قلباً أنت ساكنه، وتسر بها وجهاً أنت على النوى معاينه»[4].

ومما يؤكد تلك العلاقة الوطيدة بينهما، ما ورد في رسالة أخرى للفاضل

---

(١) البقرة آية ١٩.
(٢) كتاب الروضتين ٢/٢٣٢.
(٣) انظر: نهاية الأرب ٨/١٢.
(٤) نفسه ٨/١٢، ١٣.

كتبها إلى ابن الزكي، يقسم فيها أنه يرغب في الاجتماع به رغبة قوية، فيجتمع سلك الشمل، ويتصل جديد الحبل، كما يقول. ويتحدث في رسالته هذه عن أمر يهم المسلمين، ويتمثل في واقعة من وقائع صلاح الدين الجهادية، وهي نوبة بيروت. ثم يشيد بابن الزكي في تنفيذه للقضايا، وإحسانه في تنفيذها، كما يقول[1].

وكتب إليه رسالة إخوانية يتشوق فيها إليه. وفيها يشيد به في فضائله، ومكارمه، ومعاليه، ومحامده، ويصف أشواقه إليه، ويتمنى جواباً منه «يشفي الجوى، وينفي ما أسارنه النوى، ويريح القلب، ويزيح الكرب»[2].

ووردت رسائل أخرى كتبها القاضي الفاضل إلى ابن الزكي. وهي تعبر عن مكانته، وتشيد به، وتصور العلاقة بينه وبين القاضي الفاضل. ويشير الفاضل في إحداها إلى وصول رسالة من ابن الزكي، ويصورها عذباً فراتاً سائغاً، ملأت قلبه سروراً. ويشير في رسالة أخرى إلى توالي كتب ابن الزكي إليه. ويصورها قد أقرت ناظريه، وأورثته زهواً وخيلاء[3].

وفـاته:

توفي القاضي محيي الدين بن الزكي، في السابع من شعبان سنة ٥٩٨هـ، في دمشق. ودفن بتربته بسفح جبل قاسيون[4].

(١) نهاية الأرب ٨/١٦.

(٢) رسائل عن الحرب والسلام/ ١٥٠، ١٥١.

(٣) انظر انشاءات القاضي الفاضل/ ٩٠، ٩١، ٩٢.

(٤) يذكر ان محيي الدين بن الزكي اختل في آخر عمره. ويُذكر انه بينما كان في داره يوماً، وعنده جماعة من اكابر دمشق، ثار به الخلط، فخرج من ساعته على الهيئة التي كان عليها في داره، فوجد بغلة عند بعض من كان عنده، فركبها، فخيف عليه، فارتدفه غلام صاحب البغلة، فخرج على وجهه الى الميدان، فلحقه الجماعة، وأمر له بضرب خيمة، وبات الناس عنده تلك الليلة، ثم أدخل من الغد، فبقي أياماً، ومات.

ويلخص بعضهم ذلك بقوله: انه في سنة ٥٩٧ هـ، حدث خلط لابن الزكي، شوش عقله، وغيَّره. وكان خرج راكباً، فوقع عن دابته، فمات، رحمه الله.

انظر: الذيل على الروضتين/ ٣١، ٣٢، التاريخ المنصوري/ ٢٤، مرآة الزمان ١٤٣/١٤، وفيات الأعيان ٢٣٦/٤، سير اعلام النبلاء ٣٦٠/٢١، طبقات الشافعية الكبرى ١٥٩/٦، مفرج الكروب ١٣٤/٣، الوافي بالوفيات ١٧١/٤، تاريخ ابن الفرات ٢٠٢/٤، البداية والنهاية ٣٣/١٣، الانس الجليل ١٣٥/٢، قضاة دمشق (الثغر البسام)/ ٥٥. التاج المكلل/ ١١١.

الخطبة القدسية:

نالت الخطابة عناية كبيرة في فترة الحروب الصليبية[1]، فقد كان العصر عصراً احتلت فيه ديار الاسلام. وشارك الخطباء والكتّاب، والشعراء، في الحث على تحريرها. وكان تحرير تلك الديار الإسلامية، وعلى رأسها بيت المقدس، هاجساً ألهم الخطباء الكثير من الخطب. ومن ذلك خطب أربع أنشأها القاضي محيي الدين أبو المعالي محمد بن علي، المعروف بابن الزكي، ولكنه لم تصل إلينا إلا واحدة منها. وكانت تلك الخطب الأربع قد أُلقيت في جمع أربع متوالية، وذلك بعد تحرير بيت المقدس، في السابع والعشرين من رجب، سنة ٥٨٣هـ[2]. وكانت الخطبة التي وصلت إلينا أول خطبة تلقى في المسجد الأقصى بعد تحريره، في أول جمعة تلت يوم الفتح. وكان يوم الفتح يوم جمعة، ولكن المسلمين لم يستطيعوا إقامة صلاة الجمعة بالأقصى، في يوم الفتح ذاك، فأقاموها فيه في الجمعة التالية، أي في الرابع من شعبان، من السنة ذاتها[3].

شرَّف السلطان صلاح الدين القاضي ابن الزكي باختياره ليكون أول خطيب يخطب بالمسجد الأقصى بعد تحريره. وقد فعل السلطان ذلك لأن ابن الزكي كان قد تحدث عن التنبؤ بفتح بيت المقدس، كما قيل[4].

شهد ابن الزكي فتح بيت المقدس مع صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ، وكان له يومئذ ثلاث وثلاثون سنة، وكان أول من خطب به. ويُذكر أنه صعد المنبر، وهو لابس خلعة سوداء. وكان أول بداهته قوله تعالى: ﴿فقطع دابر القوم

---

(١) الادب في العصر الايوبي/ ١٧٨، الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية / ٣٧٩، ٣٨٢، أدب الحروب الصليبية/ ٢٠٣، الحروب الصليبية وأثرها في الادب العربي/ ٥٤، عصر الدول والامارات ـ مصر والشام/ ٨١٥، نصوص عن أدب الحروب الصليبية/ ٧٨.

(٢) كتاب الروضتين ٢/ ١١٠.

(٣) نفسه ٢/ ١٠٧، ١٠٨.

(٤) انظر: البرق الشامي ٥/ ١٠٩ (ط استانبول)، ٥/ ١١٩ (ط عمان)، سنا البرق الشامي (ط مصر) ٢٢٦، الروضتين ٢/ ٤٥، ٤٦، ١١٠، الكامل ١١/ ٤٩٧، وفيات الاعيان ٤/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، المختصر ٣/ ٦٦، تتمة المختصر ٢/ ١٤١، الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٠، ١٧١، مرآة الجنان ٣/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧، عقد الجمان للعيني ٢٥/ حوادث ٥٧٩هـ، الدارس ١/ ٢٣٠، ٢٣١، بيت المقدس في ادب الحروب الصليبية/ ٦٥ ـ ٦٧.

الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين﴾[١]. ثم أورد تحميدات من القرآن الكريم[٢].

يذكـر العماد الأصفهاني أنه عندما حُررت مدينة بيت المقدس، كان هناك «فضلاء بلغاء، وعلماء أتقياء، وكل منهم سبق بخطبته الخطبة، وأمل الفوز بفضيلة تلك الرتبة، وأعد لذلك المقام مقالاً». ولكن السلطان عين ابن الـزكي للصلاة والخطبة[٣]، كما تقدم. وكانت سعادته كبيرة باختياره ليلقي الخطبة الأولى في المسجد الاقصى بعد تحريره من الاحتلال. وبذلك حاز الفضيلة على فضلاء الغرب والشرق[٤].

ويذهب ابن خلكان إلى مثل ما ذهب إليه العماد، إذ يقول إنه قد تطاول إلى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا في خدمة السلطان صلاح الدين. ويضيـف: إن كل واحد منهم جهز خطبة بليغة، طمعاً في أن يكون هو الذي يحظى بشرف إلقائها في تلك المناسبة، غير أن المرسوم خرج إلى القاضي ابن الزكي ليكون أول من يخطب هناك[٥].

ومما تقدم نتبين أن الخطباء كانوا قد أعدوا خطباً لإلقائها بالأقصى، بل إن كل واحد منهم قد أعد خطبة ليحظى بشرف إلقائها هناك. فهل كان ابن الزكي واحداً ممن أعدوا خطبهم؟ إن قول كل من العماد الأصفهاني، وابن خلكان يوحي بأنه كان قد أعد خطبته. غير أننا نجد الصفدي يذكر أن ابن الزكي لـم يكن قد «استعد للخطبة، بل خرج إليه، وقد أذن المؤذنون على السدة، وسـأله السلطان أن يخطب، ويصلي بالناس، وهذا مقام صعب»[٦].

وقد تحسن الاشارة في هذا المجال إلى أن أبا القاسم الكلاعي يذكر أنه «يُستحب للخطيب أن يرتاد الخطبة قبل أن يقوم لها، ويؤلفها قبل أن يخطب بها»[٧].

★ ★ ★

(١) الانعام آية ٤٥.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٥٨، الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٠، قضاة دمشق/ ٧٤.

(٣) الفتح القدسي/ ١٣٨، ١٣٩، كتاب الروضتين ٢/ ١٠٨، ١٠٩.

(٤) الفتح القدسي/ ١٣٩، كتاب الروضتين ٢/ ١٠٩. وانظر: وفيات الأعيان ٤/ ٢٣٠.

(٥) وفيات الأعيان ٤/ ٢٣٠.

(٦) الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٠. وانظر: قضاة دمشق/ ٥٤.

(٧) أحكام صنعة الكلام/ ١٦٨.

استهل ابن الزكي الخطيب خطبته بآيات بينات في التحميد، وهي تحميدات تناسب المقام الذي كان يتحدث فيه، وهو التغني بالنصر وفتح بيت المقدس بعد أن بقي إحدى وتسعين سنة بأيدي الغزاة المحتلين. والتحميد واضح في الآيات التي اقتبسها الخطيب مستهلاً بها خطبته.

ويذكر ابن خكان أن ابن الزكي «لما رقي المنبر، استفتح بسورة الفاتحة، وقرأها إلى آخرها، ثم قال: «فقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين»[1]. ثم قرأ أول سورة الأنعام: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور﴾[2]. ثم قرأ من سورة سبحان ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا﴾ الآية[3]. ثم قرأ أول سورة الكهف: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾[4]، الآيات الثلاث. ثم قرأ من سورة النمل: ﴿وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾[5]. ثم قرأ من سورة سبأ: ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات﴾ الآية[6]. ثم قرأ من سورة فاطر: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾، الآيات[7]. ويضيف ابن خلكان: وكان قصد ابن الزكي «أن يذكر جميع تحميدات القرآن الكريم»[8].

اختار ابن الزكي هذه التحميدات من القرآن الكريم، بل اقتبسها منه، لأنها تعبر عما أحس به نحو ما أحرزه المسلمون من النصر والتحرير. وهي لا تعبر عما أحس به الخطيب فحسب، بل تعبر عما أحس به المسلمون إزاء النصر وتحرير بيت المقدس. وهم يرون أن عليهم التوجه إلى الله شاكرين لما منحهم من نصره. ويؤكد هذا ما يذكره الخطيب في خطبته، فهو يصور الفتح نعمة من الله، وعلى المسلمين أن يتوجهوا بالشكر إلى ربهم على آلائه

(١) الأنعام آية رقم ٤٥.
(٢) الأنعام آية رقم ١.
(٣) الاسراء آية رقم ١١١.
(٤) الكهف آية رقم ١.
(٥) النمل آية رقم٥٩.
(٦) سبأ آية رقم ١.
(٧) فاطر آية رقم ١.
(٨) انظر: وفيات الاعيان ٤/ ٢٣٠، ٢٣١، مرآة الزمان ٣/ ٣٧٥، إتحاف الاخصا(ط)١/ ٢٦٣.

التي أنعم بها عليهم[1].

ولم يكتف الخطيب بآيات التحميد كالتي استهل بها خطبته، فقد توجه إلى الله بالتحميد في مواضع أخرى من الخطبة، إذ نراه بعد أن انتهى من ذكر الآيات التي اقتبسها، حمد الله على نصره، وإعزازه الإسلام والمسلمين بتحرير الأرض وتخليصها من الغزاة المحتلين، وإظهار دين الإسلام على سائر الأديان، وتطهير البيت المقدس من الشرك وآثامه. ويسترسل ابن الزكي في التحميد في مواضع أخرى من خطبته، «لإعزازه لأوليائه، ونصره لأنصاره»[2].

★ ★ ★

ويذكر ابن الزكي الخلفاء الراشدين في خطبته، ويتحدث عن بعض فضائلهم، ومن ذلك أن أبا بكر كان أول من آمن بالرسول ودعوته، وأن عمر بن الخطاب كان أول من فتح بيت المقدس، ورفع فيه شعار الإسلام عالياً، وأن عثمان بن عفان جمع القرآن. وأن علي بن أبي طالب زلزل الشرك، وكَسَّر الأوثان[3].

وفي هذا المقام، تجدر الإشارة إلى حديث ابن الزكي عن الفتح القدسي العمري، وهو حديث له دلالته هنا، ولهذا نجد الخطيب يربط بين هذا الفتح القدسي العمري، والفتح القدسي الصلاحي. وهو بهذا يستلهم التاريخ وأحداثه العظام، ويربط بين المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

★ ★ ★

يصور الخطيب، في خطبته هذه، معالم قدسية مدينة بيت المقدس وفضائلها، ومن تلك المعالم كونها القبلة الأولى، ومسرى الرسول ومعراجه، وفيها المكان الذي صلى فيه رسول الله. ولهذا نجد الخطيب يتحدث في مقدمة خطبته عن الإسراء والمعراج، ويقتبس قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ الآية، وينثر ذلك في تضاعيف كلامه، فيقول مشيداً

---

(١) انظر: الروضتين ٢ / ١١٠، وفيات الاعيان ٤ / ٢٣١، شفاء القلوب ١٣٠ ـ ١٣٢.

(٢) كتاب الروضتين ٢ / ١١٠، وفيات الاعيان ٤ / ٢٣١، شفاء القلوب / ١٣١، ١٣٢.

(٣) كتاب الروضتين ٢ / ١١١، وفيات الاعيان ٤ / ٢٣١، شفاء القلوب / ١٣٢.

بالرسول: «. . رافع الشك، وداحض الشرك، الذي أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى، وعرج به إلى السموات العلى» ، إلى «سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر، وما طغى»[1].

ويفصل الخطيب في حديثه عن قدسية بيت المقدس، كما يبدو واضحا في موضوع الخطبة، ولا غرو في ذلك، فإن حديثه جاء تغنياً بالفتح القدسي العظيم، وتصويراً للمكانة التي كانت مدينة بيت المقدس تحظى بها في نفوس المسلمين، وهي ما زالت كذلك، إذ نراه يتحدث عن فضائل بيت المقدس فيقول: «فهو موطن أبيكم إبراهيم، ومعراج نبيكم محمد عليه السلام، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام. وهو مقر الأنبياء، ومقصد الأولياء، ومقر الرسل، ومهبط الوحي، ومنزل تنزل الأمر والنهي. وهو في أرض المحشر، وصعيد المنشر. وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين. وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالملائكة المقربين... وهو أول القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه»[2].

ومن الواضح أن ابن الزكي يربط بين المقدسات الاسلامية في بيت المقدس، والمقدسات الإسلامية في الحجاز، بين المسجد الأقصى، والمسجد الحرام. وهو رباط أرضي وسماوي.

ويستمر ابن الزكي في التركيز على بيت المقدس وفضائله في خطبته القدسية هذه. ويبين أنه هو «البيت الذي ذكره الله في كتابه، ونص عليه في خطابه» في سورة الإسراء، كما يبين أنه «هو البيت الذي عظمته الملوك، وأثنت عليه الرسل، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة» من الله عز وجل[3].

يتحدث ابن الزكي، عن المحور الرئيسي في خطبته، وهو الفتح القدسي، فيصوره فضيلة شريفة لا يجاري المسلمين المجاهدين فيها مُجارٍ،

---

(١) النجم الآيات ١٤ ـ ١٦.

(٢) كتاب الروضتين ٢ / ١١٠، وفيات الاعيان / ٢٣٢. شفاء القلوب / ١٣٢، ١٣٣.

(٣) كتاب الروضتين ٢ / ١١١، وفيات الاعيان / ٢٣٣. شفاء القلوب / ١٣٤.

ولا يباريهم في شرفها مبارٍ[1]. ويركز الخطيب على الحدث العظيم، ولم يركز على الفاتح في خطبته الأولى، بينما ركز عليه في خطبته الثانية.

ويعظم ابن الزكي الفتح فيصفه بأنه «الفتح الجليل، والمنح الجزيل، والفتح المبين». ويصور آثار الفتح في نفسه، وفي نفوس المسلمين، ويصور أحاسيسه ومشاعره إزاء الحدث، كما يصور أحاسيس المسلمين ومشاعرهم إزاءه. وهي آثار شتى، في مجالات شتى، دينية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، وفكرية. وقد شاركت السماءُ الأرضَ في فرحتها بالفتح، بل شارك الملائكة في السماء المسلمين في الأرض، في فرحتهم وابتهاجهم. وما أجمل تصويره فرحة السماء، إذ يصورها وقد تفتحت أبواباً، ويصور الملائكة يتبادلون التهاني في السماء، كما كان أهل الأرض من المسلمين يتبادلونها في الأرض، وقد عم نور الفتح الأرض وأهلها. ويبدو هذا كله واضحاً في قول ابن الزكي: «فهذا هو الفتح الذي فُتحت له أبواب السماء، وتبلجت بأنواره وجوه الظلماء. وابتهج به الملائكة المقربون. وقرَّ به عيناً الأنبياء والمرسلون»، إلى أن يقول: «فيوشك أن تكون التهاني بين أهل الخضراء أكثر من التهاني بين أهل الغبراء»[2].

ويصور الخطيب الفتح نعمة أنعم الله بها على جيوش المسلمين، وعليهم أن يقدروها حق قدرها، وأن يتوجهو إلى مانحهم النصر بالشكر على ما خصهم به من نعمة الفتح[3].

ويهنىء الخطيب جند الله المجاهدين، بل يهنىء المسلمين عامة، بالفتح القدسي، وهو الفتح الذي رفع مكانتهم عنده، وذكروا به في عليائه، فقد استطاعوا أن يعيدوا شعار الإسلام عالياً في بيت المقدس، وأن يخفضوا شعار الشرك فيه. ولهذا تشكرهم الملائكة في السموات، وتستغفر لهم، وتصلي عليهم، كما يبدو في قوله: «فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده، وجعلكم بعد أن كنتم جنوداً لأهويتكم جنده، وشكر لكم الملائكة المنزلون» على جهادهم، وتحريرهم ديار الإسلام[4].

---

(١) كتاب الروضتين ٢/١١٠، ١١١، وفيات الاعيان/ ٢٣٢، شفاء القلوب/ ١٣٣.

(٢، ٣، ٤) كتاب الروضتين ٢/١١١، وفيات الاعيان/ ٢٣٣، ٢٣٤، شفاء القلوب/ ١٣٤، ١٣٥.

ويخاطب ابن الزكي المسلمين المجاهدين الفاتحين بقوله: «أيها الناس». ويبشرهم برضوان الله بعد استرداد مدينة بيت المقدس. وردها الى ما كانت عليه، وتطهيرها، ورفع أعلام الايمان فيها. وذلك لما يَسَّره الله على ايديهم«من استردادهذه الضالة من الأمة الضالة، وردها إلى مقر الإسلام بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام»[1].

ويشيد ابن الزكي بالمجاهدين الذين حرروا بيت المقدس إشادة بالغة، فيصورهم جيشاً قام بمثل ما قام به المسلمون في صدر الإسلام في عهد الرسول والخلفاء الراشدين. وفي هذا تعظيم للنصر والفتح، كما يبدو التعظيم جلياً في ربطه الحديث عن الفتح بالمعجزات النبوية، وربطه بالمعارك الحاسمة في تاريخ الاسلام مثل معركة بدر، ومعركة القادسية، ومعركة اليرموك. يضاف الى هذا ربطه هذا الفتح بالفتح القدسي في عهد عمر بن الخطاب، كما تقدم. ويرى الخطيب الصلة وثيقة بين ما قام به أبطال المسلمين الذين حرروا بيت المقدس في عهد صلاح الدين في العصر الأيوبي، وما قام به أبطال المسلمين في صدر الإسلام، من أمثال خالد بن الوليد وغيره من أبطال المسلمين الخالدين. ويربط بين صراع المسلمين والفرنج في هذه الفترة، وصراع المسلمين واليهود في صدر الإسلام. ويبدو ذلك كله واضحاً في قول خطيبنا ابن الزكي مخاطباً المجاهدين: «فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصديقية، والفتوح العمرية، والجيوش العثمانية، والفتكات العلوية. جددتم للإسلام أيام القادسية، والوقعات اليرموكية، والمنازلات الخيبرية، والهجمات الخالدية»[2].

ويشكر الخطيب المجاهدين الذين بذلوا نفوسهم في سبيل الله، ويبشرهم بالجنة لقاء صنيعهم، كما يبدو في قوله: «فجازاكم الله عن نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، أفضل الجزاء، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء، وتقبل منكم ما تقربتم به إليه من مهراق الدماء،

(١) كتاب الروضتين ٢ / ١١٠، وفيات الاعيان/ ٢٣٢.

(٢) كتاب الروضتين ٢ / ١١٠، ١١١، وفيات الاعيان ٤/ ٢٣٣.

وأثابكم الجنة فهي دار السعداء»[1].

ويصور ابن الزكي المجاهدين بأنهم قد اختارهم الله، واصطفاهم ليخصهم بالفتح القدسي[2].

★★★

إن المسلمين لم يستطيعوا تحرير بيت المقدس، وغيره من ديار الإسلام، إلا بعد أن أصبحوا جنداً لله يجاهدون في سبيله، بعد أن كانوا جنوداً لأهوائهم، كما تقدم. ولم يستطيعوا تحقيق ذلك إلا بعد أن وحدوا صفوفهم للوقوف في وجه العدو المحتل، والقضاء عليه، وتخليص ديار الاسلام من براثن احتلاله. وقد تمت وحدة المسلمين تلك بين الشام، ومصر، والجزيرة، في عهد نور الدين زنكي أولاً، ثم في عهد صلاح الدين الأيوبي ثانياً. واستطاع المسلمون، بعد ذلك، تحقيق آمالهم وأمانيهم، وكل ذلك فضل من الله عز شأنه. ويعبر ابن الزكي عن ذلك بقوله: «فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما قعد عند بنو اسرائيل، وقد فضلهم على العالمين، ووفقكم لما خذل فيه من كان قبلكم من الأمم الماضين. وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى[3]» وهذا قول يتحدث عن الوحدة وآثارها، ويدعو إليها، لأنها الطريق إلى تحقيق النصر والتحرير. كما يوازن فيه بين ما كان عليه المسلمون من تفرق في الكلمة مما أدى الى احتلال ديارهم، وما أصبحوا عليه من وحدة مما أدى إلى تخليص ضالتهم المنشودة من الأمة المعتدية الضالة، كما يصفها الخطيب نفسه. وما أدل تعبيره «وأغناكم بما أمضته كان وقد، عن سوف وحتى»[4].

★★★

ويتبين من النظر في هذه الخطبة أن الصراع بين المسلمين والفرنج المحتلين، لم يكن صراعاً عسكرياً فحسب، ولكنه كان صراعاً في العقيدة أيضاً. ويبدو هذا الأمر واضحاً من النظر إلى اقتباس الآيات التي تتحدث عن وحدانية الله، وتؤكدها. ويكفي أن نشير إلى الآية التي اقتبسها: «وقل الحمد

(١) كتاب الروضتين ٢/١١١، وفيات الاعيان ٤/٢٣٣، شفاء القلوب/ ١٣٣.
(٢) كتاب الروضتين ٢/١١٠، وفيات الاعيان ٤/٢٣٢، شفاء القلوب/ ١٣٣.
(٣، ٤) كتاب الروضتين ٢/١١١، وفيات الاعيان ٤/٢٣٣، ٢٣٤، شفاء القلوب/ ١٣٤.

لله الذي لم يتخذ ولداً»[1] . ويبدو هذا النوع من الصراع واضحاً في الحديث عن تطهير بيت المقدس من الشرك ومعالمه[2] .

ويركز الخطيب في مقدمة خطبته على الحديث عن وحدانية الله، فيقتبس سورة الاخلاص عدا آيتها الأولى. ويتحدث عن نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وما أحدثته من تغيير جذري في حياة الإسلام والمسلمين، يقول: «وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد»[3] .

ويتحدث الخطيب عن معتقد الفرنج المحتلين، مبيناً أن عيسى عليه السلام، قد «شرَّفه الله برسالته، وكرَّمه بنبوته، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته، فقال تعالى: ﴿لن يستنكف المسيحُ أن يكون عبداً لله﴾[4] . وقال: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيحُ بنُ مريم﴾[5] .

كما يتحدث عن تطهير بيت المقدس من الشرك، فهو البيت الذي «أذن الله أن يُرفع، وأن يُذكر فيه اسمه». وقد أُميط الشرك عن طرقه، بعد أن امتد رواقه عليها. ورُفعت فيه قواعد التوحيد، بعد القضاء على الشرك وآثامه[6] . ومن هذا نتبين معالم الصراع بين التوحيد والشرك جلية آنذاك. ويبدو هذا الصراع واضحاً في الحديث عن الفتح، إذ يتحدث الخطيب عن شكر المجاهدين لما أهدوه إلى بيت المقدس «من طيب التوحيد، ونشر التقديس والتحميد»، وما أزالوه «من أذى الشرك والتثليث»[7] .

★★★

ويدعو ابن الزكي الفاتحين المجاهدين الى المحافظة على ما أنجزوه

---

(١) الاسراء آية ١١١ .

(٢) انظر: كتاب الروضتين ٢/١١٠، وفيات الأعيان ٤/٢٣١، ٢٣٢، شفاء القلوب/ ١٣٠، ١٣١ .

(٣) الاخلاص الآيتان ٣، ٤ .

(٤) النساء آية ١٧٢ .

(٥) المائدة آية ١٧ .

وانظر: الروضتين ٢/١١٠، وفيات الاعيان ٤/٢٣٢، شفاء القلوب/ ١٣٣ .

(٦) انظر: كتاب الروضتين ٢/١١٠، وفيات الأعيان ٤/٢٣٢، شفاء القلوب/ ١٣٢ .

(٧) انظر: كتاب الروضتين ٢/١١١، وفيات الأعيان ٤/٢٣٤، شفاء القلوب/ ١٣٤، ١٣٥ .

من نعمـة الفتـح. ويبين لهم أن ذلـك لا يكـون إلا بالتمسـك بالتقـوى، والاعتصـام بعـروتهـا، فيقول: «.. فاحفظوا، رحمكم الله، هذه الموهبة فيكم، واحرسوا هذه النعمة عندكم، بتقوى الله التي من تمسك بها سلم، ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم»[1].

وعلى الرغم من الفتح العظيم، فإننا نجد الخطيب يحذر المجاهدين من البطر بالنصر، كما يحذر من اتباع الهوى، والوقوع في المعاصي، كما يبدو في قوله: «واحذروا من اتباع الهوى، وموافقة الردى، ورجوع القهقرى، والنكول عن العدا»[2]. ويحذرهم ثانية من الشعور بالبطر، والطغيان، والغرور بالنصر، فإن ذلك سيؤدي إلى التهلكة. ويبين أن النصر من عند الله، كما يبدو في قولـه: «وإياكم أن يستـزلكم الشيطان، وان يتداخلكم الطغيان، فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد، وبخيولكم الجياد، وبجلادكم في مواطن الجلاد، لا والله ما النصر إلا من عند الله، إن الله عزيز حكيم»[2].

كمـا يحـذرهم من أن يقتـرفـوا كبيراً من مناهيه، وأن يأتوا عظيماً من معاصيه، فإذا فعلوا ذلك كانوا «كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، والذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، فاتبعه الشيطان، فكان من الغاوين»[3].

★ ★ ★

يدعـو الخطيب المسلمين الى الاستمرار في الجهاد، لتحرير ما بقي محتـلاً من ديار الاسـلام، وللقضاء على الغزاة المحتلين. وذلك واضح في تحذيره من الرجوع القهقرى، والتقاعس عن الجهاد. ويسترسل في دعوته تلك، ويصور الاحتلال غصة بل غصصاً في نفوس المسلمين، ذهب بعضها بتحرير بيت المقدس وغيره من ديار الاسلام، وبقي بعضها الآخر إلى أن تُحـرر بقية البلدان المحتلة من ديار الاسلام. يقول مخاطباً المجاهدين: «.. وخذوا في انتهاز الفرصة، وإزالة ما بقي من الغصة. وجاهدوا في الله

(٣،٢،١) كتاب الروضتين ٢/١١١، وفيات الأعيان ٤/٢٣٤، ٢٣٥، شفاء القلوب/ ١٣٥، ١٣٦.

حق جهاده، وبيعوا عباد الله أنفسكم في رضاه، إذ جعلكم من خير عباده»[1].

ويتابع الخطيب الحث على الجهاد، فيشيد به، ويتحدث عن فضائله، ويدعو إلى السير في طريقه للقضاء على العدو، وتخليص سائر ديار الاسلام المحتلة. وبذلك يستنهض همم المسلمين، ويستثير عزائمهم، كما يبدو في قوله: «والجهادَ، الجهادّ، فهو من أفضل عباداتكم، وأشرف عاداتكم. انصروا الله ينصركم.. جدوا في حسم الداء، وقطع شأفة الأعداء، وتطهير بقية الأرض التي أغضبت الله ورسوله، واقطعوا فروع الكفر، واجتثوا أصوله، فقد نادت الأيام بالثارات الإسلامية، والملة المحمدية»، إلى أن يقول: «واعلموا، رحمكم الله، ان هذه فرصة فانتهزوها، وفريسة فناجزوها، ومهمة فأخرجوا لها هممكم وأبرزوها، وسيروا إليها عزماتكم وجهزوها»[2]. وعليهم ألا ترهبهم كثرة الأعداء.

★ ★ ★

وفي الخطبة الثانية، يركز ابن الزكي على السلطان المجاهد صلاح الدين، فيدعو له بالبقاء، ويصوره مجاهداً في سبيل الاسلام والمسلمين، مدافعاً عن حرمات الله، فهو سيف الله القاطع، وشهابه اللامع، والمحامي عن دينه، والذاب عن حرمه. وهو بطل المسلمين الذي جمع كلمتهم، ووحد صفوفهم، وقادهم الى النصر، وقضى على العدو المحتل، وأعاد الاسلام تقام شعائره، بعد أن طهر البيت المقدس من رجس الأعداء وآثامهم. ويبدو ذلك واضحاً في قول ابن الزكي: «اللهم وأدم سلطاننا، عبدك الخاضع لهيبتك، الشاكر لنعمتك». وهو الملك الناصر جامع كلمة الايمان، صلاح الدين والدنيا، سلطان الاسلام والمسلمين، مطهر البيت المقدس[3].

ويكرر الخطيب الدعاء للسلطان المجاهد، فيدعو له أن تعم دولته البسيطة وأن تكون الملائكة براياته محيطة. ويسترسل في الدعاء فيقول: «.. وأحسن عن الدين الحنيفي جزاءه، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه. اللهم أبق للاسلام مهجته، ووق للايمان حوزته، وانشر في

(١، ٢) كتاب الروضتين ٢/١١١، وفيات الأعيان ٤/٢٣٤، ٢٣٥، شفاء القلوب/ ١٣٥، ١٣٦.

(٣) كتاب الروضتين ٢/١١١، ١١٢، وفيات الأعيان ٤/٢٣٥، شفاء القلوب/ ١٣٦

المغارب والمشارق دعوته»[1]. وتبدو هذه الدعوات متصلة اتصالاً وثيقاً بموضوع الخطبة.

إن الأوصاف التي يصف الخطيب صلاح الدين بها أوصاف حقيقية، تتطابق مع الحقيقة التاريخية، فقد كان صلاح الدين حقاً، هو الذي جمع كلمة الاسلام، وقضى سنوات طوالاً وهو يوحد أهله، وهو الذي قضى جل سني حياته مجاهداً، فطهر بيت المقدس، وغيره من ديار الاسلام. ويتصل بهذا دعاء الخطيب للسلطان، وهو دعاء يتضمن التمنيات بأن تنتشر دولة المسلمين، في عهد صلاح الدين، في كل أنحاء الأرض، وأن تنتشر دعوته في المغارب، وأن تُفتح على يده أداني الأرض وأقاصيها، ويدعو الخطيب الله أن يمكن صلاح الدين من القضاء على أعداء الدين جميعاً. وان يصلح به «أوساط البلاد وأطرافها، وأرجاء الممالك واكنافها»[2].

ويصور ابن الزكي السلطان المجاهد صلاح الدين محيياً دولة أمير المؤمنين، فقد كان يعلن الولاء للخلافة العباسية. ولما فتح بيت المقدس أرسل الرسائل الى ديوان الخلافة في بغداد، مبشراً بفتحها.

ويختتم ابن الزكي خطبته هذه بالدعاء الى أن يثبت الله الملك فيه، وفي عقبه، وفي بني أيوب عامة. ويشيد بالملوك الميامين. ويدعو لهم بالبقاء ليشدوا عضد صلاح الدين[3].

السمات الفنية:

يعبر ابن الزكي في خطبته هذه عن تجربة استمدها من واقع عاشه، فقد شهد فتح بيت المقدس مع صلاح الدين، كما تقدم. وهو بذلك ينقل إلينا تجربته التي عاشها، وهي تجربة يعبر فيها عما يحس به في نفسه، وقد كان صادقاً في تصويره الحدث المتمثل في الفتح القدسي العظيم، كان صادقاً صدقاً موضوعياً، وتاريخياً، كما كان صادقاً صدقاً فنياً في التعبير عن إحساساته ومشاعره إزاء الحدث العظيم، وفي التعبير عن إحساسات المسلمين ومشاعرهم إزاءه.

(١، ٢، ٣) كتاب الروضتين ١١٢/٢، وفيات الأعيان ٢٣٥/٤، ٢٣٦، شفاء القلوب/ ١٣٦، ١٣٧.

تقوم الخطبة على بناء فني يربط اجزاءها وأفكارها، في المقدمة، والعرض (الموضوع)، والخاتمة. وقد جاءت مقدمة هذه الخطبة ممهدة لأفكارها، معبرة عنها، متلائمة مع الحدث المتمثل في الفتح القدسي.

جرى الخطيب ابن الزكي في خطبته على افتتاحها بالتحميد، وهو ما كان الأدباء والخطباء يعدونه بداية لا بد منها. يذكر أبو القاسم الكلاعي، في القرن السادس الهجري، أن الخطبة «هي أول ما استفتح بالتحميد». وأنهم كانوايستفتحون بحمد الله سبحانه في الخطب»، في الاستنفار، وفي كل أمر له بال، وفي غير ذلك مما ذكره، وليس له صلة بما نتحدث عنه هنا. ويذهب الكلاعي إلى أن الخطب عندهم كانت «أوكد ما اعتمد بالتحميد». وسموا الخطبة التي لا تستهل به «بتراء وقطعاء». ويستشهد في هذا المجال بقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: «كل أمر ذي بال لا يُبتدأ فيه بالحمد فهو أبتر». وروي: وهو أقطع[1].

والكلاعي المعاصر لابن الزكي، ينظر إلى ما قاله الجاحظ من قبل، فقد ذكر الجاحظ أن أهل البيان كانوا يسمون الخطبة التي لم تُبتدأ بالتحميد، وتُستفتح بالتمجيد «البتراء»[2].

وهكذا استهل ابن الزكي خطبته بالتحميد المناسب للمقام الذي تحدث فيه، كما تقدم. وبهذا جاءت خطبته متوافقة مع ما يذهب إليه النقاد منذ القديم.

ولم يقتصر ابن الزكي على الإطالة في التحميد، في مقدمة الخطبة، وفي موضوعها، فقد زينها كذلك بالتشهد، والحديث عن وحدانية الله، والصلاة على رسوله. وهذا مما يستحسن في الخطب. يذكر الجاحظ أن الخطبة التي لم تزين بالصلاة على الرسول توصف بالشوهاء . وتُوصف الخطبة التي لا تشهد فيها بأنها كاليد الجذماء[3]. وبهذا نهج ابن الزكي في خطبته النهج الذي نهجه خطباء من قبله.

---

(١) أحكام صيغة الكلام/ ٥٩، ١٦٦، ١٦٧.

(٢) البيان والتبيين ٢/٦، وانظر: ٧٣

(٣) نفسه ٢/٦.

لقد اختيرت الآيات التي اقتبسها الخطيب في أول خطبته اختياراً مناسباً، إذ كانت «ذات معان متوائمة مع موضوع الخطبة، لتكون استهلالاً لها، ومدخلاً سهلاً إلى النفوس لما يريد الخطيب أن يصبه في الآذان»(١).

وقد جاءت المقدمة مرتبطة بالموضوع ارتباطاً وثيقاً. ويخاطب ابن الزكي المصلين المجاهدين بقوله: «أيها الناس» ليدخل بعدها في موضوع الخطبة، وهو موضوع عظيم يهم المسلمين في مختلف ديارهم. وقد فُصل القول فيه فيما تقدم. وفيه برزت صورة بيت المقدس، والجهاد، والمجاهدين. وهي محاور عديدة تتفرع من محور رئيسي هو الفتح القدسي. وهذا يدعو إلى القول بوحدة الموضوع في هذه الخطبة، فالحديث عن الجهاد، والمجاهدين والعدو المهزوم، هو حديث عن الفتح ذاته، والآثار الناجمة عنه.

وتضاف الى وحدة الموضوع هذه، وحدة المشاعر والأحاسيس التي يعبر عنها.

وجاءت خاتمة هذه الخطبة مرتبطه بموضوعها، متناسبة معه، مؤثرة، موجزة. وتتضمن دعوة إلى الاستمرار في الجهاد. وهي دعوة مستمدة من القرآن الكريم الذي اقتبس منه آيات مناسبة للمقام، ومستمدة من الواقع الذي يصوره(٢). وكذلك جاءت خاتمة الخطبة الثانية متوائمة مع مضمونها الذي يقوم على تمجيد الفاتح، والاشادة به. ولهذا نجد الخاتمة تتمثل في الدعاء للفاتح، كما يبدو في قوله: «اللهم كماأجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الايام، وتتخلد على مر الشهور والأعوام، فارزقه الملك الأبدي الذي لا ينفد في دار المتقين، وأجب دعاءه في قوله: رب اوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي، وعلى والديّ، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين»(٣).

★ ★ ★

(١) البرهان في وجوه البيان ٢/١٥٣.
(٢) الادب في العصر الايوبي/ ١٧٨.
(٣) انظر: الروضتين ٢/١١١.

وإذ يتناول ابن الزكي في خطبته هذه موضوع الفتح والجهاد، فقد كان أسلوبه يتسم بالقوة والجزالة، فالأسلوب يتأثر بالمعاني التي يعرض لها الخطيب.

يعبر ابن الزكي عن الأفكار والمعاني التي وردت في خطبته بأسلوب يتسم بالوضوح، والتلاؤم بين الألفاظ والمعاني، والابتعاد عن استخدام الغريب من الألفاظ، واستخدام ألفاظ ومصطلحات إسلامية، إضافة الى بعض ألفاظ ومصطلحات نصرانية اقتضاها المقام. كما يتسم أسلوبه فيها بالتقريرية والمباشرة.

يشيد العماد الأصفهاني بابن الزكي الخطيب في أسلوبه، إذ نجده يصف أسلوبه بالفصاحة والبلاغة، وانه أعطى الألفاظ حقها، كما أعطى المعاني حقها. وقد «أدت المعاني الشريفة ألفاظه»، و«هو لنشر المعاني أضم خطيب له بنشر المعاني أضمخ طيب» كما يقول[1]. وبمثل ذلك يصفه أبو شامة المقدسي، إذ يذكر أن ابن الزكي أودع خطبته سر بلاغته وفصاحته، فكانت «يد الفصاحة فيها طولى»[2]. ويصف الصفدي تلك الخطبة بالخطبة البليغة[3]

★★★

ويبدو أسلوب ابن الزكي في خطبته متأثراً تأثراً جلياً بالقرآن الكريم، بالاقتباس منه، أو بنثر آيات منه بين تضاعيف خطبته، أو باستلهام ما جاء فيه، في حديث عن الفتح القدسي، وفضائل بيت المقدس، والجهاد، والفاتح، وغيرها مما تحدث عنه، وقد جاء ذلك كله ملائماً لما عرض له الخطيب.

ونشير في هذا المجال إلى آيات بينات عديدة اقتبسها الخطيب، واستهل بها خطبته، وقد تقدم ذكر تلك الآيات في التحميد[4].

كما يبدو الخطيب متأثراً بالحديث الشريف، لاسيما في حديثه عن قدسية بيت المقدس وفضائله.

---

(١) الفتح القدسي/ ١٣٩، ١٤٧، كتاب الروضتين ٢/١٠٨، ١٠٩.

(٢) كتاب الروضتين ٢/١١٠.

(٣) الوافي بالوفيات ٤/١٧٠.

(٤) الروضتين ٢/١١٠ (تقدم تخريج الآيات)، وانظر ص ١٨ من هذا البحث.

ومما تجدر الإشارة إليه، في هذا المقام، أن الأدباء والنقاد كانوا يستحسنون آن توشح الخطبة بايات بينات من القران الكريم. يذكر الجاحظ أنهم «كانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع، آي من القرآن الكريم، فإن ذلك مما يورث البهاء، والوقار، والرقة، وسلس الموقع»[1].

ويذهب الكلاعي إلى أن ذلك من «أنجح ما ضمنه المرتجل، وأرجح ما استعان به المحتفل، لأنه الموعظة الجسنة، والحجة البالغة، والحكمة الباهرة، والهادي إلى الرشاد، والمنجي من الضلال»[2]

★★★

ولدى النظر في هذه الخطبة نجد أن الخطيب يستلهم في حديثه بعض ما جاء في شعر أبي تمام الذي قاله في تصوير فتح عمورية، ذلك الفتح الذي أحرزه المسلمون بقيادة المعتصم، وفي تلك القصيدة يصور أبو تمام الفتح وآثاره، ويصور الفرحة به، وهي فرحة شارك فيها أهل الأرض، وأهل السماء، كما يبدو في قوله[3]:

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به   نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له   وتبرز الأرض في أثوابها القشب

ومن هذا نتبين مدى تأثر الخطيب ابن الزكي بالشاعر أبي تمام، في الألفاظ، والمعاني، والصور، في تضاعيف خطبته.

وتأثر ابن الزكي في خطبته هذه بابن نباتة الخطيب الذي عاش في عهد سيف الدولة، وأنشأ الكثير من خطب الجهاد. يذكر ابن الأثير أن خطب ابن نباتة كانت أحد عكازي ذلك الزمان. وقد كان التأثر بها كبيراً في أسلوبها المسجوع والموشح بالقرآن والحديث والامثال والحكم وغيرها[4]. غير أن

---

(١) البيان والتبيين ١/١١٨.

(٢) أحكام صنعة الكلام/ ١٦٩.

(٣) ديوان ابي تمام ١/٤٥، ٤٦.

(٤) المثل السائر ١/٢٧٨، الوشي المرقوم/٦.

الكثير من خطب ابن نباتة جاءت قصيرة مختصرة[1].

يشير العماد إلى ابن نباتة الخطيب، في حديثه عن ابن الزكي، ولكنه يفضل ابن الزكي على ابن نباتة. كما يبدو في قوله: «.. وأين ابن نباتة من نباته»[2].

★ ★ ★

ويتسم أسلوب ابن الزكي في خطبته هذه باستخدام الصنعة اللفظية، وليس ذلك غريباً في القرن السادس الهجري، فقد كانت الصنعة آنذاك ظاهرة تعبر عن ذوق العصر، وقد أصبحت المقياس الذي تقاس به جودة الأعمال الأدبية. ولم تكن الصنعة ظاهرة جديدة في هذا القرن، فقد كانت شائعة منذ القرن الرابع الهجري، كما يبدو واضحاً في رسائل ابن العميد، ومقامات الهمذاني، وفصول أبي العلاء وغاياته، وغيرها.

ومن مظاهر استخدام ابن الزكي الفنون البديعية في خطبته، أنه التزم بالسجع، وذلك واضح في كل أجزاء الخطبة. وقد جاءت سجعاته فيها قصيرة، ذات رنين في الأسماع، بغية التأثير في المستمع.

يذكر ابن الأثير أن السجع «إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام»، ويرى أن الألفاظ المسجوعة تكون «حلوة، حارة، طنانة، رنانة، لا غثّة باردة»[3]. ومثل هذا الذي يذهب إليه ابن الأثير هو ما نراه في خطبة ابن الزكي، ومن حيث الاعتدال والتساوي في مقاطع الكلام، ومن حيث ان الالفاظ المسجوعة فيها لم تأت غثة أو باردة. ويمكن القول: إن كل سجعة من السجعات المزدوجة في خطبة ابن الزكي تحمل معنى غير المعنى الذي نجده في السجعة التالية لها. ويتفق هذا النهج مع ما يذهب اليه ابن الأثير، فقد بين أنه يحسن «أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها»[4].

ويستخدم ابن الزكي فنوناً بديعية أخرى في خطبته، مثل الطباق،

(١) انظر: ديوان خطب ابن نباته، ادب الحروب الصليبية/ ٢١٥.
(٢) انظر الروضتين ٢/١٠٩.
(٣) المثل السائر ١/٢٧٥، ٢٧٦.
(٤) نفسه ١/٢٧٨.

والمقابلة، والجناس، والتقسيم، وغيرها. وذلك كله واضح من النظرة الأولى في هذه الخطبة.

وتجدر الاشارة الى ان استخدام ابن الزكي هذه الفنون البديعية أضفى لوناً من الايقاع الموسيقي على النص، فقد جاءت السجعات فيها كالقوافي، ولاسيما انها جاءت قوية سريعة متلاحقة.ويقال مثل هذا القول في الجناس والتقسيم.

وقد يحسن في هذا المقام أن يُشار إلى ما يذهب إليه ابن الأثير في موقفه من الخطب النباتية، فقد ذكر أنه قد تصفح تلك الخطب، فوجد أكثر السجع فيها على الأسلوب الذي ينكره. وهو يرى أن الكلام المسجوع يحتاج الى أربع مسائل، وهي: اختيار مفردات الألفاظ، واختيار التركيب، ومجيء الألفاظ في الكلام المسجوع تابعة للمعنى، دون أن يكون المعنى تابعاً للفظ، ومجيء كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي تدل عليه أختها[1].

وإذا كان ابن الأثير قد أنكر أسلوب ابن نباتة في السجع، وولعه به، وإكثاره استخدام الترصيع، كما أنكر استخدامه ألفاظاً لا يسوغ استخدامها في النثر، مثل قوله: «اقْمَطَرَّ وبالها، واشمَخرَّ نَكالها»، مبيناً أن ذلك لا يسوغ في الخطب[2]. فما الرأي فيما يذهب إليه ابن الزكي، في هذا المضمار؟

اعتمد ابن الزكي السجع في خطبته كما سبق أن بيّنا، ونجد لديه اقتباساً كثيراً، وترصيعاً احياناً. ولكننا لا نجده يطيل في السجع كما كان يفعل ابن نباتة، إذ تتراوح السجعات في خطبته بين السجعتين، والعشر، بينما نجد السجعات في بعض خطب ابن نباته تبلغ العشرين[3]. يضاف إلى هذا أننا نجد الفقرات المسجوعة في خطبة ابن الزكي، أكثر وقعاً في النفس، وأخف على السمع. إن أحسن السجع في نظر ابن الأثير، ما كان مؤلفاً من لفظتين لفظتين تقريباً. ومن ذلك ما ورد في خطبة ابن الزكي: «.. المعجزات

---

(١) المثل السائر ١/٢٧٨، ٢٧٩، وانظر: ٢٧٦، ٢٧٧.

(٢) نفسه ١/٢٣٧، ٢٣٨.

(٣) انظر: ديوان خهطب ابن نباته، ادب الحروب الصليبية/ ٢١٩، ٢٢٠.

النبـوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصديقية، والفتوح العمرية..»[1].

ومن السجع ما يكون «مؤلفاً من ثلاثة ألفاظ، وأربعة، وخمسة، وكذلك الى العشرة. وما زاد على ذلك، فهو من السجع الطويل» كما يقول ابن الاثير[2]. ويفضل هذا اللون من السجع على السجع الطويل في نظر ابن الأثير مثلاً. ويعلل ذلك بأن هذا الضرب من السجع «أوعر مذهبا، وأبعد متناولاً ولا يكاد استعماله يقع إلا نادراً»[3]

(١) كتاب الروضتين ٢/١١١.

(٢، ٣) المثل السائر ١/٣٣٦.

«نص الخطبة»

قمت بتحقيق نص هذه الخطبة معتمداً على:

- الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي (٦٦٥هـ).
- وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٨١هـ)
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل الحموي (٦٩٧هـ)
- مرآة الجنان لليافعي (٧٦٨هـ)
- شفاء القلوب لأحمد بن ابراهيم الحنبلي (٨٧٦هـ)

واعتمدت على نسخة مخطوطة من «عيون الروضتين» لأبي شامة المقدسي. كما اعتمدت على ثلاث نسخ من مخطوطة:

«إتحاف الأخصَّا بفضائل المسجد الأقصى» لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن علي بن عبدالخالق المنهاجي، شمس الدين السيوطي (٨٨٠هـ).

والنسخ هي:

- نسخة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية - شريط رقم ٧٦.
- نسخة أخرى بالمركز، منسوبة خطأ إلى أحمد بن حجر الهيتمي - شريط رقم ٥٩٧.
- نسخة ثالثة بالمركز، منسوبة خطأ إلى ابن عبدالظاهر - شريط رقم ٤٠.

وقد حُققت نسخة من (إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى)، حققها د. أحمد رمضان أحمد. ولكن نص الخطبة جاء كثير التصحيف والتحريف (انظر: إتحاف الأخصا ١/٢٦٣ - ٢٧٠).

★ ★ ★

لما[1] رقي ابن الزكي المنبر استفتح بسورة الفاتحة، وقرأها إلى آخرها، ثم قال[2]:

---

(١) انظر: الروضتين ٢/١١٠ - ١١٢، عيون الروضتين/ ٢٤٣ - ٢٥٠، وفيات الأعيان ٤/٢٣٠ - ٢٣٦، مفرج الكروب ٢/٢١٨ - ٢٢٧، مرآة الجنان/ ٣٧٦ - ٣٧٧، شفاء القلوب/ ١٣٠ - ١٣٨، اتحاف الأخصا (ط)/ ٢٦٣ - ٢٧٠، اتحاف الأخصا (خ)، ومنه ثلاث نسخ بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية، وهي ذوات الأرقام: ٤٠، ٧٦، ٥٩٧.

(٢) من وفيات الأعيان.

«فَقُطِعَ دابرُ القوم الذين ظلموا، والحمدُ لله ربِّ العالمين»[١].

«الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين»[٢].

«الحمد لله الذي خلَقَ السّموات والأرضَ، وجعلَ الظُّلمات والنورَ، ثُمَّ الذين كفروا بربِّهم يَعْدِلون»[٣].

«وقُلِ الحمدُ لله الذي لم يتخذْ ولداً، ولم يكُنْ له شريكٌ في المُلْكِ، ولم يكُنْ له وليٌّ من الذُّلِّ، وكَبِّرْهُ تكبيراً»[٤].

«الحمدُ لله الذي أنزلَ على عَبْدِهِ الكتابَ ولم يجعلْ له عِوجاً، قيِّماً لينذرَ بأساً شديداً من لَدُنْه، ويُبشِّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً حسناً، ماكثين فيه أبداً، ويُنْذرَ الذين قالوا اتّخذ الله ولداً، ما لهم به من عِلْمٍ ولا لآبائهم، كَبُرتْ كلمةً تخرجُ من أفواههم إن يقولون إلا كذبا»[٥].

«قل[٦] الحمدُ لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى آلله خيرٌ أمّا يُشركون»[٧].

«الحمدُ لله الذي له ما في السَّموات وما في الارض، وله الحمدُ في الآخرةِ، وهو الحكيمُ الخبيرُ، يَعْلمُ ما يَلِجُ في الأرْض، وما يَخْرجُ منها، وما يَنْزِلُ من السَّماءِ، وما يَعْرجُ فيها، وهو الرحيمُ الغفورُ»[٨].

«الحمدُ لله فاطر السَّمواتِ والأرض، جاعلِ الملائكةِ رُسُلاً»[٩].

ثم شرع في الخطبة فقال[١٠]:

---

(١) الأنعام آية ٤٥.

(٢) الفاتحة الآيات ١ ـ ٣.

(٣) الأنعام آية ١.

(٤) الإسراء آية ١١١.

(٥) الكهف: الآيات ١ ـ ٥.

(٦) في الوفيات، ومرآة الجنان: وقل

(٧) النمل آية ٥٩. وانظر: مفرج الكروب.

(٨) سبأ: الآيتان ١، ٢. وانظر: مفرج الكروب، وشفاء القلوب.

(٩) فاطر: الآية ١. وانظر: مفرج الكروب، وشفاء القلوب. ورد في مرآة الجنان: وكان قصده ان يذكر جميع تحميدات القرآن الكريم. وزاد إتحاف الأخصا: «فخشي من الإطالة، وقال.

(١٠) في الروضتين: والخطبة هي.

«الحمدُ لله مُعزِّ الاسلام[1] بنصره، ومُذلِّ الشِّرْكِ بقهْره، ومُصرِّفِ الأمور[2] بأمْره، ومُديم النِّعم بشكْره، ومُسْتدرج الكافرين[3] بمَكره، الذي قَدَّرَ الأيَّامَ دُولاً بعدْلِه، وجعلَ العاقبةَ للمتقين بفَضْله، وأفاءَ[4] على عبادِه من ظلِّه[5]، وأظهرَ دينَهُ على الدّين كُلِّه. القاهر فوقَ عباده فلا يُمانَعُ، والظاهر على خليقته[6] فلا يُنازَعُ، والآمر بما يشاءُ[7] فلا يُراجَعُ، والحاكم بما يريدُ فلا يُدافَعُ.

أحْمَدُهُ على إظفارِه وإظهارِه، وإعزازِه لأوليائه[8]، ونصْرِه لأنْصارِه، وتطهير[9] بيتِه[10] المُقدَّس من أدْناس الشِّرْكِ وأوْضارِه[11]، حمْدَ من استشْعرَ الحَمْدَ باطنَ سرِّه، وظاهرَ جهارِه[12].

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله وحدهُ لا شريكَ له [الواحدُ][13] الأحدُ [الفردُ][14] الصَّمدُ، الذي «لم يَلدْ ولم يُولدْ، ولم يكنْ له كُفُواً أحدٌ»[15]. شهادة مَنْ طهَّرَ[16] بالتوحيدِ قلْبَهُ، وأرْضى به ربَّهُ، وأشْهدُ أن [سيدنا][17] محمداً، صلى الله عليه

---

(١) في شفاء القلوب: الدين.

(٢) ورد في مرآة الجنان بعد (الأمور): جماعة أدباًكثيراً، واتفقوا على فضله ومعرفته. وهو ليس من الخطبة.

(٣) في عيون الروضتين، والوفيات، وإتحاف الأخصا (رقم ٤٠): الكفار.

(٤) في الوفيات ومفرج الكروب، وشفاء القلوب: وافاض.

(٥) في إتحاف الأخصا (ط): فضله.

(٦) في إتحاف الأخصا (رقم ٤٠): خلقه.

(٧) في مرآة الجنان، وإتحاف الأخصا رقم ٥٩٧: شا.

(٨) في شفاء القلوب: لأولياء الله.

(٩) في مرآة الجنان، وشفاء القلوب: وتطهيره.

(١٠) في الإتحاف (ط): لبيته.

(١١) في شفاء القلوب، والإتحاف (ط): وأوتاره.

(١٢) في مفرج الكروب: جهاده. وفي شفاء القلوب والاتحاف (ط): اظهاره.

(١٣) من مفرج الكروب، وشفاء القلوب.

(١٤) من مفرج الكروب.

(١٥) الاخلاص: الآيتان ٣، ٤.

(١٦) في مرآة الجنان: أظهر.

(١٧) من شفاء القلوب.

وسلم، عبده ورسوله، رافع[1] الشَّك[2]، ودافع الشِّرْكِ، وداحِض[3] الإفك، الذي أسْرَى بعبده[4] ليلاً من المسجدِ الحرام إلى هذا المسجدِ الأقصى، وعرج به منه إلى السمواتِ العُلى، إلى سِدْرةِ المُنْتهَى، عِنْدهَا جنَّةُ المأوَى، إذْ يَغْشى السِّدْرَة ما يَغْشى. ما زاغ البصر وما طغى»[5].

صلَّى الله عليه [وسلم][6]، وعلى خليفتِهِ أبي بكرِ الصِّديقِ، السابقِ إلى الايمانِ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أول من رفَعَ عن هذا البيتِ المُقدَّس[7] شعارَ الصُّلْبان، وعلى أميرِ المؤمنين عثمان [بن عفان][8] ذي النُّوريْن، جامعِ القرآن، وعلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب [مُبيد الكفر][9] ومُزلزِل الشِّرك، ومُكسِّر الأوْثان، وعلى آله وأصحابه[10] والتابعين لهم بإحسان. [وسلم][11].

أيُّها[12] الناسُ: أبشروا برضوانِ الله[13] الذي هو الغايةُ القُصوى، والدرَجة العُلْيا، لِمَا يَسَّرهُ[14] الله على أيْديكُم[15] من استردادِ هذه الضالةِ، من الأمةِ الضالّةِ، وردِّها إلى مَقرِّها من الإسلام، بعد ابتذالِها في[16] أيْدي المشركين

---

(١) في شفاء القلوب: دافع.

(٢) رافع الشك «ليست في المفرج، ولا في الشفاء».

(٣) في عيون الروضتين: ومدحض الشرك، وراحض الإفك. في شفاء القلوب، والإتحاف (ط): وقامع.

(٤) في عيون الروضتين، والوفيات، ومرآة الجنان، والإتحاف (ط): به.

(٥) النجم: الآيات: ١٤، ١٥، ١٦. وانظر: الإتحاف (ط) ١ / ٢٦٤.

(٦) من الإتحاف.

(٧) من الإتحاف (ط) ١ / ٢٦٤.

(٨) من مفرج الكروب، ومرآة الجنان، وشفاء القلوب، والإتحاف.

(٩) من شفاء القلوب، والإتحاف.

(١٠) في وفيات الأعيان: صحبه.

(١١) من الإتحاف (رقم ٧٦).

(١٢) في شفاء القلوب: يا أيُّها.

(١٣) ورد في الإتحاف (رقم ٧٦) لفظة (الاكبر) بعد الله.

(١٤) في الإتحاف: فاشكروه على ما يسر.

(١٥) في شفاء القلوب: (الله) عليكم.

(١٦) في عيون الروضتين: الى.

قريباً من مائةِ عامٍ ، وتطهير هذا البيتِ الذي أذِن الله أنْ يُرْفَع ، ويذكرَ فيه[١] اسمُهُ ، وإماطةِ الشِّركِ عن طُرُقه[٢] ، بعد أن امتدَّ عليها[٣] رواقُهُ ، واستقرَّ[٤] فيها رَسْمُهُ ، ورفع قواعده بالتوحيد[٥] ، فانه بُني عليه وشيد بنيانه بالتمجيد ،[٦] وإنَّه[٧] أُسِّس على التقوى[٨] من خَلْفهِ ومن بيْن يدَيْهِ . وهو[٩] موطنُ أبيكم ابراهيم ، ومعراجُ نبيكم محمد عليه السلام[١٠] . وقبلتكم التي كُنْتم تُصَلُّون إليها في ابتداء الإسلام ، وهومَقَرُّ الأنبياء ، ومقصدُ[١١] الأولياء ، ومدفن[١٢] الرُّسُل ، ومهبطُ الوحي ، ومنزلُ[١٣] تنزُّل[١٤] الأمر والنَّهْي ، وهو في أرض المحشر ، وصعيد المنشر ، وهو في[١٥] الأرض المُقَدَّسةِ التي ذكرها الله [تعالى][١٦] في كتابه المبين . وهو المسجد [الأقصى][١] الذي صلى فيه

---

(١) في الاتحاف : فيها .

(٢) في شفاء القلوب : طريقه .

(٣) في شفاء القلوب : عليه .

(٤) في الروضتين : واستعمر

وفي الاتحاف : واستمر ، وهو تصحيف .

(٥) في شفاء القلوب : على التوحيد .

(٦) من وفيات الأعيان .

(٧) في عيون الروضتين : وتشييد بنيانه بالتمجيد فانه ، وفي وفيات الأعيان : فإنه .

(٨) في الروضتين : وبالتقوى فانه اسس على التقوى .

وفي مفرج الكروب : بالتقوى .

(٩) في الروضتين : وعيون الروضتين ، ووفيات الأعيان : فهو .

(١٠) في عيون الروضتين : عليهما الصلاة والسلام ، وفي مفرج الكروب : عليهما .

في مرآة الجنان : عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام .

في الإتحاف (ط) : صلى الله عليه وسلم .

في الإتحاف (رقم ٧٦) : وعليه أفضل الصلاة والتسليم .

(١١) في مراة الجنان : ومقدس .

في الإتحاف (ط) : ومقعد .

(١٢) في مفرج الكروب : ومَقَر .

(١٣) في مرآة الجنان ، والإتحاف (خ . و . ط) : ومدفن .

(١٤) في عيون الروضتين ، ووفيات الأعيان ، ومرآة الجنان : به ينزل . وفي شفاء القلوب : ينزل فيه .

(١٥) في عيون الروضتين ، عين .

(١٦) من عيون الروضتين ، والاتحاف .

رسولُ الله[٢] ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالملائكة[٣] المُقَرَّبين، وهو البلدُ الذي بعثَ الله إليه[٤] عبدَهُ ورسولهُ وكلمتهُ التي ألقاها الى مريم وروحه عيسى الذي شَرَّفَهُ الله برسالتِهِ، وكَرَّمَهُ بنُبُوَّته[٥]، ولم يُزَحْزحْهُ عن رُتبةِ عُبوديته، فقال تعالى: «لن يستنكفَ المسيحُ أن يكون عبداً لله، ولا الملائكةُ المُقَرَّبون»[٦] وقال: «لقد كفر الذين قالوا: إنَّ الله هو المسيحُ ابن مريم»[٧]. كذبَ العادلون بالله، وضلّوا ضلالاً بعيداً[٨]. «ما اتَّخذَ الله من ولدٍ، وما كان معه من إله إذاً لذهبَ كُلُّ إلهٍ بما خَلَقَ، ولعلا[٩] بعضهم على بعض سبحانَ الله عما يصفون. عالم الغيْبِ والشَّهادةِ، فتعالى عَمَّا يُشْركون»[١٠].

وهو أولُ القبلتين، وثاني المسجدين، وثالثُ الحرمين، لا تُشَدُّ الرِّحالُ بعدَ المسْجدَيْن إلاّ اليه، ولا تُعْقَدُ[١١] الخناصِرُ[١٢] بعد الموطنين إلاّ عليه[١٣]؛ ولولا[١٤] انكم ممن اختارهُ الله من عباده، واصْطَفَاهُ من سُكّان بلاده، لما

(١) من وفيات الأعيان، والاتحاف.

(٢) في الاتحاف (ط): نبي رب العالمين.

(٣) في عيون الروضتين: بالانبياء والمرسلين، وفي الإتحاف (ط): بالنبيين، والمرسلين، والملائكة.

(٤) في شفاء القلوب: منه.

(٥) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، ومرآة الجنان: «كرّمه برسالته، وشرّفه بنبوته».
في الاتحاف (نسخة رقم ٥٩٧): أكرمه.

(٦) النساء آية ١٧٢.
ورد الاستشهاد به في الروضتين، وورد بعد الآية في وفيات الاعيان، ومرآة الجنان: «ولا الملائكة المقربون»، ولم ترد في المصادر الاخرى.

(٧) المائدة الآية رقم ٧٢.

(٨) من وفيات الأعيان، والإتحاف.

(٩) وردت في الإتحاف: ولعلى.

(١٠) المؤمنون آية رقم ٩١.
(ورد الاستشهاد بهذه الآية في وفيات الأعيان، ومرآة الجنان، والإتحاف).

(١١) في الروضتين: تعتقد.

(١٢) في الإتحاف (ط): الحناصر
(علق المحقق في الحاشية، فقال: لعلها الخناصر. وكان عليه أن يصوبها في المتن).

(١٣) أثبت في مرآة الجنان الى هنا، ثم قال: «وهذا نحو من ثلث خطبته، رمت الاقتصار ايثارا للاختصار.

(١٤) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف: فلولا.

خصَّكم بهـذه الفضيلة التي [1] لا يُجـاريكم فيها مُجارٍ[2]، ولا يُباريكم في شرفها مُبارٍ[3]، فطوبى لكم من جيش ظهرتْ على أيديكم المعجزاتُ النبويّة، والوقعاتُ[4] البدْريّةُ، والعزماتُ[5] الصدّيقيّة، والفتوح [6] العُمريّة. والجيوشُ العثمانيّةُ، والفتكاتُ العلويّة، جددتم للاسلام أيام القادسية، والوقعات [7] اليرموكية، والمنازلاتِ الخيْبَرية، والهَجَمات [8] الخالدية، فَجَزَاكُمُ[9] الله عن نَبِيِّه محمدٍ[10]، صلى الله عليه وسلّم، أفضلَ الجزاءِ، وشكرَ لكم ما بَذَلْتموه من مُهَجكُم في مقارعة الاعداء، وتقبَّل [منا][11] ومنكم ما تقرَّبْتُم به إليه من مهراقِ[12] الدِّماء، وأثابكم الجنة فهي[13] دارُ السُّعداء، فاقدروا، رحمكم الله، هذه النعمـة حقّ قدْرهـا، وقـوموا لله تعالى بواجب شكرها[14]، فله[تعالى][15] النعمة[16] عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة، وترشيحكم لهذه الخدمة، فهذا هو الفتح الذي فُتِّحتْ له أبوابُ السَّماءِ، وتبلَّجتْ[17] بأنواره وجوهُ الظُّلْماء،

---

(١) في الإتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠): الذي، وهو غير صحيح.

(٢) في الاتحاف (ط) و (خ) نسخة رقم ٥٩٧ : مجاري، وهو غير صحيح.

(٣) في الاتحاف (ط) و(خ) نسخة رقم ٥٩٧ : مباري، وهو غير صحيح.

(٤) في وفيات الأعيان: والواقعات.

(٥) في الاتحاف (ط): والضربات.

ولكنها وردت في الاتحاف (خ نسخة رقم ٧٦) كما وردت في المتن.

(٦) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف: والفتوحات.

(٧) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف: والملاحم.

(٨) في الاتحاف (ط): والحملات.

(٩) في الروضتين: فجازاكم.

(١٠) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: محمد نبيه. وجملة «صلى الله عليه وسلم» ليست في المفرج، وشفاء القلوب، والإتحاف.

(١١) من مفرج الكروب.

(١٢) في الاتحاف (ط): إهراق.

(١٣) في شفاء القلوب: وهي.

(١٤) في شفاء القلوب: ذكرها.

(١٥) من وفيات الاعيان، والاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠)، و(ط).

(١٦) في عيون الروضتين، وشفاء القلوب، والاتحاف (ط): المنة.

(١٧) في شفاء القلوب: وسلخت، وهو تصحيف.

في الاتحاف (ط): وبلجت.

وابتهج به الملائكةُ المُقرَّبون، وقَرَّ به عيناً الانبياءُ والمرسلون[١]، فماذا [لـه][٢] عليكم من النعمةِ بأنْ جعلكمُ الجيشَ الذي يُفْتَحُ عليه[٣] البيتُ المُقدَّسُ في آخرِ الزمانِ، والجند الذي تقوم[٤] بسيوفهم بعد فترة من النبوة[٥] أعلامُ الايمان، فيوشك أنْ يفتح الله على ايديكم أمثاله[٦] وأن تكونَ التهاني به بين أهلِ[٧] الخضراء أكثر من التهاني به بين أهلِ[٨] الغبراءَ.

أليسَ هو[٩] البيتُ الذي ذكره الله [تعالى][١٠] في كتابه، ونَصَّ عليه في [محكمِ][١١] خطابه؟[١٢] فقال تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرامِ إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله» الآية[١٣].

أليس هو البيتَ[١٤] الذي عَظَّمَتْه المِلَلُ[١٥]، وأثنتْ عليه الرُسُلُ، وتليتْ فيه الكتب الاربعة المنزلة[١٦] من إلهكم[١٧]، عزَّ وَجَلَّ[١٨]؟

---

(١) في عيون الروضتين: وقرَّ عيناً به، وفي شفاء القلوب: وقرّت به اعين الانبياء والمرسلين. في الاتحاف (ط): وقرب اعين الانبياء المرسلين.

(٢) من شفاء القلوب.

(٣) في وفيات الأعيان، وشفاء القلوب، والاتحاف (ط): على يديه.

(٤) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: يقوم.

(٥) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: الرسل.

(٦) من عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٤٠)، و(ط).

(٧) في عيون الروضتين ووفيات الاعيان، والاتحاف: لأهل.

(٨) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف: لأهل.

(٩) سقطت الكلمتان (أليس هو) من الاتحاف (ط).

(١٠) من الاتحاف.

(١١) من عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف.

(١٢) ورد بعد «خطابه» في الإتحاف: ومنحكم به منته وطوله.

(١٣) الاسراء آية ١.

(١٤) ورد في الاتحاف (ط): وهو، بدلاً من «أليس هو البيت».

(١٥) في الروضتين، ومفرج الكروب، وشفاء القلوب: الملوك.

(١٦) من عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، وشفاء القلوب.

(١٧) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان: الله

(١٨) في الإتحاف (ط): تعالى.

أليسَ هو البيتُ الذي أمْسكَ الله، عز وجل[1] فيه[2] الشمس[3] على يوشعَ لأجله أنْ تَغْربَ[4]، وباعد بين خطواتِها[5] ليتيسر[6] فتْحُهُ ويقْرُبَ؟.

أليسَ هو البيتُ الـذي أمَـرَ الله [عـزّ وجـلّ][7] موسى أن يأمـرَ قوْمـهُ باستنقاذه[8]، فلم يُجبه إلاّ رَجُلان، وغضبَ عليهم لأجله[9]، فألقاهم[10] في التيه عقوبةَ العصيان[11]؟.

فاحمدوا[12] الله الذي أمضى عزائمكم لما قعد[13] عنه بنو إسرائيل، وقد فَضَّلَهُم[14] على العالمين، ووفَّقكُم لما خُذِل فيه من[15] كان قبْلكُم من الأُمم الماضين[16]، وجمعَ لأجله كلمتكم، وكانتْ[17] شتَّى، وأغناكم بما أمْضَتْهُ[18]

---

(١) في وفيات الاعيان: تعالى.

سقطت العبارة «أليس هو البيت الذي امسك الله عز وجل»، من الإتحاف (ط).

(٢) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف: لاجله.

(٣) ورد في الاتحاف (ط) بعد لفظة الشمس: «ردت على يوشع بن نوف بن يعرب». وفيه تصحيف

(٤) في الإتحاف (ط): (بن يعرب) بدلاً من «ان تغرب»، وهو تصحيف.

(٥) في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٤٠) و(ط): جوانبها.

(٦) في الاتحاف (ط): ليتبين.

(٧) من عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف.

وورد بدلاً منها لفظة «تعالى» في مفرج الكروب، وشفاء القلوب.

(٨) في عيون الروضتين: باستيقاده،وفي الاتحاف (خ - نسخة رقم ٤٠) و(ط): باستيطانه.

(٩) في مفرج الكروب: من اجله.

(١٠) في مفرج الكروب: وألقاهم.

(١١) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: العصيان.

(١٢) في الاتحاف (ط): فاحمد

(١٣) في وفيات الاعيان، ومفرج الكروب، وشفاء القلوب، والاتحاف: نكلت.

(١٤) في وفيات الاعيان، والاتحاف: فضلت.

في عيون الروضتين، والاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): فضلوا.

(١٥) في عيون الروضتين: أمم.

(١٦) في وفيات الاعيان: لما خذل فيه أمم كانت قبلكم من الامم الماضيين.

في مفرج الكروب: لما خذل..الماضية.

في شفاء القلوب: لما خذل عنه من كان قبلكم.

في الاتحاف (ط): خذل فيه امما كانت قبلكم من الامم الماضين.

(١٧) في عيون الروضتين: وكان.

(١٨) في الإتحاف (ط): امقبه (هكذا). يقول المحقق في الحاشية انها غير واضحة.

(كان) و(قد) عن [1] (سوف)[2] و(حتى) [3]

فَلْيَهْنِكُم[4] أنَّ الله [تعالى][5] قد ذكركم به فيمن عنده، وجعلكم بعد أنْ كنتم جنوداً لأهويتكم[6] جُنْده، وشكَرَكُم[7] الملائكة المنزلون على ما أهْديتم إلى هذا [8] البيت من طب التوحيدِ، ونشر التقديس والتحميد[9]، وما أمطتم عن طُرُقهم فيه[10] من أذى الشِّرك والتثليث، والاعتقاد الفاجر [11] الخبيث، فالآن [12] يستغفــر لكم[13] أمــلاك السمــواتِ، وتُصلّى عليكم الصلوات المباركاتِ، فاحفظوا[14]، رحمكم الله، هذه الموهبة فيكم، واحرسوا هذه النعمة[15] عندكم، بتقوى الله [تعالى][16] التي[17] من تمسَّك بها سلِمَ، ومن

---

(١) في الاتحاف (ط): عي (هكذا). يقول المحقق في الحاشية: لا معنى لهذه الكلمات.

(٢) سقطت لفظة «سوف» من الإتحاف (ط).

(٣) سقطت من شفاء القلوب. ووردت العبارة مضطربة، وقد وردت هكذا: «كان وعن وسوف وحتى».

(٤) في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٤٠) و(ط): وليهنكم.

(٥) من الاتحاف.

(٦) في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٤٠): جنود الاهوية. وفي الاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): جنود الاهواء. وفي الاتحاف (ط): «جنوداً لا يستهويه. وفيه تصحيف».

(٧) في وفيات الاعيان، ومفرج الكروب، وشفاء القلوب: وشكر لكم.
في الاتحاف (ط): وشكرتكم.

(٨) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والإتحاف: لهذا.

(٩) في وفيات الأعيان: والتمجيد. وفي شفاء القلوب: والتمجيد، والتحميد.

(١٠) في شفاء القلوب: طرقه. وقد سقطت لفظة «فيه». وفي الاتحاف (خ - نسخة رقم ٤٠): طريقه.

(١١) في مفرج الكروب. وشفاء القلوب: الفاسد.

(١٢) في مفرج الكروب: فهو الآن.
وفي شفاء القلوب، والإتحاف: والآن.

(١٣) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، وشفاء القلوب، والإتحاف: تستغفر.

(١٤) في شفاء القلوب: واحفظوا.

(١٥) في شفاء القلوب: نعمة الله.

(١٦) من شفاء القلوب.

(١٧) في الاتحاف (ط): الذي

اعتصمَ بعُرْوَتِها[1] نجا وعُصِمَ[2]، واحذروا من اتباع الهوى، ومواقعه[3] الرَّدى، ورجوع القهقرى، والنكول[4] عن العِدا، وخُذُوا[5] في انتهاز الفرصةِ، وإزالة ما بَقِي من الغُصَّة[6]، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده، وبيعوا عبادَ الله أنفسكم[7] في رضاه إذ[8] جعلكم من خير[9] عباده، وإياكم[10] أنْ يستزلكم[11] الشيطان[12]، وأنْ يتداخلكُم الطغيان[13]، فيخيل لكم[14] ان هذا النصر بسيوفكم الحِداد، وبخيولكم[15] الجياد، وبجلادكم[16] في موطن[17] الجلاد، والله[18] ما النصرُ إلاّ من عند الله، إن الله عزيزٌ حكيم[19].

---

(١) في شفاء القلوب: بعروقها. وهو تصحيف.
في الاتحاف (ط): بغزوتها. وهو تصحيف.
(٢) في الاتحاف (ط): واعتصم.
(٣) في الروضتين وشفاء القلوب: وموافقة.
في مفرج الكروب: ومواقف.
(٤) في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): والتولي.
في الاتحاف (ط) : والتوالي العدى
(٥) في الاتحاف (ط): وجدوا.

(٦) في الاتحاف (ط): والقصة. وهو تصحيف.
(٧) في مفرج الكروب، والاتحاف (خ - نسخة ٥٩٧): أنفسكم عبدالله.
(٨) في شفاء القلوب: الذي.
(٩) سقطت لفظة (خير) من شفاء القلوب.
(١٠) في الروضتين: وإيا.
(١١) في الاتحاف (ط): يشتريكم.
(١٢) في عيون الروضتين: أو

(١٣) في الاتحاف (ط): (وأن) يدخلكم الشيطان.
(١٤) في مفرج الكروب: إليكم.
(١٥) في وفيات الأعيان، والاتحاف (ط): وخيولكم.
(١٦) في الاتحاف (ط): وبجلاءكم. وهو تصحيف.
(١٧) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: موضع.
(١٨) في شفاء القلوب: سقطت لفظة (لا)
في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٤٠)، و(ط): لا والله العظيم.
(١٩)) في الاتحاف (ط): العزيز الحكيم.

واحذروا(١) عبادَ الله، بعد أنْ شرّفكم بهذا الفتح الجليل، والمنْح الجزيل، وخَصّكم(٢) بهذا النصر(٣) المبين، [وأعْلَق أيديكم بحبْله المتين](٤)، أن تقترفوا كبيرا(٥) من مناهيه(٦)، وان تأتوا عظيماً من معاصيه، فتكونوا كالتي نقضتْ غَزْلها من بعد قوةٍ أنْكاثاً، والذي(٧) آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين. والجهادَ الجهادَ، فهو من(٨) أفضلِ عباداتكم، وأشرف عاداتكم، انصروا(٩) الله ينصركم، [احفظوا الله يحفظكم](١٠) اذكروا(١١) الله يَذْكُرْكُم، اشكروا(١٢) الله يَزِدْكُم(١٣) ويشكركم، جدُّوا في(١٤) حسم الداءِ، وقطع(١٥) شأفة الاعداء، وتطهير(١٦) بقية الأرض [من هذه الأنجاس](١٧) التي(١٨) أغضبت الله ورسوله، واقطعوا فروع(١٩) الكفر، واجتثوا

---

(١) في عيون الروضتين، و وفيات الأعيان. فاحذروا.

(٢) في شفاء القلوب: وحكم.

(٣) في عيون الروضتين: بنوره، ووفيات الأعيان، والاتحاف (ط): بنصره.
في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: النصر.

(٤) هذه العبارة «واعلق.. المتين»: سقطت من الاتحاف (ط).

(٥) في عيون الروضتين، و مفرج الكروب، وشفاء القلوب، والاتحاف (ط): كثيرا.

(٦) في الاتحاف (ط): نواهيه.

(٧) في عيون الروضتين، و وفيات الاعيان، والاتحاف (ط): وكالذي. وفي شفاء القلوب: أو، كالذي.

(٨) سقطت من شفاء القلوب، والاتحاف (ط).

(٩) في شفاء القلوب: فانصروا. وفي الاتحاف (ط): انصرفوا. وهو تصحيف.

(١٠) من وفيات الأعيان.

(١١) في شفاء القلوب: واذكروا.
في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): واذكروه.

(١٢) في شفاء القلوب: واشكروا.
في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): واشكروه.

(١٣) سقطت من شفاء القلوب.

(١٤) في عيون الروضتين: الى، وفي شفاء القلوب: فخذوا.

(١٥) في وفيات الاعيان، والاتحاف (ط): وقلع

(١٦) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان وشفاء القلوب: وطهروا. وفي الاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): وطهر.

(١٧) من عيون الروضتين، و وفيات الاعيان، والاتحاف (ط).

(١٨) في عيون الروضتين: الذي

(١٩) في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): فروخ.

أصوله، فقد نادت[١] الأيام بالثارات[٢] الإسلامية والملة المحمدية.

الله أكبر، فتح الله ونصر، غلب[٣] الله وقهر، أذل[٤] الله من كفر. واعلموا، رحمكم الله، أنّ هذه فرصةٌ فانتهزوها، وفريسة فناجزوها[٥]، [وغنيمة فحوزوها]، ومهمة[٦] فاخرجوا لها[٧] هممكم وأبرزوها، وسيروا اليها[٨] [سرايا][٩] عزماتكم[١٠] وجهزوها، فالأمورُ بأواخرها[١١]، والمكاسب بذخائرها، فقد[١٢] أظفركم[١٣] الله [تعالى][١٤] بهذا العدو المخذول[١٥]، وهم مثلكم أو يزيدون[١٦]، فكيف[١٧] وقد أضحى في[١٨] قبالة الواحد منهم[١٩] منكم عشرون، وقد قال الله تعالى: «إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين. وإن يكنْ منكم مائة يغلبوا الفاً من الذين كفروا بأنهم قومٌ لا يفقهون»[٢٠]. أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره والازدجار[٢١] بزواجره، وأيدنا

---

(١) في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): تارت

(٢) في وفيات الأعيان: باللثارات.

(٣) في مفرج الكروب، والاتحاف (ط): وغلب.

(٤) في مفرج الكروب: وأذل، وفي الاتحاف (خ - نسخة رقم ٤٠) و(ط): أخذل.

(٥) من عيون الروضتين، ووفيات الاعيان.

(٦) العبارة «فناجزوها.. ومهمة» سقطت من الاتحاف (ط).

(٧) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: اليها.

(٨) في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): النهار. وهو تصحيف.

(٩) من وفيات الأعيان، وشفاء القلوب، والاتحاف (ط).

(١٠) في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٥٩٧): عزمكم.

(١١) في الاتحاف (ط): فالسعادة بأمايرها.

(١٢) في الاتحاف (ط): وقد

(١٣) في الاتحاف (ط): ظفركم.

(١٤) من الاتحاف (ط).

(١٥) في الاتحاف: (ط): بهؤلاء الأعداء المخذولين.

(١٦) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: دون.

(١٧) في شفاء القلوب: وكيف.

(١٨) في شفاء القلوب: وفي.

(١٩) سقطت من شفاء القلوب، ومن الاتحاف (ط)

(٢٠) الأنفال آية ٦٥.
وورد في الاتحاف (خ - نسخة رقم ٤٠)، و(ط): «وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله، والله مع الصابرين».

(٢١) في الاتحاف (ط): والانزجار.

معشر[1] المسلمين بنصر من عنده. إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يَخْذُلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده.[2].

[إن[3] أشرف مقال يقال في مقام، وأنفذ سهام تمرق[4] عن قسيّ الكلام، وأمضى قول تحل[5] به الأفهام، كلام[6] الواحد الفرد العزيز العلام[7]. قال الله تعالى: «وإذا قُرِىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون»[8]. اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. وقرأ أول سورة الحشر، ثم قال: آمركم وإياي بما أمرَ الله به من حسن الطاعة فأطيعوه، وأنهاكم وإياي عما نهاكم عنه من قُبح المعصية فلا تعصوه، واستغفر الله العظيم لي ولجميع المسلمين فاستغفروه][9].

★★★

وتمام الخطبة الثانية قريب مما جرت به العادة. وقال بعد الدعاء للخليفة[10]: «اللّهم وأدم سلطان عبدِكَ الخاضع لهيبتك، الشاكر لنعمتك،

---

(١) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، والاتحاف (ط): معاشر.

(٢) آل عمران آية ١٦٠.

(٣) في الاتحاف (ط): إنّه.

(٤) في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٥٩٧)، و(ط): تمزق.

(٥) في عيون الروضتين: تحد، وفي الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٧٦): تجلى. وفي (ط): تحلى.

(٦) سقطت من الاتحاف (ط).

(٧) ورد في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٥٩٧)، والاتحاف (ط) بعد (العلام): ثم استعاذ، وبسمل، وقرأ أول سورة الحشر. ثم دعا للخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله تعالى، وللسلطان بدعوات صريحة. وختم بقوله تعالى: ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾. ونزل، وصلّى في المحراب. وافتتح باسم الله بقراءة أم الكتاب...

(٨) الأعراف آية رقم ٢٠٤.

(٩) من عيون الروضتين، ووفيات الأعيان، والاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٥٩٧). والاتحاف (ط)

(١٠) ورد في وفيات الاعيان: ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء مختصرة، ثم دعا للإمام الناصر خليفة العصر. ثم قال

وورد في شفاء القلوب: الخطبة الثانية: ذكر الحمد والشكر كما جرت العادة. ثم دعا للخليفة الناصر، ثم قال:

المعترفِ بموهبتك[١]، سيفك القاطع، وشهابك[٢] اللامع، والمحامي[٣] عن دينك[٤] المدافع[٥]، والذاب[٦] عن حرمك، [وحرم رسولك][٧] الممانع، السيد الأجل [والكهف الأظل][٨] الملك الناصر، [٩] جامع كلمة الايمان، وقامع عبدة الصلبان[١٠] صلاح الدنيا والدين[١١] سلطان الإسلام والمسلمين[١٢]، مطهر البيت[١٣] المقدس من أيدي المشركين مع[١٤] أبي المظفر صلاح الدين يوسف بن ايوب، محيي دولة أمير المؤمنين.

اللهم عمَّ بدولته البسيطة، واجعل ملائكتك المُقرّبين[١٥] براياته محيطة، وأحسن عن الدّين الحنيفيّ جزاءه، واشكر عن المِلة المُحمديه عَزْمَتهُ ومضاءه[١٦]. اللهم أبق[١٧] للإسلام[١٨] [والمسلمين][١٩] مهجته، ووقِ للايمان[٢٠] حوزته، وانشر في المغارب والمشارق[٢١] دعوته.

---

(١) سقطت العبارة من شفاء القلوب.

(٢) في الاتحاف (ط): وسهمك.

(٣) في شفاء القلوب والاتحاف (ط): المحامي.

(٤) في الاتحاف (ط): ذنبك. وهو تصحيف.

(٥) في الاتحاف (ط): الدافع.

(٦) في الاتحاف (ط): الذاب.

(٧) من مفرج الكروب، وشفاء القلوب.

(٨) من شفاء القلوب.

(٩) سقطت اللفظتان من الاتحاف (ط).

(١٠) ورد بعد لفظة الصلبان: والأوثان، في شفاء القلوب.

(١١) في الاتحاف (ط): الدين والدنيا.

(١٢) سقطت لفظة «المسلمين» من الاتحاف (ط).

(١٣) في الاتحاف (ط).: بيت.

(١٤) من شفاء القلوب، والاتحاف (ط).
في عيون الروضتين: من أيدي الكافرين.

(١٥) من شفاء القلوب.

(١٦) في الاتحاف (ط)، حزبه وقضاه.

(١٧) في الاتحاف (ط): زين.

(١٨) من شفاء القلوب.

(١٩) في الاتحاف (ط): ووف.

(٢٠) في عيون الروضتين: للأنام.

(٢١) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، ومفرج الكروب، وشفاء القلوب، والاتحاف (ط): المشارق والمغارب.

اللهم فكمـا[1] فتحت على يده[2] البيت[3] المقـدس، بعد أن ظنت[4] الـظنـون، وابتلي المؤمنون، فافتح على يده[5] أداني الأرض وأقاصيها[6]، ومَلِّكْـهُ[7] صياصي الكفـرة[8] ونـواصيهـا[9]، فلا تلقـاه منـه[10] كتيبة[11] إلاّ مزَّقها[12]، ولا جماعة[13] إلا فرَّقها[14] ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحَقَها[15] بمن سبقها.

اللّهم اشكر[16] عن محمد، صلى الله عليه وسلم، سعيه[17]، وأنفذ في المشارقِ والمغارب [أمره ونهيه][18]، اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها، [وأرجاء الممالك وأكنافها][19].

---

(١) في عيون الروضتين، ووفيات الأعيان: كما. في شفاء القلوب: وكما.

(٢) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، ومفرج الكروب، والاتحاف: يديه
في شفاء القلوب: وردت العبارة هكذا: فتحت به.

(٣) في الاتحاف (ط): بيت

(٤) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: ورد بعد «ظنت»: به.

(٥) في عيون الروضتين، ووفيات الاعيان، ومفرج الكروب، وشفاء القلوب، والاتحاف: يديه.

(٦) في وفيات الاعيان ومفرج الكروب، وشفاء القلوب، والاتحاف، داني الارض وقاصيها.

(٧) في شفاء القلوب: زاد «بفضلك وكرمك» بعد: «وملكه».

(٨) في وفيات الأعيان، وشفاء القلوب، والاتحاف: الكفر.

(٩) وردت العبارة في الاتحاف (ط) هكذا: وملك صلبان الكفرة ونواقيسها.
وردت العبارة في الاتحاف (خ ـ نسخة رقم ٧٦): وملكه سياصي الكفرة ونواصيها.

(١٠) في شفاء القلوب: يلقى (بدلا من: تلقاه منهم).
في الاتحاف (ط): تلقى

(١١) في الاتحاف (ط): كنيسة، وهـو تصحيف.

(١٢) في الاتحاف (ط): مزقتها.

(١٣) في الاتحاف (ط): جامكة. وهاذ تصحيف. وهي في مخطوطة الاتحاف «جماعة».
ورد في شفاء القلوب بعد «جماعة»: بعزتك.

(١٤) في الاتحاف (ط): فرثتها. وهـو تصحيف. وهي في مخطوطة الاتحاف: فرقها.

(١٥) في الاتحاف (ط): ألحقتها، وهي في مخطوطة الاتحاف: ألحقها.

(١٦) ورد في شفاء القلوب بعد لفظة «اشكر»: له.
وورد في الاتحاف (ط) بعد لفظة «اشكر»: عن سيدنا.

(١٧) ورد في الاتحاد (ط) بعد «سعيه»: ذا القدر والقد.

(١٨) سقط ما بين القوسين من الاتحاف (ط).

(١٩) سقط ما بين القوسين من الاتحاف (ط).

اللهم [ذلِّل به معاطسَ[1] الكُفّار، وأرغم به أُنوفَ[2]]الفُجّار، وانْشُر ذوائب[3] مُلكه[4] على الأمصار، [وابثث سرايا جنوده في سبل الأقطار][5] .

اللهم ثبِّت الملكَ فيه وفي عقبه[6] إلى يوم الدين، واحفظه في بنيه وبني أيوب[7] الملوك[8] الميامين، واشددْ عَضُدَه ببقائهم[9] ، واقض باعزاز أوليائه وأوليائهم.

اللهم كما[10] أجْرَيْتَ على يده[11] في الإسلام[12] هذه الحسنةَ التي تبقى على الأيام، وتتخلَّد على مَرِّ[13] الشهور والأعوام، فارزقه[14] الملكَ الأبدي الذي لا ينفدُ في دار المتقين[15]. وأجِبْ[16] دعاءه في قوله: «رب أوزِعْني أنْ أشكرَ نعْمتكَ التي أنعَمْتَ عليّ، وعلى والديّ، وأنْ أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتكَ في عبادِك الصالحين»[17] [18].

---

(١) ورد في شفاء القلوب بعد لفظة «معاطس»: آناف.

(٢) سقط ما بين القوسين من الاتحاف (ط).

(٣) في الاتحاف (ط): دوابر.

(٤) ورد في شفاء القلوب بعد لفظة «ملكة»: برحمتك.

(٥) سقط ما بين القوسين من الاتحاف (ط).

(٦) في الاتحاف (ط): عقبته. وهو تصحيف.

(٧) في وفيات الاعيان، وشفاء القلوب: أبيه.

(٨) ورد في شفاء القلوب بعد لفظة «الملوك»: الكرام.

(٩) في الاتحاف (ط): سقطت ألفاظ عديدة. وورد فيه: «اللهم ثبت فيه وفي عقبته.. اليأس، وشدّ عضده...

(١٠) في مفرج الكروب: فكما. في شفاء القلوب: وكما.

(١١) في شفاء القلوب: يديه.

(١٢) في شفاء القلوب: بمعونتك، بدلا من «في الاسلام».

(١٣) في مفرج الكروب، وشفاء القلوب: مرور.

(١٤) في شفاء القلوب: وارزقه.

(١٥) في وفيات الاعيان: اليقين.

(١٦) ورد في مفرج الكروب، بعد لفظة «وأجب»: دعوته و(دعاءه).

(١٧) النمل آية ١٩.

(١٨) سقط ما بين القوسين من الاتحاف (ط).

ثبت المصادر والمراجع

١ ـ إتحاف الأخصًا بفضائل المسجد الأقصى ـ ابو عبدالله محمد بن احمد ابن علي ابن عبدالخالق المنهاجي السيوطي (نسخة مصورة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية ـ رقم (٧٦).

٢ ـ إتحاف الأخصًا بفضائل المسجد الأقصى ـ المنسوب الى محيي الدين بن عبدالظاهر، عبدالله بن عبدالظاهر الجُذامي المصري ـ نسخة مصورة بمركزالوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية ـ رقم ٤٠)

٣ ـ إتحاف الأخصًا بفضائل المسجد الأقصى ـ المنسوب إلى أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ـ نسخة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية ـ رقم ٥٩٧).

٤ ـ إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق المنهاجي السيوطي ـ تحقيق د. أحمد رمضان أحمد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨٢.

٥ ـ أحكام صنعة الكلام ـ أبو القاسم محمد بن عبدالغفورالكلاعي الإشبيلي الأندلسي ـ تحقيق د. محمد رضوان الداية ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٦٦.

٦ ـ أدب الحروب الصليبية ـ د. عبد اللطيف حمزة ـ دار الفكر العربي ـ ط ٢ ـ ١٩٨٤.

٧ ـ الأدب في العصر الأيوبي ـ د. محمد زغلول سلام ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٨.

٨ ـ الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ـ تاريخ مدينة دمشق ـ ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ـ عني بنشره وتحقيقه د. سامي الدهان ـ المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ـ ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٦م.

٩ ـ أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ـ عمر رضا كحالة ـ مؤسسة الرسالة.

١٠ ـ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ـ مجير الدين العليمي، عبد الرحمن ابن محمد عبد الرحمن بن محمد العليمي، المقدسي، الحنبلي ـ مكتبة

المحتسب ـ عمان ـ ١٩٧٣٠

١١ ـ إنشاءات القاضي الفاضل ـ دراسة وتحقيق وتعليق د. فتحية النبراوي ـ دار التوفيقية للطباعة بالأزهر ـ ط ١ ـ ١٩٨٠ .

١٢ ـ البداية والنهاية ـ أبوالفداء الحافظ ابن كثير ـ مكتبة المعارف ـ بيروت .

١٣ ـ البرق الشامي ـ العماد الأصفهاني ـ تحقيق د. رمضان ششن. استانبول ـ ١٩٨٩ .

١٤ ـ البرق الشامي ـ العماد الأصفهاني ـ تحقيق د. فالح صالح حسين ـ ط ١ ـ عمان ـ ١٩٨٧ .

١٥ ـ البرهان في وجوه البيان ـ أبو الحسين إسحاق بن سليمان بن وهب الكاتب ـ تقديم وتحقيق د. حفني شرف ـ مكتبة الشباب ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ .

١٦ ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ـ تحقيق عبد السلام هرون ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ـ ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

١٧ ـ التاج المكلل من جواهر ما نشر الطراز الآخر والأول ـ القنوجي، أبو الطيب، صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ـ تصحيح وتعليق عبد الحكيم شرف الدين ـ دار اقرأ ـ ط٢ ـ بيروت ـ ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م .

١٨ ـ تاريخ ابن الفرات ـ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ـ نشر د. حسن محمد الشماع ـ البصرة .

١٩ ـ تاريخ الخلفاء ـ الحافظ جلال الدين السيوطي ـ دار الفكر ـ بيروت .

٢٠ ـ تاريخ دمشق ـ قسم تراجم النساء ـ الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله، المعروف بابن عساكر ـ تحقيق د. سكينة الشهابي ـ ط ١ ـ دمشق ـ ١٩٨٢ .

٢١ ـ تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر) ـ زين الدين عمر بن الوردي ـ تحقيق أحمد رفعت البدراوي ـ دار المعرفة ـ بيروت .

٢٢ ـ التاريخ المنصوري ـ تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ـ أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي ـ تحقيق د. أبوالعيد دودو ـ مراجعة د. عدنان درويش ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ

١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٢٣ ـ التكملة لوفيات النقلة ـ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ـ حققه وعلق عليه د. بشار عواد معروف ـ النجف الاشرف.
٢٤ ـ الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ـ د. احمد بدوي. ط٢ ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ـ ١٩٧٧.
٢٥ ـ الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام ـ محمد سيد كيلاني ـ مكتبة مصر ـ ١٩٤٩.
٢٦ ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ العماد الأصفهاني ـ قسم شعراء الشام تحقيق د. شكري فيصل ـ المطبعة الهاشمية بدمشق.
٢٧ ـ خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.
٢٨ ـ خطفة البارق وعطفة الشارق ـ العماد الأصفهاني (ضمن كتاب الروضتين) ـ دار الجليل ـ بيروت.
٢٩ ـ الدارس في تاريخ المدارس ـ عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ـ تحقيق جعفر الحسني ـ مطبعة الترقي بدمشق.
٣٠ ـ ديوان ابن سناء الملك ـ تحقيق د. محمد عبد الحق ـ دار الجليل ـ بيروت ـ ١٩٧٥.
٣١ ـ ديوان ابن سناء الملك ـ تحقيق د. محمد نصر ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ ١٣٨٨هـ/١٩٦٩.
٣٢ ـ ديوان أبي تمام ـ تحقيق د. محمد عبده عزام ـ ط ٣ ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٩.
٣٣ ـ ديوان خطب ابن نباتة الفارقي.
٣٤ ـ ديوان فتيان الشاغوري ـ تحقيق أحمد الجندي ـ المطبعة الهاشمية ـ دمشق ـ ١٣٧٨ هـ / ١٩٧٦م.
٣٥ ـ الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع للهجرة) ـ أبو شامة المقدسي ـ نشره عزت العطار الحسيني ـ دار الجيل ـ ط ٢ ـ بيروت ـ ١٩٧٤.
٣٦ ـ رسائل عن الحرب والسلام ـ من ترسل القاضي الفاضل ـ اختيار موفق الدين بن الديباجي ـ تحقيق د. محمد نغش ـ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.

٣٧ ـ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ـ أبو شامة المقدسي ـ دار الجيل ـ بيروت .
٣٨ ـ زبدة الحلب من تاريخ الحلب ـ كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم ـ عني بنشره وتحقيقة د. سامي الدهان ـ المعهد الفرنسي بدمشق.
٣٩ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ـ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ـ صححه محمد مصطفى زيادة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ ١٩٥٦ .
٤٠ ـ سنا البرق الشامي ـ الفتح بن علي البنداري ـ تحقيق د. رمضان ششن ـ دار الكتاب الجديد ـ الطبعة الاولى ـ بيروت ـ ١٩٧١ .
٤١ ـ سنا البرق الشامي ـ الفتح بن علي البنداري ـ تحقيق د. فتحية النبراوي ـ مكتبة الخانجي ـ مصر ١٩٧٩ .
٤٢ ـ سير أعلام النبلاء ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق د. بشار عواد معروف، و د. محيي الدين هلال السرحان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م. ج٢١ .
٤٣ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ أبو الفلاح عبد الحي، ابن العماد الحنبلي ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .
٤٤ ـ شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ـ أحمد بن إبراهيم الحنبلي (٨٧٦ هـ) ـ تحقيق د. ناظم رشيد ـ وزارة الثقافة والفنون ـ الجمهورية العراقية ـ ١٩٧٨ .
٤٥ ـ العبر في خبر من عبر ـ شمس الدين الذهبي ـ حققه أبو طاهر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .
٤٦ ـ عصر الدول والامارات ـ مصر والشام ـ د. شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٨٤ .
٤٧ ـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ـ الامام محمد بن أحمد العيني ـ مخطوط متحف الأوقاف الاسلامي ـ استانبول ـ (رقم ٣٢٢٨) .
٤٨ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم بن

خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ـ شرح وتحقيق د. نزار رضا ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٦٥ .
٤٩ ـ عيون التواريخ ـ محمد بن شاكر الكتبي ـ تحقيق د. فيصل السامر ، ونبيلة عبد المنعم داود ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ الجمهورية العراقية .
٥٠ ـ غوطة دمشق ـ محمد كرد علي ـ دار الفكر ـ ط ٣ ـ دمشق ـ ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م .
٥١ ـ الفيح القسي في الفتح القدسي ـ العماد الأصفهاني ـ تحقيق محمد محمود صبح ـ الدار القومية للطباعة الونشر.
٥٢ ـ قضاة دمشق (الثغر البسام في ذكر من ولى قضاء الشام) ـ شمس الدين ابن طولون ـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد ـ المجمع العلمي العربي ـ دمشق ـ ١٩٥٦ .
٥٣ ـ الكامل في التاريخ ـ عز الدين بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ـ دار صادر دار بيروت ـ بيروت .
٥٤ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ـ منشورات مكتبة المثنى ببغداد ـ بيروت .
٥٥ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ ضياء الدين بن الأثير ـ تحقيق د. احمد الحوفي، ود. بدوي طبانة ـ مكتبة نهضة مصر ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة .
٥٦ ـ المختصر في أخبار بني البشر ـ أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن نور الدين علي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .
٥٧ ـ المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي (دورها في الحركة الفكرية) ـ د. عبد الجليل عبد المهدي ـ مكتبة الأقصى ـ عمان ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .
٥٨ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ اليافعي ، عفيف الدين أبو السعادات عبد الله بن أسعد ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت . ط٢ ـ ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .
٥٩ ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ـ سبط بن الجوزي ، شمس الدين يوسف ابن قز أوغلي بن عبد الله ـ حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١م . (ج ٨).

٦٠ ـ مرآة الزمان ـ سبط بن الجوزي ـ ١٤ ـ خ).
٦١ ـ مضمار الحقائق وسر الخلائق ـ محمد بن عمر بن شاهنشاه الايوبي ـ تحقيق د. حسن حبشي ـ القاهرة ـ ١٩٦٨.
٦٢ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م.
٦٣ ـ مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ـ ابن واصل الحموي، جمال الدين محمد بن سالم ـ نشر د. جمال الدين الشيال ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة ـ ١٩٥٧. (ج٢).
٦٤ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي الأتابكي ـ مصورة طبعة دار الكتب المصرية.
٦٥ ـ نزهة الناظر وبهجة الخاطر ـ شرف الدين موسى بن يوسف بن أحمد الأيوبي الأنصاري الدمشقي ـ دمشق ـ ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م (رسالة ماجستير).
٦٦ ـ نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية ـ د. عمر عبد الرحمن الساريسي ـ دار المنارة ـ جدة السعودية ـ الطبعة الاولى ـ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.
٦٧ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ـ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة. (ج٨).

أوزان العرب الشعرية

د. عبدالحميد حمام
جامعة اليرموك

«اذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فان الشعر ديوان العرب»

ابن عباس

تمهيد:

لقد تغنت العرب منذ القديم بنماذج شعرية ما لبثت أن أصبحت قوالب لحنية ووزنية يصبون فيها عوالج نفوسهم، ونتاج أفكارهم، ومثلهم؛ ويصفون ظروفهم، والحياة والطبيعة من حولهم. وهكذا أتت أشعارهم حافظة لتراثهم، وعقائدهم وجميع ما يتصل بحياتهم. وبهذا المعنى يكتب السُيوطي:

«كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنّأتها بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس.. لأنه حماية لأعراضهم، وذبّ عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، واشادة لذكرهم» (فارمر، ص١٨).

ويذكر ابن رشيق أن عمر بن الخطاب قال: «الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه»، وأن علياً بن أبي طالب قال «الشعر ميزان العرب» (العمدة، ج١، ص٢٧ - ٢٩). ولقد زعم ابن رشيق «ان الأوزان قواعد الألحان

والأشعار معايير الأوتار» (العمده، ج١، ص٢٦)، فهل في هذا القول تناقض مع الرأي الذي أثبتناه أعلاه؟.

يبدو لنا أن الشعر والغناء كانا يشكلان وحدة متكاملة، فالشعر في تلك الفترة يُنشد ولا يُقرأ، ولذلك تشكل من وحدتهما قوالب شعرية/ غنائية متعارف عليها، وسعى الشعراء المنشدون لِصَبِّ ما تنتجه بنات أفكارهم فيها دون كبير عناء. ونشبّه ذلك بما نسمعه من الشعر الشعبي الذي ينتظم حسب أغان متوارثة أو نماذج زجلية مشهورة. ولذلك فان قول ابن رشيق صحيح في رأينا وعكسه صحيح أيضاً.

ومن هذا المنطلق سنسبر غور الأشعار/ الأغاني لنصل الى الأوزان الشعرية/ الغنائية العربية التي شهدت الجاهلية حضانتها وولادتها ويفاعتها، ولعلّه في عصرنا الحالي يعود اليها شبابها.

وفي أبحاث سابقة استقصينا علاقة الشعر العربي بالغناء (حمام، مجلة القاهرة)، وأسس وزن الشعر العربي (حمام، آفاق عربية)، والأهمية الموسيقية للاشباع والتحريك في الشعر العربي (حمام، مجلة أبحاث اليرموك)، وكان منهجنا أن نعتمد على الشعر العربي، الذي حفظ أوزان الجاهلية من الاندثار بسبب التدفق الثقافي الذي عمّ الوطن العربي قديماً والذي يتسارع أثره حديثاً، في استنباط الأوزان الشعرية/ الموسيقية التقليدية. كما اتجهنا الى مصادر أخرى كان لها أهمية كبيرة في تنقيبنا عن الأوزان العربية وهي:

أ ـ الغناء البدوي: الذي حافظ بأقل قدر ممكن من التغييرات على الغناء العربي الجاهلي، وذلك لبعده عن مراكز الثقافة المؤثرة، والتي دخلها المدّ الأعجمي. ويتصف الغناء البدوي ببساطة الألحان وتكرارها حرفياً أو مع بعض الاختلاف لكل شطر من أشطر القصيدة، دون انقطاع أو سكنات. ومن اوزانه ما يكون فرديا ($\frac{7}{4}-\frac{9}{4}-\frac{11}{4}$) أو زوجيا ($\frac{4}{4}-\frac{6}{4}-\frac{8}{4}$) وكأنها أوزان مركبة من المقاييس البسيطة. (حمام، أصالة القوالب الغنائية البدوية، التراث الشعبي، بغداد).

ب ـ المصادر الأدبية: تبيّن من المصادر الأدبية المتوافرة، والشحيحة بالمعلومات عن الايقاع الجاهلي، ومقارنتها بماتوافر من معلومات عن الايقاع الاسلامي، ان وزن الشعر العربي كان في الجاهلية متفقاً مع وزن الغناء. واتضح أن العرب لم تكن لتطيل المقصور ولا تقصر الممدود في غنائها، أما في العصور الاسلامية أدّى المد الثقافي الأجنبي الى تبنّي العرب نظاماً وزنياً جديداً في الغناء مختلفاً عن ذاك المعهود في العصر الجاهلي. كما أن العرب لم تستعن بالنبر في تحديد الوزن، بالرغم من استخدامه فعلاً في الموسيقى والشعر.

جـ ـ علم العروض: حافظ علم العروض على أوزان الشعر العربي من الضياع، وبالرغم من تعقيداته إلا أنه أدّى لهذا البحث خدمات جليلة في معرفة الأوزان الجاهلية من خلال جمعه وترتيبه للأشعار العربية وحصره لزحافاتها وعللها.

د ـ أبحاث حديثة في وزن الشعر العربي: منذ الربع الأخير من القرن الماضي والباحثون يحاولون التوصل الى فهم أفضل لوزن الشعر العربي، ومنهم العرب ومنهم المستشرقون، من أمثال: غيارد (S. Guyard)، وفايل (Weil)، والأب الفرنسيسي؛ ومن العرب نذكر: الأب خليل اده اليسوعي، وابراهيم أنيس، وشكري عياد، وكمال ابو ديب، وسعيد بحيري، ومحمد العياشي. وتبيّن أن هذه الأبحاث لم تصل الى نتيجة مُقنعة في الكشف عن أوزان الشعر العربي لأنها اعتمدت على تحليل الشعر من الناحية اللفظية فقط، متناسية أو مهملة البعد الموسيقي الضروري لفهم مسألة الوزن الشعري. أما تلك الابحاث التي تنبهت لدور الموسيقى، فلم تصل بالموضوع الى شط الأمان لاهمالها حقائق تاريخية ـ كالتغير الايقاعي الذي حدث بعد الاسلام ـ او لفرضيات عوملت معاملة الحقائق.

بالرغم من الهنات التي اعترت هذه الأبحاث والدراسات، الآ أنها ذات قيمة جيدة لهذا البحث، اذ أنها عرضت مشاكل وزن الشعر العربي المتنوعة؛

وان هي أخفقت في الوصول الى حلّ جذري للمشكلة، الآّ أنها ساهمت في انبثاق الحل الموسيقي الذي نحن بصدده.

من خلال المصادر سابقة الذكر، تم استنتاج صفات الايقاع الشعري/ الموسيقي التقليدي وهي:

أ ـ اعتمد الوزنُ النبرَ الموسيقيّ وليس اللغوي.

ب ـ يتكون اللحن والوزن من جزئين يُفترض فيهما التناظر والتساوي.

جـ ـ ان قوافي الشعر الجاهلي تشير الى القفلات الموسيقية.

د ـ قد يختلف عدد المقاطع اللفظية من شطر لأخر في القصيدة الواحدة، ولكن ذلك لا يؤثر على الوزن الشعري/ الموسيقي.

هـ ـ الاشباع والتحريك مبدآن معمول بهما في الوزن الشعري/ الموسيقي.

ننتقل الى تدوين الوزن الشعري/ الموسيقي بالكتابة الموسيقية، ونتدرج في ذلك ابتداء من الكم الزمني وثم نعكف على قضية النبر؛ وهكذا انبثقت النتائج الكمية التالية:

١ ـ يأخذ المقصور مدة ذات سن (♪)، والممدود مدة سوداء (♩).

٢ ـ يأخذ الممدود الذي يتلوه مقصور واحد فقط مدّة سوداء منقوطة (♩.).

٣ ـ يمكن أن تستبدل الصيغة (♩. ♪) بالشكل (♪. 𝄾 ♪) فقط، أي بمقصورين.

٤ ـ يمكن أن تستبدل الصيغة (♩ ♩) بالشكل (♩. ♪) فقط، أمّا في بحر الوافر، والكامل، والخبب فتنقلب الى الشكل (♩ ♪♪).

٥ ـ في القفلة يمكن استبدال احدى الصيغتين السابقتين (♩. ♪) (♩ ♩) بالبيضاء (𝅗𝅥).

٦ ـ لا يجوز استبدال الشكل (♩. ♪) المستبدل من الصيغة (♩ ♩) بمقصورين (♪. 𝄾 ♪).

وعن البحث في النبر انبثقت النتائج التالية:

١ ـ تحمل السوداء المنقوطة النبر الأساس.

٢ ـ في المقياس الثنائي ($\frac{2}{4}$ ♩ ♩) المكون من الصيغة (♩ ♩) يكون النبر

على السوداء الأولى .

٣ ـ يقع النبر على السوداء المنقوطة ، أي الزمن الأول في المقياس الثلاثي .

٤ ـ يقع النبـر القوي على السوداء المنقوطة في الوزن الرباعي ، أما النبر المتوسط فيقع على الزمن الثالث منه ، وهو الزمن الأول في الصيغة (♩ ♩) .

٥ ـ هناك أوزان بسيطة تستخدم مقياساً بسيطاً واحداً ، وأوزان مركّبة ومكونة من مقياسين بسيطين أو أكثر.

٦ ـ يمكن لبعض الأوزان أن تبتدىء بأزمنة تمهيدية (Anacrusis) ، ويكون موقعها على الأزمنة الخالية من النبر.

٧ ـ تكون القفلة ذكرية ، اذا ابتُدِىء الوزنُ بأزمنة تمهيدية ، أمّا اذا ابتدِىء بأول الخانة (الحقل) المنبور، فتكون القفلة أنثوية أي غير منبورة .

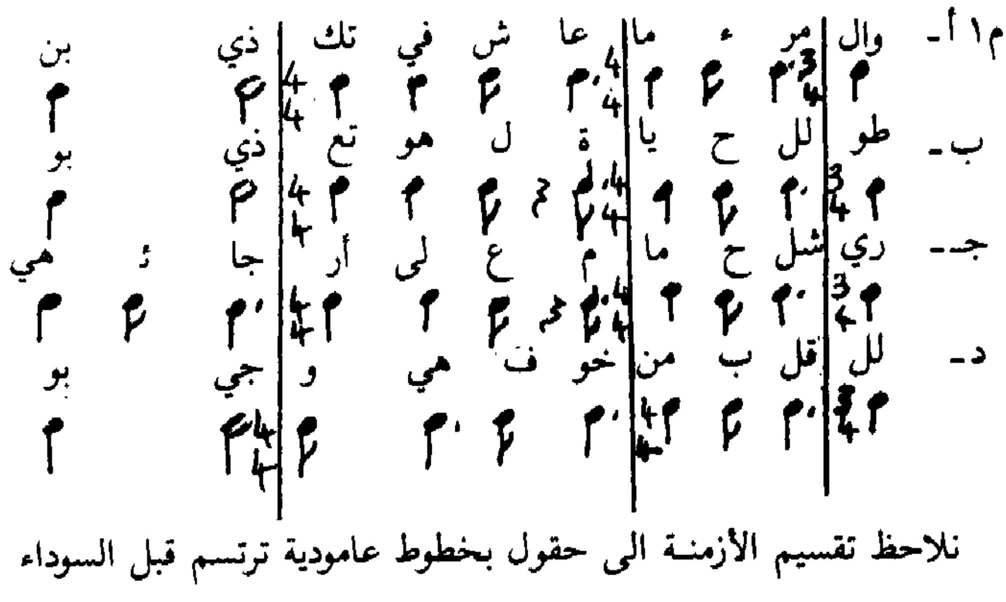
٨ ـ لا يعتري القِصَرُ ثالثة الوزنين الثلاثي والرباعي .

٩ ـ تنتـظم الأشعـار العـربية في أوزان موسيقية تتكون من أحد المقاييس البسيطة ، أو مركبة من اثنين أو ثلاثة منها ، وهذه هي المقاييس البسيطة : ($\frac{2}{4}$ - $\frac{3}{4}$ - $\frac{4}{4}$) . وهذا أحد الأمثلة للتوضيح :

أ ـ يقول عبيد بن الأبرص (شنقيطي ، ص١٥٥) :

والمرءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبِ طُولُ الحَياةِ لَهُ تَعذِيبُ

رِيْشُ الحَمَامِ عَلى أَرْجَائِهِ لِلْقَلْبِ مِنْ خَوفِهِ وَجِيْبُ



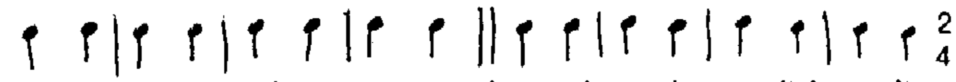
نلاحظ تقسيم الأزمنـة الى حقول بخطوط عامودية ترتسم قبل السوداء

المنقوطة، وهي التي تحمل النبر القوي. يتكون الوزن من المقاييس التالية (…)، ويبدأ بزمن تمهيدي بمقدار السوداء (…) أي الوحدة الزمنية. نلاحظ أن الزمن التمهيدي يقع على رابعة المقياس الرباعي الخالية من النبر، ولذلك أتت القفلة على ثالثته المنبورة.

أمّا المقياس الثنائي فيتكون من الصيغة (…) التي يمكن أن تستبدل بأحد الشكلين التاليين وذلك حسب الوزن (البحر): (…) أو (…)؛ والمثال التالي من شعر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. (التبريزي، ص١٩٦):

إنَّ الدُّنْيا قَدْ غرَّتْنا وَاسْتَهْوَتْنا وَاسْتَلْهَتْنا

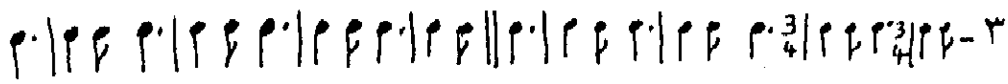
م٢ ـ ان ند دن يا قد غر رت نا واس تهـ وت نا واس تل هت نا



والبيت التالي في الوزن الثلاثي لبشر بن حازم (التبريزي، ص١٨٣):

فأمّا تميمٌ، تميمُ بنُ مرٍّ فَألفاهُمُ القومُ رَوْبَى، نِيَامَا

م٣ -



بعد هذا العرض يجدر التذكير بالتغيرات التي تعتري الصيغ الايقاعية.

أ ـ الصيغة الأساس (…) وهي التي تبدأ بها الخانة (عدا الخبب)، يمكن أن تتحوّل الى الشكل (…) فقط.

ب ـ يمكن للصيغة (…) أن تتحوّل في كل البحور الى (…) عدا أوزان الوافر، والكامل، والخبب، حيث يمكن أن تتحول بها الى الشكل (…) فقط. ولذلك فان جميع المقاييس البسيطة التي تكوّن الأوزان لا تخرج عن هاتين القاعدتين.

كما نُذكّر بأن القِصَر لا يعتري ثالثةَ الوزنين الثلاثي والرباعي؛ وقد يزيد زمنها بمقدار نصف وحدة زمنية في المقياس الرباعي، بما يوافق التغيرات

التي تعتري الصيغة (م م) والسبب يكمن في موقع ثالثة المقياس حيث يمكن لما قبلها ولما بعدها أن تُقصَر فيزيد بذلك عدد المتحركات عن اثنين، وهذا ما لم يوافق الشاعرية العربية الجاهليّة. ولذلك استُحسِن للثالثة أن تبقى ممدودة.

الاوزان (الايقاعات) الجاهلية:

انطلاقاً من العلاقة الأزلية بين الغناء والشعر، قام العرب بابتكار اشعارهم وغنائهم. وكان الغناء يشمل الوزن الشعري واللفظ المتناسق معه تناسقاً عجيباً يجعل المرء يذهل أمام العبقرية العربية التي شذّبت هذه الأوزان، ووضعتها في صيغ لا تخرج عن نطاق الحدود التي وفّرتها اللغة العربية والذوق والحس الموسيقي والايقاعي السّليمين. ولم تقف هذه القواعد حائلاً، بل ساهمت في عملية الابتكار الشعري والموسيقي. وهذه العملية التي قد تبدو لنا بسيطة الآن، كانت ولا شك عملية صعبة في عصر عزّت فيه الوسائل كالكتابة، والعلوم الموسيقية وكتابتها. وقد يبدو لنا الابتكار متواضعاً وبطيئاً، ولكنه، حسب طبيعة العصر، لم يتوقف مطلقاً وأن الفاعليّة العربية استمرّت في العطاء المتواصل الدؤوب.

استنادا على هذه الدراسة يُتَوَقّع قيام تحليلات أعمق للكشف عن مراحل تطوّر الشعر والغناء الجاهليين، وذلك بتتبّع الجديد عند كل شاعر من شعراء الجاهلية. ولقد رصدنا بعض النواحي التي يجري فيها الابتكار وهي:

١ ـ القوافي وتنوعاتها.
٢ ـ تعديل طول البحر بالقَصْرِ أو التطويل.
٣ ـ ابتكار بحور جديدة.
٤ ـ ابتكار صيغ ايقاعية جديدة.

ومن خلال استعراض الأوزان، سنتطرق لمثل هذه التجديدات. ولقد انتهجنا ترتيبا آخر مغايراً لِعلم العروض في ترتيب البحور الستة عشر آخذين بالاعتبار المقاييس التي تتكوّن منها البحور. ولكن حافظنا على اسماء البحور

لما فيها من لمسة رومانسية، ولربط هذا البحث روحياً مع عمل الخليل بن أحمد أول مبدع لعلم العروض العربي.

أولاً - الوزن الثنائي:

وهما بحران يتكوّن وزناهما من تكرار مقياس واحد فقط وهو المقياس الثنائي.

أ - الخبب الأول:

١ - بيته : لقد ورد في المثال (م ٢)، وهو من شعر عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ونعتبره نموذجاً لهذا الوزن؛ والبيت جزء من خمسة أبيات لها وزن واحد ونضيف هنا أحدها (التبريزي، ص١٩٧):

مَا مِنْ يَومٍ يَمْضِي عَنَّا إلاّ أوْهَى، مِنّا، رُكْنَا

٢ - وزنه : له وزن يتكون من أربعة حقول (خانات) من المقياس الثنائي ($\frac{2}{4}$) للخانة الواحدة.

م ٤ -


٣ - بدايته : يبدأ على الزمن الاول من الخانة الحامل للنبر.

٤ - التغيرات الايقاعية : يعتريه تغير واحد فقط وهو تحوّل الصيغة (♩ ♩) الى الشكل (♩ ♪ ♪). وأمّا تحوّل الصيغة (♩ ♩) الى الشكل (♩ ♪) فغير ممكن لأنّه سيؤدي الى الرجز، ولذلك لم تستخدم الصيغة (♩ ♪) لتكوين بحر منفرد، لأنه سيشابه الرجز وسيصعب تمييزه.

٥ - قفلته : له قفلة أنثوية، وهي التي تقع على الزمن الخالي من النبر، وهو هنا الزمن الثاني من المقياس الثنائي ($\frac{2}{4}$♩ ♩). ولكن قياسا على القاعدة التي تسمح باستبدال الصيغة (♩ ♩) الى بيضاء (𝅗𝅥) في القفلة، فإن ركوز القفلة على المنبور محتمل الورود. والقفلة الذكرية، التي تقع على الزمن المنبور تكون أقوى تأثيراً وأثبت قرارا.

ب ـ الخبب الثاني :

١ ـ بيتـه : يبدو أن هذا الوزن قليل ونادر، والبيت التالي يورده التبريزي دون نسبة لشاعر، وهو (التبريزي، ص١٩٥) :

أَبَكَيْتَ، عَلَى طَلَلٍ ، طَرَبَا   فَشَجاكَ، وَأَحْزنَكَ، الطَّلَلُ؟



٢ ـ وزنـه : يتكوّن وزنه من أربع خانات من المقياس الثنائي، ويمكن أن تكون ثلاثة فقط في كل شطرة (قياساً).

٣ ـ بدايتـه : يبـدأ وزن الخبب الثـاني بسوداء (٢) كزمن تمهيدي، ويمكن أن يستبدل باثنتين من ذات السن. وتقع السوداء التمهيدية على الزمن الخالي من النبر.

٤ ـ التغيرات الايقاعية : تستبدل فيه الصيغة (٢ ٢) بالشكل (٢٢٢) فقط.

٥ ـ قفلته : تركز قفلة الخبب الثاني على الزمن الأول من الوزن الثنائي حامل النبر، فهي قفلة ذكرية.

ثانياً ـ الوزن الثلاثي :

ومنه نوعان وهما :

أ ـ المتدارك :

١ ـ بيته : يبدو أن هذا الوزن قليل الورود أيضاً في العصر الجاهلي. والبيت التـالي يورده التبـريزي دون نسبـة لشـاعـر (التبريزي، ص١٩٤. مصطفى، ص١٤٧)

جاءَنا عامرٌ، سالماً، صالحاً   بعدَ ما كانَ ما كانَ مِن عامِرِ



٢ ـ وزنه: له وزن مكون من اعادة المقياس الثلاثي أربع مرات لكل شطرة، وقد يتوالى في المجزوء ثلاثاً (انظر التعليق على وزن المتقارب ادناه).

٣ ـ بدايته: يبدأ بالزمن الاول المنبور في خانة المقياس الثلاثي.

٤ ـ التغيرات الايقاعية: يمكن فيه استبدال الصيغة (٠٠) بالشكل (٠٠٠) فقط. وفي حالة الأبيات المنفردة يلتبس الأمر على السامع اذا كان كل البيت قد تعرض للاستبدال، فلا يعرف لأي وزن ينتسب، أللمتدارك أم للخبب الثاني؟ وفي مثل هذه الحالة تكون المقارنة مع الأبيات الأخرى ضرورية.

٥ ـ قفلته: وله قفلتان:

أ ـ (٠ ٠ ٠) ولهذه القفلة تنوع واحد وهو (٠٠٠٠)

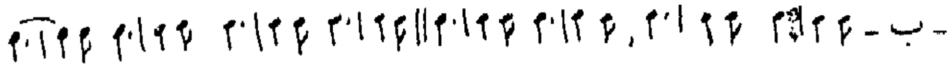
بَ ـ (٠ ٠) ونطلق عليها اصطلاحاً «القفلة التّامّة»، وتنشأ عن تحوّل الصيغة (٠ ٠) الى البيضاء (٠). ونلاحظ ركوزه على ثالثة المقياس الثلاثي الخالية من النبر، فقفلته اذن أنثوية.

ب ـ المتقارب:

١ ـ بيته: يوجد وفرة من القصائد الجاهلية في هذا الوزن ومنه قول الخنساء:

أعَيْنَيَّ جُودا ولا تَجْمُدا   ألا تبكِيانِ لِصَخرِ النَّدى
ألا تَبكِيانِ الجَرِيءَ الجَمِيلَ   ألا تبكِيانِ الفَتَى السَّيِّدا

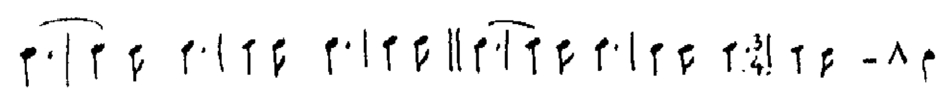
م ٧ أ ـ 

م ٧ ـ ب ـ 

٢ ـ وزنه: تحتوي شطرة المتقارب على أربعة حقول من المقياس

الثلاثي ؛ ومن المتقارب ما تحتوي أشطره على ثلاثة حقول فقط. ويجدر التنويه بأن عدد الحقول في الأوزان وحيدة المقاييس لا يؤثر على الوزن، إذ يمكن اعتبار المقياس هنا مساوياً للوزن، وانما هو مكرر عدة مرّات في الشطرة. ومن مجزوئه (التبريزي، ص١٨٨):

أمِنْ دِمْنةٍ أَقْفَرَتْ   لِسلْمَى بذَاتِ الغَضَى



٣ ـ بدايته: يبدأ بذات سنّ وسوداء (♪ ۴) كأزمنة تمهيدية، ويقعان في الموضع الخالي من النبر في المقياس الثلاثي.

٤ ـ التغيرات الايقاعية:

أ ـ يمكن فيه استبدال الصيغة (۴٠ ♪) بالشكل (۴ ۴ ♪).

ب ـ تغير القافية.

٥ ـ القفلات: للمتقارب ثلاث قفلات وهي:

ـ (♪ ۴ |۴٠) وهي القفلة الطبيعية للمتقارب، اذ ينتهي نهاية ذكرية، على الزمن الأول في الخانة وهو منبور (انظُر رَويّ العروض في م٧ب).

ـ (۴٠ ♪ ۴ |۴٠) وهذه القفلة كثيرة الحدوث والاستعمال، وهي تعيد لذاكرتنا الجامحة (Synkope) ★، ويتهيّأ للسامع وكأن الوزن اختل وأصبح ثنائياً ($\frac{2}{4}$ ۴٠ ♪ $\frac{3}{4}$)، والقوس في الموسيقى يفيد في ربط زمن الرموز الموسيقية.

ـ (♪ ۴ |۴٠) ومثال هذه القفلة بيت يورده صاحب العقد الفريد (العقد، ج٥، ص٤٩٤):

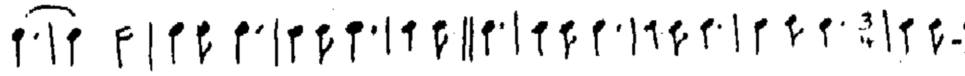
خليليّ عُوجَا عَلى رَسْم دارٍ   خَلَتْ مِن سُلَيْمَى ومِنْ مَيَّة

★ الجامحة: تعني وصل الصوت الخالي من النبر بالمنبور فيصبحان صوتاً واحداً مستمراً. والنبر بهذه الحالة يختفي من مكانه ويصبح وكأنه انتقل الى المكان الخالي من النبر الذي سبقه.

م ٩ - 

ومثله قول عبيد بن الأبرص (الأغاني، ج٢٣، ص٦١٤):

هيَ الخمْرُ تُكنى بأمّ الطِّلاءِ   كَمَا الذِّئبُ يُكْنَى أبا جَعْدَهْ

م ١٠- 

بسبب الجامحه، توحي هذه القفلة للسامع وكأنها تركز على منبور.

ثالثاً ـ الوزن الرباعي:

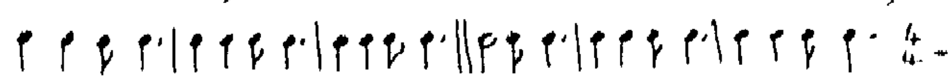
ونقصد بذلك الأوزان التي تستخدم مقياساً واحداً وهو المقياس الرباعي. ومن هذه الأوزان فصيلتان؛ الأولى وتستبدل بها الصيغة (♩ ♩) بالشكل (♩. ♪)، والثانية تستبدل بها نفس الصيغة أعلاه بالشكل (♫ ♪) فقط.

الفصيلة الأولى: ينتسب لهذه الفئة كل من الرمل، والهزج، والرجز، ونوع من السريع. وسنتناول الأخير عند مناقشة وزن السريع في الأوزان المركبة.

أ ـ الرمل:

١ ـ بيته: يذكر ابن عبد ربّه البيت التالي من الرّمل (ابن عبدربه، ج٥، ص٤٨٧):

مِثْلَ سُحقِ البُرْدِ عَفَّى بَعدكَ الـ   ـقَطْرُ مَغْناهُ وَتأويبُ الشَّمالِ

م ١١ - 

٢ ـ وزنـه: يتكرّر المقياس الرباعي ثلاث مرات في شطرة الرّمل. وقد يتكرّر مرتين فقط، ومثاله البيت التالي للخنساء (ديوانها، ص٧٠):

فَدُمُوعُ   العَيْنِ   مِنِّي   فَوْقَ   خديّ   وَكِفَهْ

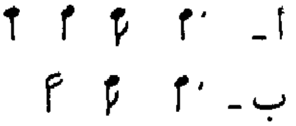
م ١٢ - 

٣ ـ بدايتـه: يبدأ هذا الوزن بالزمن الأول حامل النبر القوي في الخانة.

٤ ـ التغيرات الايقاعية: يمكن للصيغة الأساس (♩. ♪) أن تتحوّل الى

الشكل (…)؛ كما يمكن للصيغة (…) ان تستبدل بالشكل (…) فقط. وفي القفلات (العروض والقافية) يمكن أن تنقلب الصيغة (…) الى بيضاء. (…).

٥ ـ القفلات: للرمل قفلتان وهما:

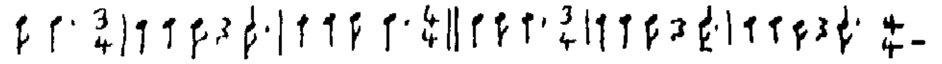


ويجدر التنويه بأن لهما تنوّعاً يتم في حالة استبدال الصيغة (…) بالشكل (…). أما القفلة الأولى فأنثوية لأن آخر صوت فيها يقع على الزمن الخالي من النبر، ولذلك فهي أضعف اقناعاً بالنهاية من القفلة الثانية. وفي القفلة الثانية التمس الشاعر باختصاره مقطعاً لفظياً أن يحصل على قفلة ذكرية قوية التأثير.

في المثال (م ١٢) نجد اختلاف قفلة العروض عن القافية، فالأولى منهما أنثوية والثانية ذكرية، وبالارتكاز على مبدأ التناظر نستنتج بسهولة انقلاب الصيغة (…) في قفلة القافية الى بيضاء (…)، ولكن في البيت التالي حيث القفلتان من النوع الثاني، فان الأمر أدعى للتساؤل عن حقيقة الوزن. والبيت التالي لامرىء القيس (ديوانه، ص٧٩):

وتَرى الضَّبَّ خَفِيفَا مَاهِرا ثَانِيَاً بُرْثُنُهُ مَا يَنْعَفِرْ

م ١٣ ـ



يجدر التنويه بأن وزن القصيدة كلّها يلتزم هذه القفلة. ولا يوجد دليل يثبت أن ثالث خانة في الوزن رباعية المقياس. بينما تشير الدلائل على ثلاثية مقياسها. فاذا صحّ هذا التصوّر فان ذلك يعني أننا بصدد وزن مختلف عن وزن الرمل، ويتكوّن من المقاييس ($\frac{4}{4}+\frac{4}{4}+\frac{3}{4}$). وان ما يدعم هذا التصور ما نراه من تعديلات وزنية في غناء البدو، ومثال ذلك ما يطرأ على وزن «الهجيني». فللهجيني وزن يتكون من اثنتي عشرة وحدة زمنية (حمام،

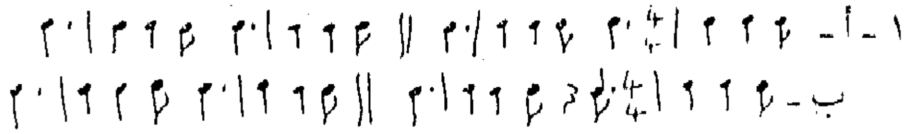
أصالة القوالب الغنائية البدوية، بحث مقبول للنشر في مجلة التراث الشعبي ولم ينشر بعد، بغداد)، ولكن قد يقتصرُ وزن بعض أمثلة الهجيني على احدى عشرة وحدة فقط. كما أن القافية في (م ١٣) تميل الى القطع الذي يتسق والقِصَر ولا يصلحُ معه المدّ. ولذلك نميل في مثل هذه الحالات الى الأخذ بالوزن المعدّل لأنّه يتناسب والفاعلية العربية في تنويع الأوزان والابداع والتحديث. وهذه الحالات تفتح آفاقاً جديدة للابداع الوزني المعاصر معتمدة على أسس تراثية حقّة كما كانت سابقاً: وكما تفسر اختلافات القوافي والالتباسات التي تعرّض لها العروضيون ومن سار على سُنّتهم في استخدام المقاطع اللفظية لتفسير أوزان الشعر العربي.

ب ـ الهزج:

١ ـ بيته: مما كانت العرب تتغنّى به في أفراحها الأبيات التالية (الأسد، ص٥٣):

أتيناكُمْ أتيناكُمْ فَحيُّونا نُحَيِيكُمْ
ولولا الذّهبُ الاحمَرُ مَا حَلَّتْ بَوادِيكُمْ
ولولا الحبَّةُ السّمرا ءُ لَمْ تَسمَنْ عَذَارِيكُمْ

م ١٤ ـ أ ـ / ب ـ



٢ ـ وزنه: يتكوّن وزن الهزج من مقياسين رباعيين في الشطرة الواحدة. وهذا الوزن يناسب غناء الأفراح والرقص، وذلك ما توحي به الرّوايات التاريخية. ومنه أيضاً (الأسد، ص٥٤):

تَغَنّيْنَ تغنّينَ فلِلّهو خُلِقْتُنَّ

٣ ـ بدايته: يبدأ هذا الوزن من أزمنة تمهيدية تتكوّن من ذات السن والصيغة ( )، وذات السن تقع على الضعيف الخالي من النبر. وتفيد الأزمنة التمهيدية في الرقص بتهيئة الراقصين للبدء بالخطوة الأولى على المنبور من الوزن، ولعل هذا هو سبب وجود الأزمنة التمهيدية في الهزج.

٤ ـ التغيرات الايقاعية: لا تخرج هذه التغيرات عن قواعد الاستبدال الأساسية:

أ ـ استبدال الصيغة (٠م   م) بالشكل (٠م ٣ م).

ب ـ استبدال الصيغة (م م) بالشكل (٠م   م).

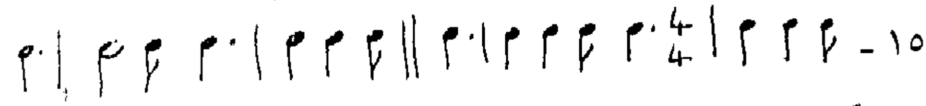
وتجب الاشارة هنا الى أن استبدال الصيغتين معاً مسموح، حسب ما توحي به الشاعرية العربية، طالما أنه لا يتعارض مع محذور توالي أكثر من متحركين، كما يتضح في الشكل التالي (م ٠م م | ٠م ٣ م). وهذا يفسر ما قصد اليه العروضيون بظاهرتي التراقب والتعاقب.

٥ ـ القفلة: وله قفلتان ذكريتان، أي تستقرّان على الزمن المنبور.

أ ـ القفلة الطبيعية (م م م | ٠م) المستوفاة

ب ـ القفلة التامة (م م | ٠م)، وفيها تستبدل الصيغة (م م) بالبيضاء (م)، ومثالها البيت التالي (العقد، ج٥، ص٤٨٤):

وما ظَهرِي لِباغِي الظُّلم بالظَّهرِ الذَّلُولِ

م ١٥ ـ 

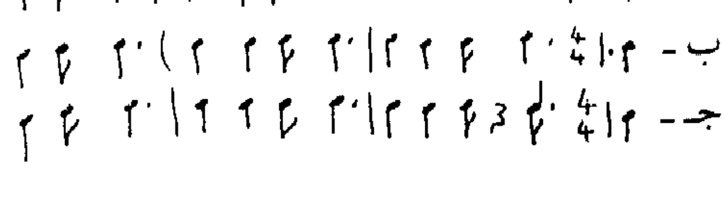
جـ ـ الرّجز:

بيئته: يبدو أن العصر الجاهلي استخدم الرجز للعمل وفي الحرب والمواقف البالغة الإشارة، وفيها يُرتَجل الرّجزُ ببداهة ودون تشذيب ولا صنعة. ولذلك أتى جُلّه مشطوراً. ومن الحطيئة انتقينا الأبيات المشطورة التالية (ديوانه، ص٢٣٨):

قد كنتُ أحيانــاً شَديد المُـعْـتَمَــدْ

قد كنتُ أحيانا على الخصم الألَـدْ

قد وَرَدَتْ نفــسِــي ومَــا كادتْ تَرِدْ

م ١٦ أ ـ ب ـ جـ ـ 

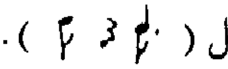
٢ ـ وزنــه: ويتكوّن من تكرار المقياس الرباعي في الشطرة ثلاثا؛ وقد يتكرر، كما في المجزوء، مرّتين. وليس كل الرجز مشطوراً؛ يقول شهاب اليربوعي التالي (ديوان امرىء القيس، ص١٤٤):

قَايَظْنَنَا يَأكُلْنَ فِينا عَفَرَا نُطْعِمُها قِدّاً ومَحْرُوثَ الخَمَالْ

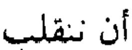
م ١٧ - 

٣ ـ بدايتـه: يبدأ وزن الرجز بزمن تمهيدي بمقدار وحدة كاملة، وهي رابعة المقياس الرباعي الخالية من النبر.

٤ ـ التغيرات الايقـاعية: تتـوافق هذه التغيرات مع قواعـد الاستبدال المعهودة وهي:

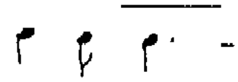
أ ـ استبدال الصيغة () بالشكل ().

ب ـ استبدال الصيغة () بالشكل ().

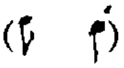
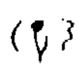
جـ ـ في القافية فقط يمكن أن نقلب الصيغة () الى البيضاء ().

ولا يتوالى في الرجز ثلاثة ازمنة من ذات السن بسبب الاستبدال؛ اذ ان ذلك يعتبر منافياً لمزايا الشعر العربي.

٥ ـ القفلة: للرجز قفلتان أساسيتان وهما:

أ ـ 

ب ـ 

وللقفلة (أ) تنـويع واحـد يحصل حين استبدال الصيغة الأساس () بالشكل ().

ومثال القفلة (ب) ما يروى للأعشى (ديوانه، ص٦٦):

إنَّ بَنِي قَمِيئَةَ بْنَ سَعْدِ
أدنَى لِشَرّ مِنْ كِلابٍ عُقْدِ
عَبْدانِ بَيْنَ عَاجِزٍ وَ وَغْدِ

م ١٨ - 

أمّا تنوع القفلة سابق الذكر فيرد في عروض البيت السابق لشهاب اليربوعي (م٢٤).

قفلة الرجز ذكرية، لأن نهايتها تقع على الزمن الثالث من المقياس الرباعي وهو حامل للنبر.

الفصيلة الثانية :

أ - الوافـــر :

كما سبق وذكرنا، فان الصيغة (♩ ♩) لا تتحوّل في هذه الفصيلة الاّ الى الشكل (♩ ♫ ♫) فقط.

١ - بيت الوافر: تقول الخنساء (ديوانها، ص٣٧) :

الاَ يا عَيْنُ فانْهَمِري بِغُدْرٍ وَفِيضِي فَيْضَةً مِن غيرِ نَزْرِ

م ١٩ - 

٢ - وزنـه : يتكوّن وزن الوافر من ثلاثة مقاييس من المقياس الرباعي أو من مقياسين فقط في الشطرة الواحدة.

٣ - بدايته : يبدأ الوافر بداية متشابهة مع الهزج مع فارق الاستبدال الذي تتميّز به هذه الفصيلة. فهو يبدأ بذات سن متبوعة بالصيغة (♩ ♩) كأصوات تمهيدية.

٤ - التغيرات الايقاعية: يمكن للصيغة (♩ ♫) ان تتحوّل الى الشكل (♫ ♩)، كما يمكن للصيغة (♩ ♩) ان تتحوّل الى (♩ ♫ ♫)، وكما سبق واشرنا في تغيرات الرجز من عدم جواز توالي أكثر من متحركين، نذكر ان الوافر يخضع لهذه القاعدة ايضا. ولقد اعتادت العرب أن تُشبع المقطع الذي يقع في موقع المدّ. وتتضح الصورة اذا كتبت بالرموز الموسيقية. ففي الرّجز وبحـور فصيلتـه يُحتمل توالي ثلاث متحركات اذا سَبقت الصّيغةُ (♩ ♩)

الصيغة الأساس (مٙ مٙ) وتمّ استبدال الاثنتين معا، وبذلك تصبح الصورة كما يلي: (م٠ مٙ | مٙ مٙ مٙ). وما يحصل في الفصيلة الأولى يحصل في فصيلة الوافر، ولكن في هذه الحالة تتوالى أربع متحركات بدلاً من ثلاثة، وتصبح الصورة كما يلي: (م مٙ مٙ | مٙ مٙ م)، وهذا ما رفضته العرب.

لقد نسب ابن عبد ربه البيت التالي الى الوافر وما هو منه بل هو من الهزج، وذلك لأن الصيغة (م م) تتحوّل فيه الى الشكل (م٠ مٙ)، وليس لابن عبدربه في ذلك سندا:

مَنازِلُ لِفرتنى قِفَارُ كَأَنّمَا رُسُومُها سُطُورُ

ويمكن ان تتحول الصيغة (م م) في القفلة الى بيضاء (م)

٥ ـ القفلة: لم نعثر على قفلة مستوفاة (مٙ م م | م٠) فيما توفّر لي من الشعر الجاهلي، ولذلك فان للوافر قفلة واحدة فقط وهي: (مٙ م | م٠)، والتـزَمَتْها الخنساء، كما التزمها الأعشى، والنابغة، وامرؤ القيس. ولذلك نميل الى الاعتقاد بأن أصلَ هذه البدعة من القفلات (القوافي) كان في الوافر. ولكن مجزوء الوافر يقفل بالقفلة المستوفاة كالبيت التالي (ابن عبدربه، ج٥، ص٤٨١):

أهَاجَكَ مَنْزِلٌ أقْوى وَغَيّرَ آيَهُ الغِيَرُ

م ٢٠ ـ مٙ م مٙ مٙ | م٠ م مٙ م م | م٠ || مٙ مٙ م مٙ مٙ مٙ | م٠ مٙ م مٙ مٙ | م٠

وعليه يمكن القول بأن للوافر قفلتين وهما:

أ ـ مٙ مٙ | م٠

بَ ـ مٙ م م | م٠

والقفلة (بَ) قد تعدّل بالاستبدال فتصبح (مٙ مٙ م م | م٠).

قفلة الوافر ذكرية، إذ إن آخر صوت فيها يقع على الزمن الأول الذي يحمل النبر.

ب ـ الكـامـل:

١ ـ بيتـه: يقول عنترة بن شداد (الشنقيطي، ص١١٠):

هَلْ غَادَرَ الشُعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

م ٢١ ـ 

٢ ـ وزنـه : يتكوّن وزن الكامل من تكرار المقياس الرباعي ثلاث مرّات في الشطرة. وفي مجزوئه يتكرر القياس الرباعي مرتين فقط.

٣ ـ بدايتـه : يبـدأ الوزن بصوت تمهيدي بمقدار وحدة زمنية واحدة، وهي رابعة الوزن الرباعي الخالية من النبر. وبما أن هذا الصوت التمهيدي هو نفسه ثاني الصيغة (٢ ٢) فبالامكان اذن استبداله باثنتين من ذات السن (٢ ٢).

٤ ـ التغيرات الايقاعية : يمكن فيه التحولات التالية :

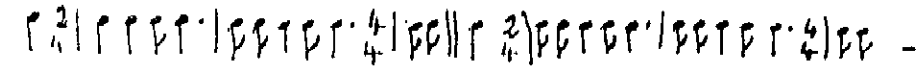
أ ـ يمكن للصيغة (٢ ٢) أن تتحوّل الى الشكل (٢ ٢ ٢).

بَ ـ يمكن للصيغة (٢ ٢) أن تتحول الى الشكل (٢ ٢ ٢).

جَ ـ يمكن للصيغة (٢ ٢) أن تتحول في القفلة فقط الى (٢).

دَ ـ قد يأتي وزن الكامل على وزن ($\frac{10}{4}$)، ويتكون في هذه الحالة من مقياسين رباعيين و واحد ثنائي ($\frac{4}{4}+\frac{4}{4}+\frac{2}{4}$)، وهذه حالة أخرى تُظهِرُ الشاعرية العربية فاعليتها الابداعية بها، حيث تولد وزن شبيه بالكامل وقريب له ولكنه مختلف عنه. ومثاله قول الحادره (ديوانه، ص١٠٣) :

أخذوا قِسّيهُمُ بأيْمُنِهِمْ　　يَتَعَظّلُونَ تَعَظُّلَ النَّمْلِ

م ٢٢ ـ 

هَـ ـ يمكن أن يتكـوّن شطر الكـامـل من خانتين فقط من المقياس الرباعي مع اضافة خانة واحدة من المقياس الثنائي للشطرة الثانية كالبيت التالي للأعشى :

قالتْ سُمَيَّةُ : مَنْ مَدَحْتَ فَقُلْتُ : مَسْرُوقَ بنَ وائِلْ

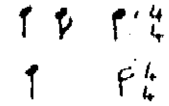
م ٢٣ ـ 

ومثله قول النابغة (ديوانه، ص٧٧) :

المرءُ يَأمَلُ أن يعيشَ، وطولُ عَيْشٍ قدْ يَضُرّهْ

٥ ـ القفلة: للكامل قفلتان ذكريتان وهما:

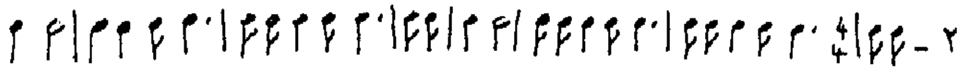
أ ـ
بَ ـ



جـ ـ ( )، وتأتي هذه القفلة في الوزن ($\frac{10}{4}$)، وفيه لا تتحوّل الصيغة ( ) الى بيضاء ( )، بل تتحول الصيغة ( ) الى البيضاء، (انظر م٢٣). أمّا كمثال للقفلة (بَ) فنورد البيت التالي (امرؤ القيس، ديوانه، ص١٥٥):

لِمَنِ الدّيارُ غَشَيْتُها بِسُحامِ فَعَمَايَتَيْنِ فَهُضْبُ ذِي إقدَامِ

م ٢٤ ـ

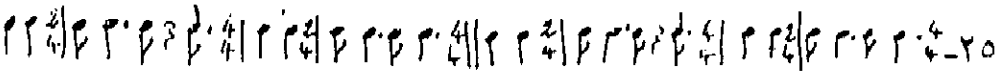


رابعاً: وزن مركب من مقياس رباعي وآخر ثنائي:

ينسب التبريزي وابن عبدربه البيتَ التالي الى الخفيف (التبريزي، ص١٥٩؛ العقد، ج٥، ص٤٩١):

يا عُمَيْرُ، ما تُظهِرُ مِنْ هَواكَ أوْ تُجِنُّ، يُسْتَكْثَرُ حِينَ يَبْدُو

م٢٥ ـ



وكما نلاحظ فان هذا الوزن يتكوّن من مقياس رباعي ومقياس ثنائي ($\frac{6}{4}$) وليس له أية صلة أو قرابة مع الخفيف الذي ستتضح صورته لاحقا.

وبما أن هذا هو البيت الوحيد الذي يشير الى الوزن الرباعي الثنائي، ولم تقل العرب بهذا الوزن شعرا، فاننا نسقطه من أوزان الجاهلية، بالرغم من اعتقادنا بامكانية استخدامه.

وناحية أخرى تجب اثارتها في هذا المضمار وهي: أن العروضيين أتوا بأشعار مفردة لاثبات وجود زحافات في بعض البحور، وقد يكونوا أقحموها عليها، وهي ليست منها، فيجب ألاّ تنزلق معهم في بطلانهم. ولقد مرّ في الوافر على ذلك مثال.

خامسا: أوزان مركبة من المقياسين الثلاثي والرباعي ($\frac{7}{4}$):

أ ـ الطويل: لقد كان الطويل في الجاهلية أكثر البحور استخداما، فلم ينج شاعر من اغراء النظم به.

١ ـ بيته: يقول النابغة (ديوانه، ص٢٩):

يَقُولونَ حصنٌ، ثمَّ تَأبى نُفُوسُهُمْ   وَكَيفَ بِحِصْنٍ، والجِبالُ جُمُوحُ

م ٢٦ ـ 

٢ ـ وزنه: يتكون وزن الطويل من المقياسين الرباعي والثلاثي، ويتكرر الوزن ($\frac{7}{4}$) مرتين في الشطرة الواحدة.

٣ ـ بدايتـه: يبدأ الطويل بأزمنة تمهيدية بمقدار (♪♩)، وهي تقع على أزمنـة خالية من النبر في الوزن الثلاثي. ونلاحظ أن للبدايات علاقة كبيرة بالقفلات، فهي تحدد موقعها في الحقل، وتنبّيء بمكانها نبريا. وفي حالة الطويل نتنبّأ بأن له قفلة ذكرية يقع آخر أصواتها على الزمن الأول من المقياس الثـلاثي. ونقـطة أخـرى تجـدر اشـارتها هنا وهي ميل العرب الى الابتداء بالمقصور أو المتحرك، وكذلك الابتداء بالخالي من النبر بزمن السوداء. ففي ابتـدائهم بالمقصـور تتم لهم قفلة على ممدود، اذ لا يمكن الوقوف على مقصـور؛ وفي هذا تعليل الاشباع في القوافي أيضاً. وكذلك فإن الابتداء بالخالي من النبر يهيّء للمنبور كرسيّ الاستقرار مما يعطي النهاية فِعْلاً أقوى في المستمع.

٤ ـ التغيرات الايقاعية: نلاحظ في المثال (م٢٦أ) أن الصيغة الأساس (♩. ♪) تستبدل أحياناً بالشكل (♪ 𝄾 ♪). ويمكن للصيغة (♩ ♩) أن تتحول في القفلة فقط الى بيضاء (𝅗𝅥)، كما يمكن لها أن تستبدل بالشكل (♩ ♪).

قد يصدف أن تهمل ذات السن في بداية الوزن (البيت)، فيبدأ الشاعر بالسـوداء مبـاشـرة. في مثـل هذه الحـالـة لا يتغيّر الوزن بشكل جذري، فالأصوات التمهيدية فقط التي تغيرت، وانما بقي الوزن ($\frac{7}{4}$) كما هو لم يصب بسوء؛ ولأجل التعادل الكمي يمكن اطالة آخر صوت في القفلة بمقدار

نقص البداية، أو وضع اشارة سكوت بمقدار الزمن المهمل في البداية، ومثال ذلك البيت التالي لامرىء القيس (ديوانه، ص٨١):

أبلغ بَني زَيدٍ اذا ما لَقِيْتَهُمْ   وأبْلغ بَنِي لُبْنَى وأبْلغْ تُمَاضِرَا

م ٢٦ ـ 

وتجدر الاشارة إلى نُدرة مثل هذا الزحاف.

٥ ـ القفلة: للطويل قفلتان ذكريتان وهما:

أ ـ قفلة أساسية مستوفاة ([illegible])، ولها تنوعان بحسب قواعد الاستبدال وهما: ([illegible]) و ([illegible])، وقديجتمعان معا ([illegible]).

ب ـ قفلة تستبدل فيها الصيغة ([illegible]) بالبيضاء ([illegible]).

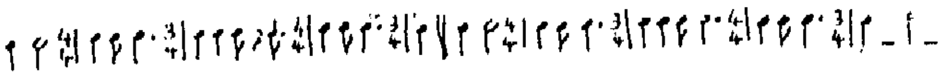
كثيرا ما ينتهي العروض بالقفلة التالية ([illegible])، بينما ينتهي البيت (القافية) غالبا بالقفلة ([illegible]). وهذا يدعو الى الاعتقاد بأن للعروض قفلة ذات صفة مُرورية غير تامّة. وقد يكمن تعليل ذلك في تكوين اللحن الذي قد يقف في العروض على غير صوت القرار، بينما تقف القافية عليه.

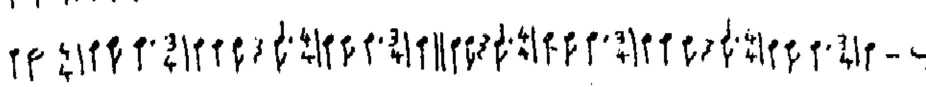
ب ـ البسيط:

١ ـ بيتـه: تقول الخنساء (ديوانها، ص٥٤):

يا عَينِ جُودي بدمْعٍ مِنْك مِدْرار   جُهْدَ العَويلِ كَمَاءِ الجَدْولِ الجَاري

وابكِي أخَاكِ وَلا تَنْسَيْ شَمَائِلَهُ   وابْكي أخَاكِ شُجَاعاً غير خوّارِ

م ٢٧ ـ أ ـ 

ب ـ 

٢ ـ وزنـه: يتركب وزن البسيط من المقياسين البسيطين ([illegible])، ويتكرر الوزن مرتين في كل شطرة.

٣ ـ بدايتـه: يبدأ الوزن بصوت تمهيدي بمقدار سوداء واحدة، تقع على الزمن الخالي من النبر. وبما أن السوداء تعتبر ثانية الصيغة ([illegible]) التي

يمكن أن تنقلب الى الشكل ([illegible]) فإن امكانية البداية بذات السن متوافرة في البسيط. ومثال ذلك قول الحادرة التالي (ديوانه، ص ١٠٢):

سَمْحَ الخَلائِقِ مِكْرَاماً ضَرِيبَتُهُ   إذا تَهَشَّمْتَهُ لِلنَّائِلِ اخْتَالا

م ٢٨ - [illegible]

٤ - التغيرات الايقاعية: تغيرات البسيط تماثل تلك التي تعتري الطويل باستثناء القفلة. وهذه التغيرات هي:

أ - تحول الصيغة الأساس الى الشكل ([illegible]).

بَ - تحول الصيغة ([illegible]) الى الشكل ([illegible]). ونكرر هنا ان هذا الاستبدال لا يتحول الى الشكل ([illegible]) مطلقا في الشعر العربي.

جـ - في القافية فقط يمكن للصيغة ([illegible]) أن تنقلب الى بيضاء ([illegible]).

٥ - القفلة: له قفلتان، ولكل منهما تنوعاتها وهي:

أ - قفلة مستوفاة ([illegible])، وتنوعاتها هي ([illegible]) أو ([illegible]) أو ([illegible]).

ب - قفلة تامّة ([illegible])، ولها تنوع واحد هو ([illegible]).

في هذه القفلات جميعا يأتي الصوت النهائي على الزمن الثالث من الوزن الرباعي حامل النبر المتوسط.

٦ - تعقيب: ان ما يطلق عليه «مخلّع البسيط»، أو مجزوء البسيط، هو في الواقع وزن آخر ليس له بوزن البسيط من علاقة الا بتشابه بدايتهما. فهما يبدآن بوزن سباعي ($\frac{7}{4}$) مكون من المقياسين ($\frac{3}{4} + \frac{4}{4}$). ولكن مخلع البسيط او مجزوئه يتكون من ثلاثة مقاييس فقط وهي ($\frac{3}{4} + \frac{4}{4} + \frac{4}{4}$)، بينما البسيط يتكون من أربعة كما رأينا.

ولذلك فان وزن مخلع البسيط أقرب الى وزن السريع والمديد الجاهلي منه الى البسيط.

ولسوف يأتي تفصيله لاحقا.

جـ ـ المديد المحدث:

ان الـوزن الـذي سنتـطرّق اليه هنا، هو الذي وصفه العروضيون بالمهمل ويتكـون من وزنين سباعيين للشطرة الواحدة. ولم يستخدم هذا الوزن في الجاهلية، ولذلك وبالرغم من ايراده في هذا السياق الا أنه ليس من أوزان العرب في الجاهلية.

١ ـ بيتـه: يورد التبريزي البيت التالي دون توثيق (التبريزي، ص٦٨):

انّ قومِي وِتْرُهُـمْ ذُو طُلُولٍ، ذَلَّ مَنْ يَرْتَجيهم سَائِلاً، حِينَ يَغْرُو مَنْ وَمَنْ

م ٢٩ ـ


٢ ـ وزنـه: يتكـون من تكرار الوزن السباعي مرتين للشطرة الواحدة. وهذا الوزن في المديد يتكون من المقياسين البسيطين ($\frac{4}{4}$ + $\frac{3}{4}$).

٣ ـ بدايتـه: يبدأ بالسوداء المنقوطة حاملة النبر من المقياس الرباعي.

٤ ـ التغيرات الايقاعية: تعتري هذا النوع من المديد نفس التغيرات التي تطرأ على الطويل.

٥ ـ القفلة: تركـز القفلة على ثالثة المقياس الثلاثي الخالية من النبر وتحتمل فيه قفلتان وهما:

أ ـ قفلة مستوفاة، ويمكن لها تنوع واحد وهو.

بَ ـ قفلة تامّة.

د ـ وزن ينسبه العروضيون للمقتضب وآخر ينسب للمجتث:

يرد البيت التالي في كتاب الوافي (التبريزي، ص١٦٩):

يقُولُونَ: لا بَعِدُوا وَهُـم يَدْفِنُـونَـهُـمُ

م ٣٠ ـ


تعقيب: كما سبق وألمحنا، بأنه لا يجوز الاعتماد على بيت واحد دون نسبة أو سند. ومع ذلك فانه لا جرم من الحديث فيه. كما هو واضح، للبيت وزن سبـاعي يتكـون من المقياسين ($\frac{3}{4}$ + $\frac{2}{4}$). ولكنه لا ينتسب للفصيلة

السابقة بل لفصيلة الوافر، اذ تتحول فيه الصيغة (م م) الى الشكل (م ﻫ ﻫ) . ولو قلبنا الوزن الى تفعيلات الخليل لحصلنا على :

فعـولن مفـاعلتن. لهذا الوزن زمنان تمهيديان (ﻫ م)، وقفلة ذكرية على الزمن الأول من المقياس الثلاثي. أما بيت المتجث فهو (العقد، ج٥، ص٤٩٣) :

أولئِكَ خَيرُ قَومٍ   إذا ذُكِرَ الخِيارُ

م ٣٠ ب ـ  وهو من نفس الفصيلة

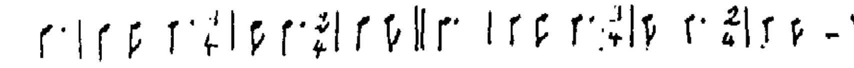
سادسا: اوزان تستخدم المقاييس الثلاثة التالية بترتيبات متنوعة ($\frac{3}{4}+\frac{3}{4}+\frac{2}{4}$) :

هذه أوزان نادرة في العصـر الجاهلي، ولعلها كانت ما تزال في طور الحضـانة، ولم يكن قد اكتمل بنيانها بعد. ويذكر أن الخليل أورد شواهد بحري المضارع والمقتضب، أما الأخفش فأنكر أن يكون هذان البحران من كلام العرب. والزجاج يقول بأنهما وردا ولكنهما قليلان، حتى انه لا يروى فيهمـا قصيدة واحـدة لعـربي، وانمـا يروى منهمـا البيت والبيتان (محمود مصطفى ، أهدى سبيل الى علمي الخليل، ص١٣٤ ـ ١٣٦) .

أ ـ المضارع :

١ ـ بيتـه: عن ابن عبد ربه (العقد، ج٥، ص٤٧٢)

وإنْ تَدْنُ مِنْهُ شِبْراً   يُقَرِّبْكَ مِنْهُ بَاعَا

م ٣١ ـ 

٢ ـ وزنـه: يتكون وزن المضارع من المقاييس التالية ($\frac{2}{4}+\frac{3}{4}+\frac{3}{4}$) .

وعـذرنا في هذا الاختيار يعود الى تمسكنا بمنهجية استقاء المعلومات من الشعـر العربي نفسه. ولكن تقديرنا لكفاءة الخليل الموسيقية يجعلنا نترك مجال التسـاؤل مفتوحا؛ إذ إنه قد يكون لاحظ تشابه هذا الوزن بأوزان السريع والمنسـرح والخفيف فنسب المضارع لدائرتهم. واذا صدق حسُّ الخليل الايقاعي فان وزن المضارع يكون بالشكل التالي :

($\frac{2}{4}+\frac{4}{4}+\frac{3}{4}$)، وعليه يكون تقطيع البيت السابق كما يلي :

م٣٢ - 

أما عن الحديث بأن لهذا البحر (الوزن) أصلاً تاماً ولم يستخدم الا مجزوؤه، فنظرية جدلية بحتة ليس لها ما يسندها.

٣ - بدايته : يبدأ الوزن بزمنين تمهيديين من ذات السن والسوداء (...)، وهما لا يحملان نبرا.

٤ - التغيرات الايقاعية : يمكن استبدال الصيغة (...) في المضارع بالشكل (...). كما يمكن استبدال الصيغة (...) بالشكل (...).

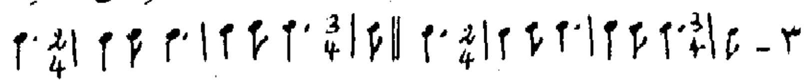
وفي البيت التالي يأتي الوزن دون أية تعديلات (محمود مصطفى، أهدى سبيل، بيروت، ١٩٨٣، ص١٣٤):

بَنُوا سَعْدٍ خَيرُ قَوْمٍ   لَجَاراتٍ أو مُعَانِ

م ٣٣ - 

أما البيت الذي يستشهد بزحافه (القبض، والكف) فليس من المضارع بصيغته المذكورة في «الوافي» (التبريزي، ص١٦٥) وهو:

وَقَدْ رأيْتُ الرِّجَالَ   فَمَا أرَى مِثْلَ زَيدِ

م ٣٤ - 

وان ما يخشى أن العروضيين قد احتاروا ببعض الأبيات ما يصنعون بها، فأقحموها على أوزان غير واضحة المعالم لهم لجدّتها النسبية. وتجدر الاشارة مرّة أخرى الى الحذر من الاعتماد على بيت واحد فقط لاستخراج قاعدة أو تأكيد زحاف (تغير ايقاعي). أمّا وزن البيت (م٣٤) فيطابق وزن المجتث وليس المضارع.

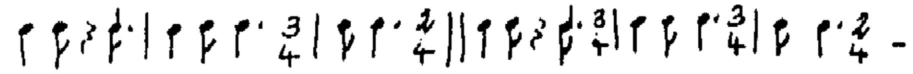
٥ - القفلة : للمضارع قفلة واحدة وهي : (...)، وهي قفلة ذكرية، وتستقر على الزمن الأول حامل النبر من المقياس الثلاثي.

ب - المقتضب :

١ - أنشد رجل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبيات التالية

(النابلسي، المورد، ص١٠١):

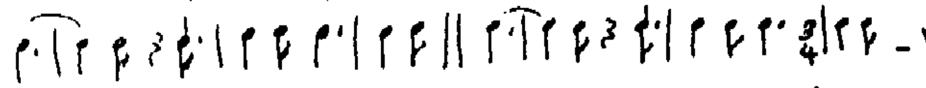
أقبَلَتْ فَلاحُ لَهَا عَارضانِ كالسُّبَجِ
أدْبَرَتْ فَقُلتُ لَهَا والفُؤادُ فِي وَهَجِ
هَلْ عَلَيّ وَيْحَكُمَا إنْ لَهَوْتُ مِنْ حَرَجِ

م ٣٥ - 

٢ - وزنـه: يتكوّن وزن المقتضب من المقاييس التالية: ($\frac{3}{4}+\frac{3}{4}+\frac{2}{4}$). وهي نفس مقاييس المضارع، ولكن ترتيبها مختلف. ولعل الخليل سمع قفلة هذا الوزن بالشكل التالي ($\frac{4}{4}$) مما دعاه الى ضمّه لدائرة المجتلب.

٣ - يبدأ هذا الوزن بالزمن الاول من المقياس الثنائي المنبور. وهناك أبيات نسبها العروضيون للمقتضب وليست منه كالبيت التالي (التبريزي، ص١٦٩):

يَقولُونَ: لا بَعِدُوا وَهُمْ يَدْفِنُونَهُمُ

م ٣٦ - 

نلاحظ أن هذا البيت من المتقارب، وله نفس وزنه، وبدايته، واحدى قفلاته.

ويُورد التبريزي بيتاً آخر وهو (الوافي، ص١٦٩):

أتَانَا مُبَشِّرُنَا بِالبَيَانِ والنُّذُرِ

ويمكن أن ينسب هذا البيت الى المقتضب اذا سعى منشده لاطالة همزة «أتانا»، ومثل هذا يحدث في انشاد الشعر العربي للمحافظة على الوزن (حمام، أبحاث اليرموك).

٤ - التغيرات الايقاعية: وهي لا تخرج عن قاعدتي الاستبدال التاليتين

أ - استبدال الصيغة ( ) بالشكل ( ).

ب - استبدال الصيغة ( ) بالشكل ( ).

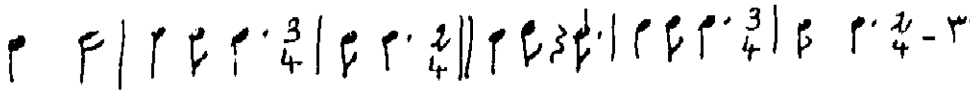
٥ - للمقتضب قفلتان وهما:

أ - ($\frac{3}{4}$ ...) ، وهذه القفلة نذكر بقفلة البسيط ، الاّ أنها هنا قفلة أنثوية ، اذ تستقر على ثالثة المقياس الثلاثي الخالية من النبر.

ب - ( ) وتنشأ هذه القفلة من تحول الصيغة ( ) الى البيضاء ( ) مسايرة بذلك القفلة التامّة . ومثالها ما قاله الحسين بن الضحاك (الأغاني ، ج٧ ، ص١٨٢) :

يُوسُـفُ الجَمَـالِ وَفـرْ   عَـونُ فِـي تَعـدِّيهِ

م ٣٧ -

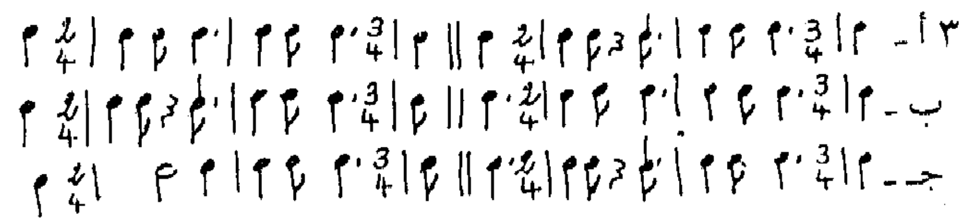


ج - المجتث :

١ - بيتـه : وهو من شعر محمد بن أبي محمد (الأغاني ، ج٢٠ ، ص٢١٥)

أنتَ امرُؤٌ لَكَ شانٌ   فِيما أرَى غَيْرَ شَانِي
صَرِّحْ بِما عَنْهُ أكني   أكفُّ عَنْكَ لِسانِي
حَسْبِي أسَاتُ فَهلّا   مَنَنْتَ بالغُفْرَانِ

م ٣٨ أ - / ب - / جـ -



٢ - بدايتـه : يبـدأ هذا الـوزن بزمن تمهيدي يقـع على الزمن الثاني الضعيف من المقياس الثنائي ($\frac{2}{4}$). وبما أن المقياس الثنائي يتكون من الصيغة ( ) التي يمكن استبدالها بالشكل ( ) ، فان الوزن قد يبدأ بذات السن بدلاً من السوداء .

٣ - وزنـه : يتركب وزن المجتث من المقاييس التالية : ($\frac{2}{4}+\frac{3}{4}+\frac{3}{4}$) ولذلك فهو على قرابة بالمضارع والمقتضب .

٤ - التغيرات الايقـاعية : لا يخـرج المجتث عن قواعـد الاستبـدال السـابقـة ، ففيه يمكن تحـول الصيغة ( ) الى ( ) ، وتحول الصيغة ( ) الى ( ) .

٥ ـ قفلتـه : للمجتث قفلتان وهما :

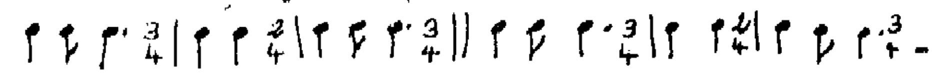
أ ـ (...)، وتنـوعها ينشأ عند استبدال الصيغة (...) فتـصبـح القفلة (...) أو (...) إذا استبـدلت الصيغة (...) بالشكل (...).

ب ـ (...) وهـذه القفلة تقليد للقفلة التامة، وتستخدم بها الجامحة (Synkope) .

د ـ مجزوء الخفيف :

١ ـ بيتـه : يروى التبريزي البيت التالي (الوافي، ص١٥٦) :

لَيْتَ شِعري ماذا تَرَى   أُمُّ عمرو فِي أمرِنَا

م ٣٩ ـ 

٢ ـ وزنـه : يتكون وزنه من المقاييس التالية : ($\frac{3}{4}+\frac{2}{4}+\frac{3}{4}$)

ولـذلـك لا يمكن ضمّه لدائرة المنسرح، والخفيف، والسريع التي تتكون أوزانها من أربعة مقاييس .

٣ ـ بدايتـه : يبدأ مع بداية الوزن الثلاثي بالسوداء المنقوطة المنبورة .

٤ ـ التغيرات الايقاعية : يمكن تحول الصيغة (...) الى الشـكل (...) وكذلك تحول الصيغة (...) الى الشكل (...).

٥ ـ القَفْلَـةُ : قَفْلَتُه أنثوية، وهي ثالثة الوزن الثلاثي .

ويجـدر التنـويه بأن هذه الأوزان لم تكن قد نضجت واستقرت في العصر الجاهلي، ولكن ايرادها في هذه الدراسة ضروري لاعطاء فكرة شاملة عن الأوزان العربية عموما .

سابعاً : وزن مركب من مقياسين رباعيين و واحد ثنائي ($\frac{4}{4}+\frac{4}{4}+\frac{2}{4}$)

لقد سبق وأشير لهذا الوزن عند التطرق لوزن «الكامل»

ثامناً : وزن مكون من المقاييس التالية ($\frac{4}{4}+\frac{3}{4}+\frac{3}{4}$) وهو ينسب للمديد :

يقول امرؤ القيس (ديوانه، ص٧٦) :

رَاشَهُ مِنْ رِيشِ نَاهِضَةٍ   ثُمَّ أَمْهَاهُ عَلَى حُجُرِهْ

م ٤٠ ـ

ويورد التبريزي البيت التالي (الوافي، ص٥٢):

رُبَّ نارٍ بتُّ أرْمُقُهَا   تُقْضِمُ الهِنْدِيَّ والغَارَا

م ٤١ - 

ونلاحظ أن وزنهما يختلف عن وزن المديد الذي يستخدم المقاييس التالية: ($\frac{4}{4}+\frac{3}{4}+\frac{4}{4}$). ولسوف يأتي تفصيله لاحقا عند مناقشة «المديد الأصل».

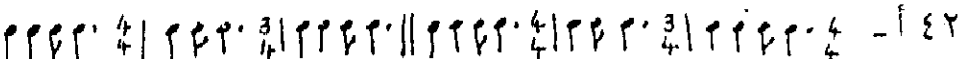
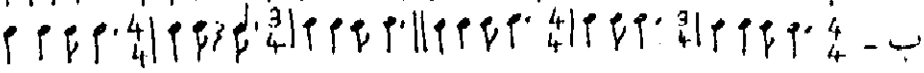
تاسعا: اوزان تتكون من المقاييس التالية ($\frac{4}{4}+\frac{4}{4}+\frac{3}{4}$):

وهي ثلاثة أوزان جاهلية أصيلة، وقد ألحقها العروضيون بالبحور التالية:

أ ـ المديد الأصل:

١ ـ بيتـه: يقول عدي بن ربيعة (المهلهل) البيتين التاليين (الأغاني، ج٥، ص٥٠):

يا لَبَكْرٍ أنْشِرُوا لِي كُلَيْبا   يا لَبَكْرٍ أيْنَ أيْنَ الفَرارُ
يا لَبكرٍ فاظعَنُوا أو فَحُلُّوا   صرَّحَ الشرُّ وبَانَ السِّرَارُ

م ٤٢ أ ـ 
ب ـ 

٢ ـ وزنــه: يتركب وزن المديد من المقاييس التالية ($\frac{4}{4}+\frac{3}{4}+\frac{4}{4}$).

وتجدر الاشارة الى أن ليس لهذا الوزن من قرابة مع الطويل والبسيط والمديد المحدث، وذلك لاختلاف الوزن. فان وزن المديد الأصل ($\frac{11}{4}$)، بينما البحور المذكورة أعلاه من وزن ($\frac{7}{4}$).

٣ ـ بدايتـه: يبدأ بالسوداء المنقوطة، أي بداية الخانة التي تحمل النبر.

٤ ـ التغيرات الايقاعية:

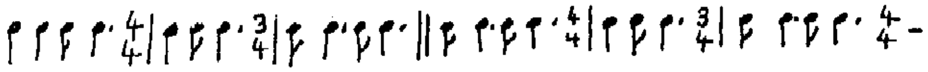
أ ـ يمكن استبدال الصيغة (♩. ♪) بالشكل (♪ ♪ ♪).

ب ـ يمكن استبدال الصيغة (♩ ♩) بالشكل (♩ ♪).

ولم تسمح الشاعرية العربية بتوالي ثلاثة متحركات. ولذلك فانه عندما تأتي

الصيغـة الأسـاس بعد الصيغة (♩ ♩) يعتري الزحاف (التغير الايقاعي) احدى الصيغتين فقط. وانظر في ذلك (م ٤١ب) والبيت التالي (التبريزي، ص٥٥):

لَنْ يَزَالَ قَومُنا مُخْصِبينَ   صَالِحِينَ، مَا اتَّقَوْا، واسْتَقَامُوا

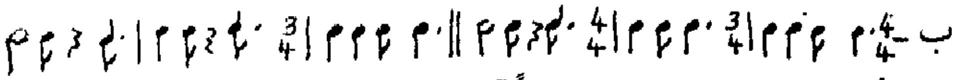
م ٤٣ - 

٥ ـ القفلة: تستقر قفلة المديد الأصل على رابعة المقياس الرباعي التي لا تحمل نبرا. فله اذن قفلة أنثوية. ولعل الشعراء استعاضوا عن ذلك بالقفلة الذكرية حيث يتم الوقوف على ثالثة المقياس الرباعي ومدّها بمقدار البيضاء (𝅗𝅥).

وعلى هذا الأساس تكون قفلات المديد كالتالي:

أ ـ القفلة المستوفاة الأنثوية (♩ ♩ ♩ ♩) انظر (م٤٢ ـ ٤٣).

بَ ـ القفلة الذكرية (♩ ♩ 𝅗𝅥) ومثالها (م ٤٠ب) التالي:

م ٤٠ب - 

لقد سبق وأخذ بيت امرىء القيس وزناً آخر في (م ٤٠) ولسوف يأتي تفصيل ذلك لاحقا.

جَـ ـ القفلة التامة (𝅗𝅥 ♩ ♩) وبها تتحول الصيغة الأساس الى بيضاء.

م ٤١ ب - 

ولقد سبق وأخذ البيت الذي مطلعه (ربَّ نارٍ أَرْمُقُها) وزناً آخر، ولسوف يأتي تفصيله لاحقاً.

وتأتي تنوعات القفلات حين تتحول الصيغة الأساس الى الشكل (♩ ♩ ♩) فقط.

تعقيــب:

يجدر التحفظ بشأن قفلتي المديد (بَ ـ جَ) والتفكر في صحة وزنهما. فقد تكون خَاتَتُهما الأخيرة ذات مقياس ثلاثي وليس رباعي. فاذا صح هذا التصور فان ذلك يعني أننا بصدد وزن مختلف عن وزن المديد الأصيل الذي

يتكون كما رأينا من المقاييس ($\frac{4}{4}+\frac{3}{4}+\frac{4}{4}$). فالقفلة المعهودة في الغناء الشعبي القروي والبدوي، والتي أطلقنا عليها تساهلاً اسم «القفلة التّامّة»، تتـطلّب نبر البيضاء (𝅗𝅥) واهمال السوداء (♩). والسـوداء فيها ذات أداء محمـول (Portato) أو مقـطوع (Staccato) فاذا كان الوزن رباعيا ($\frac{4}{4}$) فان احتمال ورود مقطع لفظي على الزمن الرابع كبير جدا، وهذا ما لا يحدث مطلقـاً، وعلى الخصـوص بين الشطرين أي حيث يتصل الشطران وحيث يجب تعبئة الوزن تماما؛ هذا عدا بداية الوزن، حيث يفترض أن تحظى بزمن تمهيدي يُكمّل الوزن، هذا ان لم يكتمل الوزن في القفلة. وتبعا لذلك فان بعض قصائد الجاهلية قد تكون نُسِبَت للمديد عِوَجا. فقصيدة امرىء القيس التي مطلعها (ديوانه، ص٧٥ ـ ٧٦):

رُبَّ رامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ ۝ مُتلِـجٌ كَفَّيْهِ فِي قُتَرِهْ

وكذلك القصيدة التي عارضـه بها يحيى بن المبادىء اليزيدي (ديوان امرىء القيس، ص٧٦)؛ فهـاتـان القصيدتـان تلتـزمـان الـوزن نفسه الى النهاية (م ٤٠)، ولكن اذا رضينا بفرضية العروضيين، وآمنا بحسهم الايقاعي فان الوزن يجب ان يعدّل ليصبح مديديا (م ٤٠ ب).

ولكن بما أن العروضيين لم يزنوا الشعر موسيقياً، بل اعتمدوا المقاطع اللفظية، وأن أعمال الخليل ضاعت ولـم يبق لدينا ما يشير الى حسه الايقاعي المـوسيقي بصدد مثل هذه الحالات، فاننا في هذه الحالة نستسلم لحسّنا الايقاعي الذي يدفعنا للتمسّك بالوزن المطروح في (م٤٠ ـ ٤١) الواردين في الثامن من الأوزان.

ونـدعم حسّنـا بواقع وجود الحركة في آخر العروض، والقطع في القافية، اللذيْن يدعمـان قصـر الزمن ولا يصلحان للمد. ولأن العرب لم تستخدم السكتات بين الوزنين ـ أي بين المصراعين، أو بين عجز البيت وصدر البيت الـذي يليه، والذي يؤكده الغناء البدوي ـ فان وجود سكتة في نهاية الوزن (م ٤١ب) غير مقبول لدينا؛ والسكتة ضرورية لو كان المقياس رباعياً لتميز

القفلة بقصر السوداء كما أسلفنا. وهذا يُبيِّن اقحام العروضيين لهذا الوزن في المديد وهو ليس منه.

ب ـ الرمل الثاني:

١ ـ بيتـه: ولقد سبق ذكره في المثال (م١٣).

٢ ـ وزنـه: يتكون وزنه من مجموع المقاييس التالية ($\frac{4}{4}+\frac{4}{4}+\frac{3}{4}$).

ولقد تمت مناقشته عند الحديث عن وزن الرمل ذي الوزن الرباعي.

٣ ـ بدايتـه: يبدأ كالرمل بالزمن الاول، حامل النبر من المقياس الرباعي.

٤ ـ التغيرات الايقاعية: تستبدل فيه الصيغة ( ) بالشكل ( ) والصيغة ( ) بالشكل ( ).

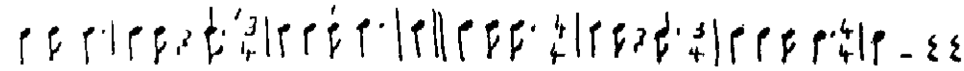
٥ ـ القفلة: قفلته أنثوية، تقع على ثالثة الوزن الثلاثي الخالية من النبر ( ).

جـ ـ السريع ذو الوزن ($\frac{11}{4}$):

لقد مر معنا عند الحديث في الأوزان الرباعية اشارة لوجود السريع الرباعي، وفي هذا المجال سنتناول النوعين معا ونترك النوع الثالث من السريع والذي يجمع المقاييس البسيطة الثلاثة في وزنه، لفئة الأوزان التالية:

١أ ـ بيت السريع ($\frac{11}{4}$): يقول النابغة (ديوانه، ص١١٧):

هذا غُلامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُستقبِلُ الخيرِ، سريعُ التَّمامْ

م ٤٤ ـ 

١ب ـ بيت السريع الرباعي: يقول صاحب العقد (ابن عبد ربه، ج٥، ص٤٨٩) لا بدَّ منه فَاحْذَرَنْ و إن فَتَنْ.

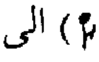
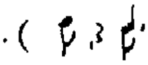
م ٤٥ ـ 

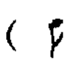
٢أ ـ وزن السريع ($\frac{11}{4}$): ينتمي هذا الوزن للفئة التي تجمع مقياسين رباعيين ومقياس واحد ثلاثي ($\frac{4}{4}+\frac{3}{4}+\frac{4}{4}$). ولذلك فهو يختلف عن أوزان السريع الأخرى.

٢بَ ـ وزن السريع الرباعي : حسب ما نراه، فان هذا الوزن لا يختلف عن الرجز مطلقاً. وان دلّ هذا على شيء فانما يدل على اختلاط هذا الوزن على العروضيين فقط. وعليه فان ما ينطبق على الرجز يجري عليه، ولا حاجة لمزيد من التفصيل.

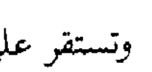
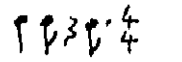
٣ ـ بداية السريع ($\frac{11}{4}$): يبدأ هذا الوزن بصوت تمهيدي بمقدار سوداء واحدة تقع على الزمن الرابع الخالي من النبر في المقياس الرباعي.

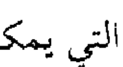
٤ ـ التغيرات الايقاعية :

أ ـ تحول الصيغة الأساس () الى الشكل ().

بَ تحول الصيغة () الى الشكل ().

٥ ـ القفلة :

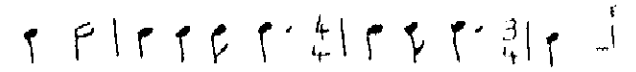
أ ـ قفلة مستوفاة ()، وتستقر على الزمن المنبور، وهو ثالث المقياس الرباعي. ولها تنوع واحد ().

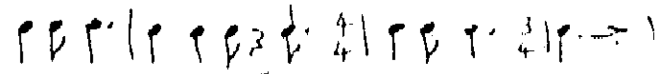
بَ ـ القفلة التامّة ()، التي يمكن الانتهاء بها قياساً.

د ـ مخلّع البسيط :

لقد أشرنا عند الحديث عن البسيط، أن لمجزوء البسيط أو مخلع البسيط وزناً يختلف عن البسيط نفسه.

١ ـ بيته : لنعد الى المثال (م١ أ ـ جـ) الذي مرّ معنا عند الحديث عن النبر الشعري/ الموسيقي، ولسوف نثبتهما هنا أيضاً. وهما في الأصل بيتان من مجمهرة عبيد بن الأبرص :

م ١ أ ـ 

م ١ جـ ـ 

٢ ـ وزنه : يتكون وزن مخلّع البسيط من ($\frac{4}{4}+\frac{4}{4}+\frac{3}{4}$) أي ما يساوي ($\frac{11}{4}$).

٣ ـ بدايته: له بداية البسيط، أي بسوداء واحدة لا تحمل نبرا، وهي رابعة المقياس الرباعي، ولذلك يمكن ان تنقلب ذات سنّ، لأن الصيغة (م ٢) يمكن أن تتحول الى الشكل (٢٠ ٢) كما أسلفنا، والسوداء التمهيدية هنا ثانيتها.

٤ ـ التغيرات الايقاعية: وهي نفس التغيرات التي تعتري البحور الأخرى التي تنتمي لهذه الفئة.

٥ ـ القفلة: له قفلتان، مستوفاة (٢ ٤ ٢) وتامة (٢ ٢) وكلاهما تستقران على الزمن الثالث من الوزن الرباعي حامل النبر.

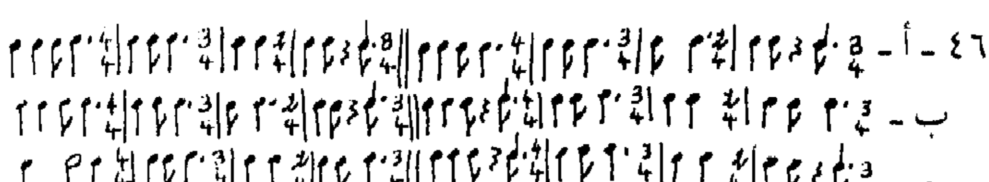
عاشرا: المجتلب (أوزان تجتمع فيها المقاييس الثلاثة):

وهي ثلاثة أوزان تجتمع فيها المقاييس البسيطة الثلاثة ($\frac{2}{4}+\frac{3}{4}+\frac{4}{4}$)، ويكرر المقياس الثلاثي فيها جميعاً، بحيث يفصل المقياسيين الآخرين أحدهما عن الآخر. ولا يمكن أن تأتي هذه البحور مجزوءة لأن وزنها يتغيّر.

أ ـ الخفيف:

١ ـ بيته: يقول الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته (الشنقيلي، ص١٢١ ـ ١٢٢):

فَتَنَوَّرْتُ نَارَها مِن بَعيدٍ بِخَزازي هَيهاتَ مِنكَ الصَّلاءُ
أوقَدَتْها بينَ العَقيقِ فَشَخْصَيْنِ بعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِّياءُ
وطِراقاً مِنْ خَلفِهِنَّ طِراقٌ ساقِطاتٍ أَلْوَتْ بِها الصَّحراءُ

م ٤٦ ـ أ ـ
ب ـ
جـ ـ


٢ ـ وزنه: للخفيف وزن مركب من المقاييس التالية:
($\frac{3}{4}+\frac{2}{4}+\frac{3}{4}+\frac{4}{4}$).

٣ ـ بدايته: يبدأ الخفيف بأول زمن في الحقل ذو المقياس الثنائي،

وهو يحمل النبر.

٤ ـ التغيرات الايقاعية: تراعى في هذا الوزن قواعد الاستبدال المألوفة في العصر الجاهلي وهي:

أ ـ استبدال الصيغة الأساس (♪. ♩) بالشكل (♪♬ ♩).

ب ـ استبدال الصيغة (♩ ♩) بالشكل (♩. ♪).

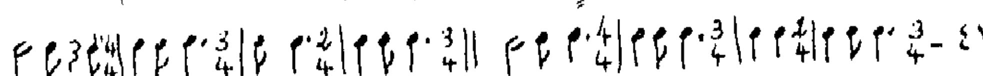
جـ ـ استبدال في القافية سيأتي شرحه لاحقاً.

٥ ـ القفلة: للخفيف ثلاث قفلات هي:

أ ـ قفلة مستوفاة ($\frac{4}{4}$ ♩. ♪ ♩ ♩ ♩) ولها تنوع واحد نتيجة استبدال الصيغة الأساس. وهذه القفلة أنثوية لأنها تستقر على رابعة المقياس ($\frac{4}{4}$) التي لا تحمل نبرا.

ب ـ ($\frac{4}{4}$ ♩. ♪ ♩ 𝅗𝅥) قفلة ذكرية. ولعل منشدي الشعر آثروا الاستقرار على المنبور، وهو هنا ثالثة الوزن الرباعي، فأبدلوا الصيغة (♩ ♩) بالبيضاء (𝅗𝅥). وفيما يلي مثال لها مأخوذ عن العقد الفريد (ابن عبد ربه، ج٥، ص٤٩١. وكذلك التبريزي، ص١٥٥).

انْ قَدِرْنا، يوماً، عَلى عامرٍ نَمْتَثِلْ، مِنْهُ، أو نَدَعْهُ لَكُمْ

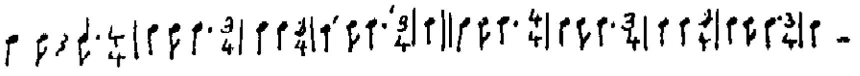
م ٤٧ ـ 

جـ ـ قفلة تامّة ($\frac{4}{4}$ ♩ 𝅗𝅥 ♩) كما هو بيّن في (م٥١جـ). وهذه القفلة ما هي الاّ تقليد للبدعة الجاهلية في القفلات (𝅗𝅥 ♩)، وهي هنا لا تكسر الوزن زمنياً، ولكن تزلِقُ النبر من الوحدة الثالثة ليصبح على الوحدة الثانية الخالية من النبر عادة. وهذا ما يوسَمُ في الموسيقى «بالجامِحة» (Synkope) ولقد رُصِدت حالات شبيهة في وزني المتقارب والمجتث.

ب ـ المنسرح:

١ ـ بيته: يورد ابن عبد ربه البيت التالي (العقد، ج٥، ص٤٩٠. وكذلك التبريزي، ص١٤٦):

انَّ ابْنَ زَيدٍ لا زالَ مُسْتَعْمَلاً لِلْخَيْرِ، يُفْشِي في مِصْرِهِ العُرُفا

م ٤٨ - 

٢ - وزنـه: يتكوّن وزن المنسرح من اجتماع المقاييس الثلاثة حسب الترتيب التالي ($\frac{4}{4}+\frac{3}{4}+\frac{2}{4}+\frac{3}{4}$).

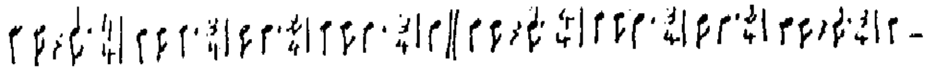
٣ - بدايتـه: يبدأ هذا الوزن بزمن تمهيدي بمقدار سوداء واحدة، وهي رابعة المقياس الرباعي ($\frac{4}{4}$) التي لا تحمِل نبرا.

٤ - التغيرات الايقاعية:

لقد تتبعنا هذا الوزن في عدة قصائد، منها ما هو جاهلي ومنها ما هو محدث وللعديد من الشعراء نذكر فيما يلي بعضهم:

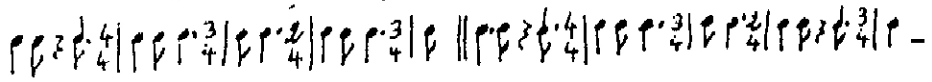
الربيع بن ضبّع الفزاري (القالي، الأمالي، ج٢، ص١٨١) وله البيت التالي:

أقْفَرَ من ميَّةَ الجَريبُ الى الزَّجَّيْن الاّ الظِّباءَ والبَقَرا

م ٤٩ - 

الأعشى وقصيدته التي مطلعها (ديوانه، ص ١٧٠ - ١٧١):

انَّ مَحَلاّ، وإنَّ مُرْتَحلا، و انَّ في السَّفرِ مَا مَضَى مَهَلا

م ٥٠ - 

امرؤ القيس (ديوانه، ص٧٩ - ٨٠، ص١٤٢، ص١٦١).

عبيد الله بن قيس الرّقيات (الأغاني، ج٤، ص٣٤٩. ج٥، ص٦٩ - ٧٦).

يزيد بن الحكم الثقفي (الأغاني، ج١٢، ص٢٩٤).

حمزة بن بيض، (الأغاني، ج١٦، ص١٤٩ - ١٥٠).

عدي بن زيد (أغاني، ج٢، ص١٢١)، وفي الأغاني أيضاً قائمة طويلة من الشعراء الذين نظموا في هذا الوزن★

ولقد التزمت القصائد والأبيات جميعها وزن المنسرح المثبت أعلاه. وأما ما يطلق عليه مجزوء المنسرح فيجد وزنه فيما مضى القول فيه.

★ لقد التبس الأمر على محققي كتاب الأغاني فأدرجوا بعض ابيات عبيد بن الأبرص وهي من مخلع البسيط ضمن المنسرح (الاغاني، ج٢٣، ص٤١٥). وأدرجت فيه أبيات لمجهول وهي من البسيط (ج١، ص٢٤٤).

وتغيراته الايقاعية لا تخرج عما ألفناه من استبدال يطرأ على الصيغة الأساس ( ) فتصبح ( )، والصيغة ( ) فتصبح ( ).

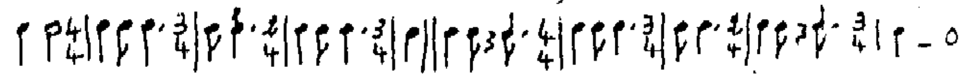
٥ ـ القفلـه: للمنسرح قفلتان وهما:

أ ـ قفلة مستـوفـاة ( ) وتستقر على ثالثة الوزن الرباعي حاملة النبر. فهي قفلة ذكرية. والشعراء يستحبون الإقفال بتنوعها التالي: ( )، وهي بعينها المستحبة في البسيط والمقتضب.

بَ ـ القفلة التامة ( )، ومثالها البيت التالي (التبريزي، ص١٤٩):

ذَاك وقَدْ اذْعَرُ الوُحُوشَ بِصَلتِ الخَدِّ، رحب لَبَانُهُ مُجْفِرْ

م ٥١ ـ



جـ ـ السريع:

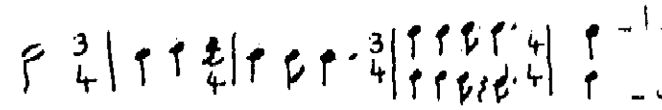
١ ـ بيتـه: يقول زبّان بن سيّار الفزاري (ديوان الحادره، ص٣٦):

قَطَّعْنَ ما بينَ الحِمَى والجُـولاَنْ

تَنْقِضُ أيْدِيهـا نَقِيضَ العِقْبَانْ

م ٥٢ ـ أ ـ

ب ـ



٢ ـ وزنـه: ارتأينا أن نعرض موضوع وزن السريع بطريقة مختلفة لما في وزنه من اثاره.

أ ـ قال زبّان هذين البيتين في معرض هجائه للحادره، وكان هجاؤه سبباً في تلقيبه بالحادرة. والطرافة تكمن في تضمين هذين البيتين بين بيتين آخرين من وزن المتقارب، وها هي الأبيات كاملة:

كأنَّكَ حادِرَةُ المِنْكَبَيْن رَصْعاءُ تُنْقِضُ فِي حائِرْ

قَطَّعْنَ ما بينَ الحِمَى والجُـولاَنْ

تُنْقِضُ أيْدِيهـا نَقِيضَ العِقْبَانْ

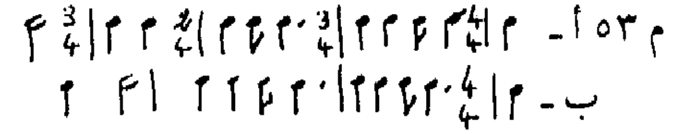
عَجُـوزُ ضَفَـادعِ مَحْـجُـوبَـة يطوفُ بِهـا وِلْـدَةُ الـحـاضِـرْ

يدلنا هذا الشعر على اتجاه فريد في شعر الجاهلية، وهو استخدام وزنين في قطعة انشاديّة واحدة. ونستنتج من ذلك أن الشاعر قد أنشد هذا الشعر بلحنين ووزنين متباينين ليناسبا وزني الشعر المختلفين. ولذلك نعتقد بأن الشكل البنائي لهذه القطعة الشعرية هو: (أ ـ ب ـ ب ـ أ).

بَ ـ ان اجتماع المقاييس الثلاثة في وزن السريع (م٥٢)، هو باعتقادنا الوزن الذي قصده الخليل فعلاً للسريع؛ فهو بهذه الصورة لعلى صلة قويّة بالمنسرح والخفيف. أمّا الأبيات الأخرى التي تناولناها في (تاسعاً، جـ) فلا علاقة لها بالسريع. فاذا قنعنا بأن هذا هو الوزن الذي قصده الخليل، فيعني ذلك أن وزنه كما أثبتناه أعلاه وجوبا. ووزنه بهذه الحالة يتكون من المقاييس التالية: ($\frac{3}{4}+\frac{2}{4}+\frac{3}{4}+\frac{4}{4}$).

ولكن الالتباس في هذا الوزن سهل اذا لم تُشر القفلةُ (القافية) الى حقيقة الوزن. والقافية هنا تأتي طويلة (لا نْ) لتقنعنا بأن صوت القرار في اللحن أو الوزن يمتد زمنا مساوياً للبيضاء (م). والبيت التالي لا يؤكد هذه النهاية ويمكن التباسه بالرجز (العقد، ج٥، ص٤٨٩):

يا صَاحِبَيْ رَحْلِي أقِلاّ عَذْلِي



فالوزن (م٣ ٥أ) يتفق مع وزن السريع بينما (م٣ ٥ب) فيوافق وزن الرّجز. ولـذلك يصعب أحياناً التوصل للوزن من بيت واحد فقط. ولذلك التزمت العرب الوزن والقافية.

٣ ـ بدايتـه: يبدأ وزن السريع بزمن تمهيدي بمقدار وحدة زمنية واحدة (م)، وتأتي على الزمن الثالث من المقياس الثلاثي التي لا تحمل نبرا.

٤ ـ التغيرات الايقاعية: لا تخرج تغييراته عن تحول الصيغة الأساس الى الشكل (...)، والصيغة (م م) الى الشكل (·م م).

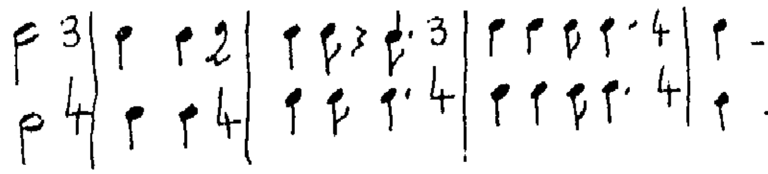
٥ ـ القفلة: له قفلة واحدة فقط وهي (...) وتنوّعها الذي قد يأتي، قياسا، كالتالي (...). وتفسير هذه القفلة يكمن في كون

البداية غير مألوفة في الأوزان العربية، إذ إنها تقع على ثالث زمن من المقياس الثلاثي ؛ فلقد جرت العادة أن تكون الأزمنة التمهيدية المبتورة من المقياس الثلاثي بادئة بذات السن ومن ثم تأتي السوداء ثالثة الوزن الثلاثي ( ). فبما أن البداية لا تأتي على ذات السن كما هي الحال في الطويل مثلا ( )، بل بالسوداء، فمعنى ذلك أن القفلة يجب أن تستقر على ذات السن، كما هو واضح في الشكل التالي :

م٥٣ جـ -


وبما أن المتحرك (ذات السن) لا يصلح للاستقرار، فهو قلق بسبب قصره، فان العرب آلت ألّا تقف على متحرك. وفي حالة السريع دُمِجَ المتحركُ بالمقطع الممدود الذي سبقه، وبذلك أصبحت مدة الصوت النهائي في القفلة بمقدار البيضاء ( ). وهذا لا يتعارض مع فكرة تحوّل الصيغة ( ) الى بيضاء ( ) في القفلة، بل بالعكس يُكسِبُ القفلة نهاية ممدودة، منبورة، ومستقرة. وتَدعم القافيةُ المكونة من ثلاثة أحرف هذا الرأي وتؤكده. وفيما يلي مثال آخر لتثبيت القول (العقد، ج٥، ص٤٨٩ . التبريزي، ص١٤١) وهو من شعر العجاج :

يا صَاحِ مَا هَاجَكَ مِن رَبْعٍ خَالْ
يَنْضَحْنَ فِي حـافاتِهِ بالأَبْـوَالْ

م٥٤ - أ -
ب -


خاتمــة :

لقد ورد في التوطئة تساؤل عن امكانية استنباط الأوزان الموسيقية من الشعر العربي ؛ ولقد سعت هذه الدراسة الى الاجابة عن هذا التساؤل بكل جهد وجد، مدعومة بالأمثلة المتوافرة، والتحليلات الممكنة، لتقف على حقيقة أوزان الشعر العربي، التي هي في حقيقة الأمر الأوزان الغنائية الجاهلية.

ولم تكن هذه الدراسة عملاً سريعاً، فلقد نيّف زمن الاستقصاء والبحث في موضوعهاعلى ست سنوات .وان كاتب هذا البحث يأمل بأن يكون قد توصل الى نتائج تفيد في رفد الجهود القيمة المبذولة لاعلاء مقام الموسيقى العربية وتبيان أصولهاوركائزها. ولعلّ في هذا البحث فائدة عامة في عملية استقصاء العلاقة الأزلية بين الشعر والغناء، والبحث عن جذورها في أعماق الحضارات القديمة.

المراجـــع :

- ابن الأبـرص (عبيد)، **الديوان**، (تحقيق: حسين نصار)، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧.
- ابن رشيق، **العمده**، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٢.
- ابن عبدربه، **العقد الفريد**، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٥.
- ابو ديب (كمال)، **في البنية الايقاعية للشعر العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤.
- اده اليســوعي (الأب خليل)، «الايقـاع في الشعـر العـربي»، مجلة **المشرق**، الأعداد ٢٠، ٢٢، ٢٣، بيروت، ١٩٠٠. أعيد نشرها في مجلة **فصول**، المجلد ٦، العدد ٣، ١٩٨٦.
- أدونيس، **الشعرية العربية**، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٤.
- الأرمـوي (صفي الـدين)، **كتـاب الأدوار**، تحقيق هاشم الرجب، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠.
- امرؤ القيس، **الديوان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- الأسد (ناصر الدين)، **القيان والغناء**، دار صادر، ١٩٦٠.
- الأصفهاني (أبو الفرج)، **الأغاني**، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١.
- أنيس (ابراهيم)، **موسيقى الشعر**، دار القلم، بيروت، ١٩٦٥.
- الباقلاني (محمد بن الخطيب)، **اعجاز القرآن**، تحقيق أحمد صقر، دار

المعارف، القاهرة، ١٩٧١، الطبعة الثالثة.
- بحيري (سعيد)، «ملاحظات حول مسألة الكم والنبر»، **مجلة فصول**، مجلد ٦، عدد ٣، ١٩٨٦.
- حمام (عبدالحميد)، «علاقة الشعر بالغناء»، **مجلة القاهرة**، عدد ٨٣، ١٩٨٨.
- حمام (عبدالحميد)، «الأهمية الموسيقية للاشباع والتحريك في الشعر العربي»، **أبحاث اليرموك**، اربد، مقبول للنشر ولم ينشر بعد.
- حمام (عبدالحميد)، «أسس وزن الشعر العربي»، **آفاق عربية**، مقبول للنشر ولم ينشر بعد.
- الحلي (صفي الدين)، **العاطل الحالي والمرخص الغالي**، تحقيق حسين نصار، الهيئة المصرية، ١٩٨١.
- التبريزي (الخطيب)، **الوافي**، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٥.
- الحطيئة، **الديوان**، دار صادر، بيروت، ١٩٨١.
- الخنساء، **الديوان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.
- الذبياني (النابغة)، **الديوان**، دار صادر، بيروت.
- الشنقيطي (احمد بن الأمين)، **المعلقات العشر**، دار الكتب العلمية، بيروت، ؟.
- ضيف (شوقي)، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، دار المعارف، القاهرة، طبعة ١٠، ١٩٦٠.
- عياد (شكري)، **موسيقى الشعر العربي**، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٧٨.
- العياشي (محمد)، **نظرية ايقاع الشعر العربي**، المطبعة العصرية، تونس، ١٩٨٦.
- غيارد، Guyard (stanislas), Théorie Nouvelle de Metrique Arabe, Imprimerie Nationale, Paris, 1877.
- القالي، **الأمالي**، دار الحكمة، دمشق، ؟.
- الفارابي، **كتاب الموسيقى الكبير**، تحقيق غطاس عبدالملك خشبة،

القاهرة، ١٩٦٧ .

- فارمر (هنري جورج)، **تاريخ الموسيقى العربية**، ترجمة حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٦ .

- الفرنسيسي (الأب أغسطس فكيني)، **فن انشاد الشعر العربي**، مطبعة الآباء الفرنسيسيين، القدس، ١٩٤٥ .

- محمد (السيد ابراهيم)، **الضرورة الشعرية**، دار الأندلس، ١٩٨١ .

- مستجير (احمد)، **في بحور الشعر**، مكتبة غريب، القاهرة، ؟ .

- النابلسي (الشيخ عبدالغني، «ايضاح الدلالات»، **المورد**، مجلد ١٣، عدد ٤، ١٩٨٤ .

مصطفى (محمود)، أهدى سبيل الى علمي الخليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣ .

ثَانياً: مَعَ الكتب

رسالة في مدار التجوُّز في اللفظ..
لابن كمال باشا / قراءة وتحقيق

د. حامد صادق القنيبي
جامعة الملك فهد للبترول

أولاً:

قراءة في مخطوط (مدار التجوُّز في اللفظ)

موضوع هذه الرسالة يتناول بشكل مختصر مسألة الدلالة والمعنى، وهو ما يُعرف في الدرس اللغوي الحديث بـ Semantics وهو ما يقابل عند المتقدمين (اللفظ والمعنى). وقد عُنيت بدراسة هذه المسألة طوائف الدارسين من لغويين ونحويين وبلاغيين وأدباء ومفسرين.

ولكن ابن كمال، وهو الشمولي المعرفة، ينظر إلى المسألة من عدة زوايا. ولقد سبق أن أوضح مذهبه فيها في رسالته الموسومة بـ (مشاركة صاحب المعاني اللغويَّ في البحث عن مفردات الألفاظ المستعملة في كلام العرب)، يقول فيها: «اعلم أن صاحب المعاني يشارك اللغويَّ في البحث عن مفردات الألفاظ المستعملة في كلام العرب، إلاّ أنَّ اللغويَّ يبحث عنها من جهة مادتها في علم متن اللغة، ومن حيث هيئاتها في علم الصرف، ومن جهة نسبة بعضها إلى بعض بالأصالة والفرعية في علم الاشتقاق. وصاحب المعاني يبحث عنها من جهة فصاحتها وعدم فصاحتها وحسنها وقبحها. والفصاحة لا تستلزم الحُسْنَ فإنّ اللفظ الفصيح يختلف حاله حسناً وقبحاً

باختلاف المقام، أعني موضعه من الكلام، فكم من لفظ فصيح حَسُنَ في مقام وهو بعينه قبيح في مقام آخر». [1]

ومفردات اللغة مكونة من كلمات، ولكلّ كلمة مفردة معنىً جزئي، وتركيب صرفي، وصيغة اشتقاقية. وميدان معالجة الكلمات والحالة هذه علم المعجم، أو علم الصرف [2].

أما التراكيب فقوامها مجموعة من المفردات يجمعها نظام يقتضيه، سماه عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) النظم، وأحياناً التعليق. ولكلٍّ تركيب في سياقه معنىً إضافيّ يختلف عما يقتضيه ظاهر التركيب. وميدان معالجة التراكيب علم النحو والبلاغة. والمعنى الدلالي ليس الاّ محصِّلة معانٍ متعددة في تركيب الجملة: منها المعنى الصرفي، والمعنى النحوي، والمعنى المعجمي.

«وليس المعجم نظاماً من أنظمة اللغة فهو لا يشتمل على شبكة من العلاقات العضوية والقيم الخلافية، ولا يمكن لمحتوياته أن تقع في جدول يمثل احتباك هذه العلاقات على نحو ما سنرى في أنظمة الأصوات والصرف والنحو. فالمعجم بحكم طابعه والغاية منه ليس إلّا قائمة من الكلمات التي تسمى تجارب المجتمع، أو تصفها أو تشير إليها. ومن شأن هذه الكلمات أن تحمل كلّ واحدة إلى جانب دلالتها بالأصالة والوضع (الحقيقة) على تجربة من تجارب المجتمع أن تدلّ بواسطة التحويل (المجاز) على عدد آخر من التجارب. فإذا وضعنا كلمة «المعاني» بدل «التجارب» صَحَّ لنا أن نقول: إنَّ الكلمة المفردة (وهي موضوع المعجم) يمكن أنْ تدلَّ على أكثر من معنى وهي مفردة ولكنها إذا وُضعت في «مقال» يُفهم في ضوء «مقام» انتفى هذا

---

(١) مخطوط السليمانية رقم ٢٠٤١، لوحة ١٤٥أ. قابل بدلائل الإعجاز، ص٣٣ طبعة المنار.

(٢) انظر السيوطي. المزهر ١/ ٢٥. وعن محمود السعران (بتصرف): علم المفردات يقابل في الدرس الحديث علم الدلالة Semantics، وهو يُعنى بدراسة اللغة من حيث إنها كلمات تدلّ على معانٍ موضوعها علم الدلالة. ولعلم الدلالة منهجه ووسائله فهو يعتمد على دراسة الصوت، وعلى الدراسة النحوية، ولكنه يُدخل في اعتباره عناصر غير لغوية كشخصية المتكلم وشخصية السامعين.. وظروف الكلام (السعران، محمود. علم اللغة، مقدمة للقارىء العربي ص٨٣).

التعدد عن معناها ولم يعدْ لها في السياق إلاّ معنى واحد. لأنَّ الكلام وهو مجلى السياق لا بُدَّ أن يحمل من القرائن المقاليّة (اللفظية) والمقاميَّة (الحاليِّة) ما يعين معنى واحداً لكلِّ كلمة. فالمعنى بدون المقام (سواء أكان وظيفياً أم معجمياً) متعدد ومحتمل لأنَّ المقام هو كبرى القرائن، ولا يتعين إلاّ بالقرينة»[1].

ولقد عرض ابن كمال لهذه المسألة في الرسالة موضوع التحقيق، قال (ع ١٤٤ ب): «ومما أخطأ فيه الراغب، في عبارة (الوُدّ) حيث قال في قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ أهلِ الكِتابِ ولا المُشْرِكينَ أن يُنَزَّلَ عَليكُم مِنْ خَيْرٍ مِنْ ربِّكُم..﴾ [البقرة ١٠]، الوُدّ: محبة الشيء مع تمنيه. ولمّا كانَ لهما استعمل في كلٍ واحدٍ منهما فقيل: وَدِدْتُ فلاناً إذا أحببته، ووَدِدْتُ الشَّيْء إذا تمنيته. وقلَّده الإمام البيضاوي.. وإنما قلنا أنهما أخطآ فيما ذُكر لأن معنى التمني غير معتبر في مفهوم الوُدّ. ولهذا، أي لعدم الدلالة فيه على معنى التمني احتيج عند القصد إليه بزيادة لفظة (لو). ولم ترد عبارة (يَوَدّ) مراداً بها معنى التمني في القرآن إلاّ مقرونة بلفظ (لو). ولو كان في مفهومها معنى التمني لما احتيج في إفادته إلى زيادة (لو). نعم مفهومها ليس مطلق المحبة التي يقارنها التمني وتلك المقارنة شرط على الأصل فلا تُذكر بدون (لو) الدَّالّة على الشرط المذكور إلاّ إذا تُوسِّع وجُردتْ عن الشرط المذكور واستُعملت في معنى مُطْلق المحبة.

★ ★ ★

لقد ضمن القرآن الكريم للغة العربية صفة الخلود، وقد ساعدت تلاوته على ثبات العربية وخاصّة في جانبها الصوتي، وهو أكثر جوانب اللغة تعرضاً للتغير والانحراف والتشويه، فضلاً على أنَّ الأسلوب القرآني ظلَّ المقياس الأمثل لرقي أساليب الكتّاب والشعراء، حتى إنّ مكانة أي كاتب أو شاعر تقاس دائماً بمقدار ما يقترب من مثالية الأسلوب القرآني أو يبتعد عنه.

إلاّ أن هذا الذي قررناه حول ثبات اللغة العربية وخلودها لم يمنع من

---

(١) حسّان، تمام. اللغة العربية: معناها ومبناها. ص٣٩.

حدوث بعض التطورات في الأداء الصوتي من جانب، وفي المفردات والتراكيب من الجانب الآخر. وهذا من طبائع الأشياء. وحسبنا أن نقرأ نصاً من أدب العصر العباسي، ونقارنه بنصٍّ لكاتب معاصر حتى نلمس الفرق بين النصيْن من حيث استخدام المفردات والتراكيب.

وليس معنى هذا أن المتأخرين يخترعون الألفاظ أو يخلقون لغة من العدم. فالمادة الأولية للغة ثابتة، ولكن أشكالها متجددة. وأيُّ باحث يُدرك بأدنى تأمل أنَّ الأشكال اللغوية لا تثبت على حال فهناك صيغ تولد لم يكن الناس يعرفونها من قبل، كما وُلدت كلمات: المطار. الحاسوب. الرَّتاب. الاستشراق. المجهار. هاتف. ساتل[1].. الخ.

يقول ابن كمال في الرسالة موضوع التحقيق (ع ١٤٢ أ): «اعلم أنَّ اللفظ قد وضع لمعنى مقيداً بقيد فيكون ذلك القيد معتبراً في مفهومه، حتى لو استُعمل اللفظ المذكور في المعنى المجرد عن ذلك القيد لكان استعماله فيه بطريق المجاز. كالشَّفَةِ والمِشفَر والجَحْفَلة».

نعم فالألفاظ محدودة في اللغة، وإنما تجدد المعاني وتتطور الدلالات التركيبية، وهذا ما يفسح المجال لنمو المُوَلَّد من الألفاظ.

واللفظ المُوَلَّد على ما ورد في المعجم الوسيط: «كلُّ لفظ كان عربي الأصل ثم تغيّر في الاستعمال. و- اللفظ العربي الذي يستعمله الناس بعد عصر الرواية». أو كما ورد في (دليل أساليب ايجاد الألفاظ والتعابير للمفاهيم الجديدة - مواصفة تونسية، ١٩٨٣): «هو ادخال لفظ جديد إلى الألفاظ العربية المثبتة، لإثراء المعجم العربي لمواكبة الاختراعات والعلوم الحديثة».

والمجاز هو شكل من أشكال التوليد الذي يتمّ فيه التوسع الدلالي، فمثلاً لفظ (السيارة) مأخوذ من مطلق السير، ثم صار يُطلق على (القافلة) وهو

---

(١) مصطلح عربي مقترح لترجمة Satellite، يقول الحمزاوي: «والملاحظ ان كلمة (ساتل) تستحق الاعتبار لأنها عربية فصيحة من: سَتِلَ سَتْلاً - ٥: تبعه». الحمزاوي، محمد رشاد. المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها. ص٧٢.

اليوم يدلّ على وسيلة النقل المعروفة Automobile[1].

وكثيراً ما لا تسعفنا المعاجم العربية، بعامة، للوقوف على الظروف التي أدت إلى (التوليد). فمثلاً قولنا: (ضاق ذرعاً)، وهو تركيب اسنادي أُسند فيه الفعل إلى الفاعل فنشأ عن هذا التركيب معنىً جديد لا يفهم من معنى اللفظين. فالضيق ضد السَّعة. والذَّرْع: المقدار من مَدِّ الذِّراع. وأصل المعنى مأخوذ مما يحدث للجمل حين يثقل حمله فيضيق ذراعه، فكلما زاد حمله ضاقت المسافة بين ذراعيه. وهكذا خلص معنى هذا التركيب إلى الدلالة على عدم القدرة على أمر. واستُعمل للجمَل وغير الجمَل. وفي (أخبار أبي القاسم الزجّاجي): «أنشدنا اليزيدي لعمه:

قد ضقتُ ذَرْعاً بكَ مُسْتَصلحاً وأنتَ مُزْوَرٌّ عن الواجب»

وانظر إذا شئت أمثلة أخرى أوردها ابراهيم السامرائي في كتابه (التطور اللغوي التاريخي، ص ص٤٢-٥٠) منها:

- وأنفه راغم.
- أُخذ بجريرته.
- جنى جناية.
- ماء الملام... وغيرها.

يقول السامرائي في الموضوع الآنف ذكره: «.. والأخذ بهذا النظر - من عدم الإعتراف بالمولد - يعني انكاراً للحقيقة اللغوية وهي المذهب الاجتماعي الذي يفصح عن أنَّ اللغة من صنع الهيئة الاجتماعية. وإذا اعتقدنا بهذه النظرة العلمية الحديثة اعتقدنا أيضاً أنَّ هذه اللغة لا بُدَّ أنْ تتطور فتساير الزمان والمكان». كما لا بُدَّ أن نشير إلى أنَّ قصر علماء اللغة المتقدمين الفصاحةَ على عصر الرواية واشتراط عاملي الزمان والمكان قد أدى إلى تنكرهم للاستعمالات الجديدة المولَّدة. ولا عجب أن تصاب اللغة العربية بالعقم خلال الفترة الممتدة من القرن السادس عشر وحتى أوائل القرن العشرين فلم تلد سوى خمسين مصطلحاً في مختلف فروع المعرفة

(١) انظر: الحمزاوي، المنهجية العامة.. ص٤١.

على ذمة الاحصائيات التي أعدتها منظمة اليونسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة (انظر: مجلة اللسان العربي، المجلد الرابع عشر، ١٩٦٧، ص٥. عبدالعزيز بنعبد الله:

(Problems of Arabization in Science)

ولسنا هنا بصدد تناول الأسباب الحضارية التي أدت إلى هذا الجمود، ولكن ما يهمنا هو الالتفات إلى هذه الرسالة موضوع الدراسة، وصاحبها من علماء الترك المستعربين، عاش في القرن العاشر الهجري. إلّا أننا نلحظ لديه نظرات تجديدية، فهو يؤمن أن اللغة ضرب من المجاز، وكثيراً ما يدعو إلى تجديد آراء عبدالقاهر الجرجاني في الدرس اللغوي. ويدعوه بالشيخ. فهو ينقل عنه تأييداً لرأيه في هذا الباب فيقول: (ع ١٤٢ ب): «في بيان التوسع في أوضاع اللغة والتنوق في مراعاة دقائق الفروق في المعاني المدلول عليها. . فإذا استعمل الشاعر شيئاً منها في غير الجنس الذي وُضع له فقد استعاره منه ونقله عن أصله، وجاز به عن موضعه».

ثم يناقش قضية التجوز مستشهداً بأمثلة مما اضطرب علماء اللغة وأصحاب المعاجم في توجيهه بحسب عُرف الاستعمال الطارىء على أصل الوضع اللغوي فيقول: (ع١٤٤ب): «فالصواب أن يُقال: وإنما يفترقان بالاختصاص بالمرسونات وعدمه. لأنّا نقول: ما ذكره هناك من الإطلاق إنما هو بحسب أصل الوضع. وما ذكره ههنا من الاختصاص بالإنسان إنما هو بحسب عُرف الاستعمال الطارىء على أصل الوضع، فلا منافاة. فأخطأ حيث زعم أنَّ الرِّجْل مختصة بالانسان في استعمال العرب. . !»[1].

وتتجدد في حياتنا اللغوية المعاصرة ضرورة التصدي لهذه الظاهرة، فلقد باتت آلاف الألفاظ الحضارية والمصطلحات المختلفة في شتى فروع المعرفة بانتظار أن تحتل مكانها في المعجم العربيّ. ذلك لأنها غدت تُؤلف جزءاً هاماً من الثروة اللغوية التي يستخدمها الإنسان المعاصر، يقول محمود

(١) انظر للمفارقة مادة (رجل) في معجم اللغة العربية المعاصرة المكتوبة. هانزفير وملتون كودان.

(٢) أسس علم اللغة العربية، ص٣٠١ (بتصرف). وانظر ايضاً دعوة تمام حسان (اللغة العربية: مبناها ومعناها، ص٤٠) لضمّ شتات (علم المعجم) لصنع المعجم التأصيلي الحديث.

فهمي حجازي تحت عنوان (اتجاهات التغير في البنية والمعجم)[٢]: «أما التطور في الكلمات فأبعد مدىً وأكثر وضوحاً، إن وزن فاعل ووزن مفعول والأوزان الأخرى هي هي، لم يكد يطرأ عليها تغير في البنية، ولكن التغير في هذه الأوزان يكمن في بناء كلمات جديدة لم يكن يعرفها المجتمع البدوي القديم. ولننظر نظرة سريعة إلى مادة (جمع) في (لسان العرب) مقارنين ايّاها بنفس المادة في معجم دوزي المكمل للمعاجم العربية..

وللمزيد حول هذه المسألة انظر: (من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، من محاضرات الندوة العلمية الدولية التي تنظمها جمعية المعجمية العربية بتونس عام ١٩٨٦، أحمد شفيق الخطيب (ص١٨ وما بعدها). وقضايا أساسية في الترجمة. دراسات أعدتها بتكليف من المكتب مجموعة الهندسة الاجتماعية ـ مكتب التربية العربيّ لدول الخليج، سنة ١٩٨٥م.

★★★

وصف نُسْخَتي المخطوط

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسختين في المكتبة السليمانية باستانبول. الأولى: نسخة «بغداد وهبي» (رقم ٢٠٤١)، وقد رمزتُ لها بالحرف (ع)، وهي نسخة جيِّدة، وخطها تعليق جميل، ونصُّ الرسالة يقع من المجموع في الورقات بين ١٤٢ أ إلى ١٤٥ ب، والصفحة الواحدة منها (٢١) سطراً، وقياس كتابتها (٥٦×١٣٠ملم). والمجموع نسخه (أبو السعود). وفي الصفحة الأخيرة ترجمة موجزة للمؤلف جاء فيها: «هذه الرسائل للمولى العلاّمة أستاذ أرباب الفضائل أحمد بن سليمان بن كمال باشا رحمه الله تعالى. من أكابر العلماء وأفاضل الفضلاء، جمع جميع العلوم، وتفرد في كلِّها سراجاً منيراً يهتدي بمنارة الروم..». والثانية: نسخة «أياصوفيا» (رقم ٤٧٩٤)، وقد رمزت لها بالحرف (ص)، وهي نسخة جيدة، قليلة الخطأ، بخط تعليق مقروء كتبها أحمد الشهير بـ«كالنجي زاده» والمجموع عليه تملكات ووقفية للسكان مطموسة، وتحت العنوان وعلى الورقة الأولى منها هذان البيتان من الشعر:

ومجموع كعقد الدر نظماً على تفضيله الإجماع يعقد
يطابق كلّ معنى فيه حسناً ومجموعاً تراه وهو مفرد

ونَصُّ الرسالة يقع في الورقات (١٣٦ ب ـ ١٣٨ ب). والصفحة الواحدة (٢٣) سطراً، وقياس كتابتها (٧٠×١٥٠ملم).

وقد كانت خطتي في تحقيق هذه الرسالة إثبات الفروق بين النسختين. كما قمت بمراجعة النصوص على مصادر ابن كمال حيثما وُجد المطبوع منها. ولم أرَ ضرورة التعريف بالأعلام لأنها مشهورة في حقل الاختصاص، وهي قليلة على العموم.

ثانياً:

تحقيق الرسالة:

«رسالة في مدار التجوُّز في اللفظ»[1]

لابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

اعلم أنَّ اللفظ قد يُوضع لمعنى مقيداً بقيد فيكون (ع١٤٢ب) ذلك القيد معتبراً في مفهومه؛ حتى لو استُعمل اللفظ المذكور في المعنى المجرد عن ذلك القيد لكان استعماله فيه بطريق المجاز. كالشَّفَة والمِشْفَر والجَحْفَلة[3]. قال الشيخ عبدالقاهر في أسرار البلاغة[4]: «في بيان التوسع في أوضاع اللغة والتنوق[5] في مراعاة دقائق الفروق في المعاني المدلول عليها، كوضعهم للعضو الواحد أساميَ كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان نحو وضع الشَّفَة للإنسان، والمِشْفَر للبعير، والجَحْفَلة[6] للفرس. وما شاكل ذلك من فروق ربما وُجدت في غير لغة العرب. وربما لم توجد، فإذا استعمل الشاعر شيئاً منها في غير الجنس الذي وُضع له فقد استعاره منه ونقله عن أصله، وجاز به عن موضعه، كقول العجاج (من الرجز):

★ وفاحماً ومَرْسِناً مُسَرَّجا ★

يعني أنفاً يبرق كالسراج، والمرسن في الأصل للحيوان لأنّه الموضع الذي يقع عليه الرَّسن» إلى هنا كلامه.

وعلى وفق هذا ورد كلام السّكاكي في أصل التشبيه من (المفتاح) حيث قال في النوع الثاني منه[8]: «وكذا مثل أنف ومرسن، فهما مشتركان في الحقيقة[9]، وهو العضو المعلوم، وإنما يفترقان: باتصاف أحدهما بالاختصاص بالانسان، واتصاف الآخر بالمرسونات، وما جرى مجراهما،

من نحو شفة وجحفلة، ورِجْل وحافر[10]».

فإن قلتَ: أليسَ المفهـوم من كلامه في الأصل الثاني حيث قال في الفصـل الأول منـه: «. . مثـل أن تستعمل المرسن، وأنه موضوع لمعنى الأنف، مع قيد أن يكون أنف مرسون، استعمال الأنف من غير زيادة قيد بمعونة القرائن، كقول العجاج:

★ وفاحماً ومرسناً مسرّجاً ★

يعني أنفـاً يبـرق كالسـراج، أو مثـل: المشفـر، وهـو موضوع للشفة (ع١٤٣أ)، مع قيد أن تكون شفة بعير، استعمال الشفة، فتقول: فلان غليظ المشفر، في ضمن قرينة دالة على أنَّ المراد هو الشفة لا غير، أو مثل أن تستعمل الحافر، وأنّه موضوع للرِّجل مع قيد أن تكون رِجْلُ فرسٍ أو حمار، استعمال الرجل بالاطلاق، اعتماداً على دلالة القرائن. . ـ العُرفُ على ذلك (ص١٣٧أ) عدم الاختصـاص في وضـع الأنف والشفـة والـرِّجْـل بما في الانسان من الأعضاء المخصوصة»[12].

قلتُ: نعم ولا غرو[13] فإنَّ كلمات أئمة اللغة مضطربة ههنا ولا يوافق ما في الكتب المشهورة من اللغة لما[14] ذكره الشيخ[15].

قال الجوهري [16] ويوافقه ما في القاموس: «الجَحْفَلَةُ للحافِر، كالشَّفة للإنسـان». وهـذا القـول منـه صريح في الاختصـاص في كلٍّ من الشفة والجحفلة. وقـال في موضـع آخـر[17]: «والمَرْسِنُ، بكسر السين: موضع الرَّسَنِ من أنف الفرس».

والـظاهر من قوله (من أنف الفرس)، ومن قول صاحب الكشاف في الأساس[18]: «نقول: ضع الخِطام على مَرْسِنِه ومَخْطِمِه وهو أنفه» ومن قول صاحب القاموس[19]: «الرَّسَن، محركة، ما كان من زِمامٍ على أنف[20]»، ومن قوله[21] (وكمَجْلس ومَقْعَد) ردٌّ للجوهري في قوله (بكسر السين). وأما مخالفته له في تخصيص الرَّسَن بما كان من زمام على الأنف. وقد عمّمه الجوهري حيث قال[22]: «الرَّسَنُ»: الحَبْلُ» فلم يُصبْ، لأن ما في الأساس والمُجمل يوافق (خطمه)[23]. ثمَّ إنَّ الظاهر من قول الجوهري (موضع الرَّسَنِ من أنف الفرس) أنَّ المرسن[24] ليس اسم ذلك العضو بل اسم موضع خاص

منه[٢٥]

وههنا شيء آخر لا بُدَّ من التنبيه عليه وهو أنَّ الحافر من الفرس ونحوه بمنـزلة القدم من الإنسان لا بمنزلة الرِّجْل منه. والفرق بين الرِّجْل والقَدَم (ع١٤٣ب) أنَّ الساق خارجة عن القدم دون الرِّجْل[٢٦]. ومَنْ لم يفرق بينهما فذكر الرِّجْلَ في مقابلة الحافر لم يُصبْ.

ثُمَّ إن قول صاحب المجمل[٢٧]: «والرِّجْل للإنسان وغيره..» صريح في عدم الاختصــاص في (الــرِّجْـل) ويشهـد له استعمـالات العـرب. قال الجـوهري[٢٨] وغيره: «رَجلْتُ الشاة» علّقتها برِجْلها. والأرجَلُ من الخيل: الذي في إحدى رِجْلَيْه بياض».

وصاحب القاموس (ص١٧٣ب) أخطأ في تفسير الرِّجْل حيث قال:[٢٩] «والرِّجْل ـ بالكسر ـ: القَدم، أو من أصل[٢٩] الفخذ إلى[٣٠] القَدم» فإن ذكر[٣١] الرِّجْل في مقابلة اليد. وقول الجمهور إنَّ (إلى) في قوله تعالى[٣٢]: ﴿.. وأرجُلَكُم إلى الكعبين﴾ يدلّ[٣٣] على دخول القدم والساق في الرِّجْل. ما في (تهذيب الأسماء واللغات) للنووي نقلاً عن الأصمعي وأبي زيد[٣٤][٣٥]: «في كلِّ رِجْل كعبان[٣٦]، وهما عظما طرفي الساق عند ملتقى القدم».

ومن النـاظرين في هذا المقام من تصدّى للتوفيق بين كلامي صاحب المفتاح حيث قال في شرح الكتاب المذكور: وصرّح بلفظ الاتصاف[٣٧] تنبيهاً على أنَّ الاخْتِصـاصَيْن خارجان عن حقيقتهما المذكورة. لا يقال قد عُلم مما[٣٨] ذكره في فصل المجاز الذي لا يفيد أن الأنف والشفة والرِّجْل، مطلقة يتنـاول الإنسـان وغيره، وأنَّ المرسن والجحفلة والحافر، مختصة لغيره من الـدواب. فالصـواب أن يُقـال: وإنما يفترقان بالاختصاص بالمرسونات[٣٩] وعدمه. لأنّا نقول: ما ذكره هناك من الإطلاق إنما هو بحسب أصل الوضع. ومـا ذكره ههنا من الاختصاص بالإنسان إنما هو بحسب عُرف الاستعمال الطارىء على أصل الوضع فلا منافاة (ع١٤٤أ).

فأخطأ حيث زعم أنَّ الرِّجْل مختصة بالإنسـان في استعمال العرب. وقد نبّهت فيمـا تقـدم على فساد هذا الزعم[٤٠]. ثُمَّ إن التصريح بالاختصاص بحسب الوضع قد وقع في كلام الشيخ على ما نقلناه في صدر الرسالة.

والظاهر أنَّ صاحب المفتاح أخذ في أحد مقامي كلامه بما ذكره، وفي الآخر بما ذكره غيره من أئمة اللغة. ولا بأس في ذلك، لأن كلًّا منهما مقام التمثيل لا مقام التحقيق. ومقام التمثيل يتحمّل التوسع فوق هذا.

بقي ههنا[41] في الكلام المذكور بحث آخر، وهو أنَّ موجب التنبيه الذي ذكره هو أنْ يكون الأنف والمرسن مترادفين. وكذا الشفة والجحفلة. وكذا الرِّجْل والحافر - ولا يرتضيه صاحب المفتاح كيف..؟! وكلامه في فصل المجاز، حيث قال[42]: وإن موضوع (ص١٣٨أ) لمعنى الأنف مع قيد صريح في خلافه. ثم إنه لم يصب في قوله (والجحفلة)، لأن المذكور في كلام صاحبه المفتاح وهو (المشفر) دون (الجحفلة).

ومما ظنَّ أنه من هذا القبيل، أي من قبيل استعمال الموضوع للمقيد مجرداً عن قيده، استعمال الخِزْي في الذُّلّ. قال الإمام الراغب في تفسير قوله تعالى[43]: ﴿فما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنكُمْ إلاّ خِزْيٌ في الحياةِ الدُّنيا﴾.. والخِزْيُ ذُلّ يُستحيى منه ولتضمنه المعنيين استعمل تارة في الذُّلّ، نحو: عليه الخِـزْي. وأُخـرى في الاستحياء، نحـو: خَزِيَ[44]. وقلّده الإمـام البيضاوي حيث قال[45]: «وأصل الخِزْي ذُلٌّ يُستحيى منه، ولذلك يُستعمل في كلٍّ منهما».

وليس المـراد كما ظَنَّا. فإنَّ (خَزِيَ) لغة مشتركة موضوعة[46] لكلٍّ من المعنيْين المذكورَيْن. دَلّ على (ع١٤٤ب) ذلك الاختلاف في المصدر، قال الجوهري[47]: «وخَزِيَ - بالكسر - يَخْزَى خِزْياً، أي: ذَلَّ وهان.. وخَزِيَ أيضـاً يَخْـزَى خَزَايَةً، أي استحياءً[48]» وقـال العـلامـة الـزمخشـري في الأساس[49]: خ ز ي - أصله يدل على انكسارٍ يلحق الرّجُلَ إما من نفسه أو من غيره. فالـذي يلحق من نفسه هو الحياء المُفرط ومصدره الخَزَاية بالفتح. والذي يلحق من غيره ضَرْبٌ من الاستخفاف ومصدره الخِزْيُ».

وقال صاحب القاموس[50]: «خَزِيَ كرضي خِزْياً - بالكسر - وَخَزًى: وقع في بَلِيَّةٍ وشُهْرَةٍ فَذَلَّ بذلك.. وخَزَى أيضاً خَزايَةً وخَزًى بالقصر استحيا». ويوافقهم ما هو الظاهر من قوله تعالى[51]: ﴿مِنْ قَبلِ أن نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾.

ومن هنـا انكشف وجه مقارنة لفظ (لو) لها دون المحبة (ع.١٤٥أ)،

حيث يقال: (يَوَدُّ لو)، ولا يُقال: (يحبُّ لو).

والجوهري تنبّه على إجْمال هذا المعنى حيث قال: «وتقول: وَدِدْتُ لو تفعل ذاك، وودِدْتُ لو أنَّك تفعل ذاك». إلاّ انّه لم يقف على التفصيل الذي قدمناه.

وصاحب القاموس لم يتنبّه على ما بين (يودّ) و(لو) من المناسبة التي ليست بين (يحبّ) و(لو)، فلم يذكر ما ذكره الجوهري زاعماً أن الجوهري خلط فيه بين معنى (يودّ) ومعنى التمني المستفاد من لفظة (لو).

والظاهر من كلام صاحب المجمل أن (الودَّ) مشترك بين المحبة والتمني حيث قال: «وَدِدْتُ أنَّ ذاك[١٠] كان، إذا تمنيته. وَوَدِدْت الرَّجُل: أحببته. أو[١١] فيهما جميعاً. وعلى هذا يكون لفظ (يَودُّ) كافياً عند إرادة أحد المعنييْن المذكوريْن. ويحتاج إلى زيادة (لو) عند إرادتهما لعدم صحة إرادة معنى المشترك معاً».

وما قدمناه في ردّ زعم الراغب والبيضاوي لا يتمشى في ردّ ما ذكره صاحب المجمل.

والله أعلم بالصواب، والحمد لله وحده[١٢].

التعليقات والهوامش

(١) تختلف المصادر في تحديد مداخل هذه الرسالة، ففي مجموع بغداد وهبي رقم ٢٠٤١ نقرأ: «رسالة شريفة معمولة في اللفظ المستعمل بطريق المجاز للمولى الشهير بابن كمال الوزير». ومجموع أياصوفيا رقم ٤٧٩٤ لم يضع عنواناً للرسالة. بينما نجد من مجلة الشرقيات (ص١١٣) خلطاً بين التعريف بهذه الرسالة، ورسالة أخرى لابن كمال نفسه باسم: رسالة في أنواع المجاز. وقد وقع اختيارنا على ما وجدناه في (عقود الجوهر، ص٢٢٣).

(٢) ع: باسمه سبحانه.

(٣) ع، ص: والجَحْفل. والجَحْفَل: الجيش الكثير، ج: جَحافِل. والجَحْفَلَةُ: لذوات الحافِر من الخيل والبغال والحمير، كالشَّفَة للإنسان، ج: جَحافِل. وذوات الحافِر: الخيل والبغال والحمير الأهلية والوحشية وكلّ ما ليس حافره مشقوقاً. وذوات الظلف كالبقرة والشاة والظّبيّ. وذوات الخفّ الإبل.

(٤) أسرار البلاغة، ص٢٩ ـ طبعة ريتر.

(٥) ع: والتفرق، تحريف.

(٦) ص: الجحفل، والتصويب من (أسرار البلاغة)، والمعجم.

(٧) الشطر في صفة امرأة وقبله:

أزْمانَ أبْدتْ واضِحاً مُفَلَّجا وَمُقْلةً وحَاجِباً مُزَجَّجاً

جاء في هامش تهذيب الألفاظ، ص٢٠٧: «وصف امرأة. والواضح ثغرها الأبيض البرّاق. والمزجَّجُ الدقيق الطرف. والفاحم شَعْرُها الأسود. والمَرْسِن الأنف. وقيل في المُسَرَّج أنّه الأنف الدقيق مشبَّهٌ بالسيف السريجي.

(٨) مفتاح العلوم، تحقيق زرزور، ص٣٣٣.

(٩) ع، ص: بالحقيقة.

(١٠) وتكملة ما ورد في (المفتاح).. وبين أن يكون الاشتراك بالصفة تارة، أو الافتراق بالحقيقة أخرى».

(١١) مفتاح العلوم، ص٣٦٤.

(١٢) تصرف ابن كمال في النص المنقول عن (المفتاح) وينظر المفتاح في الموضع نفسه.

(١٣) بعدها في (ع): «عرف على ذلك عدم» زيادة من الناسخ لا معنى لها.

(١٤) ع: كما، خطأ.

(١٥) المقصود هو: عبدالقاهر الجرجاني، وقد سبق الاستشهاد بقوله في أول الرسالة.

(١٦) الصحاح (مادة جحفل ١٦٥٢/٤)، وفي القاموس (مادة ج ح ف ل): «والجَحْفَلَةُ بمنزلة الشّفَة للخيل والبغال والحمير».

(١٧) الصحاح (مادة رسن ٢١٢٣/٥)، وتكملة كلامه «.. ثم كثُر حتى قيل مَرْسِنُ الانسان».

(١٨) أساس البلاغة للزمخشري (مادة ر س ن، ص١٦٣).

(١٩) القاموس المحيط للفيروز أبادي (المادة نفسها).

(٢٠) ع: الأنف.

(٢١) الضمير عائد على الفيروز أبادي.
(٢٢) الصحاح (المادة نفسها).
(٢٣) ع: خصمه، تصحيف.
(٢٤) ص: الرسن، خطأ.
(٢٥) ع: منها، خطأ.
(٢٦) جاء في (فرائد اللغة في الفروق): القَدَم: من الرِّجل ما يطأ عليه الإنسان من لدن الرسغ إلى ما دون ذلك. والرِّجْل: من أصل الفخذ إلى القدم. قيل سمّيت به لأنها تحمل البدن وتقوى على الحركة».
(٢٧) ابن فارس، وفي المقاييس ٤٩٢/٢: «رجل: الراء والجيم واللام: معظم بابه يدلُّ على العضو الذي هو رِجْلُ كلِّ ذي رِجْل. ويكون بعد ذاك كلمات تشذُّ عنه. فمعظم الباب الرِّجْل: رِجْلُ الإنسان وغيره».
(٢٨) الصحاح (مادة رجل ١٧٠٥/٤).
(٢٩) ع: أخيل، تصحيف.
(٣٠) ع: إلا، خطأ.
(٣١) ع: فانه ذكرت.
(٣٢) آية ٦ من سورة المائدة.
(٣٣) ص: يدلان، خطأ.
(٣٤) ع: وأنه، تصحيف.
(٣٥) تهذيب الاسماء واللغات (١١٥/٤) وتتمه قول النووي: «.. قلتُ: مذهبنا ومذهب جمهور العلماء أنَّ المراد بالكعبيْن في الآية العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم.. والكعب لغة اسم لما استدار وعلا، ولذلك قالوا كَعَبَ ثدي الجارية إذا علا واستدار. وسميت الكعبة كعبة لاستدارتها وعلوها..» وفي التفسير الكبير للرازي ١٦٢/١١: «مذهب جمهور الفقهاء أن الكعبين عبارة عن العظمين الناتئين من جانبي الساق».
(٣٦) ع: كعبين، خطأ.
(٣٧) ص: الانصاف، تصحيف.
(٣٨) ص: ما.
(٣٩) ع: بالمرسون.
(٤٠) ع: الزاعم، خطأ.
(٤١) ههنا، سقط من ص.
(٤٢) مفتاح العلوم، ص٣٦٤. وقد نقل ابن كمال النص بمعناه.
(٤٣) البقرة آية ٨٥.
(٤٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص١٤٧)، وقد تصرف ابن كمال في عبارة الراغب وتمامها: «خَزِيَ الرَّجُل لحقه انكسار إما من نفسه وإما من غيره. فالذي يلحقه من نفسه هوَ الحياء المُفْرط ومصدره الخزَايةُ. ورجل خَزْيانُ وامرأة خَزْيَى وجمعه خَزايا...، والذي يلحقه من غيره يقال هو ضَرْبٌ من الاستخفاف، ومصدره الخِزْيُ وَرَجلٌ خِزْيٌ. قال

تعالى: ﴿ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ في الدنيا﴾ [المائدة ٣٣].»

(٤٥) تفسير البيضاوي، ص١٨.

(٤٦) ص: موضوع.

(٤٧) الصحاح (مادة خزا، ٦/٢٣٢٦).

(٤٨) ع، ص: استحى.

(٤٩) هذه ليست عبارة الزمخشري وإنما هي عبارة الراغب على ما سبق إثباته في هامش (٤٤) سوى أن (الخزاية) ضبطت بالفتح عند الزمخشري، بينما هي بالكسر عند الراغب.

(٥٠) القاموس المحيط، مادة (خ زي). وقد نقلنا النص كاملاً من المعجم حرصاً على الضبط، لأنَّ ابن كمال عمد إلى الاختصار.

(٥١) الآية ١٣٤ من سورة طه. وفي تفسير البيضاوي (ص٤٢٥): «من قبل أن نذل بالقتل والسبي في الدنيا، ونخزى بدخول النار يوم القيامة».

(٥٢) البقرة آية ١٠٥. وفي (ع) أخطأ الناسخ بالخلط مع آية (٢) من سورة الحجر (انظر الآتي). وقد عمدنا إلى كتابة آية البقرة كاملة.

(٥٣) ﴿رُبما يَوَدُّ الذين كفرُوا لو كانُوا مُسْلِمينَ﴾ [الحجر: ٢].

(٥٤) ما بين معقوفين ساقط من (ع)، وانظر مفردات الراغب، ص٥٥٣ وقد تصرف ابن كمال بالنص دون اخلال بالمعنى.

(٥٥) تفسير البيضاوي، ص٢٣.

(٥٦) ع: أنه.

(٥٧) جاء في فرائد اللغة في الفروق (ص ٤٥٠): «يُقال: وددتُ أن يكون كذا، ووددتُ لو كان كذا. لايقال: أحببتُ لأن مفهوم (وَدَّ) ليس مطلق المحبة بل المحبة التي يقارنها التمني. وتلك المقارنة هي شرط استعمالها على الأصل. فلا تذكر بدون (لو) الدّالة على الشرط المذكور إلا إذا توسّع واستعملت في معنى مطلق المحبة.

(٥٨) ع: للدلالة، تحريف.

(٥٩) الصحاح (مادة ودد ٢/٥٤٩).

(٦٠) ص: ذلك.

(٦١) ص: أود.

(٦٢) ص: انتهى.

ثبت المصادر والمراجع

- الأصفهاني، الراغب (٥٠٣هـ). معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي (بيروت: دار الكاتب العربي، ط١، ١٩٧٢م).
- البغدادي، اسماعيل بن محمد باشا (ت١٩٢٠م). هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (مصوّر عن طبعة استانبول ١٩٥١م).
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر (ت٦٨٥هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي (مصّور عن طبعة استانبول ١٣٠٥هـ).
- الجرجاني، أبو بكر النحوي = عبد القاهر بن عبدالرحمن (ت٤٧١هـ). أسرار البلاغة، تحقيق هـ. ريتر (استانبول: مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤م). دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا (القاهرة: مكتبة القاهرة، طبعة ١٩٦١م).
- الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حمّاد (ت٣٩٣هـ). صحاح اللغة، وتاج العربيّة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٧٩م).
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله الشهير بكاتب جلبي (ت١٦٠٧هـ). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (استانبول: البهية، ١٣٦١هـ).
- حجازي، محمود فهمي. أسس علم اللغة العربية (القاهرة: دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م).
- حسّان، تمّام. اللغة العربية: معناها ومبناها (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٩م).
- الحمزاوي، محمد رشاد. المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط١، ١٩٨٦م).
- الخطيب، أحمد شفيق. من قضايا المعجمية العربية المعاصرة. من محاضرات الندوة العلمية الدولية لجمعية المعجمية العربية بتونس: نيسان

١٩٨٦م (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٦م).
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن علي، الشهير بالفخر الرازي (ت٦٠٦هـ). التفسير الكبير: مفاتيح الغيب (القاهرة: نشر عبدالرحمن محمد، ١٩٣٣م)
- الزركلي، خير الدين. الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (بيروت: ط٣، ١٩٦٩م).
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ). أساس البلاغة بتحقيق عبد الرحيم محمود (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٢م).
- السعران، محمود. علم اللغة، مقدمة للقارىء العربي (القاهرة: ١٩٦٤م).
- السكاكي، أبو يعقوب محمد بن علي (ت٦٢٦هـ). مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور (بيروت: دارالكتب العلمية، ط١٩٨٣١م).
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ):
● بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي).
● المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، دون تاريخ).
- طاش كبرى زادة، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة (ت٩٦٨هـ). الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، نشره محيي الدين عبدالحميد بذيل وفيات الأعيان لابن خلكان (القاهرة: دار السعادة، ١٩٤٨م).
- العظم، جميل بك. عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فمائة فأكثر. (بيروت: المطبعة الأهلية، ١٣٢٦هـ).
- الفيروز أبادي، مجدالدين بن يعقوب (٨١٧هـ). القاموس المحيط (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٥٢م. وله طبعات أخرى).
- اللكنوي، محمد بن عبدالحي، أبو الحسنات (ت١٣٠٤هـ). الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تصحيح محمد بدر النعساني (القاهرة: مطبعة

السعادة، ط١، ١٣٢٤هـ).
- لامنس، هنربكوس اليسوعي. فرائد اللغة في الفروق (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٨٨٩م).
- مكتب تنسيق التعريب بالرباط. مجلة اللسان العربي، .جـ ١٤. مقال باللغة الانجليزية للاستاذ عبدالعزيز بنعبدالله (مشكلات التعريب في العلوم).
- مكتب التربية العربي لدول الخليج. الترجمة: قضايا ومشكلات وحلول. دراسات أعدتها، بتكليف من المكتب، مجموعة خبراء الهندسة الاجتماعية (الرياض: مطبعة المكتب ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.
- النووي، ابو زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦ هـ). تهذيب الاسماء واللغات (نسخة صورتها دار الكتب العلمية، بيروت).
- هانزفير وملتون كووان. معجم اللغة العربية المعاصرة المكتوبة (بيروت: مكتبة لبنان، ط٣، ١٩٧٤م).

مُعجم شعراء أساس البلاغة
حرف العين - حرف الميم

الاستاذ عرفات عبدالباقي الاشقر

٢٧٦ - عنترة

ثر ر - حرق - خرس - دلم × - ردم - رمم - رنف - سهم - شجب - شكك - صرم - ضبب - قدم - قصر - لوم - مكو - نبل - نقذ - هزج . وقع .

الشاهد في «حرق» ورد دون نسبة وهو

حرق الجناح كأن لحيي رأسه　　جلمان بالأخبار هش مولع

وهو لعنترة في اللسان «حرق» وديوان عنترة/١٠٣/ .

٢٧٧ - عوف بن الأحوص

ظلف

. . بن جعفر بن كلاب «معجم الشعراء» /١٢٣/ . . العامري كنيته أبو يزيد شاعر جاهليّ كان أيام حرب الفجار «الأعلام» ٥/٩٤ .

٢٧٨ - عوف بن الخَرِع

رزق

عوف بن عطية بن الخَرِع التيميّ واسم الخرع عمرو، شاعر جاهليّ «الخزانة» ٢/٨٢ «وهو من فرسان العرب وشاعر جاهليّ مُغْلِق . وذكر أبو عبيد البكريّ في السمط /٣٧٧ - ٧٢٣/ انه جاهلي إسلاميّ ولم يؤيده أحد في ذلك» ا . هـ عن «المفضليات» /٣٢٧ح/ والشاهد في «المفضليات» /٤١٣/ باختلاف في الرواية، عده ابن سلام في الطبقة الثامنة من فحول الجاهلية «طبقات فحول الشعراء» /١/١٥٩/ وفي «التاج» «خرع» والخرع ككتف لقب عمرو بن عبس بن وديعة بن عبدالله . . بن تميم بن عبد مناة . .

جد عوف بن عطية الشاعر الفارسي وفي «التاج» ط الكويت « . . ابن تيم» و«الفارس» بدل «تميم» و«الفارسي» .

٢٧٩ ـ عويف القوافي

جذم ـ سمد ـ سوغ ـ قرم

عوف بن معاوية الفزاريّ، وعويف القوافي لقب له، شاعر شريف مدح الوليد وسليمان وعمر بن عبدالعزيز «معجم الشعراء» /١٢٧/، عويف بن عقبة في «مختار الأغاني» ٥/٣٠٧ توفي بعد «٩٩» هـ .

٢٨٠ ـ فائد بن الحبيب الأسديّ

ذمم

فائد بن حبيب بن الكميت بن ثعلبة من بني فقعس كوفيّ إسلامي معروف «معجم الشعراء» /١٨٨/ .

٢٨١ ـ فراس بن الربيع بن ضُبيع الفزاريّ

ملل

رُبيّع ـ ربيع . ضُبيّع ـ ضَبُع، انظر المؤتلف والمختلف /٢٤٩/ ط القدسي .

٢٨٢ ـ الفرزدق

أبد ـ أزر ـ ثأر ـ جمد ـ جمر ـ حذذ ـ حرد ـ حزر ـ جلق ـ حمش حمي[1] × ـ حوب ـ حول[2] ـ خدر ـ خضع ـ خمص ـ خير ـ دمق ـ ربع ـ رتع ـ رجز ـ رعل ـ رعن ـ رفع ـ رمح ـ زنى ـ سبع ـ سجف ـ سيح ـ صبب ـ صفن ـ صلق ـ صول ـ صيح ـ ضيف ـ طعم ـ طمث ـ طنب ـ ظفر ـ عجز ـ عذم ـ

---

(١) الشاهد الثالث والرابع في «حمي» سبقا بقوله : وقال أيضاً ، وهما للفرزدق في النقائض ١/٢٣٣ باختلاف .

(٢) الشاهد في «حول» ورد غير منسوب ومطلعه «وكنت كذئب السوء . . » وهو للفرزدق في «المستقصى» ١/٢٩٩ و«التاج» «حول» يخاطب هبيرة بن ضمضم .

عزف - عصب - عنق - غير - فرج - فرس - فسل - فضض - فضو - قتل - قدس - قرص - قرع - لبس - نزع - نصف - نضد - نعنع - نهض - وأد - وسم - وصل - وضأ - يسر - يقظ.

٢٨٣ - فَضَالة بن شَريك

ضجع

. . بن سَلْمان بن خُويلد الأسديّ كوفيّ وشعره حجة «معجم الشعراء» /١٧٦ - ١٧٧/ شاعر فاتك صعلوك مخضرم «مختار الأغاني» ٨٨/٦ توفي بعد «٦٤» هـ «الأعلام» ١٤٦/٥.

٢٨٤ - الفضـل

خضـر - كرش

الشاهد في «خضر» ورد منسوباً إلى الفضل دون تحديد وهو للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب من شعراء الهاشميين وفصحائهم توفي في خلافة الوليد بن عبدالملك انظر «سرح العيون» /٢٠٣ - ٢٠٤/ ومعجم الشعراء /١٧٨/ وفي «اللسان» قال: اللهبيّ، والشاهد في «كرش» ورد منسوباً الى اللهبيّ وهو في «التاج» و«اللسان» دون نسبة.

ويقال له: الاخضر اللهبيّ شاعر خبيث متمكن «المؤتلف والمختلف» /٤١/ ط القدسي.

٢٨٥ - قتادة بن مُعرب اليشكريّ

رعـظ

قتادة بن مُعْزب من بكر بن وائل كان يهجو زياد الأعجم في الإسلام «الاشتقـاق» /٣٤٢/. قتـادة بن مغـرِّب اليشكـري ويقـال مُغْرب «الشعر والشعراء» /٢٥٧/.

٢٨٦ - قدامة بن موسى

بذل

قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مظعون الجمحيّ راوية للحديث

من أهل مكة وكان إمام المسجد النبويّ له شعر، ت(١٥٣)هـ/«الأعلام» ١٩١/٥، وكذا أورد نسبه ابن سلام في طبقاته جـ١ ص٢٥٠.

٢٨٧ ـ قُراد بن حَنش

حمـد

جاهليّ من شعراء غطفان المشهورين وهو قليل الشعر جيده «معجم الشعراء» /٢٠٥/ وعدّه ابن سلام في الطبقة الثامنة من الإسلاميين «طبقات فحول الشعراء» ٧٠٩/٢.

٢٨٨ ـ قُريبة أم البهلول

كفف

ذكر: أنشدت قُريبة أم البهلول، ولم أجد ترجمة لها.

٢٨٩ ـ قُس بن ساعدة

بصـر

«. . بن حذافة بن زمر وقيل حذافة بن زهر وقيل قس بن ساعدة بن عمرو بن مالك وقيل. . ابن ساعدة بن عمرو بن شمر بن عدي بن مالك» ا. هـ «خزانة الأدب» ٢٦٧/١.

. . . بن عمرو الإياديّ وكان أسقف نجران ت نحو /٢٣/ ق هـ «الأعلام» ١٩٦/٥.

٢٩٠ ـ قصـي

شدخ

. . بن كلاب بن مرة الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي الشريف واسمه زيد، انظر «الاشتقاق» /١٩/ وما بعد.

٢٩١ ـ القطاميّ

جنح ـ جبض ـ حرف ـ حفظ ـ خطأ ـ خطل ـ خيل ـ ذكي ـ رسم ـ ركع ـ ريش ـ سمر ـ سوم ـ سيع ـ شوك ـ طلع ـ عرش ـ عزز ـ عضض ـ علو ـ

عمج ـ عين ـ فدن ـ قشع ـ قصد ـ قضب ـ كفل ـ لدم ـ لهو ـ لوذ ـ لوم ـ مصع ـ نبذ ـ نجح ـ نكب ـ نمي ـ هزل ـ هفف ـ هلك ـ همم ـ وثر ـ ورك .

عمرو بن شُييم، عمير بن شييم وهو أثبت «معجم الشعراء» /٤٧/ والقطاميّ لقب له يُكنى أبا سعيد ويقال أبا غنم كان في صدر الإسلام «معجم الشعراء» /٧٣/ عدّه ابن سلام في الطبقة الثانية من فحول الإسلاميين ٢/ ٥٣٥.

٢٩٢ ـ قعنب

زكـن

قعنب بن أم صاحب، قعنب بن ضمـرة، وأم صاحب أمـه «شـرح الحماسـة» للتبريزيّ ٤/ ١٢ من شعراء العصر الأمويّ ت نحو /٩٥/ هـ «الأعلام» ٥/ ٢٠٢ والشاهد في «اللسان» لقعنب بن أم صاحب باختلاف يسير، انظر «زهير بن أبي سلمى» «خوف».

٢٩٣ ـ القُلاخ

بـرذ

الشاهد ورد منسوباً إلى القلاخ دون تحديد وكذا في «الملمع» /٤٠/ و «طبقات ابن المعتز» /٤٤/ وفي «الشعر والشعراء» /٤٨١/ وفي «العقد الفريد» ٦/ ١٣١، وذكر المرزباني /٢٢٦/ «القلاخ العنبري» بصريّ مخضرم عمّر في الإسلام طويلاً وبقي إلى أن تزوج يحيى بن أبي حفصة بنت مقاتل بن طلبة، وفي حاشية الكتاب: وهناك القلاخ بن حزن المنقري السعدي الراجز والقلاخ بن زيد، وكذا ذكر التبريزي في شرح الحماسة /٣/ ٤٢/ ثم ذكر والقلاخ العنبريّ وقال: ذكره دعبل في شعراء البصرة وهذا هو قلاخ بن حزن. وفي «التاج» «قلخ» ذكر: والمسمى بهذا الاسم القلاخ العنبري من بني العنبر بن مالك بن تميم، والقلاخ بن يزيد شاعر آخر والقلاخ بن حزن شاعر آخر سعدي من سعد القبيلة المشهورة من تميم. وفي «الإصابة» ٣/ ٢٧١ قال ابن ماكولا، وفرق بينه وبين القلاخ السعدي فقال في الأول ذكره دعبل، وفي الثاني شاعر مشهور في دولة بني أمية وما أبعد أن يكونا

واحداً» وفي «الأغاني» ١٠/ ٧٥ في أخبار «مروان بن أبي حفصة» وذكر أبياتاً للقلاخ بن حزن المنقري يهجو مقاتل بن طلبة حين زوج ابنته ليحيى بن أبي حفصة فقال مقاتل يرد عليه وصرح بأنه «ابن حزن» والشاهد ورد ضمن أبيات قالهـا القلاخ دون تحديد في المناسبة نفسها وإن كانت الأبيات غيرها في طبقات ابن المعتز ص/٤٤/.

ورد عليه مقاتل بأبيات غير الموجودة في الأغاني، وعلى هذا فإمّا أن يكـون القلاخ العنبري هو القلاخ المنقريّ وإمّا أن يكونا شاعرين في زمن واحد وهو العصر الأموي فيحيى بن أبي حفصة كان في عهد عبدالملك بن مروان وابنه الوليد. والله أعلم. وفي طبقات ابن المعتز أن الذي تزوج خولة بنت مقاتل هو أبو حفصة لا يحيى بن أبي حفصة وأظنه خطأ.

٢٩٤ ـ قيـس

حـدث

ورد الشاهد منسوباً إلى قيس دون تحديد، والبيت في «إصلاح المنطق» / ٢٣٥ / لعُتي بن مالك العُقيليّ وفيه:

أتيت مع الحـداث ليلى فلم أبن وأخليت فاستعجمت عنـد خلائي

والبيت في «اللسان» «خلا» لعتيّ وفي حاشية اللسان ذكر: قوله «عند خلائي» هكذا في الأصل وفي «الصحاح» و«المحكم» «عند خلائيا» أ. هـ.

قيس بن الحُدادية

جـوع

الشاهد ورد منسوباً إلى الهذليّ انظر الهذليّ «جوع»، والحُدادية أمه وقيل غير ذلك انظر شعر قيس بن الحدادية مجلة المورد ٨/٢/٢٠٣ وهو قيس بن منقذ بن عبيد في «معجم الشعراء» /٢٠٢/ وقيس بن منقذ بن عمرو من خزاعة «ألقاب الشعراء» /٣٢٣/.

٢٩٥ ـ قيس بن الخطيم

ثأر ـ غرق ـ مذل

أبو يزيد قيس بن ثابت من الأوس أدرك الإسلام ولم يسلم قتلته الخزرج

قبل الهجرة «ديوان قيس بن الخطيم».

والشاهد في «مذل» ورد غير منسوب ومطلعه «ولا تمذل بسرك . .» وهو في «اللسان» لقيس بن الخطيم وديوانه /٢٣٥/ في الشعر المنسوب إلى قيس عن «اللسان».

٢٩٦ ـ قيس بن خُويلد

حـرد ـ شفع ـ نسع

قيس بن العيزارة الهذليّ والعيزارة أمه عاصر تأبط شراً «معجم الشعراء» /٢٠٢/.

٢٩٧ ـ قيس بن ذَريح

ردع

. . بن سُنّـة وقيل . . بن الحُبـاب بن سُنّة، وقيل إنّ أمه بنت سُنّة بن الكـاهل وهو الصحيح وأنه كان له خال يُقال له عمرو بن سُنّة شاعر، مختار الأغاني ٦/١٨٥.

٢٩٨ ـ قيس بن زهير

دوم ـ سجس ـ عصي

. . العبسي ذكر البغداديّ في «شرح أبيات مغني اللبيب» ٢/٣٦١ أنه جاهليّ، كنيته «أبو هند» «كنى الشعراء» /٢٨٩/ وفي «معجم الشعراء في لسان العرب» للأيوبي : أدرك الإسلام وأسلم ثم ارتدّ.

٢٩٩ ـ قيس بن عنبس الفزاري

صفق

لم أجد ترجمة له.

٣٠٠ ـ قيس بن النعمان

خـرب

لم أجد ترجمته.

٣٠١ ـ كبشة

ثأر ـ رمل ـ ودي

.. بنت معـدي كرب الزبيديّ صحابيَّة «الأعلام» ٥/٢١٨ والأبيات جميعها من قصيدة ترثي فيها أخاها عبدالله في «شرح الحماسة» للتبريزي ١/١١٨ ، والشاهد في «ودي» هو نفسه في «ثأر» باختلاف يسير في الرواية ، والشاهد في «ودي» ورد منسوباً إلى أخْت عمرو بن معدي كرب.

٣٠٢ ـ كُثّير بن جابر المحاربيّ

عـدن

لـم أجد ترجمته ، والشاهد الأول في «اللسان» «عدب» .

٣٠٣ ـ كُثّير

بلد ـ بلط ـ ترب ـ ثري ـ ثوب ـ جبن ـ حمل ـ حمم ـ دلي ـ ذرر ـ رسم ـ رشق ـ رصد ـ رقي ـ سبي ـ سجد ـ شبب ـ شكم ـ شمت ـ صبب ـ صحب ـ ظلع ـ عذق ـ عفر ـ عقب ـ عوز ـ غطش ـ كدد ـ كعب ـ لسن ـ مرح ـ مسح ـ نثل ـ ندي ـ نشب ـ نوح .

أبو صخر كثير بن عبدالرحمن الخزاعي صاحب عزة توفي / ١٠٥/ هـ «وفيات الأعيان» ٤/ ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ١١٣ .

الشواهد وردت لكُثير دون تحديد والشاهد في «كدد» في التاج «كدد» للكميت باختلاف في روايته .

٣٠٤ ـ كعب بن جعيل

سـطم

.. بن عُجـرة شاعر إسلامي مفلق في أول الإسلام شهد مع معاوية صفين «معجم الشعراء» /٢٣٣/ .

٣٠٥ ـ كعب بن زهير

أوب ـ تبل ـ جنب ـ حدب ـ حرر ـ حطم ـ خرب ـ دمن ـ ذكر ـ رجم ـ ركض ـ سدد ـ سوط ـ ضوأ ـ ظلم ـ فقد ـ فيأ ـ قهر ـ كلأ ـ لفع ـ هجن ـ وثق ـ يسر.

. . بن أبي سلمى عدّه ابن سلام في الطبقة الثانية من فحول الجاهلية «طبقات فحول الشعراء» ١/٩٧.

الشواهد في «أوب ـ تبل خرب ـ سدد ـ سوط ـ هجن ـ» وردت منسوبة الى كعب دون تحديد وهي لكعب بن زهير، فالشاهدان في «أوب» في ديوانه /١٦ ـ ١٧/، أما الشاهد في «سدد» فهو للأعشى في «اللسان» و«التاج» «سدد» وهو غير موجود في ديوان كعب أو ديوان الأعشى، والشاهد «سوط» في ديوان كعب /٨/ والشاهد في «هجن» في ديوانه /١١/ والشاهد في «تبل» في ديوانه /٦/ وفي «خرب» في ديوانه /١٢١/ باختلاف يسير.

٣٠٦ ـ كعب الغنويّ

ربأ ـ عور ـ نبط

كعب بن سعد الغنوي ويقال له كعب الأمثال لكثرة ما في شعره من الأمثال، جاهلي، وذهب القالي إلى أنه إسلامي وتابعه البغدادي وزاد قائلاً والظاهر أنه تابعي وأضاف الزركلي وليس بصواب «الأعلام» ٥/٢٢٧. وهو من أصحاب المراثي. وورد في «أنساب الخيل» للغندجاني ص/٣٦/ عن الأصمعي عن حبيب بن شوذب عن أبيه: سمعت كعب بن سعد الغنويّ ينشد المرثية بـ«راذان» أراه في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه» أ. هـ.

وانظر الأصمعيات ص٧٣ و ٩٣ فقد ذكر المحققان كلّ ما قيل في نسبه ومصادر ترجمته.

٣٠٧ ـ كعب بن لؤي

ثلج

. . بن غالب.وبين موت كعب وبين الفيل /٥٢٠/سنة «معجم الشعراء»

٢٢٨ وذكر في الأعلام ٥/٢٢٨ حاشية: ما أورده المرزباني من خطأ الطبع صوابه/ ١٢٠/سنة نقلاً عن مقدمة «الوافي بالوفيات».

٣٠٨ ـ كعب بن مالك

حبش ـ سخن ـ قدم

.. بن أبي كعب يكنى أبا عبدالله ومات في خلافة علي بن أبي طالب «معجم الشعراء» ٢٢٩.

.. الأنصاري السَلَميّ الخزرجيّ مخضرم ت(٥٠)هـ «الأعلام» ٥/٢٢٨ الشاهد في «سخن» في ديوان حسان بن ثابت /٤٤٥/ لحسان عن العقد الفريد ونسب لابن الزبعري في مجمع الأمثال ١/١٨٧.

٣٠٩ ـ الكميت

أبى ـ أتب ـ أفق ـ أول ـ بأر ـ بصر ـ بلغ ـ تمك ـ ثأج ـ ثمر ـ جثل ـ حدد ـ حسب ـ حطط ـ حلب ـ حتي ـ دبب ـ دغل ـ رأب ـ رتب ـ رجل ـ رقأ ـ رمق ـ روي ـ زفر ـ زمن ـ زند ـ زور ـ سدس ـ سوف ـ سوق ـ شأف ـ شرف ـ صري ـ صفو ـ صلد ـ صير ـ ضبط ـ ضرب ـ ضرك ـ ضري ـ طرب ـ طرر ـ طعم× ـ طهر ـ عتد ـ عثر ـ عجل ـ عرب ـ عرض ـ قتر ـ قتل ـ قذف ـ قصف ـ قعر ـ قفو ـ قلس ـ كثر ـ كلأ ـ كهه ـ لبس ـ لحس ـ لهج ـ مثل ـ مخط ـ مصر ـ مقق ـ ملع ـ منح ـ مهل ـ نأد ـ نبش ـ نحر ـ ندس ـ ندى ـ نزل ـ نشل ـ نصح ـ نضب ـ نضح ـ نضر ـ نفض ـ نقب ـ نور ـ هبب ـ هزج ـ همم ـ هول ـ هيض ـ وثب ـ ودج ـ وعث ـ يبب× ـ يدي.

الكميت بن زيد بن خُنيس بن مجالد أو الكميت بن زيد بن الأخنس.. ويُكنى أبا المستهل ومنزله الكوفة «معجم المرزباني» ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

الكميت جرمقاني من أهل الشام وفي حاشية الكتاب «وفي اللسان وجرامقة الشام أنباطها» «الاشتقاق» /٤٤٧/.

الكميت بن زيد بن الورد بن ربيعة «شرح هاشميات الكميت» /١١/.

الشاهد الثاني في «عفر» ومطلعه «وإذا الخرد اغبررن..» سبق بقوله

وقال،وهو في «اللسان» «عفر» للكميت باختلاف في روايته، والشاهد الثاني في «يبب» سبق بقوله وقال أيضاً ومطلعه «يباب من التنائف. .» وهو في «اللسان» «للكميت» والشواهد جميعها وردت في «الأساس» منسوبة إلى الكميت دون تحديد ومعظمها في «اللسان» دون تحديد كذلك.

والشواهد في «بلغ ـ ثأج ـ جثل ـ حسب ـ حطط ـ رأب ـ شأف ـ ضبط ـ طرب» في «شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي» على ترتيب المواد ص(٨٨ ـ ٢٤ ـ ١٠٩ ـ ١٤٤ ـ ١٩٦ ـ ٨٤ ـ ٢٧٧ ـ ١٥٩ ـ ٤٣».

والشاهد الذي أورده الزمخشري في «علف» وسبق بقوله قال الحماسيّ وهو «اذا كنت في قوم عدى لست منهم. .» ذكره المرزباني ص/٢٣٩/ للكميت بن زيد في رواية دعبل.

٣١٠ ـ لبابة الأسديّة

رضع

لم أجد ترجمتها.

٣١١ ـ لبيد

بجل ـ بعض ـ بقي ـ بهل ـ تبل ـ ثقل ـ جزي ـ جيء ـ جود ـ حزق ـ حصر ـ حقق ـ حنق ـ خرز ـ خرم ـ خزي ـ خني ـ خون ـ دلي ـ دمع ـ ذكر ـ رجح ـ رعع ـ رفع ـ رقص ـ روض ـ ريع ـ زحف ـ زلم ـ سأد ـ سبأ ـ سخن ـ سرو ـ سنم ـ شسف ـ شعل× ـ شمل ـ شيع ـ صبع ـ صدح ـ صدع ـ صنع ـ صون ـ ضعف ـ طبل ـ طرق ـ طعن ـ طفل ـ ظرر ـ عتق ـ عجب ـ عرف ـ عري× ـ عضض ـ عطل ـ عطن ـ عمر ـ عوص ـ غلو× ـ غور ـ فرط ـ قتب ـ قدم ـ قلص ـ قمص ـ كبب ـ كري ـ كنس ـ لبس ـ لحن ـ لعب ـ لمس ـ لمع ـ متع ـ مقر ـ نحس ـ نعش ـ نفص ـ نقل ـ نهض ـ هتف ـ هجد ـ هضم ـ همم ـ هنو ـ وسق ـ وسل ـ وشل ـ وصم ـ يدي ـ يسر.

. . . بن ربيعة بن مالك ذكره ابن سلام في الطبقة الثالثة من فحول الجاهليين «طبقات فحول الشعراء» ١/١٢٣.

الشاهد في «بقي» نسبه في «صرد» إلى الصلتان، والشاهد الثاني في «خرز» سبق بقوله: وقال ومطلعه «لن تدركا خرزات. . .» هو في ديوان لبيد /١٣/ دار صادر باختلاف في الرواية، والشاهد الثاني في «يدي» سبق بقوله: وله، ومطلعه «أضلّ صواره. .» وهو في ديوانه /١٠٥/ دار صادر.

٣١٢ ـ لقيط بن زُرارة

تيم ـ رمس ـ مرق

. . . بن عدس قتل يوم جبلة «المؤتلف والمختلف» /١٧٥/ ط قدسي . . فارس شاعر جاهلي كنيته أبو دخنتوس ويقال له أبو نهشل قتل يوم شعب جبلة «٥٣» ق. هـ «الأعلام» ٥/٢٤٤.

٣١٣ ـ ليلى الأخيلية

ثوب ـ حيي ـ رهب ـ صنو ـ مرض ـ نهي

الشاهد في «حيي» ورد منسوباً إلى ليلى دون تحديد وهو للأخيلية في «الشعر والشعراء» /٢٧٤/ باختلاف في روايته والشاهد في «رهب» ورد منسوباً دون تحديد وهو في «التعازي والمراثي» /٧٧/ للأخيلية وهو فيه:

وقد كنت مرهوب الجنان وبيّناً ومجدامَ سير دائباً غير فاتر

مالك بن الحارث

فسح

الشاهد ورد منسوباً إلى الهذلي انظر «الهذلي» «فسح»، وهو أخو أسامة ابن الحارث شاعر مخضرم أحد بني كاهل «معجم الشعراء» /٢٦٢/

٣١٤ ـ مالك الخناعيّ

ألب ـ نبب ـ قرع ـ قمح

. . . بن سعد بن خناعة بن سعد بن هذيل «خزانة الأدب» ٤/٢٣٣ ويظهر من شعره أنه جاهلي انظر شعره في ديوان الهذليين القسم الثالث /١

ـ ١٥ / الشاهد في «قرع» و«قمح» وردا منسوبين إلى «الهذليّ» انظر «الهذليّ» «قرع» و«قمح».

٣١٥ ـ مالك بن الرَّيب

لقح ـ هبو

. . . بن حوط. . . بن مازن بن مالك. . . بن تميم خرج الى خراسان فغزا مع سعيد بن العاص ومات بها «معجم الشعراء» /٢٦٥/ توفي نحو (٦٠)هـ «الأعلام» ٥/ ٢٦١.

٣١٦ ـ مالك بن زُغْبة

سرع ـ فرأ ـ قصر

شاعر جاهليّ شهد يوم الكوم مع باهلة «الاختيارين» /١٤٧/ح والخزانة ٣/ ٤٤١، والشاهد في «سرع» في «إصلاح المنطق» /٣٥/ و«مجالس ثعلب» ١/ ١٧١ وفي «ديوان الأدب» ٢/ ١٧٥ وفيها جميعاً باختلاف في الرواية وفي «شرح أبيات مغني اللبيب» ٥/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤ : «قال الصاغاني في العباب «نور» «حذق» هذا البيت أنشده الأزهري لمالك بن زغبة وإنما هو لجزء بن رياح الباهليّ وقال السيوطي ثم وقفت على القصيدة بتمامها في القصائد الأصمعيات وعزاها لأبي شقيق الباهلي واسمه جزء بن رياح الباهلي» وذكر المحققان في «ح» أن الأزهري لم ينسبه لأحد وهو غير موجود في الأصمعيات، والشاهد في «فرأ» في «شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف» /١٦٦/ و«اللسان» «وزغ»، والشاهد في «قصر» في «إصلاح المنطق» /٢٧٤/.

٣١٧ ـ مالك بن عوف الغامدي

بحت

الشاهد في معجم مقاييس اللغة ١/ ٢٠٤ دون نسبة.

٣١٨ ـ مالك بن نويرة

سنن ـ صرم ـ غيم

. . . بن جمرة بن شداد التميميّ أبو حنظلة ويلقب بـ «الجَفُول» «معجم الشعراء» /٢٥٩ ـ ٢٦٠/ . ويقال له فارس ذي الخمار وهي فرسه «الأعلام» ٢٦٧/٥ .

٣١٩ ـ المتلمس

جذم ـ جمد ـ خرط ـ رفل ـ روى ـ سمح ـ سوغ ـ عتب ـ عصر ـ كدس ـ كشر ـ لأم ـ لوح ـ ملس ـ نشق ـ نفل .

جرير بن عبد المسيح الضبعيّ وهو المتلمس بن عبدالمسيح بن عبدالله «المؤتلف والمختلف» /٧١/ وهو خال طرفة /٢٠٢/ شاعر جاهلي من أهل البحرين ت نحو/٥٠/ ق. هـ وهو فيه جرير بن عبدالعربي أو عبدالمسيح «الأعلام» ٢/ ١١٩ .

٣٢٠ ـ متمم بن نويرة

قذر ـ كنف ـ نحو

أبو نهشل وذكر الزركلي في «ح»: ضبطه الفيروز آبادي في مادة «تم» بفتح الميم الوسطى المشددة ثم جعله في مادة «نور» بالشكل مكسور الميم «الأعلام» ٥/ ٢٧٤ ويقال له أبو ابراهيم «معجم الشعراء» /٤٣٢/

الشواهد وردت منسوبة إلى متمم دون تحديد، الشاهد في «قذر» في المفضليات /٢٦٦/ لمتمم بن نويرة وكذلك الشاهد في «كنف» فيهما /٢٦٦/ باختلاف في الرواية .

٣٢١ ـ المتَنخِّل

أبط ـ بري ـ ربع ـ زلم ـ سطو ـ سقط ـ شمع ـ عتك ـ فقح ـ لوب ـ وعى .

. . . الهذليّ واسمه مالك بن عويمر أحد بني لحيان جاهلي «معجم الشعراء» /٢٥٧/ . أبو أثيلة «الأعلام» ٥/ ٢٦٤، مالك بن عمرو ويقال

المتنخل بكسر الخاء وفتحها «الاقتضاب» /٣٦٣/ وذكر في «معجم الشعراء في لسان العرب» أنه مخضرم، الشواهد في «سقط» و«شمع» و«عتك» و«فقح» و«وعى» وردت منسوبة إلى الهذليّ، انظرها في «الهذليّ».

٣٢٢ ـ المثقِّب العبديّ

ثقب ـ لكك

. . . النكريّ واسمه عائذ بن محصن وقيل اسمه شأس بن عائذ وقيل نهار بن شأس، كنيته أبو واثلة، وهو جاهليّ من شعراء البحرين «معجم الشعراء» /١٦٧/، الشاهد في «لكك» ورد منسوباً الى العبدي دون تحديد وهو للمثقب العبدي في «التاج» «لكك» باختلاف في الرواية.

٣٢٣ ـ محمد بن ذؤيب العمانيّ

دلي ـ طير ـ فرط ـ لذذ ـ موت

محمد بن ذؤيب بن محمد بن قدامة الحنظليّ الدراميّ الراجز وهو بصري، والعمانيّ لشدة صفرته، شاعر متوسط من شعراء الدولة العباسيّة كان في عهد الرشيد عُمّر /١٣٠/سنة «مختار الأغاني» ٧/١٨٠. شاعر قديم مفلق مطبوع جيد الرجز والقصيد غلب عليه الرجز وكان يوزن بالعجاج ورؤبه بل كان أطبع منهما، وكان من أقرانهما في السن والزمان، وأقران دكين وأبي النجم، امتدح الحجاج وأدرك أيام الرشيد «طبقات الشعراء» لابن المعتز /١٠٧ ـ ١١٤/. النهشليّ التميميّ أبو العباس من أهل الجزيرة وقيل من ديار مضر «المحمدون من الشعراء» /٤٤٢/، الشواهد في «طير» و«فرط» وردت منسوبة إلى العمانيّ دون تحديد وفي «دلي» و«موت» لمحمد بن ذؤيب، وفي «لذذ» لمحمد بن ذؤيب العمانيّ.

٣٢٤ ـ محمد بن يزيد الأمويّ

وزن

محمد بن يزيد البشري الأمويّ أبو جعفر من ولد بشر بن مروان بن

الحكم، جزريّ من أهل ميافارقين له في المتوكل مراثٍ «معجم الشعراء» /٣٨٩/ محمد بن يزيد الأمويّ السّلميّ «الرسالة الموضحة» للحاتميّ /٣١/ وأظن السّلمي تصحيفاً للمسلميّ وفي «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ذكر في «ولد مسلمة بن عبدالملك، محمد بن يزيد بن محمد بن مسلمة بن عبدالملك الحصنيّ الشاعر» ص/١٠٤/ وفي ولد بشر بن مروان «البشري الشاعر البغدادي محمد بن يزيد بن مسلمة بن هشام بن بشر بن عبدالملك بن بشر بن مروان بن الحكم» ص/١٠٦/ إلاّ أن من وضع فهرس الكتاب جعلهما شاعرين.

والبيتان في «سرور النفس» والأول:

حتى إذا ما الدلـو في ... حـوضٍ من الحـوت كرع

وذكر «أبو الأصبغ محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبدالملك الأمويّ وكان من أفصح المحدثين وأوصفهم للأزمنة والنجوم» ص/١٤٦ ـ ١٤٧/.

٣٢٥ ـ المُخبَّل السَّعديّ

جهم ـ حلق ـ ضلل ـ عري ـ غبر ـ فتك

ربيعة بن مالك بن ربيعة مخضرم وقيل اسمه كعب بن ربيعة وكنيته ابو يزيد جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان «مختار الأغاني» ٣/٥٨٥، ربيع بن ربيعة بن عوف «خزانة الأدب» ٢/٥٢٥، الشاهد في «ضلل» ورد منسوباً إلى المخبل دون تحديد وهو كذلك في اللسان والتاج.

٣٢٦ ـ مِراس بن عَقيل من بني بُهثة

سنج

لم أجد ترجمة له

٣٢٧ ـ مرداس الدبيريّ

خضل ـ قبر

لم أجد ترجمة له

٣٢٨ ـ المرّار الفقعسيّ

حزب ـ طفل ـ طلع ـ عبط ـ كحل ـ لوث ـ نأم ـ وزر

المـرّار بن سعيد بن حبيب الفقعسيّ الأسديّ من مخضرمي الدولتين وقيل لم يدرك الـدولـة العبـاسيّة وكان لصاً «مختار الأغاني» ٦/٤٢٧، أبو القـطران «رسـالـة الغفـران» /٢٥/ إسـلاميّ كثير الشعر «معجم الشعراء» /٣٣٧/ الشاهدان في «طفل» وردا منسوبين إلى المرار دون تحديد وهما للمرار بن سعيد في «اللسان» «نشغ» والشاهد في «نأم» ورد منسوباً إلى المرار دون تحديد.

٣٢٩ ـ مَرّار بن منقذ

زبن ـ غوى ـ نجو ـ نشص ـ نشع

المرّار بن منقذ = المرّار الحنظليّ = المرّار العدويّ

المرّار بن منقذ بن عبد من تميم أموي عاصر جرير و«معجم الشعراء» /٣٣٨/

المرّار بن منقذ الجُليّ الطائيّ الشاعر كان في زمن الحجاج «تبصير المنتبه» ١/٣٤٣ وضبطه الزمخشري في «نشع» مُرار بالضم وأظنه خطأ.

٣٣٠ ـ المرقِّش الأصغر

جشم

ربيعة بن سفيان وقيل عمرو بن حرملة «المفضليات» /٢٤١/ حرملة بن سعـد أو ربيعـة بن سفيان جاهليّ عاصـر المهلهل «معجم الشعراء» /٤/ الشـاهـد ورد منسوباً للمرقش دون تحديد وهو للأصغر في «المفضليات» /٢٤٧/ باختلاف يسير.

٣٣١ ـ المرقِّش الأكبر

أود ـ رقش ـ زلف ـ قرن ـ نشر

عمـرو بن سعد عم المرقّش الأصغر «المفضليات» /٢٢١/ عوف بن

سعد أو ربيعة بن سعد جاهليّ عاصر المهلهل بن ربيعة «معجم الشعراء» /٤/ والشواهد وردت منسوبة إلى المرقش دون تحديد وهي للأكبر في المفضليات على ترتيب المواد «٢٤١ ـ ٢٣٧ ـ ٢٣١ ـ ٢٢٨ ـ ٢٣٨» باختلاف يسير في رواية بعض الأبيات.

٣٣٢ ـ المروّح السّلميّ

مضض

لم أجد ترجمته

٣٣٣ ـ مُزَاحِم العُقَيليّ

أسل ـ أنف ـ خطم ـ رقق ـ زهو ـ سبي ـ سلف ـ شهق ـ عرف ـ فلل ـ قرح ـ قفل.

مزاحم بن الحارث وقال صاحب الأغاني هو مزاحم بن عمرو شاعر بدوي فصيح إسلامي كان في زمن جرير والفرزدق «خزانة الأدب» ٣/٤٥ الشواهد في «أنف» و«خطم» و«رقق» و«زهو» و«سبي» و«سلف» و«شهق» و«قرح» و«قفل» وردت منسوبة إلى مزاحم دون تحديد، الشاهد في «أنف» لمزاحم العقيلي في «التاج» «أنف» ولابن أحمر في «اللسان» «أنف» وهو في ديوان ابن أحمر فيما نسب لابن أحمر وإلى غيره والشاهد في «رفق» في «التاج» «رقق» لمزاحم العقيليّ والشاهد في «زهو» في «التاج» و«اللسان» لمزاحم دون تحديد وكذا الشاهد في «سبى» والشاهد في «شهق» لمزاحم العقيلي في «التاج» «شهق».

٣٣٤ ـ مُزرِّد بن ضرار

دبل ـ دحس ـ رمز ـ زرد ـ سبغ ـ شرف

يزيد بن ضرار الغطفانيّ أخو الشماخ وكنيته أبو ضرار وقيل أبو الحسن أدرك الإسلام وأسلم «معجم الشعراء» /٤٨٣/، الشواهد وردت منسوبة إلى مزرّد دون تحديد، الشاهد في «دبل» في «العقد الفريد» ٦/٣٠٢ لمزرد بن

ضرار وفيه «رؤس ـ رخال قطعت لا تجمّع» بدل «رؤس تقاد يوم نهب تجمّع» والشاهد في «زرد» في «الشعر والشعراء» /١٧٧/ لمزرد بن ضرار والشاهد في «سبغ» في «المفضليات» /٩٨/ لمزرد بن ضرار باختلاف يسير.

٣٣٥ ـ مُزرِّد بن مزرِّد

قرس

لم أجد ترجمته.

٣٣٦ ـ مسافر بن أبي عمرو

لفف

. . . بن أمية من رجال قريش «الاشتقاق» /١٦٦/ اسمه: ذكوان بن عبد شمس توفي نحو (١٠) ق. هـ «الأعلام» ٢١٣/٧ هلك بالحيرة عند النعمان بن المنذر وكان خرج في تجارة «نسب قريش» للزبيري /١٣٦/.

٣٣٧ ـ المستوغر

رضف

«عمرو بن ربيعة بن كعب ويكنى أبا بيهس مات في صدر الإسلام ويقال انه عاش إلى أول أيام معاوية وسمي المستوغر ببيت قاله» «معجم الشعراء» /٢٣/ وفي «الأعلام» ٧٧/٥ ساق نسبه كما سبق ثم ذكر شاعراً من المعمرين الفرسان في الجاهلية. قيل أدرك الإسلام

٣٣٨ ـ مسكين الدارميّ

جدي ـ قصب ـ كحل ـ محل ـ ملح ـ نصص

ربيعة بن عامر بن أنيف من تميم ومسكين لقب عليه، هاجى الفرزدق «مختار الاغاني» ٥٢/٤.

مسلم بن معبد الوالبيّ

انظر سَلْم بن معبد الوالبيّ

٣٣٩ ـ المُسَيَّب بن عَلَس

توم ـ ذمم ـ رفف ـ سرب ـ سقف ـ صوع ـ طلق ـ مطو ـ ملع ـ وذل ـ يدع .

زهير بن عَلَس جاهليّ لم يدرك الإسـلام ومن شعـراء بكـر بن وائـل المعدودين وخال الأعشى يكنى أبا الفضة «الشعر والشعراء» ١ / ١٧٤ ـ ١٧٥ .

٣٤٠ ـ مصرِّف بن الأعلم العقيليّ

تبع ـ سبب

. . بن خويلد بن عامر بن عقيل العامريّ فارس وشاعر جاهليّ «معجم الشعراء» /٣٠٦/ و«الأعلام» ٧ /٢٢٨ .

الشاهد في «تبع» في «أشعار العامريين الجاهليين» /٧٨/ .

٣٤١ ـ مضرِّس بن ربعيّ

شرق ـ مطر

. . . بن لقيط بن خالد بن نضلة شاعر معاصر للفرزدق «شرح الحماسة» للمرزوقي /١١٣٨/ وفي «خزانة الأدب» ٢ /٢٩٣ شاعر جاهليّ الشاهد في «شـرق» ورد منسـوباً إلى مضرس دون تحديد وربما كان من قصيدة روى المـرزبـاني منهـا بيتـاً ص/٣٠٧/ أو هو البيت نفسـه برواية أخـرى وذكر المرزباني أنّ له خبراً مع الفرزدق .

٣٤٢ ـ معاوية بن أبي سفيان

تره

الشاهد ورد منسوباً إلى معاوية دون تحديد وهو لمعاوية بن أبي سفيان في «وقعة صفين» لنصر بن مزاحم /٣٣/ و«شرح نهج البلاغة» ٢ /٧٨ مع أبيات اخرى .

٣٤٣ ـ معبد بن سَعْنَة

هذذ

الشاهد في «اللسان» و«التاج» دون نسبه وفي «التاج» «سعن» وابن سعنة

شاعر جاهليّ واسمه معبد بن ضبة .

٣٤٤ ـ المعترض الظفريّ

جحش

الشاهد في «التاج» «جحش» للمعترض السّلميّ وهما واحد فبنو ظفر من سليم ، والمعترض شاعر جاهلي واسمه المعترض بن حنواء قتل يوم أنْف انظر «خزانة الأدب» ٣/ ١٧٤ .

٣٤٥ ـ معقل بن ريحان

زمن

لم أجد ترجمته

٣٤٦ ـ معقل بن عوف بن سُبيع

أدم ـ فضل

. . . الثعلبي شاعر جاهلي ممن شهد حرب داحس والغبراء «نقائض جرير والفرزدق» ١/ ١٠٧ ، والشاهد في «أدم» هو الشاهد الأول في «فضل» .

٣٤٧ ـ معن بن أوس

ضبط ـ عصي

معن بن أبي أوس المزنيّ رضيع عبدالله بن الزبير وكان مصاحباً له وفي «ح» «المعروف أنه معن بن أوس» «معجم الشعراء» /٣٢٢/ شاعر مجيد فحل مخضرم عمّر إلى ايام الفتنة بين عبدالله بن الزبير ومروان بن الحكم «مختار الأغاني» ٧/ ١٧ .

٣٤٨ ـ مغلّس الرّبعيّ

نشع

لم أجد ترجمته

٣٤٩ ـ المغيرة بن حَبْناء

أطر ـ طبع

. . . التميميّ وحبناء أمه واسمها ليلى وهو المغيرة بن عمرو وكنيته أبو

عيسى وهو شاعر المهلب وفي (ح) وقال ياقوت : وحبناء لقب على أبيه واسمه جبير، قال وذكر ابن ماكولا في الإكمال: ان حبناء أمه وهو خطأ ويدل على صحة قول ياقوت قول زياد الأعجم بهجوه :

إن حبناء كان يدعى جُبيرا   فدعوه من لؤمه حبناء «معجم الشعراء /٢٧٣/ كان شاعر تميم في عصره وقتل بخراسان «الاشتقاق» /٢٢٠/ .

٣٥٠ ـ مَقَّاس العائذيّ

خصف

ويقال الغامديّ واسمه مُسْهر بن النعمان من قريش نسبوا إلى أمهم عائذة وقيل اسمه مسهر بن عمرو وقال ابن دريد اسمه يعمر بن عمرو وهو شاعر مخضرم «معجم الشعراء» /٣٣١/ وفي «الاشتقاق» ذكر ابن دريد: ومن بني عائذة مقاس الشاعر الجاهليّ واسمه مسهر» ص/١٠٨/ .

٣٥١ ـ المقدام التميميّ

تبل

لم أجد ترجمته

٣٥٢ ـ مكحول بن عبدالله

سمك

. . . السعديّ والبيت في «حلية الفرسان وشعار الشجعان» /١٨١/ باختلاف في الرواية وفي «ح» ويروى هذا البيت في كتاب «الخيل» لأبي عبيدة ص/١٤/ برواية أخرى ويبدو أنه شاعر إسلامي فالبيت الذي قبل هذا البيت في «حلية الفرسان» :

تلوم على ربط الخيول وحبسها   ووصّى بها الله النبيَّ محمدا

٣٥٣ ـ مليح الهذليّ

حطط ـ رهج ـ شبب ـ صبو ـ صحح

المليح بن الحكم الهذليّ أحد بني قرد بن معاوية شاعر إسلاميّ «معجم

الشعراء» /٤٤٩/ الشاهد في «صبو» ورد منسوباً إلى الهذليّ انظر «الهذلي» «صبو».

٣٥٤ ـ الممزِّق

أكل ـ ثلث ـ خسي ـ مرق

شأس بن نهار بن أسود العبديّ وهو ابن أخت المثقب العبديّ ونقل المرزباني قولاً بأن اسمه يزيد بن نهار وقولاً آخر غريباً وهو يزيد بن خذاق «المفضليات» /٢٩٩/ ح الشواهد وردت منسوبة الى الممزق دون تحديد.

الشاهد في «أكل» في «الأصمعيات» /١٦٦/ والشاهد في «ثلث» فيها /١٦٥/ والشاهد في «مرق» في «المفضليات» /٣٠١/ وهي للممزق العبديّ.

٣٥٥ ـ مُنبّه بن سعد بن قيس بن عيلان

عصر

أعصر، واسمه مُنبّه، وهو أبو القبائل باهله وغني والطفاوة، وقوم يقولون «يعصر» وليس بشيء «معجم الشعراء» /٤٣٢/ والشاهد فيه باختلاف في الرواية.

٣٥٦ ـ منظور بن رواحة

شطن

شاعر وجده خنثر بن الأضبط الكلابيّ مشهور «التاج» «نظر» أسره خالد بن نضلة يوم النِّسار «النقائض» /٢٤١/ والشاهد في «معجم الشعراء» /٢٨٢/ ح و«الحيوان» ١/ ٣٠٠ باختلاف يسير.

منظور بن سحيم

انظر نصيح بن منظور

٣٥٧ ـ منظور بن فروة «الفقعسيّ»

رعد ـ سعل ـ صيد ـ عطس

منظور بن مرثد بن فروة الفقعسيّ وقيل هو منظور بن فروة بن مرثد بن

نضلة بن فقعس إسـلاميّ،وفي «ح» كنـاه أبو محمد الأسود: أبا مسعر وهو منظور بن حبة وحبة أمه وهو ابن مرثد بن فروة «معجم الشعراء» /٢٨١/ وفي «خزانة الأدب» ٢/٥٥٣ منظور بن مرثد ومنظور بن حبة واحد بعضهم ينسبه إلى أبيه وبعضهم ينسبه إلى أمه.

الشاهد في «رعد» ورد منسوباً إلى منظور الفقعسي وهو في اللسان والتاج دون نسبـة ولمنـظور بن مرثد بن فروة أبيات في «معجم الشعراء» من وزن البيت الشاهد وقافيته.

٣٥٨ ـ ميسرة

حمش

الشاهد في ديوان «زياد الأعجم» وذكر المحقق في الحاشية أن الجاحظ رواه منسوباً إلى ميسرة أبي الدرداء.

٣٥٩ ـ مُهلهل

علق ـ نبض

. . بن ربيعـة التغلبيّ وقيل اسمـه امرؤ القيس وقال محمد بن سلام الـصحيح «معجم الشعـراء» /٧٩/ وفي «الشعـر والشعـراء» /١٦٤/ عدي بن ربيعـة أخـو كليب وهـو خال امرىء القيس وجد عمرو بن كلثوم

عدي بن ربيعة أخو كليب وهو خال امرىء القيس وجد عمرو بن كلثوم أسره عوف بن مالك ومات في إساره، وفي «كنى الشعراء» /٢٨٨/ كنيته أبو ربيعة، الشاهدان في «التاج» دون تحديد والأول في «اللسان» و«الاشتقاق» /٢٥٩/.

ثالثًا : تعليقات ومناقشات

مع الياء من اسم العلم "العاصي"

د. ابراهيم السامرائي

لقد قرأت البحث الموسوم بـ«الياء من اسم العلم العاصي» للاستاذ صبحي البصام في العدد (٣٤) من مجلة المجمع، قراءة مستفيد. فسرني استيفاؤه المسألة، وإصلاحه لما درج عليه الكاتبون والمعربون من حذف الياء من «العاصي» اختصاراً، وهو غلط.

ان الفوائد الكثيرة التي بسطها الاستاذ البصام مفيدة كل الافادة. أصاب فيها الغرض، ولي أن أقول: «قطعت جهيزة قول كل خطيب».

وكنت قد وقفت على قول العلاّمة أحمد زكي باشا ـ رحمه الله تعالى ـ منذ أكثر من ثلاثين سنة في «كتاب التاج في أخلاق الملوك» المنسوب الى الجاحظ على «حاشيته» في الصفحة (١٩٦) وأدرجتها في جملة «أوهام الخواص».

ان قول المحقق: «... ان «العاص» من «العَوَص» قول غريب. وغرابته أن يصدر من عالم جليل عُرف بالضبط والاتقان. ولو أنه قال: ان «العيص» و«أبا العيص» من «العوص» لكان ذلك وجهاً، فأما ان يكون «العاص» (كذا) من «العوص» فمردود اشتقاقاً، ألا ترى انك تقول من «العوص» «عائص» كما تقول من «القول» قائل. وان «العاصي» من «عصى يعصي» فهو منقوص، وحذف ياء المنقوص معروفة في الرفع والجر فأمّا اذا كان محلّى بالالف واللام فالياء تثبت فيه «العاصي». ان هذا شيء عرفناه ونحن صبية شداة.

والذي أشار إليه المحقق في حاشيته التي أحالت على «لسان العرب» لم يرد في «عوص»، بل ان «العاصي» في مادة «عصي» كما أشار الاستاذ البصام، والكلام فيها على «عصاة قريش».

ولم أقف، وأنا في صنعاء، على «كتاب الاشتقاق» لابن دريد لأتبين ما ورد فيه، وكان العلّامة الجليل قد أشار اليه في «حاشيته». وما أظن أن ابن دريد قد ذهب الى ان «العاص» من «العوص». مع ما قيل في ابن دريد وفي معرفته بالتصريف والاشتقاق. قال ابن جني: «وأما كتاب «الجمهرة» ففيه أيضاً من اضطراب وفساد التصريف مما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر..»[1].

ولا أدري أذهب المحقق العلامة في وهمه فحسب ان «العاصي» الذي حذفت ياؤه من «العوص» هذه المادة الموجزة في المعجم التي تفيد ضد الإمكان واليسر، ومنها الكلام العويص.. وقد اعتاص وأعوص في المنطق، والكلمة العوصاء.. واين هذا من «عصاة قريش» الذين أشار اليها صاحب «اللسان».

لقد ذهبت في ظني الى أشياء عدة، وما أحسب أني كنت مصيباً في الظن. لقد رأيت أن في العربية يتحول بعض الأجوف الى الناقص، وهذا في كلمات معدودة وليس مطّرداً.

ومن ذلك ما ورد في ترجمة (هور) في «لسان العرب»: وفي حديث خزيمة: تركتُ المُخّ راراً والمطيّ هاراً.

و«الهار» هو الساقط الضعيف، ويقال: هو هارٌ وهارٍ وهائر، فأما «هائر» فهو الأصل (لأنه من الاجوف هار يهور)، وأما «هارٌ» فعلى حذف الهمزة، وأما «هارٍ» فعلى نقل الهمزة الى ما بعد الراء، كما قالوا:

شائك السلاح وشاكِ السلاح.

أقول: وعندي ان الأصل في «شائك السلاح» و«شاكِ السلاح» هذا هو الأصل المضاعف ان «شكّه» السلاح: ما يلبس منه.

وقد تحولت «الشكّة» المضاعفة الى الاجوف «شائك» والمنقوص «شاكي». وكما لم يشع اسم الفاعل من «آنَ يئين»، وذهبوا الى اسم الفاعل من «أنَى يأني» وهو مقلوب عن الأصل، فقالوا «آنٍ» منقوصاً، ولم يقولوا: «آئن» لمكان الثقل.

قال ابو زيد: هو شاكٍ في السلاح، وشائك، وإنما يقال: شاكٍ اذا اردت

«فاعل» ، فاذا أردتَ معنى «فَعِلٍ» قلت : هو شاكٌ للرجل . وقال الفراء : رجل شاكي السلاح ، وشاكُ السلاح برفع الكاف مثل هارٍ وهارٌ، قال مرحب اليهودي حين بارز علياً :

قد علمت خَيبَرُ أنّي مرَحَبُ   شاك السلاح بَطَلُ مجرَّبُ

وقالوا : رجل مالٌ ونالٌ، من المال والنوال ، وانما هو: مائل ونائل في الأصل . وفي العربية من هذا شيء يعد من الغريب المفيد الذي يبرز سعة العربية وشجاعتها . ومنه ما كان في ترجمة «رادُ يرود» واسم الفاعل «الرائد» .

ومنه حديث الحجاج في صفة الغيث ، قال : «وسمعت الرُوّاد يدعون الى ريادتها» ، أي تطلّب الناس اليها .

وفي حديث وفد عبد القيس : إنا قوم رادة . مثل حاكة جمع حائك ، أي نرود الخير والدين لأهلنا .

وقد جاء من هذا «رادٌ» .

وقالوا : انه اما ان يكون «فاعلاً» ذهبت عينه ، وإما أن يكون «فَعَلا» ، إلا أنه اذا كان «فَعَلاً» فانما هو على النسب لا على الفعل ، قال ابو ذؤيب :

فبات يجمع ثم تمَّ الى منىً   فاصبح راداً يبتغي المزحَ بالسَّحْل

ورجل «رادٌ» بمعنى «رائد» ، وهو «فَعَل» بالتحريك بمعنى «فاعل» كالفرط بمعنى الفارط .

وبعد فهذه نبذة يسيرة هداني إليها بحث أخي الاستاذ البصام فله مني أزكى التحية وأوفى السلام .

تصويب قول العامة :

فلان أخِصَّائي بكذا وكذا

د. فوزي حسن الشايب
جامعة اليرموك

يشيع كثيرا على ألسنة العامة استعمال كلمة «أخِصّائيّ» بمعنى مختص او اختصاصي ، وذلك كقولهم : راجعت الطبيب الأخِصّائي ، وحضر الموظف الأخِصّائي . . . . . . وينكر كبار اللغويين وجهابذة الالفاظ على العامة استعمالهم هذه الكلمة ، ومن هنا كان انكار الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر على مقدمي برنامج «اسأل الاذاعة» في دولة الكويت استعمالهم هذه الكلمة . قال بهذا الخصوص[1] : « ويستعمل الناس الآن كلمة أخصائي - بكسر الخاء وتشديد الصاد - ويصر مقدمو برنامج «اسأل الاذاعة» بالكويت على نطقها هكذا، ولا معنى للكلمة على هذا الضبط ولا على ضبطها إخْصائي - بكسر الهمزة وسكون الخاء - والكلمة الصحيحة في هذا المقام ان يقال: اختصاصي الجراحة ، او مختصّ الجراحة . . . . . . » .

ولم يكن الدكتور أحمد مختار عمر أول من انكر استعمال أَخِصّائي .

فانكار هذه الكلمة مجمع عليه - في مبلغ علمنا - من قبل اللغويين كافة ، أما(الاخْصائي) التي أنكرها الاستاذ الدكتور احمد مختار عمر هي الاخرى ، فقد اثبتت كتب اللغة أصلا لها. وعلى كلٍ ، فقد كانت هذه الكلمة اي - الاخْصائي - موضوع مناظرة لغوية حامية الوطيس ، استعرأوارها بين اثنين من

(١) العربية الصحيحة ص ١٦٢

عمالقة اللغة في الربع الأول من هذا القرن، هما الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي والاستاذ الشيخ عبد الله البستاني[٢]. فقد انكر الاستاذ الشيخ عبد الله البستاني على الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي استعماله بعض الالفاظ، كان من بينها ما ظن الشيخ البستاني انه «الأخِصّائيين» فقال مخاطباً الشيخ المغربي[٣]: «تقول حفظك الله ان كلامي لا يفهمه إلّا صاحبه وطائفة الأخِصّائيين. أقول: تدبرت هذا القول مليا، فلم أفهمه، وأظن ان قائله لا يفهمه هو بعينه ولا أحد من المتخصصين، وذلك ان الأخِصّائيين جمع لأخِصّائي والأخِصّائي منسوب الى أخِصّاء وهو جمع لا ينسب اليه، وواحده خَصيص، وخصيص لفظ مهمل لا معنى له، وما لا معنى له لا يفهم.

واما قول الرقعمق:

أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة
وأتى رسولهم اليّ خصيصا

فخصيص منه غلط مطبعي صوابه خصوص. راجع معاهد التنصيص في باب المشاكلة».

وقد رد الشيخ المغربي عليه بأن ما جاء في كلامه هو الإخْصائيين وليس الأخِصّائيين؟ والإخْصائيين نسبة الى الإخْصاء، مصدر أخصى الرجل: اذا تعلم علما واحداً، كما في القاموس وشرحه[٤]. فلو ان الاستاذ الدكتور احمد مختار عمر اطلع على هذه المناظرات، وما جاء فيها، أو لو أنه استشار المراجع اللغوية، لما أطلق حكمه السابق، وذلك بالنسبة لِ «إخْصائي» على أقل تقدير، ولكنها العجلة والتسرع، وعدم التروي والتثبت، وحكم

---

(٢) جرت أحداث هذه المناظرات اللغوية على صفحات صحيفة الوطن البيروتية التي كان يملكها الاستاذ وديع عقل، وذلك في الربع الاول من هذا القرن وقد امتدت لاحد عشر شهرا؛ من ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢١م الى ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٢م. وقد جمع هذه المناظرات الاستاذ حسام الدين القدسي صاحب مكتبة القدسي، وطبعها في كتيب للافادة منها والانتفاع بما جاء فيها. انظر مناظرات لغوية وادبية ص٢.

(٣) مناظرة لغوية وادبية ص ٣٠.

(٤) المصدر السابق ص ٣٩.

الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر فضلا على كونه غير مسلم له به، لأنه خطأ بيّن كما سيتضح لنا من خلال الصفحات التالية، فانه يؤخذ عليه الى جانب ذلك خروجه في حكمه هذا على مذهبه وعدم تقيده والتزامه بما افتى به هو نفسه في كتابه الموسوم ب «العربية الصحيحة» حيث قال: - وما أحسن ما قال: - ان الحكم على كلمة بالخطأ أصعب بكثير من الحكم على أخرى بالصواب، لأن الحكم بالخطأ يعنى الزعم بعدم ورود اللفظ او العبارة في الأساليب الفصيحة، وهذا يستلزم الاستقراء التام وهو ما يصعب او يستحيل القيام به في كثير من الأحيان»(٥). فهل قام الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر حين حكم بوأد هاتين الكلمتين؛ أخِصّـائي وإخْصائي باستقراء تام، فثبت لديه عدم ورودهما في الأساليب الفصيحة؟ والجواب بطبيعة الحال النفي قطعا. فهو اذا حكم جائر، لم يبن على أساس علمي سليم.

واذا كان الدكتور احمد مختار عمر قد أنكر - ومن قبله الشيخان الجليلان البستاني والمغربي - على العامة استعمالهم كلمة «أخِصّائي» فاننا نرد عليهم انكارهم، ونقول: ان استعمال العامة هذه الكلمة استعمال صحيح مقبول، وله ما يسوغه لغويا، ومن حفظ حُجَّة على من لم يحفظ، وتحضرنا في هذا المقام - والشيء بالشيء يذكر - حكاية مشابهة لما نحن فيه، حكاها فيلسوف الادباء واديب الفلاسفة أبو حيان التوحيدي - جاء فيها «وقال الصاحب يوما: فَعْل وأَفْعال قليل. وزعم النحويون أنه ما جاء الا زَنْد وأزناد، وفرخ وأفراخ، وفرد وأفراد. . . . فقلت له: أنا احفظ ثلاثين حرفا كلها فَعْل وأَفْعال. فقال: هاتِ يا مُدّعي، فسردت الحروف، ودللت على مواضعها من الكتب ثم قلت: ليس للغوي ان يلزم مثل هذا الحكم الا بعد التبحر والسماع الواسع وليس للتقليد وجه، اذا كانت الرواية شائعة، والقياس مطردا»(٦).

وقبل ان نمضي بعيدا في اقامة الدليل على صحة استعمال «أخِصّائي» نقول باننا كنا نتمنى ان يعمد الاستاذ الدكتور احمد مختار عمر الى الخطأ

---

(٥) العربية الصحيحة ص ١٢٩.
(٦) معجم الادباء ١٥/٢٦.

اللغوي الذي ينطوي عليه اسم البرنامج الا وهو «اسأل الاذاعة» الذي هو من الوضوح والقبح في نفس الوقت بمنزلة البقعة السوداء الكبيرة في الثوب الناصع البياض، فيقومه أولا، ثم ينطلق بعد ذلك الى تقويم الاخطاء التي وردت في هذا البرنامج. ان العربية الفصيحة لا تعرف هذا الاستعمال:

«اسأل» ابتداء ألبتة. وقد كان لنا تعليق مقتضب في صحيفة الدستور الاردنية[٧]، على برنامج كان يحمل اسما مماثلا في الاذاعة المرئية الاردنية، الا وهو برنامج «اسألوا أهل الذكر»، والذي يذاع عادة بين يدي مدفع الافطار طيلة شهر رمضان المبارك، وبينّا انه استعمال خاطىء، وأن الالتزام بكلام العرب، والتقيد بالاعراف اللغوية، يقتضي ان يكون اسم البرنامج: «سلوا أهل الذكر» او «فاسألوا أهل الذكر» وكذلك ينبغي ان يكون اسم البرنامج الكويتي: «سل الاذاعة» او «فاسأل الاذاعة». وعليه، فان سكوت الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر عن هذا الخطأ اللغوي البارز، وتخطئته لـ أخِصّائي وإخْصائي هو في الحقيقة تصويب لخطأ، وتخطئة لصواب.

ان الهمزة؛ عين الفعل «سأل» يجب ان تسقط من الامر اذا ابتدىء به الكلام، وهذا قانون عام، لا يتخلّف ولا ينكسر، وبيان ذلك على النحو التالي:-

الامر كما هو مقرر ومعروف مقتطع من المضارع [٨]. ويتم الحصول عليه عن طريق اسقاط حرف المضارعة، واسقاط حركة آخر الفعل، وبذلك فان الامر من «يَسْأل» هو في الاصل «سْأَل s'al» غير انه باسقاط حرف المضارعة من «يَسْأل» يتشكل محظور لغوي، الا وهو التقاء صامتين في مقطع واحد في اول الكلمة؛ هما السين والهمزة، وهذا لا يجوز، ولا يكون بحال، عربيا ولا ساميا. قال بروكلمان: «[٩] لا يمكن بحسب قوانين المقاطع في اللغات السامية ان يلتقي صوتان صامتان في اول الكلمة، ولذلك فانه اذا

---

(٧) عدد الجمعة ٦/٥/١٩٨٨م.

(٨) انظر شرح المفصل ٧/٥٩ وانظر شرح الشافية ٣/٨٨.

(٩) فقه اللغات السامية ص ٧٣.

وجد مثل هذين الصوتين في صيغة ما نشأت حركة جديدة[10] قبل الصوت الاول ونادرا بعده، وكونت معه مقطعا مستقلا». يعني انه لا بد من الفصل بين الصامتين، ويتم ذلك عن طريق تخليق مقطع جديد باضافة كسرة قبل الصامت الاول. غير ان إضافة الكسرة وحدها لا تحل المشكلة، لانه سيترتب عليه ابتداء المقطع بحركة، ولكن المقاطع العربية والسامية عامة لا تبتدىء مقاطعها الا بصامت، قال بروكلمان[11]: «كل مقطع يبدأ في اللغات السامية اصلا بصوت صامت واحد او همزة» وللتغلب على هذه المشكلة تعمد العربية بشكل آلي الى تحقيق الحركة، وبتحقيقها تتخلق الهمزة، هي هذه المعروفة بهمزة الوصل. قال بروكلمان: [12]« كل حركة في اول الكلمة في اللغات السامية تنطلق في الاصل محققة، بمعنى انها تسبق بهمزة». وبذلك يصبح فعل الامر «اسأل: is'al».

ولكن صيغة الامر لم تقف عند هذا الحد من التطور، فقد تابع التطور في هذا الفعل مسيرته عن طريق المخالفة بين الهمزتين: همزة الوصل، والهمزة التي هي عين الفعل، نظرا لكون الصامت الذي يفصل بينهما مشكلا بالسكون. فكأن الهمزتين قد تتابعتا في النطق، اذ الصامت المشكل بالسكون ـ على حد تعبير القدماء ـ حاجز غير حصين، فيخالف بينهما

(١٠) «جديد» يستوي فيه المذكر والمؤنث؛ لانه فَعيل بمعنى مَفْعول، ولهذا قالت العرب: ملاءة جديد. انظر اللسان ٤/٨٢. وفي الحديث الشريف «وتنشق السماء انشقاق القبطية الجديد» انظر الاغاني ١٥/٢١٢. وقال جميل بن معمر:

أناة على نيرين أضحى لداتها بَلينَ بلاء الريط وهي جديد

غير أنَّ بَعْضَهُم قد ألحق بها تاء التأنيث وقد حكى سيبويه عنهم قولهم: ملحفة جديدة، ولكنه وصفها بانها قليلة، لا تكاد تعرف، انظر الكتاب ١/٦٠ وقد استعملها النحاة واللغويون بالتاء: ففي معجم الادباء ١٧/٣١٥ «ومنها تأليف الكتب القديمة والجديدة» ومن كلام أبي حيان في تذكرة النحاة: «من كتاب الممتع من النسخة الجديدة» ص ٥٤٠. وفي مقدمة ابن خلدون ص ٦٦٨ «عند اهل الدولة الجديدة». وفي بغية الوعاة ٢/٢٠٨ «فقرر شيخا بالاشرفية الجديدة».

(١١) فقه اللغات السامية ص ٤٣.

(١٢) المصدر السابق ص ٤١.

بحذف الثانية، عين الفعل، و « كثيرا ما يحدث ان يكون نتيجة التخالف اختفاء الصوت، لا اكثر ولا أقل»[١٣]. وبسقوط الهمزة، عين الفعل، تتصل حركتها بالسين مباشرة، ومن ثم يصبح الفعل «اِسَل : isal» وقد احتفظ بهذه المرحلة من تطور الامر من «سأل» في كلام بعض العرب. فقد «حكى ابو علي الفارسي ان ابا عثمان سمع من يقول : «اِسَل»[١٤].

ثم كانت المرحلة الاخيرة من مراحل تطور الامر من هذا الفعل عن طريق اسقاط همزة الوصل، وذلك بسبب زوال العلة التي من أجلها جيء بهمزة الوصل، فبارتفاع العلة ارتفع المعلول ايضا، اى لم يعد لوجوده حاجة، ولالبقائه مسوغ. وبسقوط همزة الوصل يصبح الفعل «سَلْ» للمفرد المذكر. قال تعالى : «سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية»[١٥]، وقال جل ذكره : «سلهم أيهم بذلك زعيم»[١٦]، ومن كلام العرب شعرا، قال ابو سعيد المخزومي :[١٧]

سلِ الجرادة عني يوم تحملني
هل فاتني بطل او خمت عن بطل

والمخاطبة «سلي»، قال السموأل بن عادياء :[١٨]

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم
وليس سواءً عالم وجهول

وقال ابن الدمينة :[١٩]

سلي البانة الغناء بالاجرع الذي
به البان هل حيِّيْت اطلال دارك

---

(١٣) اللغة ص ٩٤.
(١٤) اللسان ١٣/٣٣٨.
(١٥) سورة البقرة آية ٢١١.
(١٦) سورة القلم آية ٤٠.
(١٧) الامالي / القالي ١/٢٥٩.
(١٨) ديوان الحماسة ١/٣١.
(١٩) الامالي / القالي ٢/٣٣.

وجمع الاناث «سلن»، وجمع الذكور«سلوا». قال حسان بن ثابت: (٢٠)

سلوا أختكم عن شاتها وانائها

فإنّكُمُ إنْ تسألوا الشاة تشهد

ومن النثر، قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه: «أيها الناس سلوني قبل ان تفقدوني»(٢١). ومن كلام الشافعي رحمه الله: (٢٢) «سلوني عما شئتم.........» وعلى هذا كلام العرب، فالهمزتان؛ همزة الوصل، وعين الفعل تسقطان من الامر من سأل «ابتداء لثقل الهمزتين، وهمزة الوصل اذا كانت ابتداء هي همزة قطع؛ لان المقطع في العربية كما بينا، لا يبدأ الا بصامت» وقديما» قال الاخفش: (٢٣)« ألف الوصل مهموزة اذا استؤنفت »فالامر من «يَضْرب» مثلا هو «إضْرب» idrib» فالصوت الاول ينطق تماما كما تنطق همزة القطع، لانها مستأنفة، واذ قد عرفنا هذا ووقفنا عليه تبين لنا ان ما ذهب اليه الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي من ان «الناطق المجيد لهذه البنية، لا يحس بهذه الهمزة. فلسانه ينطلق بالضاد في كلمة «اِضرب» (الامر) قبل ان ينطلق بشيء اسمه الوصل. واجادة النطق تستدعي محو هذه الالف اطلاقا»(٢٤)، غير صحيح على الاطلاق، فلا يتأتى بحال اسقاط همزة الوصل اذا كانت مستأنفة، لان هذا سيؤدي الى التقاء صامتين في مقطع واحد في بداية الكلمة، اى الضاد والراء، وهو غير جائز عربيا ولا ساميا البتة. واذا قلنا«عربيا» فانما نقصد العربية الفصيحة او العربية السليمة، أما اللهجات الدارجه، فمنها ما يجيز التقاء صامتين، وخاصة لهجات المغرب العربي، وأكثر من ذلك، فان اللهجات الدارجه في مختلف انحاء الوطن العربي تبقي على الهمزتين في الامر من «سأل» حيث يقال عادة: «اسألني» واِسألوا واِسألي.......... وعليه، فان اسماء البرامج الاذاعية التي ذكرناها

---

(٢٠) الديوان ص ٢٤٣.

(٢١) نهج البلاغة ٢/ ١٣٠.

(٢٢) معجم الادباء ١٧/ ٣١٦.

(٢٣) معاني القرآن ٢/ ٢٧٧.

(٢٤) التطور اللغوي التاريخي ص ٦٦.

فيما مضى وهي: «اسأل الاذاعة»و «اسألوا اهل الذكر»، انما كان معدّوها متأثرين باللهجات الدارجة، فلم يراعوا في وضعها الاعراف اللغوية المعهوده في العربية الفصيحة. فالعربية الفصيحة براء من مثل هذه الاستعمالات الهجينة براءة الذئب من دم يوسف. قال اللغوي الكبير ابن سيده:[٢٥] «والعرب قاطبة تحذف الهمزة منه في الامر، فاذا وصلوا بالفاء او الواو همزوا كقولك: فاسأل واسأل «وفي الحقيقة ان كلام ابن سيده ليس دقيقا على اطلاقه، اما صدر كلامه فصحيح، وصادق تماما، واما عجزه، اي قوله: «فاذا وصلوا........» فغير صحيح، فكلام العرب يثبت لنا انهم اذا وصلوا همزوا أحيانا، وتركوا الهمز أحياناً أخرى، وبعبارة اخرى، انهم اذا وصلوا جاز الهمز وتركه. وترك الهمز إنما كان بفعل القياس، أي قياس حالة الوصل على حالة الابتداء، فاسقاط الهمز وصلا تطور حصل بفعل القياس، اى ليس عن علة صوتية مستحكمة كما هو الحال ابتداءً، بيدأن ساعد القياس على ما يبدو - لم يكن من القوة بمكان بحيث يحسم الامر لصالح اسقاط الهمز كلية، ولهذا نجد هذه الازدواجية في كلامهم، فهم يراوحون بين الهمز وتركه. وتحت يدي من الشواهد الشعرية والنثرية المحتج بها هي من الكثرة بحيث لو ذكرت كلها لملأت صفحات كثيرة، ولأسأمت القارىء وجعلته يشعر بالملل، ولذا فاني سأذكر بعضا منها فمن الشواهد الشعرية، قول دريد بن الصمة:[٢٦]

فسليهم عني خناسُ اذا
عض الجميعَ الخطبُ ما خطبي

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه:[٢٧]

فان كنت عن شأننا جاهلا
فسل عنه ذا العلم ممن يلينا

---

(٢٥) اللسان ١٣/٣٣٨ مادة «سأل».

(٢٦) الاغاني ١٠/٢٢.

(٢٧) السيرة النبوية ٢/١٥٩.

وقال الحطيئة : (٢٨)

أنـــا ابـــن بجـــدتـهـم علمـــا وتـجـــربـــة
فســـل بسـعــد تجـدنـي اعـلم الـنـــاس

وقال الآخر : (٢٩)

تِ لي آل زيد فانسدهـــم لي جمـــاعـــة
وســـل آل زيدٍ أيُّ شيء يضـــيرهـــا

وأما الشواهد النثريه، فعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال(٣٠) «اذا سألتم الله فسلوه بباطن الكفين واذا . . . . . » وقوله صلى الله عايه وسلم لعمار ابن ياسر(٣١) : « . . . . فسلهم عما قالوا»، وفي الاثر عن عائشة رضي الله عنها انها قالت (٣٢) : «فسلوا ربكم حتى الشسع» ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (٣٣) «كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم»، ومـــن كلام علي كرّم الله وجـــهـــه : (٣٤)«وســـل الـجـــارية فانـهـــا ستصدقك . «وفي السيرة النبوية : (٣٥)«فسلوا محمدا» . وقول بعض كفار قريش للرسول صلى الله عليه وسلم : (٣٦)
«وسله فليجعل لك جنانا»، و «فسل لنا ربك»(٣٧) . ومن كلام معدي كرب : (٣٨)
«فسليه ما يشبعه» .

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير، ولو شئنا لأتينا بالمزيد، الا انه

(٢٨) الاغاني ٢/١٩٣ .
(٢٩) سر صناعة الاعراب ٢/٨٢٣ .
(٣٠) انظر البيان والتبيين ٣/٥٢٤ .
(٣١) السيرة النبوية ٢/٥٢٥ .
(٣٢) البيان والتبيين ٣/٥٢٤ .
(٣٣)المصدر السابق ٢/٣٦٣ .
(٣٤) السيرة النبوية ٢/٣٠١ .
(٣٥)المصدر السابق ١/٣٥٩ .
(٣٦ المصدر السابق ١/٢٩٧ .
(٣٧)المصدر السابق ١/٢٩٦ .
(٣٨) الاغاني ١٥/٢٠٨ .

يكفي من القلادة ما أحاط بالجيد. ففي هذا القدر مقنع وكفاية، وفيه الدليل القاطع على ان العرب اذا وصلت تسقط الهمزة كثيرا.

ونأتي الان الى أخِصّائي وإخْصائي.

لقد ذهب الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر كما اسلفنا الى انه لا معنى لهاتين الكلمتين في كلام العرب. وفي الحقيقة ان المعاجم العربية كلها تنكر وجود «خَصيص»، وبالتالي تنكر وجود الأخِصّاء والأخِصّائي. أما الإخْصائي فقد اثبتت لها المعاجم أصلا، فقد جاء في القاموس المحيط:[39]

«وَأَخَصَّ تَعَلَّمَ عِلْما واحدا». وجاء في تاج العروس:[40] «وأخصى الرجل: تعلم علما واحدا». والمصدر من «أخصى» هو «إخْصاء» كما نقول: أحصى إحصاءً. والنسبة الى المصدر« إخْصاء» هو «اخصائي» كما نقول في النسب الى إحْصاء: إحْصائي. والنسب الى المصدر لانزاع فيه، فقولنا: فلان إخْصائيّ بكذا وكذا، هو بمعنى قولنا: متخصصّ.[41].

وعليه فان قول الدكتور احمد مختار عمر بان إخْصائيّ لا معنى لها في كلام العرب، وانكاره لها بالتالي مردود. وفي اوائل هذا القرن كان الشيخ عبدالله البستاني قد أنكر هو الآخر كلاً من الأخِصّائي والإخْصائيّ، وعندما أحاله الشيخ المغربي على ما جاء في القاموس المحيط، وتاج العروس بالنسبة لِ «إخْصائيّ»، وكذلك ما جاء عنها في المعاجم التي نقلت عن القاموس كأقرب الموارد[42]، ومحيط المحيط،[43] لم يزده ذلك الا عنادا وتصلبا في رأيه، وحكم على ما جاء في القاموس وغيره بانه غلط فظيع وخطأ شنيع، وذهب الى حد الزعم بأن ناسخ القاموس قد مسخ الجملة التي ذكر فيها فعل الاخصاء وحرّفها، وان الاصل فيها ـ على حد قوله ـ كان: أخصى الرجل:

---

(٣٩)القاموس المحيط ٤/٣٢٤.

(٤٠)تاج العروس ١٠/١١٥.

(٤١) مناظرة لغوية وادبية ص ٣٩.

(٤٢)أقرب الموارد ١/٢٨٠.

(٤٣) ص ٢٣٦ عمود ٣.

مُعِل[٤٤] معلا واحدا.[٤٥] وان المقصود من قوله «واحدا» اي خصاء لا نظير له، اي أنه بولغ في خصائه. وقد رد المغربي هذه المزاعم ووصفها بانها لا تستند الى برهان ولا الى رأي حصيف.[٤٦] اذ لو كان الامر كما وصف الشيخ البستاني لكان ينبغي ان يوجد هذا الاصل المزعوم ولو في نسخة واحدة من نسـخ القاموس المحيط، او لكان ينبغي على الاقل تداركه من قبل اولئك الـذين اولعـوا بالقـاموس واغلاطه كأحمد فارس الشدياق الذي ألف كتابه «الجاسـوس على القـامـوس» في تتبعهـا والكشف عنه. او كالشيخ نصر الهـوريني مصحِّـح المـطبعـة الاميرية بالقـاهرة، او الشيخ محمد محمود الشنقيطي المعروف بتشدده وتنطعه في ضبط اللغة.[٤٧]

واذا كنا نجد المعاجم تثبت ل «إخصائي» اصلا ومعنى في كلام العرب، يشفعان لها في الاستعمال، فاننا لا نجد أيا منها يثبت شيئا من هذا القبيل لِ «أخِصّائي» ومن هنا انكرها اللغويون وشنعوا على مستعملها.

ونقـول لشدّ ما ظلمت مادة «خصص» من قبل المعاجم العربية! لقد حجر على بعض مشتقاتها قسرا، فلم يعترف بها وحكم بوأدها، من ذلك مثلا «خصيص وخصيصة»، وهذه الاخيرة تكاد تكون أكثر أفراد أسرة «خَصَصَ» دوررانـا في الكلام وذلك من خلال صيغة الجمع اى «خصائص» ويكفي للتـدليل على شهـرتها وكثرتها في الاستعمال كونها اسما لاشهر كتب ابن جني، ومع ذلك فلم تذكر المعاجم خصيصة ولا خصائص الا صاحب أقرب الموارد الذي عدّهاجمعا لِ خاصّة على غير القياس.[٤٨] وهذا منه اجتهاد خاطىء، ولعله اضطر الى هذا التخريج كون المعاجم العربية قد أغفلت ذكـر «خصيصـة»، ولكن اللغة أوسع من المعاجم، فان تكن المعاجم قد أهملت هذه الكلمة وأغفلت ذكرها، فان اللغة قد اثبتتها واعترفت بها، فمن

(٤٤) مَعَل الرجل الحمار وغيره يمعله معلا: استلّ خُصْيَيْه.

(٤٥) مناظرة لغوية وادبية ص ٤٣، ٤٤.

(٤٦) المصدر السابق ص ٥٦.

(٤٧) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤٨) اقرب الموارد ١/ ٢٧٨.

كلام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه:[٤٩] «والمنزلةِ الخصيصة». ويكفي هذه الكلمة ورودها على لسان علي رضي الله عنه ليكون شاهد اثبات لها، ووثيقة اعتراف بها، فكلامه رضي الله عنه كما وصفه الشريف الرضي هو «الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي».[٥٠] ولا غرو في ذلك فهو كما وصف نفسه رضي الله عنه «وانا لأمراء الكلام، وفينا تَنشَّبَتْ عروقه، وعلينا تهدّلت غصونه».[٥١] وقد استعملت هذه الكلمة من قبل بعض اللغويين ايضا فهذا صاحب رصف المباني يقول في مقدمة كتابه: «الحمد لله . . . الذي جعل الكلام خصيصة البشر».[٥٢] وجمع خصيصة هو خصائص جمعا قياسيا، ولقد كثر استعمال هذه الكلمة ـ اعني كلمة خصائص ـ كثرة ظاهرة، فمن كلام علي كرم الله وجهه «ولهم خصائص حق الولاية»[٥٣] وفي السيرة النبوية:[٥٤] «. . . . خصائص الى آجال مسماه».

وقال حسان بن ثابت:[٥٥]

الا خصائص أقوام هم سلف
للصالحين مع الانصار انصار

وكتب التراث تعج بهذه الكلمة، كالبيان والتبيين،[٥٦] والحيوان،[٥٧] ودلائل الاعجاز،[٥٨] واسرار العربية،[٥٩] وشرح المفصل،[٦٠] وشرح الرضى على

---

(٤٩) نهج البلاغة ٢/١٥٧.
(٥٠) المصدر السابق ١/١١.
(٥١) المصدرالسابق ٢/٢٢٦.
(٥٢) رصف المباني: ص ٩٧.
(٥٣) نهج البلاغة ١/٣٠.
(٥٤) ٢/٥٤٣.
(٥٥) ١/٦٦٤.
(٥٦) ١/٢٤/٤٠٤.
(٥٧) ١/٥١،٥٢.
(٥٨) الصفحات: ٣٩، ٢٥٩، ٢٦٦.
(٥٩) ص ٢٠٨.
(٦٠) ٨/٢٦.

الكافية . . . . . . [٦١]

كذلك لم تذكر المعاجم كلمة . خِصِّيص « وقد جاءت . فقد نقل ياقوت الحموي عن كتاب أبي علي التنوخي قوله : [٦٢] » وكان أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب خِصِّيصا بالوزير ابي علي بن مقلة » .

ولم تذكر المعاجم التقليدية المشهورة كاللسان ممثلا للمعاجم التي نقل عنها ، والقاموس المحيط صيغة «استخصّ» . ولكنها وردت في كلام علي كرم الله وجهه : [٦٣] «ان الله تعالى خصكم بالاسلام واستخصكم له» . وقد ذكرت هذه الصيغة في اساس البلاغة وعبارته : «وهو يستخصّ فلانا ويستخلصه» . [٦٤] وقد تأثر به الزبيدي . فكانت هذه الصيغة من جملة ما استدركه على القاموس ، [٦٥] وذكر نفس جملة اساس البلاغة .

وعلى هدى من اساس البلاغة وتاج العروس ، ذكرت هذه الصيغة في المعاجم الحديثة كأقرب الموارد ، [٦٦] ومحيط المحيط . [٦٧]

ومن جملة ما اهدرته المعاجم العربية من مفردات هذه المادة كلمة «خَصيص» فلم يرد لها ذكر ـ في مبلغ علمنا ـ في اي من المعاجم العربية ، غير اننا لا نعدم ان نجد في بعضها ما يشهد لها ، كالذي ذكره صاحب القاموس وهو قوله : [٦٨] وقد خَصِصْت بالكسر» ، وتابعه على ذلك صاحب تاج العروس الذي ذكر انها مما نقله الصّاغاني عن الفرّاء . [٦٩] ان اثبات الفرّاء ل «خَصِصْت» يعزز وجود «خصيص» ذلك ان اسم الفاعل (الصفة المشبهة) من «فَعِل» اللازم كثيراً ما يأتي على «فَعيل» مثل سَعِدت فانت سعيد ، وحزنت

---

(٦١) ١/٥٠ .
(٦٢) معجم الادباء ١٥/١١٨ .
(٦٣) نهج البلاغة ٢/٤١ .
(٦٤) ١/٢٣٣ عمود ٢ .
(٦٥) تاج العروس ٤/٣٨٧ .
(٦٦) ١/٢٧٨ عمود ٢ .
(٦٧) ص ٢٣٥ عمود ٢ .
(٦٨) القاموس المحيط ٢/٣٠٠ .
(٦٩) تاج العروس ٤/٣٨٧ .

فانت حزين، وبخلت فانت بخيل ومرضت فانت مريض، وشححت فانت شحيح، وضننت بالشيء فانت ضنين به. . . . وكذلك نقول: خَصِصْت بفلان فانت خصيص به، والمصدر القياسي ل «فَعِل» اللازم هو «فَعَل» وقد جاء الخَصَصُ، قال بعضهم في هجاء بشار بن برد: [٧٠]

اذا دعاه الخال أقعى ونكص

وهجنة الاقراف فيه بالخَصَص

هذا من جهة القياس. اما من جهة الاستعمال فقد جاءت هذه الكلمة ـ خصيص ـ في كلام اللغويين والأدباء والكتّاب عامة في غير موضع، واذا كان الشيخ عبدالله البستاني قد حكم على هذه الكلمة ـ وهو في حكمه هذا يمثل لسان حال أصحاب المعاجم كافة ـ بانها «لفظ مهمل لا معنى له»[٧١] وَرَدَّ بالتالي روايةَ بيت ابي الرقعمق (٣٩٩ هـ): [٧٢]

أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة

وأتى رسولهم الي خصيصا

وعدّ كلمة «خصيص» فيه غلطا مطبعيا، صوابه هو خصوص «كما جاءت في كتاب معاهد التنصيص»[٧٣] فنقول إن ابنَ خلّكان قد سبق صاحب معاهد التنصيص الى ذلك، فقد روى هذا البيت على النحو التالي: [٧٤]

أحبابنا عزموا الصبوح بسحرة

فأتى رسولهم إليّ خصوصا

بيد انه حتى لو ثبت مجيء «خصيص» في هذا البيت، فان ورود الكلمة في موضع واحد، وفي الشعر، الذي هو موطن الضرورات، لا يكفي للاعتراف بها. ولكننا لسنا في حاجة الى بيت أبي الرقعمق سالف الذكر، وذلك لأنها وردت في النثر حيث لا ضرورة، في غير موضع في كلام اللغويين والادباء

(٧٠) البيان والتبيين ١/ ٣١.
(٧١) مناظرة لغوية وادبية ص ٣٠.
(٧٢) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٧٣) ٢/ ٢٥٢.
(٧٤) وفيات الاعيان ١/ ٤٥٥.

والكتاب، فهذا ابن النديم يقول في ترجمة أبي يعقوب اسحاق: (٧٥) «وكان منقطعا في آخر أيامه إلى القاسم بن عبيدالله وخصيصا به» وقد كرر هذه العبارة في موضع آخر من كتابه. (٧٦) ثم هذا ابن يعيش اللغوي الكبير، يقول بصـدد التنوين«. . . . ولا يكون ذلك الا في الاسماء فلذلك كان خصيصا بها»(٧٧) ثم هذا ياقوت يقول في ترجمة عمر بن بكير: «كان صاحب الحسن ابن سهل خصيصا به»، (٧٨) وهذا هو الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٧٤٨ هـ) يقول في ترجمة ابي عبدالله الميدومي: (٧٩) «وكان خصيصا بالحافظ المنذري».وجاء في بغية الوعاة في ترجمة البيروني: (٨٠) «وكان جليل القدر، خصيصا عند الملوك». وجاء في ترجمة أحمد بن إبراهيم بن حمدون النديم: (٨١)

«وكان خصيصا بالمتوكل». هذه بضعة مواضع من كتب التراث جاءت فيها كلمة «خصيص» ومن ينقب فيها يجد مواضع أخرى كثيرة، وهذا القدر الذي ذكرته يشهد بأن كلمة «خصيص» ليست مهملة، لا معنى لها، كما قال الشيخ البستاني، وانما هي كلمة مستعملة ومعروفة جيدا في كتب التراث، وعليه، فالقياس والاستعمال كلاهما يثبت وجود كلمة «خصيص». وهي وان انكرتها المعـاجم، فانـه لا ضير عليها طالما ان اللغة قد أقرّتها ـ واللغة اوسع من المعاجم بطبيعة الحال ـ وأثبتها الاستعمال.

و«خصيص» تُكَسَّرُ على أخصّاء كما يُكَسَّرُ كل من شحيح وعزيز على أشحّاء وأعزّاء، وقد جاءت بصيغة الجمع ايضا. فقد جاء في صبح الاعشى للقلقشندي قوله: (٨٢) فينعم على الأخِصّاء من امرائه بما يختاره من الخيول».

---

(٧٥) الفهرست ص ٣٤٣.

(٧٦)المصدر السابق ص ٣٥٦.

(٧٧) شرح المفصل ١/ ٢٥.

(٧٨) معجم الادباء ١٥/ ٢٦٢.

(٧٩) انظر بغية الوعاة ١/ ١٢.

(٨٠)المصدر السابق ١/ ٥١.

(٨١)المصدر السابق ١/ ٢٩١.

(٨٢) ٤/ ٥٤.

والأخِصّائي نسبة الى الأخِصّاء. الا انه تواجهنا ههنا مشكلة، وهي ان النحاة والصرفيين لا يجيز جمهورهم النسب الى الجمع مطلقا، سواء أكان جمع قلة أم كثرة، قال سيبويه: (٨٣) «اعلم انك اذا أضفت الى جميع ابدا فانك توقع الاضافة على واحده الذي كسر عليه؛ ليفرق بينه اذا كان اسما لشيء واحد، وبينه اذا لم ترد به الا الجميع». قال ابن يعيش: (٨٤) «وساغ لهم ذلك لان المنسوب مُلابس لكل واحد من آحاد ذلك ولفظ الواحد أخف. فنسبوا اليه». وشبيه بهذا تعليل ابن الحاجب: «لان الغرض من النسب الى الجمع الدلالة على ان بينه وبين هذا الجنس ملابسة، وهذا يحصل بالمفرد، فيقع لفظ الجمع ضائعا»(٨٥) اما الرضى فقد علل ذلك بقوله: (٨٦) لأن أصل المنسوب اليه والاغلب فيه ان يكون واحدا، وهو الوالد او المولد أو الصنعة، فحمل على الأغلب».

وهذه في الحقيقة تعليلات وتعلّات منطقية لا تصدق دائما وابدا على الواقع اللغوي، ثم ان الاصل في النسب عامة هو الابقاء على صيغة الكلمة كما هي، حتى لا يحصل لبس بين صيغة وأخرى، قال الدكتور مصطفى جواد في هذا المعنى: (٨٧) «ومن الحق ان النسبة لا ينظر فيها الى كون المنسوب اليه جمعا او مفردا، لانها عزو اسم الى اسم آخر لاتصاله به نسبا او مادة او معنى او لونا او مكانا او حزبا او حرفة او شيئا غيرذلك». وقد وردت عن العرب النسبة الى الجمع، الامر الذي حدا ببعض النحاة الى اجازة النسب اليه مطلقا، قال السيوطي: (٨٨) «وأجاز قوم ان ينسب الى الجمع على لفظه مطلقا». وهؤلاء هم النحاة الكوفيون. قال ابن بري: (٨٩) «كونه لا ينسب الى الجمع قول البصريين وهو المشهور، وخالفهم الكوفيون فجوزوا النسب

---

(٨٣) الكتاب ٣/٣٧٨.
(٨٤) شرح المفصل ٦/٩
(٨٥) الايضاح في شرح المفصل ١/٦٠٤.
(٨٦) شرح الشافية ٢/٨٠.
(٨٧) المباحث اللغوية في العراق ص ٢٥.
(٨٨) همع الهوامع ٦/١٧١.
(٨٩) نقلا عن المباحث اللغوية في العراق ص ٢٦.

اليه مطلقا». قال الاستاذ عباس حسن:[٩٠] «وحجتهم - اي الكوفيين - ان السماع الكثير يؤيد دعواهم - وقد نقلوا من أمثلته عشرات - وأن النسب الى المفرد يوقع في اللبس كثيرا. ورأيهم حسن مفيد». وقد أخذ مجمع اللغة العربية بالقاهرة برأي الكوفيين، فأجاز بالتالي النسب الى الجمع على لفظه، واصدر بذلك قرارا، جاء فيه: «قرار المجمع بشأن النسبة الى جمع التكسير عند الحاجة كارادة التمييز ونحو ذلك: رأى المجمع في هذا ان النسبة الى الجمع قد تكون في بعض الاحيان أبين وأدق في التعبير عن المراد من النسبة الى المفرد. بهذا عدل عن مذهب البصريين القائلين بقصر النسبة على المفرد الى مذهب الكوفيين المترخصين في اباحة النسبة الى الجمع توضيحا وتبيينا».[٩١] واستنادا الى رأي الكوفيين والى رأي مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي بُنِيَ عليه، نقول ان النسب الى الجمع «أخِصّاء» سائغ ومقبول عربيا، وبالتالي فان قول العامة: فلان أخِصّائي بكذا وكذا، بمعنى مختص او اختصاصي بكذا وكذا، استعمال عربي سليم، وانكاره والحجر عليه تحكم وتعنت ليس غير.

(٩٠) النحو الوافي ٤/٧٤٢.

(٩١) نقلا عن النحو الوافي ٤/٧٤٢ هامش ٢.

المراجع

١ ـ أساس البلاغة/ الزمخشري، محمود بن عمر ط٢مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م.

٢ ـ اعجاز القران/ الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. تحقيق: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر. ط١. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٦م.

٣ ـ الاغاني/أبو الفرج الاصفهاني ـ علي بن الحسين. مصور عن طبعة دار الكتب، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت. د. ت.

٤ ـ أقرب الموارد في فصح العربية/ سعيد الخوري الشرتوني. مطبعة مرسلي اليسوعية، بيروت. ١٨٨٩.

٥ ـ الأمالي/ أبو علي القالي، اسماعيل بن القاسم. المكتب التجاري بيروت. د. ت.

٦ ـ الايضاح في شرح المفصل/ ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر. تحقيق: موسى بناي العليلي. مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٢م.

٧ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة/ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن.تحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم. ط ١. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهره، ١٩٦٤م.

٨ ـ البيان والتبيين/ الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر. تحقيق: فوزي عطوى. مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٨م.

٩ ـ تاج العروس من جواهر القاموس/ الزبيدي، محمد مرتضى، مطابع دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي.

١٠ ـ التطور اللغوي التاريخي/ ابراهيم السامرائي. دار الرائد للطباعة، القاهرة، ١٩٦٦م.

١١ ـ الحيوان/ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. شرح وتحقيق: يحيى الشامي ط١. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦م.

١٢ ـ ديوان الحماسة/ ابو تمام، حبيب بن أوس، ط١، دار القلم بيروت . د . ت .
١٣ ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني / أحمد بن عبدالنور المالقي . تحقيق: أحمد محمد الخرّاط. ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م .
١٤ ـ سر صناعة الاعراب/ ابن جني، ابو الفتح عثمان، تحقيق: حسن هنداوي ط١، دار القلم دمشق، ١٩٨٥م .
١٥ ـ السيرة النبوية/ ابن هشام، أبو محمد عبدالملك بن هشام. تحقيق: مصطفى السقا وزميله. ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، ١٩٥٥م .
١٦ ـ شرح ديوان حسان بن ثابت/ ضبط الديوان وصححه: عبد الرحمن البرقوقي. دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م .
١٧ ـ شرح الشافية/ الرضى الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن تحقيق: محمد نور الحسن وزميله. ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م .
١٨ ـ شرح المفصل/ ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش. عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، د. ت .
١٩ ـ صبح الاعشى في صناعة الانشاء. القلقشندي. نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية. القاهرة. د. ت .
٢٠ ـ العربية الصحيحة/ أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨١م .
٢١ ـ فقه اللغات السامية/ بروكلمان، كارل، ترجمة: رمضان عبدالتواب. مطبوعات جامعة الرياض. ١٩٧٧م .
٢٢ ـ الفهرست/ ابن النديم، أبو الفرج محمد، تحقيق: رضا ـ تجدد، طهران، ١٩٧١م .
٢٣ ـ القاموس المحيط/ الفيروزباذي، مجد الدين محمد بن يعقوب. ط٣ بولاق، المطبعة الاميرية القاهرة ١٨٨١م .
٢٤ ـ الكتاب/ سيبويه، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبدالسلام

محمد هارون (الجزء الثالث) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.
٢٥ ـ لسان العرب/ ابن منظور، محمد بن مكرم، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، ١٩٧٣م.
٢٦ ـ اللغة/ فندريس، جوزيف، ترجمة: عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص. مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.
٢٧ ـ المباحث اللغوية في العراق/ مصطفى جواد، مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة. ١٩٥٥م.
٢٨ ـ محيط المحيط/ المعلم بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧م.
٢٩ ـ معاني القرآن/ الاخفش، سعيد بن مسعدة، تحقيق: فائز فارس، ط٢، الكويت، ١٩٨١م.
٣٠ ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص/ الشيخ عبدالرحيم بن أحمد العباسي. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٤٧م.
٣١ ـ معجم الادباء/ ياقوت الحموي، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م.
٣٢ ـ مناظرة لغوية وادبية/ جمع حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي القاهرة، ١٣٥٥ هـ.
٣٣ ـ النحو الوافي/ عباس حسن. ط٤، دار المعارف القاهرة، ١٩٧١م.
٣٤ ـ نهج البلاغة/ الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، منشورات المكتبة الاهلية بيروت . د. ت.
٣٥ ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع/ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية الكويت، ١٩٧٧م.
٣٦ ـ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان/ ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد تحقيق: احسان عباس. دار الثقافة بيروت. د. ت.

رابعاً: أخبار مجمعيّة

١ ـ المؤتمرات والندوات :

أ ـ شارك الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة رئيس المجمع في اجتماعي لجنة الاشراف العلمي للمعجم العربي الحديث اللذين عقدا في الكويت بتاريخ ٢٩ / ٣ وتاريخ ٢٦ / ٦ / ١٩٨٩م .

ب ـ شارك الأستاذ عبدالكريم خليفة في المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخامسة والخمسين، وقد ألقى فيه بحثاً بعنوان «حول معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي»، وقد صدرت عن المؤتمر توصيات مهمة فيما يلي نصها :

التوصيــــات

١ ـ يوصي المؤتمر أن يعنى في مرحلة التعليم الأساسي بتعلّم قدر كاف من القرآن الكريم حفظاً وتلاوة وفهماً وتفسيراً وبياناً لبلاغته حتى تستقيم الملكة اللغوية عند الناشئة ويتمثلوا قيمه الجمالية .

٢ ـ يدعو المؤتمر الدول العربية والاسلامية الى التمسك بكتابة لغتها بالأبجدية العربية، ويخص بالدعوة الصومال حكومة وشعباً للعودة سريعاً الى الأبجدية العربية، ويهيب بالدول والحكومات العربية أن تتخذ شتى الوسائل لهذه العودة المنشودة .

٣ ـ يؤكد المؤتمر توصياته السابقة بتعريب التعليم الجامعي والعالي في الوطن العربي وأن يقوم الأساتذة الجامعيون بتأليف كتب علمية وافية في مواد تخصصهم مع تمكين طلابهم من العربية واحدى اللغات الاجنبية، حتى يواكبوا تقدم العلوم في الغرب مواكبة قويمة .

٤ - يوصي المؤتمر بتوحيد المصطلحات العلمية في جميع البلدان العربية حتى تزول البلبلة الناشئة فيها بسبب ما تصنعه بعض الهيئات - ويصنعه بعض الأفراد من إصدار معاجم اصطلاحية مختلفة، وينبغي أن يعهد بهذا التوحيد الى هيئة أو مركز في إطار اتحاد المجامع اللغوية.

٥ - يوصي المؤتمر مجامع اللغة العربية والمؤسسات العلمية أن تعمل على إصدار معاجم حضارية تفي بألفاظ الحضارة المادية المستعملة في الاقطار العربية إعداداً لاصدار معجم حضاري موحد للوطن العربي.

٦ - يوصي المؤتمر بالعمل الدائب على إحياء كنوز تراثنا العربي الروحي والعلمي والأدبي والفكري لما لذلك من أثر عظيم في تبين هويتنا وشخصيتنا وازاحة النقاب عن ماضي أمتنا ومثلها العليا في التربية والأخلاق.

٧ - يوصي المؤتمر بزيادة عدد الساعات في تدريس قواعد العربية بمراحل التعْليم الأساسي والعام مع العناية بتيسيرها على الناشئة والاستفادة في ذلك بما قرره مؤتمر الدورة المجمعية الخامسة والأربعين من تبسيط لتلك القواعد. وسيعنى المجمع بطبع ما ارتآه من هذا التبسيط في كراسة ونشرها على نطاق واسع.

٨ - يوصي المؤتمر بأن يعنى في التدريس للناشئة وفي جميع وسائل الاعلام وفي المسارح - وخاصة مسارح الدولة وفي الاذاعتين المسموعة والمرئية باستخدام اللغة الفصيحة السليمة ومراعاة صياغاتها مراعاة دقيقة.

٩ - يؤكد المؤتمر توصياته السابقة بأن تعنى وزارات الاعلام وهيئات الاذاعتين المسموعة والمرئية باعداد العاملين في الاذاعة ووسائل الاعلام إعداداً لغوياً دقيقاً وأن تعدّ لهم دائماً دورات لتدريبهم على الضبط الاعرابي والنطق السديد وبيان ما يجري على ألسنتهم من أخطاء لغوية.

١٠ - يؤكد المؤتمر - حفاظاً على الهوية العربية - ما أوصى به في دورتيه السابقتين من مقاومة كتابة اللافتات على المحال التجارية وغيرها بأي لغة غير العربية، كما يوصي بمقاومة كتابة الأسماء الأجنبية بحروف

عربية، ويدعو كل حكومة عربية الى إصدار تشريع يحظر استخدام هذا الأسلوب ويجرّم من يستخدمه.

١١ ـ يؤكد المؤتمر دعوة جميع القادة والمسؤولين في الوطن العربي أن تكون خطبهم وبياناتهم الموجهة الى الجماهير باللغة الفصيحة لما لذلك من أثر بعيد في انتشارها والشغف ببيانها السليم.

١٢ ـ تبلّغ توصيات المؤتمر وقراراته الى المجامع اللغوية والعلمية واتحاد المجامع والجامعات ووزارات التعليم والثقافة والاعلام في الوطن العربي.

جـ ـ تلقى الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة رئيس المجمع دعوة من كلية التربية ـ عطبرة بجمهورية السودان الشقيق للاشتراك في مؤتمر التعريب الأول لهذه الكلية الذي انعقد في الفترة ما بين ٢٦/٢ ـ ١/٣/١٩٨٩ بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تحت شعار «التعريب بين النظرية والتطبيق» غير أن ظروفاً حالت دون حضور الأستاذ رئيس المجمع هذا المؤتمر.

وقد تلقى مجمع اللغة العربية الأردني التوصيات التي أصدرها المؤتمر وكانت من قسمين: توصيات داخلية، وتوصيات عامة، وفيما يلي نص التوصيات العامة لهذا المؤتمر:

التوصيات العامة:

١ ـ أن تتبنى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم حصر المصطلحات العلمية وتوحيدها وتعميمها والحاق معاجم صغيرة بالكتب المعربة توضح المصطلحات بلغاتها وما يقابلها بالعربية.

٢ ـ التأمين على فكرة انشاء جامعة التعريب التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لتوجيه التعريب وجهة علمية وحضارية.

٣ ـ التوسع في انشاء دوريات عربية متخصصة لنشر الابحاث العلمية.

٤ - تشجيع وتحفيز الاساتذة في الوطن العربي على التأليف العلمي باللغة العربية .

٥ - العمل على تعزيز سبل الاتصال العلمي بين الجامعات العربية والمجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب والمؤسسات ذات الصلة لاقتناء المصطلحات والرموز العلمية والاتفاق حولها .

٦ - المضي في كتابة الرموز والمعادلات باللغات العالمية والعمل على تعريبها مستقبلاً بصورة موحدة على أن يكون الشرح باللغة العربية .

٧ - دعوة الدول العربية لتوجيه البروتكولات الثقافية نحو ما له صلة بالتعريب .

٢ - تعريب التعليم العلمي الجامعي :

يولي المجمع هذا الموضوع اهتماماً كبيراً، وانطلاقاً من ايمانه بأن قضية التعريب ضرورة قومية وحضارية فقد وافق على دعم نشر الكتب العلمية التالية :

١ - The development Of the Infant and Young Child

ترجمة الدكتور سعد حجازي

٢ - كتاب الدهون والأمراض تأليف لامعة الطالباني .

٣ - كتاب السموم تأليف الدكتور منيب الساكت وزملائه .

وأوصت لجنة التأليف والترجمة للعلوم الصحية في المجمع باتخاذ الاجراءات اللازمة لترجمة الكتب الطبية التالية :

1 - Modern Pharmacology
Editora: Charles R. Craig and R. Stitzel 2 nd Edition. 1986
Publisher: Little Brown and Co, Boston, USA

2 - Basic Pathology
Robbins and Kumar (1987)

3 - Review of Medical Microbiology
Editors: E . Jawetz and others, 17 edition, 1987
Publisher: Appleton & Lange
25 Van Tant Street, East Norwalk
Connectiont 06855, U.S.A

4 - Text Book of Medical Physiology
Seventh Edition 1986
Arthur C. Guyton
5 - Basic Histolggy
Luis C. Junqueira and Others
Fifth edition
6 - Pharmacognosy
Varro E, Tyler, Lynn R. Brady,
James E. Robbers
9th Edition

٣ ـ الموسم الثقافي السابع .

عقد مجمع اللغة العربية الأردني موسمه الثقافي السابع في عام ١٩٨٩م . في الفترة ما بين ١٣ / ٥ ـ ٣ / ٦ / ١٩٨٩م . وقد كان محوره الرئيسي هو «تعريب العلوم الصحية»، وقد سارت الندوات والمحاضرات فيه على النحو التالي :

١ ـ المحاضرة الأولى : «المصطلحات الطبية الموحدة حديث في المنهج والتطبيق»

للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط مدير حفظ الصحة وتعزيزها في المكتب الاقليمي لشرق البحر الأبيض المتوسط التابع لمنظمة الصحة العالمية. ألقيت يوم السبت ٨ شوال الموافق ١٣ أيار ١٩٨٩م .

٢ ـ المحاضرة الثانية : «تجربة كلية طب الأزهر في تعريب العلوم الصحية»

للأستاذ الدكتور سالم نجم الأمين العام لنقابة الأطباء في جمهورية مصر العربية ، أستاذ الأمراض الباطنية في كلية الطب بجامعة الأزهر. ألقيت يوم السبت ١٥ شوال الموافق ٢٠ أيار ١٩٨٩م .

٣ ـ المحاضرة الثالثة : «تعريب العلوم الصحية ضرورة حضارية»

للدكتور أحمد الشيخ سروجية استاذ الجراحة العامة والغدد الصماء بكلية الطب في الجامعة الأردنية. ألقيت يوم السبت ٢٢ شوال ١٤٠٩هـ الموافق ٢٧ أيار ١٩٨٩م .

٤ ـ ندوة الموسم الثقافي بعنوان «تدريس العلوم الصحية باللغة العربية»

أدارها وشارك فيها الدكتور سميح أبو الراغب أستاذ الطب الشرعي بكلية الطب في الجامعة الأردنية وتحدث عن دور هيئة التدريس في التعريب وفي تدريس العلوم الصحية باللغة العربية.

وشارك فيها:

- الدكتور حسام الجراح، رئيس شعبة تقويم الأسنان في مدينة الحسين الطبية سابقاً وتحدث عن «معوقات في تعريب العلوم الصحية».
- الدكتور محمود تقي الدين، مدير الانتاج في الشركة الأردنية لانتاج الادوية وتحدث عن «المصطلحات الطبية وأهميتها في تعريب العلوم الصحية»

وقد عقدت الندوة يوم السبت ٢٩ / شوال ١٤٠٩هـ الموافق ٣ حزيران ١٩٨٩م. ومما تجدر الاشارة اليه أنه كان من المقرر أن يدير الندوة ويشارك فيها الدكتور حسن خريس الأمين العام لاتحاد الاطباء العرب إلا أن سفره المفاجىء لحضور اجتماع الاتحاد العام لنقابة الاطباء العرب الذي عقد في تونس قد حال دون ذلك، وقد ألقى الدكتور سميح أبو الراغب كلمة الدكتور حسن خريس في بداية الجلسة. كما كان من المقرر أن يشارك في هذه الندوة الدكتور وليد الخطيب إلا أن ظروفا حالت دون ذلك.

٤ ـ من اخبار أعضاء المجمع.

- تلقى الاستاذ عبدالكريم خليفة رئيس المجمع، رسالة من الدكتور شوقي ضيف الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة تضمنت قرار وزير التربية والتعليم في جمهورية مصر العربية رقم (٥٨٢) بتاريخ ١٥/٦/١٩٨٨م اعتماد انتخاب:
  - الاستاذ الدكتور محمود السمرة نائب رئيس المجمع
  - الاستاذ الدكتور أحمد سعيدان عضو المجمع

  عضوين مراسلين في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٥ ـ المشاركة في المعارض:

شارك مجمع اللغة العربية الأردني في المعارض التالية:

١ ـ معرض عمان الدولي الاول للكتاب ما بين ١ ـ ١٠/٣/١٩٨٩م.

٢ ـ معرض الكتاب العلمي للجمعية الكيميائية الاردنية في الفترة ما بين ٢٤ ـ ٢٧/٤/١٩٨٩م.

٦ ـ وحدة الحاسوب:

قام السيد فؤاد القـردلي من مركـز التـوثيق والمعلومات بالامانة العامة لجامعة الدول العربية بتركيز نظام مينيزيس وتدريب موظفي المجمع على استخدامه وذلك في الفترة من ١٧/٣ ـ ٦/٤/١٩٨٩م.

مجلة
مجمع اللغة العربية الأردني

(مجلة متخصصة محكمة)

تصدر مرتين في السنة

* البحوث التي ترسل إلى المجلة تكون خاصة بها ، ولم يسبق أن نشرت في مكان آخر ، وان تتوافر فيها شرائط البحث العلمي .
* يرسل كل بحث إلى ثلاثة محكمين مختصين ، وفي ضوء تقاريرهم تقرر هيئة التحرير نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره .
* البحوث غير المجازة لا ترد إلى أصحابها .
* يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية .
* تقبل للنشر مراجعات الكتب إذا كانت قيمة .
* يجوز للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر ، بعد نشره في مجلة المجمع ، شريطة أن يشير إلى ذلك .

الاشتراكات

في الأردن	ديناران سنوياً
في البلاد العربية	ثلاثة دنانير سنوياً او ما يعادلها .

تضاف أجرة البريد الجوي لمن يشاء ذلك من المشتركين

المملكة الاردنية الهاشمية - عمان - ص.ب ١٢٢٦٨ هاتف ٨٤٢٥٠٠ - تلكس MAGMA -JO. 23441

دار الكرمل للنشر والتوزيع
عمان ـ هاتف : ٦٨٩٦٨٤
فاكس : ٦٨٩٦٨٥

الى الأخوة الكتّاب:

يرجى مراعاة ما يلي:

١ـ أن تقتصر البحوث على اللغة العربية، والتراث العربي الإسلامي: العلمي والأدبي والفني، وشؤون التعريب، ومراجعة الكتب المحقّقة وما إليها، والمناقشات والتعليقات المتعلقة بهذا وأمثاله.

٢ ـ أن يتأكّد الكاتب من سلامة اللغة، وحسن الترقيم، والتوثيق قبل إرسال بحثه للنشر.

٣ ـ أن تتّسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الهادىء، الخالي من الانفعالات الحادّة التي قد تسيء الى المؤلّف أو الباحث.

٤ ـ أن تكون البحوث المرسلة للنشر في نسختها الأصلية، وخاصة بالمجلّة.

رئيس التحرير